الأربعون حديثاً النبوية
في
منهاج الدعوة السلفية

تأليف

سعيد «محمد موسى» حسين إدريس السلفي

ويليه

«دعوتنا»

للشيخ الإمام محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله

قدم له

فضيلة الشيخ

علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري

دار الإمام أحمد

خيطان

الطبعة الأولى لـ :

دار الإمام أحمد
للنشر والتوزيع والصوتيات

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٣٣٢٨ / ٢٠٠٨م

دار الإمام أحمد

٦ شارع عزيز فانوس - منشية التحرير - جسر السويس - القاهرة

هاتف: ٠٠٢٠٢/٢٢٤١٤٢٤٨ تليفاكس: ٠٠٢٠٢/٢٦٣٦٥٦٣٨ جوال: ٠٠٢/٠١٠٦٠١٤٩٧٨

E-Mail:Dar_Alemam_Ahmad@yahoo.Com

توزيع

تسجيلات خيطان الإسلامية

الكويت - خيطان هاتف ٤٧٤٨١٤٠/٤٧٢٩٧٦٧ - فاكس ٤٧٣٠٨٣٠

الأربعون حديثاً النبوية
في
منهاج الدعوة السلفية

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للَّه، والصلاة والسلام على رسول اللَّه، وعلى آله وصحبهِ ومَن والاه.

أمَّا بعد:

فقد دَفعَ إليَّ الأخُ الفاضلُ «سعيد إدريس» -وفَّقهُ اللَّهُ- كتابَهُ «الأربعون حديثًا النبويَّة في منهاج الدَّعوة السلفيَّة»: لأنظُرَ فيه، وأتأمَّلَ محتواه، وأكتُبَ كلمةً -في مقدِّمتهِ- تُعرِّفُ به:

ولقد طالعتُ -بتأمُّلٍ- مواضعَ عدَّةً من هذا الكتاب، ولم يُسْعِفْني الوقتُ لقراءتِهِ كلِّه، والنظرِ فيه جميعهِ، وما لا يُدْرَكُ كلُّه، لا يُتْرك جُلُّه!

فَرَأَيْتُهُ كتابًا نافعًا -إن شاء اللَّه- مُفيدًا للشَّادين، ومُذَكِّرًا للجادِّين؛ بما ضَمَّنَه جامِعُهُ من نُقولٍ، ونصوصٍ، ودلائلَ.

فجزى اللَّهُ كاتِبهُ خيرًا، ونَفَعَهُ، ونَفَعَ بهِ، وزادَه من فضلهِ، وبرِّه.

وصلى اللَّه وسلَّم وبارك على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أنِ الحمدُ للَّه ربِّ العالمين.

وكتبه

علي بن حسن بن علي بن عبدالحميد

الحلبيُّ الأثريُّ

ضحى يوم الأحد

(١٩/ربيع الآخر/سنة ١٤٢٨هـ)

مقدِّمَة المؤلف

إنَّ الحمد للَّه نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا، ومن سَيِّئات أعمالنا، من يهده اللَّه فلا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له.

وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فقد صنَّف خلائقُ كُثُرٌ من أهل العلم قديمًا وحديثًا في جَمْعِ أربعين حديثًا[(١)] في أصول الدِّين، أو فرع من فروعه، في جزءٍ مفرد على طريقة معيَّنة لبيان فكرة محدَّدة.

ذكر مثل هذا الإمام النَّووي في «مقدِّمته» على الأربعين النَّووية، ثمَّ قال: «ثمَّ من العلماء من جمع الأربعين في أصول الدِّين، وبعضهم في الفروع، وبعضهم في الجهاد، وبعضهم في الزُّهد، وبعضهم في الآداب، وبعضهم في الخطب، وكلُّها

(١) ورد عن النبي ﷺ من عدَّة طرق، قوله: **«من حفظ على أمتي أربعين حديثًا من أمر دينها بعثه اللَّه يوم القيامة في زمرة الفقهاء والعلماء»** ولكنه حديث ضعيف، قال الإمام النَّووي في «مقدمته» على «الأربعين النَّووية»: «واتفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف، وإنْ كَثُرَتْ طُرقُه».

وانظر «الضعيفة» (٤٥٨٩) للعلامة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

مقاصد صالحة رضي اللَّه -تعالى- عن قاصديها.

وقد رأيت جمع أربعين أهم من هذا كلِّه، وهي أربعون حديثًا مشتملة على جميع ذلك، وكل حديث منها قاعدة عظيمة من قواعد الدِّين، قد وصفه العلماء بأنَّ مدار الإسلام عليه، أو هو نصف الإسلام أو ثلثه أو نحو ذلك، ثمَّ التزمتُ في هذه الأربعين أن تكون صحيحةً، ومعظمها في «صحيحي البخاري ومسلم»، وأذكرها محذوفة الأسانيد؛ لِيَسْهُلَ حفظُها ويعمَّ الانتفاعُ بها -إن شاء اللَّه تعالى-، ثمَّ أَتْبَعْتُها بباب في ضبط خفيِّ ألفاظها».

نعم؛ فقد وفق اللَّه الإمام النَّووي لمقصده، فقد جمع أربعين حديثًا من جوامع كلم النبي ﷺ في أعظم باب في هذا الأمر، ألا وهو باب الإسلام بأصوله وفروعه وشموله.

ولا يزالُ أهل العلم بعد ذلك يصنِّفون في أبواب الإسلام وعُراه وأسهمه، فهذا صنَّف في التَّوحيد، وهذا في الأخلاق، وهذا في الطب، وهذا في الفقه، وهذا في الرِّقَّة، وهذا في الدَّعوة، وغير ذلك كثير، وكلها حسنة نافعة في أبوابها[1] -إن شاء اللَّه تعالى-.

ولقد رأيت -مقتديًا بأهل العلم في هذا الباب، وسائرًا على سَنَنِهِم، ومقتفيًا آثارَهم- أَنْ أَجْمَعَ أربعين حديثًا أهم من ذلك كلِّه -بإذن اللَّه- بعد «أربعين» الإمام النَّووي في الإسلام، -وهي أربعون حديثًا في السُّنَّة والمنهاج-:

فترى أن لفظةَ (السُّنَّة) اقترنت كثيرًا بلفظةِ (الإسلام) في كلام السَّلف أكثر من لفظةِ الفقه، أو الزُّهد، أو الجهاد، أو الآداب؛ على شرف الكل وعُلُوِّ قدره.

فعندما انقضى زمن النُّبوَّة بموت النبيِّ ﷺ وأتى أصحابَه ما يُوعدون، وطلَّتْ رؤوسُ البدع، وحصل الاختلاف الكثير، واتَّبع أقوامٌ الأهواء؛ حتى تجارت بهم

---

(١) إلا ما كان منها لنُصرة البدع والفرق الضالَّة.

كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه؛ وماجَتِ الفتن في الأمَّة كموج البحر؛ تمسَّك الصحابةُ بمنهاج النبيِّ ﷺ وسنَّته، وسنَّة الخلفاء الراشدين، وعَضُّوا عليها بالنَّواجذ، ورأَوْا كيف كان عاقبة الزَّائغين والجاهلين والمغرضين والمبتدعين والمرتابين الذين سلكوا سبُل الشيطان، وكيف تلاعب بهم الشيطان والأهواء حتى خرجوا من الدِّين كما يخرج السهم من الرميَّة، فحمدَ اللَّهَ الصحابةُ على ما وفَّقهم للإسلام من بين الأديان، والسُّنَّةِ من بين الفرق والأهواء، واستشعر مَنْ بعدَهُم مِنَ التابعين وأتباعهم بإحسان من السَّلف الصالح عظيمَ مِنَّةِ اللَّه عليهم بأن وفقهم وهداهم للسُّنَّة بعْدَ أن هداهم للإسلام.

فعن معاوية بن قرة أنَّ سالم بن عبداللَّه حدَّثه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «ما فرحتُ بشيء من الإسلام أشدَّ فرحًا بأنَّ قلبي لم يدخله شيءٌ من هذه الأهواء»[(١)].

وقال أبو العالية: «ما أدري أيُّ النِّعمتين عليَّ أعظم: إذْ أخرجني اللَّه من الشِّرك إلى الإسلام، أو عَصَمَني في الإسلام أن يكون لي فيه هوى»[(٢)].

وقال الفضيل بن عياض: «طُوبى لمن مات على الإسلام والسنَّة، فإذا كان كذلك، فليكثر من قول: ما شاء اللَّه»[(٣)].

وقال ابن عَون: «من مات على الإسلام والسنَّة، فله بشير بكلِّ خير»[(٤)].

وعن عبداللَّه بن عُرْوَةَ قال: سمعت يوسف بن موسى القطَّان يُحدِّث عن الأوزاعيِّ أنَّه قال: رأيتُ ربَّ العزَّة في المنام، فقال لي: «يا عبدالرحمن أنت الذي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟»، فقلتُ: بفضلك يا ربُّ، ثمَّ قلتُ: يا ربِّ أمِتْني على الإسلام، فقال: «والسُّنَّة»[(٥)].

---

(١) أخرجه اللالكائي (٢٢٦ و ٢٢٧).

(٢) أخرجه اللالكائي (٢٣٠)، وانظر «ذمُّ الكلام» (٧٨٦).

(٣) أخرجه اللالكائي (٢٦٨).

(٤) أخرجه اللالكائي (٦٠)، وانظر (٦١)، (٦٢)، (٦٣).

(٥) رواه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٤٢).

وعن ابن وضَّاح عن الإمام عبدالله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «اعلم أخي أنَّ الموتَ اليومَ كرامةٌ لكلِّ مسلمٍ لَقِيَ اللَّهَ على السنَّة»[١].

وسأل المرُّوذِيُّ الإمام أحمد بن حنبل: «مَنْ مات على الإسلام؛ مات على خير؟! فقال له أحمد: اسكت، من مات على الإسلام والسُّنَّة؛ مات على الخير كُلِّه»[٢].

وقال طَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللَّه البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ: «وافق ركوبي ركوبَ أحمد بن حنبل في السفينة فكان يُطيل السُّكوتَ، فإذا تكلَّمَ قال: اللَّهم أَمِتْنَا على الإسلام والسنَّة»[٣].

وكان الإمام أحمد يقول في دعائه: «أَمَاتَنا اللَّه على الإسلام والسنَّة»[٤].

وقال الإمام البربهاريُّ في الفقرة الأولى من «شرح السنَّة» ص (١): «اعلموا أنَّ الإسلام هو السُّنَّة، والسُّنَّة هي الإسلام، ولا يقوم أحدهما إلا بالآخر».

وقال أبو بكر بن عيَّاش: «السنَّة في الإسلام أعزُّ مِنَ الإسلام في سائر الأديان»[٥].

قال مالك بن مِغْوَل: «إذا تسمَّى الرَّجل بغير الإسلام والسنَّة؛ فأَلْحِقْهُ بأيِّ دينٍ شِئْتَ»[٦].

وقد وردت مثل هذه الكلمات عن كثير من العلماء الذين عَرَفُوا فضل السُّنَّة والمنهاج السَّلفي على البدع والمناهج المنحرفة والأهواء الرديَّة، فمن هؤلاء العلماء: الإمام الألباني حيث كان يقول دائمًا: «الحمد للَّه على الإسلام والسُّنَّة».

---

(١) رواه ابن وضَّاح في «البدع وما جاء فيها» (٩٧).

(٢) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص١٨٠).

(٣) «طبقات الحنابلة» (١/ ١٧٩).

(٤) رواه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص١٧١).

(٥) أخرجه اللالكائي (٥٤)، و«تلبيس إبليس» (ص١٩).

(٦) «الإبانة الصُّغرى» (١٣٧).

أهميَّةُ التَّقيُّدِ بفهم ومنهاج السَّلف الصَّالح من جهةِ كونهِ يضبِطُ فهم المسلم من الخطأ والزَّلَل، ويُقَوِّم سلوكه من الاعوجاج والانحراف، ولكونه ميزانًا يضبط نِسَبَ وموازينَ المتقابلاتِ والمتشابهاتِ من الأمورِ دون غلوٍّ أو تقصير، أو إفراط أو تفريط

فأهل السنَّة -أتباع المنهاج السَّلفي- لا يأخذون أصلًا أو فرعًا من فروع الدِّين ويجعلونه أكبر هَمِّهم ومبلغ علمهم، ويَتْركون أو يُهملون أو يَنْسَوْن بقيَّتَهُ، بل يتمسَّكون بالدِّين كلِّه بكماله وشموله، فَهُمْ على النَّقيض من أهل البدع الذين يتمسَّكون ببعض أُصول الدِّين أو فروعهِ ويقدِّمونها على كلِّ شيءٍ؛ بل ويَغْلُونَ فيها غُلوَّ إفراطٍ فيرفعونها فوق منزلتها، ويغلون فيما يقابلها غلوَّ تفريط فينزلونها تحت منزلتها، ومنهم من يأخذ أصلًا أو فرعًا فيرفعه فتأتي فرقة أخرى فتُنْزِلُهُ وتهمِلُهُ وترفعُ ما يقابِلُه، فأهل السُّنَّة وسطٌ بين طرفين، قال -تعالى-: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

إنَّ أهل السنَّة وسطٌ بين الخوارج والمُرجِئَة في مسائل الإيمان والكفر.

وأهل السنَّة وسطٌ بين الشِّيعة والنَّاصبة في حبِّ وموالاة آل البيت.

وأهل السنَّة وسطٌ بين القَدَريَّة والجبريَّة في القضاء والقدر.

وأهل السنَّة وسطٌ بين المشبِّهة والمعطِّلة في الأسماء والصِّفات.

وأهل السنَّة يُعطون كلَّ ذي حقٍّ حقَّه، ويُنزِلون كلَّ شيء منزلتَه، ويُقَدِّمون الأهمَّ فالمهمَّ فما دونه، ويُراعُون الأولويَّات، فلا يقدِّمون على التوحيد شيئًا، فالتوحيد أولًا وقبل كلِّ شيء، ولا يُقدِّمون على قول رسول اللَّه ﷺ قولَ أحدٍ من البشر، ثمَّ يقدِّمون الأهم فالمهم وَفْقَ مُرادِ اللَّه ورسوله ﷺ، بخلاف أهل الأهواء والبدع، والتكتُّلات، والحزبيَّات المقيتة، الذين أهملوا التَّوحيد وانشغلوا عنه بكلام البشر من هنا وهناك، وضَيَّعوا أوقاتهم وأفرغوا جهودهم وجهود أتباعهم في

مناهج مُحْدَثَةٍ وأمورٍ جزئيَّة من الدِّين مُحَلِّينَها بِحِلْيَةِ البدع، ومُلْقِين عليها بَهْرَجًا من زُخْرُفِ القول غُرورًا، ومحيطينها بأكاليلِ التَّقديس.

إذ إنَّ «الإسلام أعطى لكل أمر من الأمور نصيبًا من الأهميَّة، وَوَزَّنَه في ميزانه بقدر محدود، فينبغي ألا نغالي فنزيد، وألا نفرط فَنُقَصِّر.

إنَّ ضَبطَ النِّسَب في الأهميَّة والتقدير بين شتى الأوامر، ومختلف المناهي شيءٌ ضروريٌّ، وضروريٌّ جدًّا، وإلا فإنَّ التغيير في النِّسب ينشأُ عنه خطأٌ في الفَهْم يؤدِّي إلى انحراف في السُّلوك.

ومَثَلُ ذلك كَمَثَلِ المصوِّر الذي يغيِّر النِّسَب في التصوير الهزليِّ السَّاخر، فيزيد في طول الأنف، ويكبِّر حجم الرأس، ويطوِّل الرِّجْل، أو يُقَصِّرُ اليد.

صحيح أنَّ الصورةَ تحتوي كلَّ الأجزاءِ، لكن لا يمكن أن يقولَ عاقلٌ: إنَّ هذه الصُّورةَ بعد تغيير النِّسبِ فيها تُمَثِّلُ الإنسان السَّوِيَّ!

وكذلك الدَّواءُ الذي يتناولُهُ المريضُ بقَدْرٍ محدَّدٍ؛ فيؤدِّي إلى الشِّفاء بإذن اللَّه -تعالى-؛ فإذا زاد في الجرعةِ المقرَّرة، أو نقص منها؛ حصل الضَّرر، ولم يحصُلِ الشِّفاء، ولو غيَّرنا في نِسَبِ العناصر التي يتركَّب منها الدَّواء؛ انقلب سُمًّا قاتلًا.

إنَّ الذين يأخذون جزءًا من الإسلام، فيزيدون في أهميَّته حتى يجعلوه هو الإسلام، ويَقْصِرُون حياتَهم ومواهِبَهم على هذا الجزء، مَثَلُهم كمثلِ جماعةِ العُميان مع الفيل، إذ تَحَسَّسُوه لِيتعرَّفوا عليه، فقال أحدُهم: الفيل يشبه النَّخلة؛ لأنَّ يده وقعت على رِجْلِه، وقال الثَّاني: الفيل يشبه السَّيف؛ لأنَّ يده وقعت على نابه، وقال الثالث: الفيل يشبه المروحة؛ لأنَّ يده وقعت على أذنه.

صحيح أنَّ الفيل فيه ما يشبه النَّخلة، وما يشبه السَّيف، وما يشبه المروحة، ولكن الخطأ جاء من المغالاة في الجزء، وتعميم حكمه على الكلِّ»[1].

---

(١) «زاد الدُّعاة»: (ص: ٥٩-٦٠)، للدكتور عبدالمهيمن طحَّان.

وقد حرصتُ في هذه «الأربعين» أن أجمع من جوامع كلم النبيِّ ﷺ أحاديث المنهج الرئيسة والمهمَّة، التي تُبيِّن معالم الطَّريق الحق وتوضِّح منار السَّبيل الصِّدق، وأن لا أُفَوِّتَ منها -قَدْرَ الاستطاعةِ- شيئًا؛ لأنَّ غيابَ حديث واحد قد يؤدي إلى الضلال والانحراف، فكيف بغياب أحاديث كثيرة، ولا أدلَّ على ذلك مما أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٩١) عن يزيد الفقير، حيث قال: كنت قد شغفني رأيٌ من رأيِ الخوارج فخرجنا في عصابةٍ ذوي عَدَدٍ نُريد أن نَحُجَّ، ثم نخرُجَ على النَّاس، قال: فمَرَرْنا على المدينة فإذا جابر بن عبداللَّه يُحَدِّث القوم، جالسٌ إلى ساريةٍ، عن رسول اللَّه ﷺ قال: فإذا هو قد ذكر الجهَنَّميِّينَ قال: فقلت له: يا صاحبَ رسول اللَّه! ما هذا الذي تُحَدِّثون؟ واللَّهُ يقول: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، و﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠] فما هذا الذي تَقُولُون؟ قال: فقال: أتَقْرَأُ القرآن؟ قلت: نعم، قال: فهل سمعتَ بمقام محمد ﷺ؟ (يعني الذي يَبْعَثُه اللَّه فيه) قلتُ: نعم، قال: فإنه مقام محمد ﷺ المحمودُ الذي يُخْرِجُ اللَّهُ به من يُخْرِجُ، قال: ثم نَعَتَ وَضْعَ الصِّراطِ ومَرَّ النَّاس عليه، قال: وأخافُ أنْ لا أكونَ أحفظُ ذاكَ، قال: غيرَ أنه قد زَعَمَ أنَّ قومًا يَخْرُجُونَ من النار بعد أن يكونوا فيها، قال: يعني فَيَخْرُجُونَ كأنهم عِيدَانُ السَّمَاسِمِ، قال: فَيَدخُلُونَ نهرًا من أنهار الجنَّة، فَيَغْتَسِلُونَ فيه، فَيَخْرُجُونَ كأنهم القَرَاطِيسُ، فرَجَعْنَا قُلنا: ويحكم! أترونَ الشيخَ يَكذبُ على رسول اللَّه ﷺ؟ فَرَجَعْنا، فلا واللَّهِ! ما خَرَجَ منَّا غَيْرُ رجلٍ واحدٍ.

فهذا حديث واحد في العقيدة مما له اتصال بالمنهاج قد غاب عن أولئك النَّفَرِ من التابعين، فأدَّى إلى ضلالهم وفساد تصوُّرهم وانحراف سلوكهم، فأرادوا أن يخرجوا على النَّاس ويسفكوا دِمَاءَهُم ويفعلوا فعل الخوارج المارقين، وكذلك أحاديث السنَّة والمنهاج إذا غاب منها شيء اضطربت المفاهيم، ونقص الفكر، وفسد التَّصوُّر، فيُتَنَكَّبُ الصِّراط، وتضلُّ الأفهام، وتُسْلَكُ سبل الشَّيطان.

وأما متون الأحاديث فقد تخيَّرت أحسنَها، وأشملَها، وأخصَّها.

وتأمَّلتُ كثيرًا في تبويبها، وجعلتها في سلسلة متَّصلة الحلقات، يشدُّ بعضها بعضًا ويبيِّن بعضها بعضًا، وقد راعيتُ في تسَلسُلها تَسَلْسُل مصادر التَّشريع، ومصادر الفهم، ثمَّ الأمور التي تحرف المسلمين عن هذا الفهم، ثمَّ الأمور التي تبيِّن العلاج للمسلمين ممَّا يصيبهم من انحرافات ومصائب في دينهم ودنياهم، ثمَّ أماكن الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، ثمَّ ختمتُها ببيان أنَّ المسلمين سيرجعون إلى دينهم، وأنَّ المستقبل للإسلام والمسلمين بفهم السَّلف الصالحين.

وقد اعتنيتُ بتخريج الأربعين حديثًا الرئيسة أكثر من غيرها، فذكرت أكثر من مصدر من مصادر السُّنَّة بتخريج كل حديث منها، لتصل إلى أربعة أو خمسة مصادر أو أكثر أحيانًا، أما باقي الأحاديث والآثار في الكتاب فلم أتوسع في تخريجها، بل قد أكتفي غالبًا بذكر مصدر أو اثنين، وإذا كان الحديث في البخاري ومسلم أو في أحدهما، أكتفي بذكره دون ذكر الحكم عليه، وإذا لم يكن فيهما أو في أحدهما فقد اعتمدتُ على كتب الإمام الألباني وأحكامه على الأحاديث، فأذكر حُكْمَهُ على كل حديث مع ذكر المصدر ورقم الحديث ليسهل الرُّجوع إليه.

وأما بالنِّسبة للشرح فقد أردته شرحًا متوسطًا، وقد أضطرُّ أحيانًا للتطويل، فترى شرح حديث واحد يصل إلى عشرات الصفحات؛ وما ذلك إلا لأحيط بأطراف الفكرة التي من أجلها جمعتُ هذا الكتاب -وهي بيان المنهج السَّلفي من مصادره وقواعده بشموليَّته وأصالته، مع التدليل والتمثيل بين دَفَّتَي كتاب واحد-، وأحيانًا أخرى إلى الاختصار في ورقتين أو ثلاث فقط لتحقُّق المراد.

وقد أردته شرحًا سلفيًّا منهجيًّا، فاعتمدت على شروحات وترجيحات العلماء المدققين من السَّلفيين قديمًا وحديثًا؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، والشيخ الألباني والشيخ ابن باز والشيخ ابن عُثَيمين، وغيرهم كثير ممَّن عُرف بصحَّة العقيدة وسلامة المنهج وكثرة العلم، وتَزْكِيات العلماء له.

والدَّافِعُني -أيضًا- إلى جمع هذه «الأربعين»: النَّصيحة للمسلمين جميعًا؛ فعندما يكون بين يَدَي المسلم كتاب يجمع أصول وفروع المنهاج السَّلفي بانتقاء وترتيب وتسلسل للحُجَجِ والبراهين والأدلَّة النقليَّة والعقليَّة بأسلوب مُيَسَّر بعيدٍ عن التعقيد والغموض؛ فإنَّ ذلك يُسهِّلُ الفهم والمعرفة والحفظ، ويُحقِّقُ النفع المطلوب.

وأخيرًا وليس آخرًا، فهذا قصدي: فأرجو اللَّه أن يوفقني فيه، وأن يُعيذني من شرور نفسي، وأن لا يَكِلَني إلى نفسي طَرْفَةَ عين، إنه وليُّ ذلك والقادر عليه، وأسأله -تعالى- أن يغفر لي ويرحمني، إنَّه سميع مجيب، وآخر دعوانا أنِ الحمد للَّه ربِّ العالمين.

هذا؛ وأشكرُ فضيلةَ شَيْخِنَا العلَّامة الفاضل (علي الحلبي) -حفظه اللَّه- فقد طلبتُ منه أن يقرأَ كتابي هذا وينصحَ له، فقرأ ما تيسَّر له منه، وأفادني بملحوظاتٍ مفيدةٍ مهمَّةٍ، وقدَّمَ له، فجزاهُ اللَّهُ خيرًا على ثقتِه ونصحِهِ.

كما وأشكرُ الأخَ الفاضلَ (عمرَ إبراهيمَ أبا طلحة) -حفظه اللَّه- فقد قرأ الكتاب كلَّه ونصح له، وأشاد به، وقال: إنَّهُ حسنُ التسلسلِ والعَرْضِ، وحثَّ على طباعته، -فجزاه اللَّه خيرًا-.

كتبه

سعيد (محمد موسى) حسين إدريس

عمَّان - الأردن

تمهيد

المنهاجُ السَّلفيُّ

قال العلَّامة ابن منظور في «لسان العرب» (١٤/ ٣٠٠-٣٠١): «والمِنْهَاجُ: كالمَنْهَج، وفي التنزيل: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة:٤٨]. . . والمنهاجُ: الطريق الواضح»[١].

أمَّا السَّلفي، فهو صفةٌ للمِنْهاج بأَنَّهُ على طريقةِ السَّلف الصالح ﷺ لا على طُرق الخلف.

السَّلف والسَّلفيَّة -لغةً واصطلاحًا-

السَّلف لغة: قال ابن فارس في «معجم مقاييس اللغة» (ص٤٦٨): «سلف، السِّين واللام والفاء أصلٌ يدلُّ على تقدُّم وسَبْق، من ذلك السَّلف الذين مَضَوْا، والقوم السِّلاف: المتقدِّمون».

وقال ابن منظور: «والسَّالفُ: المتقَدِّم، والسَّلفُ، والسَّليفُ والسُّلْفةُ: الجماعة المتقدِّمون، وقوله ﷻ: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف:٥٦]، . . .

والسَّلف -أيضًا- من تقدَّمَك من آبائك وذوي قرابتِكَ الذين هم فوقَك في السَّبق والفَضْل . . وقيل: سَلَفُ الإنسان مَنْ تقدَّمهُ بالموت من آبائه وذوي قرابته؛ ولهذا سُمِّي الصَّدر الأوَّل من التَّابعين: السَّلَف الصَّالح»[٢].

(١) وانظر «القاموس المحيط» (ص٢٠٨)، و«مختار الصحاح» (ص٣٤٨)، و«معجم مقاييس اللغة» (ص٩٦٤).
(٢) «لسان العرب» (٦/ ٣٣٠-٣٣١).

ومنه ما روته عائشة رضي الله عنها مِنْ قول رسول اللَّه ﷺ لابنته فاطمة رضي الله عنها: «**فإنَّه نِعْمَ السَّلَفُ أنَا لَكِ**»(١).

قال الإمام النَّووي: «والسَّلَف المتقدِّم، ومعناه: أنا متقدِّم قُدَّامَك، فَتَرِدِينَ عليَّ»(٢).

أمَّا السَّلف في الاصطلاح: فَهُم الصَّحابة والتَّابعون، وأتباعهم بإحسان من أهل القرون الأربعة الأولى المفضلة الخيريَّة.

قال القلشانيُّ في «تحرير المقالة في شرح الرسالة» (ق٣٦):

«السَّلفُ الصَّالح وهو الصَّدر الأَوَّلُ الراسخون في العلم، المهتدون بهدي النبيِّ ﷺ الحافظون لسنته، اختارهم اللَّه -تعالى- لصُحْبةِ نبيه، وانتخبهم لإقامة دينه، ورضيهم أئمَّة الأمَّة، وجاهدوا في سبيل اللَّه حقَّ جهاده، وأفرغوا في نصح الأمَّة ونفعها [جهدهم]، وبذلوا في مرضاة اللَّه أنفسَهم.

قد أثنى اللَّه عليهم في كتابه بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقوله -تعالى-: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾ الآية [الحشر: ٨]، وذكر -تعالى- فيها المهاجرينَ والأنصارَ، ثمَّ مدحَ أتباعَهم، ورضيَ ذلك، ومن الذين جاؤُوا من بعدهم.

وتوعَّد بالعذاب مَنْ خالفهم واتبع غير سبيلهم فقال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ﴾ الآية [النساء: ١١٥].

فيجب اتِّباعُهم فيما نقلوه، واقتفاءُ أثرهم فيما عَمِلُوه، والاستغفارُ لهم، قال -تعالى-: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الحشر: ١٠]». اهـ

---

(١) أخرجه البخاري (٦٢٨٥) و(٦٢٨٦)، ومسلم (٢٤٥٠).

(٢) «شرح صحيح مسلم» (٨/ ٢٢٥).

فالسَّلف من حيث الزَّمان تشمل القرون الأربعة الأولى المفضلة المشهود لها بالخيريَّة على لسان رسول اللَّه ﷺ، فعن النُّعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**خيرُ النَّاس قَرْنِي، ثمَّ الذين يلونهم، ثمَّ الذين يلونهم، [ثمَّ الذين يلونهم]**، ثمَّ يجيءُ قومٌ تسبقُ شهادةُ أَحدهم يمينَه ويمينُه شهادته»[١].

قال الإمام ابن باز: «إنَّ السَّلف هم أهل القرون المفضلة، فمن اقتفى أثرهم وسار على منهجهم؛ فهو سلفيٌّ، ومن خالفهم في ذلك؛ فهو من الخلف»[٢].

وقال الشيخ محمد أمان بن علي الجامي: «عندما نُطْلِق كلمة السَّلف، إنَّما نعني بها -من النَّاحية الاصطلاحيَّة- أصحاب رسول اللَّه ﷺ الذين حضروا عَصْرَه، فأَخذوا منه هذا الدِّين مباشرة غَضًّا طريًّا . . . كما يدخل في هذا الاصطلاح: التابعون لهم الذين ورثوا علمهم قبل أن يطول عليه الأمد، والذين شَمِلَتْهُم شهادةُ الرسول لهم وثناؤه عليهم بأنهم خير النَّاس، حيث يقول ﷺ: «**خير النَّاس قَرْنِي، ثمَّ الذين يلونهم، ثمَّ الذين يلونهم**»، كما يشمل الاصطلاح تابعي التابعين»[٣].

وقد انتشر مصطلح (السَّلف) عند أهل القرون المفضَّلة -أنفسِهِم- للدِّلالة على منهاج الصَّحابة ومن اتَّبعهم بإحسان.

قال البخاريُّ في «صحيحه»: قال راشد بن سعد: «كان السَّلف يستحبُّون الفحولة؛ لأنَّها أجرى وأجسر».

قال ابن حجر: «قوله: «كان السَّلف» أي: من الصحابة فمن بعدهم»[٤].

وأخرج مسلم في «مقدِّمة صحيحه» عن عبداللَّه بن المبارك أنَّه كان يقول على

(١) سيأتي تخريجه في الحديث السادس (ص٥٥).

(٢) نقلًا من تعليق الشيخ حمد بن عبدالمحسن التويجري على «العقيدة الحمويَّة» (ص٢٠٣) وكتاب «إرشاد البريَّة إلى شرعيَّة الانتساب إلى السلفيَّة» (ص٨).

(٣) «الصِّفات الإلهيَّة في الكتاب والسنَّة» (ص٥٧).

(٤) «فتح الباري» (٦/ ٦٦).

رؤوس النَّاس: «دَعوا حديث عمرو بن ثابت؛ فإنَّه كان يَسُبُّ السَّلف»(١).

وقال الأوزاعي: «اصبر نفسَك على السنَّة، وقِفْ حيث وَقَفَ القوم، وقُلْ بما قالوا، وكُفَّ عمَّا كَفُّوا عنه، واسْلُكْ سبيل سَلَفِكَ الصَّالح؛ فإنَّه يَسَعُكَ ما وَسِعَهُم»(٢).

وقال -أيضًا-: «عليك بآثار من سَلَفَ وإنْ رفَضَك النَّاس، وإيَّاك وآراءَ الرِّجال وإن زَخْرفوا لك بالقول»(٣).

وقال أبو عاصم النَّبيل: «سمعتُ سفيان الثَّوري وقد حضر مجلسَه شابٌّ من أهل العلم، وهو يترأَّس ويتكلَّم ويتكبَّر بالعلم على من هو أكبر منه قال: فغضب سفيان وقال: لم يكن السَّلف هكذا؛ كان أحدهم لا يدَّعي الإمامة ولا يجلس في الصدر حتى يطلب هذا العلم ثلاثين سنة، وأنت تتكبَّر على مَنْ هو أسَنُّ منك، قُمْ عنِّي، ولا أراكَ تَدْنُو من مجلسي»(٤).

قال الذهبي في ترجمة أحمد بن أحمد بن نعمة المقدسي: «وكان على عقيدة السلف»(٥).

ولا يكون التابعون وأتباعهم من أهل القرون الأربعة المفضلة من السَّلف إلا باتِّباعهم للصحابة بإحسان، بخلاف أهل البدع منهم على الرَّغم من وجودهم في تلكَ الأزمان؛ ولذلك قَيَّدَ العلماء هذا المصطلح بـ«السَّلف الصَّالح».

قال ابن كثير في قوله -تعالى-: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]: «فللناس

---

(١) «المقدِّمة» (ص١٦).

(٢) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة والجماعة» (١/ ١٥٤).

(٣) «الشَّريعة» للآجري (ص٥٨).

(٤) «المدخل إلى السنن الكبرى» (ص٣٨٨) للبيهقي.

وهذا أَثَرٌ عظيمٌ جدًّا يُبيِّنُ خَطَرَ تعالُمِ كثيرٍ من الأحداث، وتطاولهم على شيوخهم وأساتذتهم، ولا حول ولا قُوَّة إلا باللَّه. . .

(٥) «معجم الشُّيوخ» (١/ ٣٤).

في هذا المقام مقالات كثيرة جدًّا ليس هذا موضع بسطها، وإنما يُسْلَكُ في هذا المقام مذهب السَّلف الصالح مالك والأوزاعي والثَّوري والليث بن سعد والشافعي وأحمد بن حنبل وإسحاق ابن رَاهُوَيْه وغيرهم من أئمَّة المسلمين قديمًا وحديثًا»[١].

وأمَّا السَّلفيَّة؛ فهي: نسبة إلى السَّلف الصَّالح، وهو انتساب محمود وواجب للأمر به، ولا فرق بين أن نقول: سلفيًّا؛ نسبةً إلى السَّلف، وبين أن نقول: سُنِّيًّا؛ نسبةً إلى أهل السنَّة والجماعة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولا عيب على من أظهر مذهب السَّلف، وانتسب إليه، واعتزى إليه، بل يجب قَبُولُ ذلك منه بالاتِّفاق؛ فإنَّ مذهب السَّلف لا يكون إلا حقًّا»[٢].

وقال: «وأمَّا السَّلفيَّة فعلى ما حكاه الخطَّابي وأبو بكر الخطيب وغيرهما، قالوا: مذهب السَّلف إجراء أحاديث الصفات وآيات الصفات على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها، فلا نقول: إن معنى اليد القدرة، ولا: إنَّ معنى السمع العلم؛ وذلك أن الكلام في الصِّفات فرع على الكلام في الذَّات يُحتذى فيه حذوه، ويتبع فيه مثاله، فإذا كان إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود لا إثبات كيفية»[٣].

وقال: «واعلم أنه ليس في العقل الصريح ولا في شيء من النقل الصحيح ما يوجب مخالفة الطريقة السَّلفية أصلًا»[٤].

وقد سُئل الشيخ الألباني: **لماذا التَّسمي بالسَّلفيَّة؟ أهي دعوة حزبيَّة، أم**

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٦/ ٣١٩).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤/ ١٤٩).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٣٣/ ١٧٧)، وانظر منهُ (١٢/ ٣٤٩) و(١٦/ ٤٧١)، و«درء التَّعارض» (٥/ ٣٥٦)، و«بيان تلبيس الجهميَّة» (١/ ١٢٢).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٢٤).

طائفيَّة، أو مذهبيَّة؟

فأجاب: «إنَّ كلمة السَّلف معروفة في لغة العرب وفي لغة الشَّرع؛ وما يهمُّنا هنا هو بحثها من الناحية الشرعية:

فقد صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال في مرض موته للسَّيدة فاطمة ﵄: «**فاتَّقي اللَّه واصبري، فإنَّه نِعْمَ السَّلف أنا لَكِ**»[١].

ويكثرُ استعمالُ العلماءِ لكلمةِ السَّلفِ، وهذا أكثر من أن يعدَّ ويحصى، وحسبنا مثالٌ واحدٌ وهو ما يحتجُّون به على محاربة البدع:

وكُلُّ خيرٍ في اتِّباعِ مَنْ سَلَفْ ... وكُلُّ شَرٍّ في ابتِدَاعِ مَنْ خَلَفْ

ولكن هناك مِنْ مُدَّعِي العلم مَنْ ينكر هذه النِّسبة زاعمًا أن لا أصل لها! فيقول: «لا يجوز للمسلم أن يقول: أنا سلفي»! وكأنه يقول: «لا يجوز أن يقول مسلم: أنا متَّبع للسَّلف الصالح فيما كانوا عليه من عقيدة وعبادة وسلوك»!

ولا شكَّ أنَّ مثل هذا الإنكار -لو كان يعنيه- يلزم منه التبرؤ من الإسلام الصحيح الذي كان عليه سلفنا الصَّالح، وعلى رأسهم النبي ﷺ، كما يشير الحديث المتواتر الذي في «الصَّحيحين» وغيرهما عنه ﷺ: «**خير النَّاس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[٢].

فلا يجوز لمسلم أن يتبرأ من الانتساب إلى السَّلف الصَّالح، بينما لو تبرَّأ من أية نسبة أخرى لم يمكن لأحد من أهل العلم أن ينسبه إلى كفر أو فسوق.

والذي ينكر هذه التسمية نفسه، تُرى ألا ينتسب إلى مذهب من المذاهب؟! سواء أكان هذا المذهب متعلقًا بالعقيدة أو بالفقه؟

فهو إما أن يكون أشعريًّا أو ماتريديًّا، وإما أن يكون من أهل الحديث أو حنفيًّا

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٦).

(٢) سيأتي تخريجه في الحديث السادس (ص٥٥).

أو شافعيًّا أو مالكيًّا أو حنبليًّا؛ مما يدخل في مسمَّى أهل السنَّة والجماعة، مع أن الذي ينتسب إلى المذهب الأشعري أو المذاهب الأربعة، فهو ينتسب إلى أشخاص غير معصومين بلا شك، وإن كان منهم العلماء الذين يصيبون، فليت شعري هلا أنكر مثل هذه الانتسابات إلى الأفراد غير المعصومين؟

وأما الذي ينتسب إلى السَّلف الصَّالح، فإنه ينتسب إلى العِصْمَة -على وجه العموم-، وقد ذكر النبي ﷺ من علامات الفرقة النَّاجية، أنها تتمسك بما كان عليه رسول اللَّه ﷺ وما كان عليه أصحابه.

فمن تمسَّكَ به كان -يقينًا- على هدى مِنْ ربِّه.

وهي نسبة تُشرِّف المنتسبَ إليها وتُيسِّر له سبيل الفرقة النَّاجية، وليس ذلك لمن ينتسب أيَّة نسبة أخرى، لأنَّها لا تعدو واحدًا من أمرين: إمَّا انتسابًا إلى شخص غير معصوم، أو إلى الذين يتَّبعون منهم هذا الشخص غير المعصوم، فلا عصمة كذلك، وعلى العكس منه عصمة أصحاب النبي ﷺ؛ وهو الذي أمرنا أن نتمسَّك بسنَّته وسنَّة أصحابه من بعده.

ونحن نُصِرُّ ونُلِحُّ أن يكون فهمنا لكتاب اللَّه وسنَّة رسوله ﷺ وَفْقَ منهج صَحْبِه...

وهذا ما تُنادي به الدَّعوة السَّلفيَّة، وما ركَّزَتْ عليه في أُسِّ دعوتها، ومنهج تربيتها.

إنَّ الدَّعوة السَّلفيَّة -بحقٍّ- تَجمع الأمَّة، وأَيُّ دعوة أخرى تفرِّق الأُمَّة؛ يقول اللَّه ﷻ: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، ومن يُفرِّق بين الكتاب والسنَّة من جهة وبين السَّلف الصَّالح من جهة أخرى لا يكون صادقًا أبدًا»[١].

---

(١) «مجلة الأصالة» (٩/ ٨٦-٨٩).

إطلاق أهل العلم قديمًا وحديثًا كلمةَ «سلفيٍّ» على كلِّ مَنِ اتَّبع منهجَ الصَّحابةِ وأتباعهم بإحسان من أهل القرون المفضلة في العقيدة والمنهج وثناؤهم على مذهب السَّلف

قال محمد بن خلف -المشهور بوكيع- في ترجمة إسماعيل بن حمَّاد: «كان إسماعيل بن حمَّاد بن أبي حنيفة سلفيًّا صحيحًا»(١).

قال مؤرِّخ الإسلام الإمام الذهبيُّ: «فالذي يحتاج إليه الحافظ، أن يكون تقيًّا ذكيًّا نحويًّا لغويًّا زكيًّا حييًّا سلفيًّا، يكفيه أن يكتب بيده مئتي مجلَّد، ويُحصِّل من الدَّواوين المعتبرة خمس مئة مجلَّد، وأن لا يفتر من طلب العلم إلى الممات بنيَّة خالصة وتواضع، وإلا فلا يتعنَّ»(٢).

ونقل الذهبي مقولة الدَّارقطني: «ما شيء أبغض إليَّ من علم الكلام»، ثم قال: «لم يدخل الرَّجل أبدًا في علم الكلام ولا الجدال، ولا خاض في ذلك، بل كان سلفيًّا»(٣).

وقال في ترجمة محمد بن محمد بن المفضل البهراني: «وكان ديِّنًا خيِّرًا سلفيًّا مَهيبًا»(٤).

وقال في ترجمة يحيى بن إسحاق بن خليل الشيباني: «وكان عارفًا بالمذهب خيِّرًا متواضعًا سلفيًّا حميد الأحكام»(٥).

---

(١) «أخبار القضاة» (٢/ ١٦٧) ومحمد بن خلف المشهور بوكيع، تُوُفِّيَ سنة (٣٠٦هـ)، ممَّا يدل على عمق هذه الكلمة في الأمة.
(٢) «سير أعلام النُّبلاء» (١٣/ ٣٨٠).
(٣) «سير أعلام النُّبلاء» (١٦/ ٤٥٧).
(٤) «معجم الشُّيوخ» (٢/ ٢٨٠).
(٥) «معجم الشُّيوخ» (٢/ ٣٦٩).

وقال في ترجمة ابن هبيرة: «وكان يعرف المذهب والعربيَّة والعَروض سلفيًّا أثريًّا»(١).

وقال في ترجمة ابن المجد: «وكان ثقةً ثَبْتًا ذكيًّا سلفيًّا تَقِيًّا»(٢).

وقال ابن أبي العز الحنفي: «وقد أحْبَبْتُ أن أشرحها سالكًا طريق السَّلف في عباراتهم، وأنسج على مِنْوَالهم، متطفِّلًا عليهم، لَعَلِّي أن أُنْظَمَ في سَلْكِهِم، وأُدْخَلَ في عِدادِهِم، وأُحشرَ في زُمْرَتِهِم»(٣).

وقال محمد بن عبدالوهاب: «فنحن والحمد للَّه متَّبعون غير مبتدعين، مقلِّدون للكتاب والسنَّة وصالح سلف الأمَّة، على مذهب أهل السنَّة والجماعة الذي هو أمر اللَّه ورسوله ﷺ»(٤).

وقال محمد ناصر الدِّين الألباني: «ولا شكَّ أنَّ التَّسمية الواضحة الجليَّة المميَّزة البيِّنة هي أن نقول: أنا مسلمٌ على الكتاب والسُّنَّةِ وعلى منهج سلفنا الصالحِ، وهي أن تقولَ باختصار: «أنا سَلَفيٌّ» »(٥).

وسُئل عبد العزيز بن باز عن الفِرقة الناجية؟ فقال: «هم السَّلفيُّون، وكلُّ من مشى على طريقة السَّلف الصالح»(٦).

وسُئل -أيضًا-: ما تقول فيمن تَسَمَّى بالسَّلفيِّ والأثريِّ، هل هي تزكية؟

فقال: «إذا كان صادقًا أنه أثريٌّ أو أنَّه سلفي لا بأس، مثل ما كان السَّلف يقول: فلان سلفيٌّ، فلان أثريٌّ؛ تزكية لا بد منها، تزكية واجبة»(٧).

---

(١) «سير أعلام النُّبلاء» (٢٠/ ٤٢٦).

(٢) «سير أعلام النُّبلاء» (٢٣/ ١١٨).

(٣) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٧٧).

(٤) «عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفيَّة» (ص٢٢٠) لصالح العبود.

(٥) «مجلة الأصالة» (٩/ ٩٠).

(٦) «مجموع رسائل لإصلاح الفرد والمجتمع» (ص١٦٢) للشيخ محمد جميل زينو.

(٧) محاضرة مسجلة بعنوان «حق المسلم» في (١٦/ ١/ ١٤١٣هـ) بالطائف.
وانظر «صيحة نذير» (ص١٠٨-١٠٩) آخر حاشية فيه.

وقال محمد بن صالح العثيمين : «فأهل السُّنَّة والجماعة هم السَّلف معتقدًا، حتى المتأخِّر إلى يوم القيامة إذا كان على طريقة النبي ﷺ وأصحابه فإنَّه سلفيٌّ»(١).

إذًا؛ فالتسميةُ بـ«السَّلف»، و«السَّلفيَّة»، و«سَلفيٌّ» تسميةٌ شرعيَّةٌ سنيَّةٌ، لا حزبيَّةٌ ولا بِدْعيَّةٌ، كما قرَّره السَّلفُ والأئمَّةُ والعلماءُ عَبْرَ عُمْرِ الأُمَّة.

وعليه؛ فـ«إنَّ الانتساب إلى السَّلف فخر وأيُّ فخر، وشرف ناهيك به من شرف، فلفظة السَّلفيَّة، أو السَّلفي لا يطلق عند علماء السُّنَّة والجماعة، إلا على سبيل المدح، والدعوة السَّلفيَّة دعوة عريقة أصيلة، واسم شرعي لا غبار عليه»(٢).

واعلم أنَّ لأهل السنَّة عدَّة أسماءٍ شرعيَّة، أُخِذَ بعضها من نصوصٍ شرعيَّةٍ صحيحةٍ صريحةٍ، وأُخِذَ بعضها الآخر من مفهومِها ومدلولِها.

أسماءُ أهل السُّنَّةِ الشَّرعيَّةُ الدَّالَّةُ على الإسلامِ الصحيحِ

أولًا: أهل السنَّة والجماعة.

ثانيًا: الفرقة النَّاجية.

ثالثًا: الطَّائفة المنصورة.

رابعًا: أهل الحديث.

خامسًا: الغرباء.

سادسًا: السَّلفيُّون(٣).

(١) «شرح العقيدة الواسطيَّة» (٨/ ٤٠- ضمن مجموع فتاواه).

(٢) «تبصير الخلف بشرعيَّة الانتساب لمذهب السَّلف» (ص١-٢) لملفي الصَّاعدي.

(٣) وقد اعتنى أهل العلم بهذه الأسماء كثيرًا، انظر تفصيل ذلك في: «موقف ابن تيميَّة من الأشاعرة» (١/ ٢٦-٣٢) لعبد الرحمن بن صالح المحمود، و«خصائص أهل السُّنَّة» (ص٣٩-٤٠) لأحمد فريد، و«تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار» (ص٢٦٩-٢٧٢) لصالح السحيمي، و«حكم الانتماء» (ص٢٨-٤٠) لبكر أبي زيد، و«موقف أهل السنَّة والجماعة من أهل الأهواء والبدع» (١/ ٤٤-٦٤) لإبراهيم ابن عامر الرحيلي، -وغيرها-.

وَبَعْدُ:

فإلى «الأربعين» حديثًا؛ ننهلُ منها، ونستفيد من هَدْيها، ونتجاوبُ مع توجيهاتها، ونأتمرُ بأمرها.

واللَّهُ -وحده- المسدِّدُ:

الحديث الأوَّل:

الإخلاص

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّات، وإنَّما لكلِّ امرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرتُه إلى اللَّه ورسوله، فهجرته إلى اللَّه ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يُصيبها، أو امرأةٍ ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه»**[١].

هذا الحديث من جوامع كَلِم[٢] النبيِّ ﷺ، وأصل من أصول شريعته الغرَّاء، وقاعدة مُهِمَّةٌ من قواعد دينه الوضَّاء، وهو أحد الأحاديث التي يدور عليها مدار الإسلام، فإنَّ النِّيَّة هي أساس الأعمال، ولا تقبل إلا بها، وهي كالأساس للبِنَاءِ لا يقوم إلا به، حتى قال عنه أبو عُبَيْد: «ليس في أخبار النبي ﷺ أجمع، وأغنى، وأكثر فائدة من هذا الحديث»[٣].

وروي عن الشافعي أنه قال: «هذا الحديث ثلث العلم، ويدخل في سبعين بابًا من الفقه»[٤]، فقد عدَّه ثلث العلم، «وسبب ذلك أنَّ كسب العبد يكون بقلبه، ولسانه، وجوارحه، والنِّيَّة أحد الأقسام الثلاثة»[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (١) و(٥٤)، ومسلم (١٩٠٧)، وأبو داود (٢٢٠١)، والترمذي (١٦٤٧)، والنسائي (٧٥)، وابن ماجه (٤٢٢٧).

(٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«بُعِثْتُ بجوامع الكلم»**، أخرجه البخاري (٧٠١٣)، ومسلم (٥٢٣)، قال الزُّهري: «جوامع الكلم -فيما بلغنا- أنَّ اللَّه يجمع له الأمور الكثيرة التي كانت تُكتَب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأمرين، ونحو ذلك»، وقولُ الزُّهريِّ هذا ذكره البخاري بإثر الحديث (٧٠١٣).

(٣) «منتهى الآمال» (ص٤٢) للسُّيوطي.

(٤) «فتح الباري» (١/ ١١).

(٥) «شرح الأربعين النَّووية» (ص٢٤) لابن دقيق العيد، هذا الشرح منسوب لابن دقيق العيد، وليس له -في الحقيقة-.

وقد رغَّبَ العلماء بأن تُستفتح الكتب والمصنَّفات بهذا الحديث، تصحيحًا لنيَّة المصنِّف والقارئ، فقد قال عبدالرحمن بن مَهْدي: «من أرادَ أن يصنِّف كتابًا فليبدأ بهذا الحديث»(١).

وقد بيَّن النبيُّ ﷺ في هذا الحديث منزلة النِّيَّة من الأعمال، وأنَّها شاملة لكل الأعمال، فلا تَصِحُّ الأعمال الصالحة ولا تُقبل إلا بالنِّيَّات الصحيحة.

وقوله: «**إنَّما الأعمال بالنِّيَّات**» جمع نيَّة، وهي: قصد الشيء مقترنًا بفعله، والتقدير هاهُنا: «إنَّما الأعمال الصالحة بالنِّيَّات الصَّالحة»(٢)، «**وإنَّما لكل امرئٍ ما نوى**»، فمن نوى خيرًا يثاب عليه خيرًا، ومن نوى شَرًّا فله ما نواه.

ثم ضرب النَّبيُّ ﷺ لذلك مثلًا بالهجرة، وهي لغةً: التَّرك، وشرعًا: ترك ما نهى اللَّه عنه، والمراد: الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام، وأخبر أنَّ من هاجر إلى اللَّه ورسوله فهو مخلص في نيَّته، وعمله مقبول، ومثاب عليه يوم القيامة.

ومن هاجر في الصورة الظاهرة إلى اللَّه ورسوله ونوى بهجرته دنيا يصيبها -مِنْ مالٍ وَعَرَض- أو امرأة «**ينكحها**» أي: يتزوجها؛ فله ما نواه، أي: الدنيا والزوجة، وليس له حكم الهجرة إلى اللَّه ورسوله وأجرها، فليس له في الآخرة من نصيب.

وبالإخلاص ينجو المسلم من إغواء وإضلال الشياطين عن الصراط المستقيم(٣)، قال -تعالى-، حاكيًا قول إبليس: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف:١٦]، واستثنى من الإغواء المخلِصين، قال -تعالى-: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٣٩-٤٠]، بفتح اللام.

---

(١) «منتهى الآمال» (ص٤٣) للسُّيوطي.

(٢) كما كان يُكرِّرها -دائمًا- العلامة الإمام الألبانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) الصِّراط المستقيم لغةً: الطريق الواسع الذي لا اعوجاج فيه، وقد فُسِّرَ (بالقرآن)، و(بالإسلام)، و (بطريق العبوديَّة)، وكلٌّ هذا حق، فهو موصوف به وبغيره، انظر «مجموع فتاوى» شيخ الإسلام ابن تيمية (١٤/ ٣٣).

وفي قراءة ابن كثير المكِّي، وأبي عمرو بن العلاء البصري، وابن عامر الشامي، ويعقوب الحضرمي: ﴿ٱلْمُخْلِصِينَ﴾؛ بكسر اللام[١].

قال العلامة ابن منظور في «لسان العرب» (٤/ ١٧٣): «قرئ: إلا عبادك منهم المُخْلِصين، والمُخْلَصِين، قال ثعلب: يعني بالمُخْلِصين الذين أخْلَصوا العبادة للَّه -تعالى-، وبالمُخْلَصِين الذين أخْلَصهم اللَّه ﷻ، الزَّجَّاج: وقوله ﷻ ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا﴾، وقرئ: مُخْلِصًا، والمُخْلَص: الذي أخْلَصه اللَّه وجعله مختارًا خالصًا من الدنس، والمُخْلِص: الذي وحّد اللَّه -تعالى- خالصًا، ولذلك قيل لسورة: قل هو اللَّه أحد: سورة الإخلاص؛ قال ابن الأثير: سُمِّيت بذلك؛ لأنها خالصة في صفة اللَّه -تعالى- وتقدَّس، أو لأنَّ اللافظ بها قد أخْلَصَ التَّوحيدَ للَّه ﷻ، وكلمة الإخلاص كلمة التَّوحيد، وقوله -تعالى-: ﴿مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ وقرئ: المُخلِصين، فالمُخْلَصُون المُخْتَارون، والمُخْلِصون المُوَحِّدون».

واللَّه أمَرَنا جميعًا باتِّباع سبيله، والشيطانُ يريدُ أن يُغوينا ويُفرقنا باتِّباع سُبُله، وحِزْبِهِ؛ لنكون من أصحاب السَّعير -والعياذ باللَّه تعالى-، قال -تعالى-: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

قال الإمام مجاهد في قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا ٱلسُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] قال: «البدع والشُّبهات»[٢]، وقال- تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

وخطَّ رسول اللَّه ﷺ خطًّا ثم قال: **«هذا سبيل اللَّه»**، ثَمَّ خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: **«هذه سُبل متفرقة على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه»**[٣]، ثمَّ

---

(١) كما في «حجة القراءات» (١/ ٣٥٨-٣٥٩) لابن زنجلة.

(٢) صحيح، أخرجه الدارمي (٢٠٩)، وابن بطة في «الإبانة» (١٣٤)، وصحَّحه أبو عبداللَّه الداني في «سلسلة الآثار الصَّحيحة» (٨٦).

(٣) سيأتي تخريجه في الحديث التاسع (ص٦٥).

قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فمن أطاعَ الشيطان، واتَّبع السُّبل المتفرقة فمصيره إلى النار، وقد أخبر النبي ﷺ أنَّ أمته ستتبع السُّبلَ المتفرقة، وتسلك سُبلَ الشيطان، إلا فِرْقَةً واحدة، قال النبيُّ ﷺ: «**وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة**»، قالوا: مَنْ هي يا رسول اللَّه؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»(١).

«ولا ريب أنَّ الشيطان يعملُ جاهدًا لإغواء العباد ليرهقهم من أمرهم عسرًا؛ وليفسد عليهم دنياهم وآخرتهم؛ وليبدِّدَ أسباب التآلف والتآخي والتعاون، كيف لا؟! وهو الذي يبذر العقائد المنحرفة والمناهج الهدَّامة، ويسعى لتعطيل الجهاد، والمجاهدة، والمرابطة، والمصابرة؛ لتكون الفتنة في الأرض، فلا بدَّ إذن للعزائم أن تنهض، وللسَّواعِدِ أن تشمَّر؛ لمعاداة الشيطان، ومجاهدة النفس بإخلاص للَّه -سبحانه-، وتوكل عليه، وإنابة إليه»(٢).

وحتى لا نضلَّ عن الصراط المستقيم -سبيل المؤمنين- أي: سبيل الصحابة، سبيل الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، ومنهاج السلف الصالح وننجو من سُبل الشيطان -سُبُل ومناهج الفِرَقِ الضالَّةِ المنحرفة-، فلا بُدَّ مع الإخلاص من: **توحيد مصدر التَّلقِّي**.

* * *

---

(١) جزء من حديث عبداللَّه بن مسعود ﷺ، وسيأتي تخريجه في الحديث الخامس (ص٤٤).

(٢) «التَّحذير من الشَّيطان وبيان مكايده والتحصُّن منه» (ص٦-٧) تأليف شيخنا حسين بن عودة العوايشة -حفظه اللَّه-.

الحديث الثاني:

توحيد مصدر التَّلقِّي

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: خطب رسول اللَّه ﷺ النَّاس في حَجَّةِ الوداع فقال: **«يا أيُّها النَّاس! إني قد تركتُ فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا: كتاب اللَّه وسنَّتي»**[(١)].

يقول ابنُ عباس رضي الله عنه: إنَّ النَّبيَّ ﷺ خطب النَّاسَ في حَجَّة الوداع، وحَجَّة الوداع هذه هي الحَجَّة الوحيدة التي حجَّها النبي ﷺ، وكان قد حجَّ وأمَرَ النَّاس أن يحجُّوا في هذا العام، واجتمع حشدٌ هائلٌ من المسلمين، فكان حقًّا على النبي ﷺ أن يدل أمَّته على خير ما يعلمه لهم في هذه الحجة، ويُبيِّن لهم معالم الإسلام، والعصمة من الضَّلال، ويجمع لهم ذلك في كلمات جامعة مختصرة واضحة بيِّنة جليلة لا غموض فيها، ولا لَبس، فقال: «**يا أيها النَّاس!**-أي: انتبهوا واسمعوا وعوا-**إني قد تَرَكْتُ فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدًا: كتاب اللَّه وسنَّتي**».

قوله ﷺ: «**اعتصمتم**» أي: تمسَّكتم، وقوله: «**كتاب اللَّه**»: هو القرآن، وهو: «كلام اللَّه -تعالى-، المعجز، المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد ﷺ بواسطة الأمين جبريل عليه السلام، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتَّواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة النَّاس»[(٢)]، وقوله: «**سنَّتي**» هي: ما ورد عن النبيِّ ﷺ من قول أو فعل أو تقرير.

(١) صحيح، أخرجه الحاكم (١/ ٩٣)، والبيهقي في «السُّنن الكبرى» (١٠/ ١١٤)، و«دلائل النبوة» (٥/ ٤٤٩)، وابن حزم في «الإحكام» (٦/ ٨٠٩) وصححه، وابن نصر في «السنَّة» (ص٢١)، وصحَّحه الإمام الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٤٠).

(٢) «إرشاد الفحول» (ص٢٩)، و «القراءات أحكامها ومَصْدَرُها» (ص١١).

أي : إنِّي تركتُ فيكم بعدي ما إن تمسكتم به علمًا وعملًا واعتقادًا ، فلن تضلوا أبدًا : كتاب اللّه وسنتي ، وكيف يضل من تمسك بحبل اللّه المتين ، والنور المبين ، والصراط المستقيم ، وهو من عند اللّه اللطيف بعباده ، الخبير بما ينفعهم ويصلحهم ويهديهم ، قال -تعالى- : ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك : ١٤] .

وكتاب اللّه -تعالى- وسنة نبيه ﷺ كلاهما وَحْيٌ من عند اللّه -تعالى- .

قال النبيُّ ﷺ : **«ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه»**[1] أي : السنَّة .

فمصدر التَّلقي الأساس في الإسلام ، هو الكتاب والسنة فقط ، لا ثالث لهما ، بعيدًا عن آراء ذوي الأهواء ، وفي معزل عن نتاج عقول العقلانيِّين المتخرصين ، وبمنأى عن كشف الصوفيِّين ، وتجارِب الحركيِّين والحزبيِّين ، أتباع سبل أهل الكتابين ، اليهود والنصارى .

والفرق الإسلامية قاطبةً لا تنكر هذين الأصلين ، الكتاب والسنة[2] ، كلهم يقولون : نحن نعتمد على الكتاب والسنة ، ولكنهم يتلاعبون فيهما بآرائهم ، وتحريفهم ، وتأويلهم ، وتكلُّفهم ، فيخرجون بأفهام مُحدَثة للإسلام ، فلا بد للنجاة من الاختلاف في الدنيا ، ومن النار يوم القيامة مع الإخلاص ، وتوحيد مصدر التَّلقي من : توحيد مصدر الفَهْم .

* * *

---

(١) صحيح ، رواه أبو داود (٤٦٠٤) عن المقدام بن مَعْدي كَرِب ، وصحَّحه الإمام الألباني في «المشكاة» (١٦٣) .

(٢) إلا الشيعة ، فهم ينكرون السنَّة ، ولا يعتمدون إلا على سنَّة آل البيت المروية عن أئمتهم .

الحديث الثالث:

توحيد مصدر الفَهْمِ

أولًا: فهم الخلفاء الرَّاشدين:

عن العِرْبَاض بن سَارِية ﵁، قال: «وَعَظَنَا رسول اللَّه ﷺ موعظةً بليغة، وَجَلَتْ منها القلوب، وذرفتْ منها العيون، فقلنا: يا رسول اللَّه! كأنها موعظة مودِّع فأوصنا، قال: «**أوصيكم بتقوى اللَّه، والسَّمع والطاعة، وإن تأمَّر عليكم عبد [حبشي]**، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة»[١].

وفي رواية: «**وكل ضلالة في النار**»[٢].

وفي رواية: «فقلنا: يا رسول اللَّه! إن هذه لموعظة مودِّع، فماذا تعهد إلينا؟ قال: «**قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك، ومن يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بما عرفتم من سنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضُّوا عليها بالنواجذ، وعليكم بالطاعة، وإن عبدًا حبشيًّا، فإنما المؤمن، كالجمل الأَنِف، حيثما قِيْدَ انقاد**»[٣].

قول العِرْبَاضِ بن سارية ﵁: «**وعظنا**»، الوعظ: هو التذكير المقرون بالترغيب

---

(١) صحيح، أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٣، ٤٤)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٢٧٣٥).

(٢) صحيح، أخرجه النسائي (١٥٧٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٣٧)، بسند صحيح كما في «الأجوبة النافعة» (ص٥٥).

(٣) حسن، أخرجه أحمد (١٧١٤٢)، وابن ماجه (٤٣)، والحاكم (١/ ٩٦)، وحسَّنه الإمام الألباني في «الصحيحة» (٩٣٧).

أو الترهيب أو كِلَيهِمَا، وقوله: «**بليغة**» أي: مؤثرة تبلغ سُوَيْداء القلوب، فقد بالغ فيها بالإنذار والتخويف، وقوله: «**وجلت**» أي: خافت، كما قال -تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنفال: ٢]، وقوله: «**وذرفت منها العيون**» أي: سالت وهو كناية عن البكاء، وقوله: «**مودِّع**»: الذي يتجهز للسفر أو الموت، ويفارق الأهل والأوطان، وقوله: «**فأوصنا**» أي: اعهد إلينا بما ينفعنا بعدك، وقوله: «**أوصيكم بتقوى اللَّه**» أي: أطيعوه فيما أمر، واجتنبوا ما نهى عنه وزجر، وتقوى اللَّه هي وصيَّة اللَّه للأولين والآخرين، قال -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١]، وهي وصية رسول اللَّه ﷺ لأمته؛ لذلك كانت أول وصيَّة لرسول اللَّه ﷺ في هذا الحديث، وقد فسَّرها طلق بن حبيب بقوله: «التقوى أن تعمل بطاعة اللَّه على نورٍ من اللَّه ترجو ثواب اللَّه، وأن تترك معصية اللَّه على نورٍ من اللَّه تخافُ عقاب اللَّه»(١).

«وقد يغلبُ استعمالُ التقوى على اجتناب المحرَّمات كما قال أبو هريرة وسئل عن التقوى، فقال: هل أخذتَ طريقًا ذا شوكٍ؟ قال: نعم، قال: فكيف صنعت؟ قال: إذا رأيت الشوك عدلْتُ عنه، أو جاوزته، أو قصرت عنه، قال: ذاك التقوى.

وأخذ هذا المعنى ابنُ المعتز فقال:

خلِّ الذنوب صغيرها ... وكبيرها فهوَ التُّقى
واصْنع كماشٍ فوق أر ... ضِ الشَّوكِ يحذر ما يرى
لا تحقرنَّ صغيرةً ... إنَّ الجبال من الحصى»(٢)

وقوله ﷺ: «**والسمع والطاعة**» أي: اسمعوا وأطيعوا لولاة الأمور، وقوله: «**وإن تأمَّرَ عليكم عبد حبشي**» أي: وإن كان الأمير عبدًا حبشيًّا، ومعلوم أن العبد لا يجوز أن يكون أميرًا على المسلمين؛ لأنَّ من شروط الإمارة الحريَّة، لِما في ذلك

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص٤٠٠).
(٢) «جامع العلوم والحكم» (ص٤٠٢).

من خير للمسلمين كحفظ الجماعة، وتحقيق المصالح الدينيَّة والدنيويَّة، وحفظ دماء المسلمين بعدم الخروج على ولاة أمور المسلمين، فبالتالي تتحقَّق سعادة الدنيا والآخرة، وقوله: «**بسنتي**» أي: طريقتي وسيرتي، وقوله: «**وسنة الخلفاء الراشدين**» أي: طريقتهم، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي -رضي اللَّه عنهم أجمعين-، وقوله: «**النواجذ**» أي: الأنياب وقيل: الأضراس، أراد به الجِدَّ في لزوم السنة، كفعل من أمسك الشيء بين أضراسه وعضَّ عليه منعًا من أن يُنتزع منه، وقوله: «**إياكم**» أي: احذروا، وقوله: «**مُحْدَثَات**» أي: مبتدعات، وقوله: «**بدعة**» البدعة في اللغة: الشيء المخترع على غير مثال سابق، وفي الاصطلاح: طريقة في الدين مخترعة تُضاهِي الشَّرعية، يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التَّعبُّد للَّه -سبحانه-[1]، وقوله: «**وكلُّ ضلالة في النار**» أي: البدعة وصاحبها في النار، وقوله: «**على البيضاء**» أي: الملَّة والسنَّة والمحجة الواضحة التي لا تقبل الشُّبه أصلًا، وقوله: «**يزيغ**» أي: يميل وينحرف، وقوله: «**بما عرفتم من سنتي**» ولا بدَّ من منهاج لهذه المعرفة وهو منهاج أهل الحديث، وقوله: «**فإنما المؤمن**» أي: إنما شأن المؤمن مع جميع إخوانه المؤمنين في عالي الصفات، من ترك التكبر، والتزام التواضع، والطاعة، وقوله: «**كالجمل الأَنِف**»: هو الذي جُعِلَ الزِّمام في أنفه، فَيَجُرُّهُ من يشاء من صغير وكبير إلى حيث يشاء، وقوله: «**قِيْدَ**» أي: سيقَ.

ما المقصود بـ(سنَّة الخلفاء الراشدين)؟

قوله ﷺ: «**فعليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ**».

اعلم أنَّ هذا العطف لا يفيد أنَّ للخلفاء الراشدين سنَّة تُتَّبع غير سنَّة رسول اللَّه

---

(١) انظر «الاعتصام» (١/ ٤٣).

ﷺ؛ لأنَّ النبي ﷺ اعتبر سنَّته وسنَّة الخلفاء الراشدين سنَّة واحدة، فقال: «**عَضُّوا عليها**»، ولم يقل: «عَضُّوا عليهما»، فالإضافة هنا؛ لاستنباطهم إياها؛ ولعلمهم بها؛ ولاتباعهم إياها؛ وعملهم بها.

فالمقصود بسنَّة الخلفاء الراشدين: هو فهمهم لسنَّة النبي ﷺ وعملهم بها، وهذا ما صرَّح به أئمَّة أهل العلم.

قال ابن حزم الأندلسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الإحكام في أصول الأحكام» (٦/ ٧٦-٧٨): «وأما قوله عليه السلام: «**عليكم بسنَّتي، وسنَّة الخلفاء الراشدين**» فقد علمنا أنه عليه السلام لا يأمر بما لا يُقدر عليه، ووجدنا الخلفاء الراشدين بعده عليه السلام، قد اختلفوا اختلافًا شديدًا، فلا بد من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها:- إمَّا أن نأخذ بكل ما اختلفوا فيه، وهذا ما لا سبيل إليه، ولا يُقدر عليه؛ إذ فيه الشيءُ وضده، ولا سبيل إلى أن يُورِّث أحدُ الجدَّ دون الإخوة، بقول أبي بكر وعائشة، ويورثه الثلثَ فقط، وباقي ذلك للإخوة على قول عمر، ويورثه السدسَ وباقيه للإخوة على مذهب عليٍّ.

وهكذا في كل ما اختلفوا فيه، فبطل هذا الوجه؛ لأنه ليس في استطاعة النَّاس أن يفعلوه، فهذا وجهٌ.

أو أن يكون مباحًا لنا أن نأخذَ بأيٍّ شئنا، وهذا خروج عن الإسلام؛ لأنه يوجب أن يكون دين اللَّه -تعالى- موكولًا إلى اختيارنا، فيُحَرِّمُ كلُّ واحدٍ منا ما يشاء ويُحل ما يشاء، ويحرِّم أحدنا ما يُحلِّله الآخر.

وقوله -تعالى-: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣]، وقوله -تعالى-: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَاۚ﴾ [البقرة:٢٢٩]، وقوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ﴾ [الأنفال:٤٦] يبطل ذلك الوجه الفاسد ويوجب أن ما كان حرامًا حينئذٍ فهو حرام إلى يوم القيامة، وما كان واجبًا يومئذٍ فهو واجب إلى يوم القيامة، وما كان حلالًا يومئذٍ فهو حلال إلى يوم القيامة.

وأيضًا؛ فلو كان هذا لكنَّا إذا أخذنا بقول الواحد منهم، فقد تركنا قول الآخر منهم، ولا بدَّ من ذلك فلسنا حينئذٍ متبعين لسنتهم، فقد حصلنا في خلافِ الحديثِ المذكورِ، وحصَّلوا فيه شاؤوا أو أَبَوْا.

ولقد أذكرنا هذا مفتيًا كان عندنا بالأندلس وكان جاهلًا، فكانت عادته أن يتقدَّمَهُ رجلان، كان مدار الفتيا عليهما في ذلك الوقت، فكان يكتب تحت فتياهما: أقول بما قاله الشيخان.

فَقُضِيَ أنَّ ذَيْنِكَ الشيخين اختلفا، فلما كتب تحت فتياهما ما ذكرنا، قال له بعض مَنْ حضر: إنَّ الشيخين اختلفا!

فقال: وأنا أختلف باختلافهما.

قال أبو محمد: فإذْ قد بطل هذان الوجهان، فلم يبقَ إلا الوجه الثالث وهو: أَخْذُنا ما أجمعوا عليه، وليس ذلك إلا فيما أجمع عليه سائر الصحابة -رضوان الله عليهم- معهم، وفي تتبعهم سُنَنَ النبي ﷺ والقول بها.

وأيضًا؛ فإنَّ رسول ﷺ إذْ أمر باتباع الخلفاء الراشدين، لا يخلو ضرورةً من أحد وجهين:

إما أن يكون ﷺ أباح أن يسنُّوا سننًا غير سُنَّته، فهذا ما لا يقوله مسلم، ومن أجازَ هذا فقد كفر وارتد وحل دمه وماله، ولأن الدين كله إما واجب، أو غير واجب، وإما حرام، وإما حلال، لا قسم في الديانة غير هذه الأقسام أصلًا، فمن أباح أن يكون للخلفاء الراشدين سنة لم يسنها رسول الله ﷺ فقد أباح أن يحرموا شيئًا كان حلالًا على عهده ﷺ إلى أن مات، أو أن يُحلوا شيئًا حرمه رسول الله ﷺ، أو أن يوجبوا فريضةً لم يوجبها رسول الله ﷺ، أو أن يسقطوا فريضةً فرضها رسول الله ﷺ وَلَمْ يُسقطها إلى أن مات، وكل هذه الوجوه من جَوَّز منها شيئًا، فهو كافر مشرك بإجماع الأمة كلها بلا خلاف، وبالله -تعالى- التوفيق، فهذا الوجه قد بطل ولله الحمد.

وإمَّا أن يكون باتِّباعهم باقتدائِهم بسنَّته ﷺ فهكذا نقول ليس يحتمل هذا الحديث وجهًا غير هذا أصلًا». اهـ

قال شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجموع الفتاوى» (١/ ٢٨٢): «وأما سنة الخلفاء الراشدين، فإنما سنوه بأمره، فهو من سنته، ولا يكون في الدين واجبًا إلا ما أوجبه، ولا حرامًا إلا ما حرمه، ولا مستحبًّا إلا ما استحبه، ولا مكروهًا إلا ما كرهه، ولا مباحًا إلا ما أباحه». اهـ

قال الشيخ صالح الفلَّاني رَحِمَهُ اللَّهُ في «إيقاظ همم أولي الأبصار» (ص٢٣): «وإنَّما يُقال: سنَّة النَّبي ﷺ وأبي بكر وعمر رضي الله عنهما ليُعلمَ أنَّ النبيَّ ﷺ مات وهو عليها.

أقول: وعلى هذا ينبغي أن يُحْمَلَ حديث: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي**».

فلا يبقى فيه إلا إشكال في العطف، فليس للخلفاء سنة تُتَّبع إلا ما كان عليه الرسول ﷺ». اهـ

وقال القارِّي رَحِمَهُ اللَّهُ في «مرقاة المفاتيح» (١/ ١٩٩): «فإنهم لا يعملون إلا بِسُنَّتي، فالإضافة إليهم إمَّا لِعلمهم بها، أو لاستنباطهم واختيارهم إيَّاها».

تطبيقات سلفيَّة

أولًا: احتجاج الإمام الشافعي رضي الله عنه بسنَّة الخلفاء الراشدين:

أخرج البيهقي في «مناقب الشافعي» (١/ ٣٦٢) عن عبدالله بن محمد بن هارون قال: «سمعت محمد بن إدريس الشافعي يقول بمكة: سلوني عمَّا شئتم أُخبركم من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فقال له رجل: أصلحك الله، ما تقول في المُحْرِمِ قتل زُنبورًا[1]؟ قال: بسم الله الرحمن الرحيم قال الله -تعالى-: ﴿وَمَآ

(١) الزُّنبور: هو الدَّبْر، (ضَرْبٌ مِن الذباب يَلْسَع).

ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧].

حدثنا سفيان بن عيينة، عن عبد الملك بن عمير، عن رِبعي بن حِراش، عن حذيفة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«اقتدوا باللَّذَيْن من بعدي: أبي بكر وعمر»**[1]، وحدثنا سفيان، عن مسعر عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، عن عمر «أنه أمر بقتل الزُّنبور».

ثانيًا: احتجاج الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه بسنَّة الخلفاء الراشدين:

قال الآجريُّ رحمه الله: «بلغني عن المهتدي -رحمه اللَّه تعالى- أنه قال: ما قَطع[2] أبي -يعني الواثق- إلا شيخًا جيء به من المَصِيْصَة[3]، فمكث في السِّجن مدة، ثم إنَّ أبي ذكرهُ يومًا، فقال: عليَّ بالشيخ فأُتي به مُقَيَّدًا، فلمَّا أُوقِفَ بين يديه سلَّم عليه فلم يرد عليه السلام، فقال له الشيخ: يا أمير المؤمنين! ما استعملتَ معي أدب اللَّه -تعالى-، ولا أدب رسوله ﷺ قال اللَّه -تعالى-: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦]، وأمر النبي ﷺ بِرَدِّ السلام فقال له: وعليك السلام، ثم قال لابن أبي دؤاد: سلهُ، فقال: يا أمير المؤمنين! أنا محبوس مقيَّد، أُصَلِّي في الحبس بتيمُّم، مُنِعْتُ الماءَ، فَمُر بقيودي تُحل، ومُر لي بماء أتطهَّرُ وأُصلي، ثمَّ سلني، قال: فأمرَ فحُلَّ قيدُه، وأمر له بماء فتوضَّأ وصلَّى، ثم قال لابن أبي دؤاد: سَلْهُ، فقال الشيخ: المسألة لي، تأمُره أن يُجيبني، فقال: سَلْ، **فَأَقْبَلَ الشيخ على بن أبي دؤاد يسألُه، فقال: أخبرني عن هذا الأمر الذي تدعو النَّاس إليه، أشيءٌ دعا إليه رسولُ اللَّه ﷺ؟ قال: لا؛ قال: فشيء دعا إليه أبو بكر الصديق رضي الله عنه** بعدَهُ؟ قال: لا! قال: فشيء دعا إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعدهما؟ قال: لا! قال الشيخ: فشيء دعا إليه عثمانُ بن عفانَ رضي الله عنه بعدهم؟ قال: لا! قال: فشيء

(١) صحيح، أخرجه الترمذي (٣٦٦٢)، وصححه الإمام الألباني في «الصحيحة» (١٢٣٣).

(٢) يعني في المناظرة.

(٣) المَصِيْصَة كما في «القاموس» وقال: لا تشدد، وهي مدينة بالشام، (من ثغور الشام بالقرب من أنطاكية).

دعا إليه علي بن أبي طالب ﷺ بعدهم ؟ قال: لا ! قال الشيخ: فشيءٌ لم يدعُ له رسولُ اللَّه ﷺ **ولا أبو بكرٍ ولا عمرُ ولا عثمانُ ولا عليٌّ -رضي اللَّه تعالى عنهم- تدعو أنت النَّاس إليه؟! ليس يخلو أن تقول: عَلِمُوهُ أو جَهِلُوهُ، فإن قلت: علموه وسكتوا عنه، وَسِعَنا وإيَّاك ما وَسِعَ القومَ من السُّكوت، فإن قلتَ: جهلوه وعلمتُه أنا، فيا لكعَ بن لكع! يجهل النبيُّ ﷺ والخلفاءُ الراشدونَ ﷺ شيئًا وتعلَمُهُ أنت وأصحابك**؟! قال المهتدي: فرأيت أبي وَثَبَ قائمًا ودخل الحَيْرى[١]، وجعل ثوبه في فيه يضحك، ثم جعل يقول: صدق، ليس يخلو من أن نقول: جهلوه أو علموه، فإن قلنا: علموه وسكتوا عنه، وسعنا من السُّكوت ما وَسِعَ القوم، وإن قلنا: جهلوه وعلمته أنت؛ فيا لُكَّع بن لُكَّع! يجهل النبي ﷺ وأصحابه ﷺ شيئًا تعلمه أنت وأصحابك؟!

ثم قال: يا أحمد! قلت: لبَّيك، قال: لست أعنيك إنما أعني ابن أبي دؤاد، فوثب إليه فقال: أعط هذا الشيخ نفقة وأخرجه عن بلدنا».

وفي رواية أوردها الذهبي في «السِّيَر»: «وسقط من عينه ابنُ أبي دؤاد، ولم يمتَحِنْ بعدها أحدًا»، وفي رواية: «قال المهتدي: فرجعت عن هذه المقالة، وأظن أن أبي رجع عنها منذ ذلك الوقت»[٢].

* * *

(١) الحَيْرُ: (والحَيْرُ بالفتح: شِبْهُ الحَظِيْرَةِ أو الحِمَى) [«لسان العرب» لابن منظور بتحقيق علي شيري (٣/ ٤١٧)].

(٢) قال الذهبي: «هذه القصة مليحة، وإن كان في طريقها مَنْ يُجهل، ولها شاهد»، «السير» (١١/ ٣١٣)، وأخرجها الآجري (ص٩١)، وعنه ابن بطة في «الإبانة/ الرد على الجهميَّة» (٤٥٢)، وأخرجها الخطيب البغدادي في «تاريخ بغداد» (٤/ ١٥١-١٥٢) و (١٠/ ٧٥-٧٩)، وقد نقلتها عن كتاب «مدارك النظر في السياسة» (ص٣٢-٣٤) للشيخ عبدالمالك الجزائري -حفظه اللَّه-.

الحديث الرابع :

ثانيًا : أصل الشجرة هو سنَّة النبي ﷺ وسنَّة الخلفاء الراشدين

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : كان النَّاس يسألون رسول اللَّه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يُدركَني .

فقلت : يا رسول اللَّه ، إنَّا كنَّا في جاهلية وشر ، وجاء اللَّه بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر؟

قال : **«نعم»** .

قلت : وهل بعد هذا الشر من خير؟

قال : **«نعم ؛ وفيه دَخَن»** .

قلت : وما دخنه؟

قال : **«قوم يَستَنُّون بغير سنَّتي ، ويهدون بغير هديي ، تَعْرِفُ منهم وتنكر»** .

قلت : فهل بعد هذا الخير من شر؟

قال : **«نعم ؛ دعاة على أبواب جهنَّم مَن أجابهم إليها قذفوه فيها»** .

قلت : يا رسول اللَّه : صِفْهم لنا .

قال : **«هم مِنْ جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا»** .

قلت : فما تأمرني إن أدركني ذلك؟

قال : **«تلزم جماعة المسلمين وإمامهم»** .

قلت : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟

قال : **«فاعتزل تلك الفِرقَ كُلَّها ، ولو أن تَعَضَّ بأصلِ شجرةٍ حتى يُدْرِكَكَ**

الموتُ وأنتَ على ذلك»[1].

يُخبرنا حذيفةُ بن اليمان رضي الله عنه في هذا الحديث أنَّ النَّاس كانوا يسألون رسول اللَّه ﷺ عن الخير، وكان هو يسأله عن الشر مخافة أن يدركه، ويقع فيه، ومنه أخَذَ الشاعرُ أبو فراس الحمداني قولَهُ:

عَـرَفْـتُ الـشَّـرَّ لا لـلـشَّـر ... لــكــنْ لــتــوقِّــيــهِ
فَـمَـنْ لا يـعـرف الـخـيـرَ ... مِـنَ الـشَّـرِّ يَـقـعْ فـيـهِ

فقال: يا رسول اللَّه! إنَّا كنَّا في جاهلية وشرٍّ، أي: شِرْكٍ وجهل وضلال، وما كانوا عليه مما لم يقرَّهم الإسلام عليه، سواءً كان في العقيدة، أو الأخلاق، أو السلوك، وهذه هي الجاهليَّة، وجاء اللَّه بهذا الخير، أي: الإسلام، بصفائهِ، ونقائهِ، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «**نعم**»، ولم يُفَصِّل النبيُّ ﷺ هذا الشر، ولم يسأل عنه حذيفة، ثم قال حذيفةُ: وهل بعد هذا الشر من خير؟ قال: «**نعم**»، ثم فصَّل النبي ﷺ وقال: «**وفيه دَخَنٌ**»، الدَّخَنُ هو كُدْرَةٌ في سواد، وأيضًا الحقد وسوء الخلق، وتغيُّر العقل والدين والقلوب، فلا ترجع قلوب أقوام على ما كانت عليه، ويظهر من هذا أنَّ الخير الذي يأتي بعد الشر لا يكون خالصًا، بل فيه كدر، وهذا الكَدَر والدَّخن، بسبب الإحداث في الدِّين، فسأل حذيفة: وما دخن هذا الخير؟ فقال النبيُّ ﷺ: «**قومٌ يستنُّون بغير سنَّتي، ويهدون بغير هديي**»، أي: بالبدع، وقوله: «**تعرف منهم وتنكر**» أي: ترونهم يعملون أعمالًا توافق الشرع، وأخرى لا توافقه، بل تخالفه، فسأل حذيفةُ: هل بعد هذا الخير من شرٍّ؟ قال: «**نعم؛ دعاة على أبواب جهنَّم من أجابهم إليها قذفوه فيها**»، فشبَّه النبي ﷺ حالهم كأنهم على أبواب جهنَّم؛ لِما معهم من أمور تخالف دينَ اللَّهِ عز وجل يدعون النَّاس إليها، ويُزينونها لهم، فمن أجابهم إليها، وأطاعهم فيها؛ كانوا السبب في دخوله نار

(١) أخرجه البخاري (٤٠٨٤)، ومسلم (١٨٤٧)، وأبو عوانة (٧١٦٦) و(٧١٦٧)، وابن ماجه ببعضه (٣٩٧٩).

جهنَّم وقذْفِهِ فيها، فطلب حذيفةُ من النبيِّ ﷺ أن يَصِفَهم لنا، فقال النبيُّ ﷺ: «**هم من جلدتنا، ويتكلَّمون بألسِنَتِنَا**»، أي: أَنَّهم من أمتنا، ويشبهوننا، ويتكلمون بلغتنا، لكنهم يُعرَفُون بدعوتهم إلى مخالفة دين اللَّه ﷻ.

فسأل حذيفةُ عن المخرج من تلك الفتنة إن أدركته؟ فقال النبيُّ ﷺ له: «**تلزم جماعة المسلمين وإمامهم**»، وجماعة المسلمين هي الجماعة التي ينتظم سِلْكَها كلُّ المسلمين، ويكون لها إمام يقوم بتنفيذ أحكام اللَّه فيها[١].

فسأل حذيفةُ: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ فقال النبيُّ ﷺ: «**فاعتزل تلك الفِرَق كلَّها**» أي: لا تعاشرهم ولا تقبل مناهجهم، ولا تعمل معهم، «**ولو أن تَعَضَّ بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك**» أي: تمسَّك بأصل الشجرة، وهذا لا يُراد ظاهره، إنما المراد هنا: التمسكُ بسنَّةِ النبيِّ ﷺ، وسنَّةِ أصحابه، أي: التمسُّك بمنهاج السلف الصالح بقوة، واعتزال فرق الضلالة كلِّها وإن طال بك الزمان على هذا الحال، وهذا يبيِّنه قوله ﷺ للنجاة من الاختلاف الكثير: «**فعليكم بسنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين**»[٢]، وقوله عن منهاج الفرقة الناجية: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[٣]، وقوله للخروج من الفتنة: «**ترجعون إلى أمركم الأول**»[٤].

قال الإمام النَّووي في «شرح صحيح مسلم» (٦/ ٤٤٠): «وفي حديث حذيفةَ هذا لزومُ جماعة المسلمين، وإمامِهم، ووجوب طاعتِهِ وإن فسقَ وعملَ المعاصي من أخذ الأموال، وغير ذلك، فتجب طاعته في غير معصية».

ونقل الإمام ابن حجر العسقلاني في «فتح الباري» (١٣/ ٤٦) عن ابن جرير الطبري في شرح هذا الحديث قوله: «وفي الحديث: أنه متى لم يكن للناس إمام،

---

(١) راجع كتاب «مسائل علميَّة في الدَّعوة والسِّياسة الشَّرعيَّة» (ص٦٤-١٠٧) لشيخنا علي الحلبي -حفظه اللَّه- ففيه تفصيلٌ لهذا الإجمال -عند الضرورة-؛ فإنَّه مهم.

(٢) سبق تخريجه (ص٣٢).

(٣) سيأتي تخريجه (٤٤).

(٤) سيأتي تخريجه (٢٠١).

فافترق النَّاس أحزابًا، فلا يَتَّبعْ أحدًا في الفُرقة، ويعتزِلِ الجميعَ إن استطاع ذلك؛ خَشْيَةً من الوقوع في الشر».

وقال الإمام الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٦/ ٥٤١): «هذا حديث عظيم الشأن من أعلام نبوته ﷺ، ونصحه لأمته، ما أحوج المسلمين إليه للخلاصِ من الفُرقة والحزبيَّة التي فرقت جمعهم، وشتَّتت شملهم، وأذهبت شوكتهم، فكان ذلك من أسباب تمكُّن العدو منهم، مصداق قوله -تبارك وتعالى-: ﴿وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]».

وقال: إنَّ فيه «تصريحًا واضحًا جدًّا يتعلَّق بواقع المسلمين اليوم، حيث إنه ليس لهم جماعةٌ قائمة، وإمام مبايع، وإنما هم أحزاب مختلفة اختلافًا فكريًّا ومنهجيًّا -أيضًا-.

ففي هذا الحديث: أنَّ المسلم إذا أدرك مثل هذا الوضع فعليه حينذاك ألا يتحزَّب، وألا يتكتَّل مع أي جماعة، أو مع أي فرقة ما دام أنه لا توجد الجماعة التي عليها إمام مبايع من المسلمين»[١].

* * *

---

(١) من كلام العلامة الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في شريط مسجَّل من أشرطة «سلسلة الهدى والنور» (رقم ٢٠٠/ ١)، وكتاب «الدعوة إلى اللَّه بين التجمُّع الحزبي والتعاون الشرعي» (ص٩٨) لشيخنا علي الحلبي -حفظه اللَّه-.

الحديث الخامس:

ثالثًا: فهمُ الصَّحابةِ أَجْمعِين

عَنْ عوفِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتينِ وسبعينَ فرقةً، وَسَتَفْتَرِقُ أُمَّتي على ثلاثٍ وسبعين فرقةً، كلُّها في النار إلا واحدة**»، قالوا: مَنْ هي يا رسول اللَّه؟ قال: «**الجماعة**»[1]، وفي رواية: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[2]، وفي رواية: «**السَّواد الأعظم**»[3].

يُخبر النبيُّ ﷺ في هذا الحديث عن افتراقِ الأُممِ في أديانِهِم، وأنَّ اليهودَ افترقوا على واحدٍ وسبعينَ فرقة، كلُّها في النار إلا واحدة، كما جاء في حديث عوف بن مالك[4] رضي الله عنه، وزادت النصارى فِرْقة، حيث تفرقت على اثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وتفترق أمتُه -عليه الصلاة والسلام- وتزيد عنهم فرقة، بحيث تصل إلى ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، فقوله ﷺ:

---

(١) حسن، أخرجه ابن ماجه (٢٩٩٢)، وابن أبي عاصم في «السنَّة» (٦٣)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة والجماعة» (١٤٩).

(٢) حسن، أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، والحاكم (١/١٢٨-١٢٩)، والآجري في «الشريعة» (١٦)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة والجماعة» (١٤٧).

(٣) حسن، أخرجه ابن أبي عاصم في «السنَّة» (٦٨)، وابن نصر في «السنَّة» (ص١٦-١٧)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة والجماعة» (١٥١-١٥٢).

وهذا الحديث يُعرف باسم «**حديث افتراق الأمَّة**»، وهو مخرَّج في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢٠٣) و (١٤٩٢)، و «ظلال الجنَّة» (٦٣ - ٦٩) للعلامة الألباني رحمه الله.

(٤) كما في «سنن ابن ماجه» (٣٩٩٢)؛ قال رسول اللَّه ﷺ: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنَّة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة، فإحدى وسبعون في النار و واحدة في الجنَّة، والذي نفس محمد بيده لتفترقنَّ أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنَّة، وثنتان وسبعون في النار**»، قيل: يا رسول اللَّه من هم؟ قال: «**الجماعة**»، جوَّد إسناده الإمام الألباني في «الصحيحة» (١٤٩٢).

«**افترقت اليهودُ**» أي: افترقت أفهامُهُم في دينِهِم، فاتخذَ كلٌّ منهم سبيلًا مغايرًا لسبيلِ الآخَرِ في أصولِ الدِّينِ وفروعِهِ، و«**اليهودُ**» هم الذينَ ينتسبون في دينهم إلى شريعة موسى ﷺ، وسُمُّوا يهودًا نسبة إلى يهودا أكبر أولاد يعقوب ﷺ، وقيل: لأنهم هادوا أي: تابوا من اتِّخاذ العجل إلهًا.

وقوله ﷺ: «**افترقت النصارى**» أي: افترقت أفهامُهُم في دينهم كذلك، و«**النصارى**» هُمُ الذينَ يَنْتَسِبونَ في دينهم إلى شريعة عيسى ﷺ، وسُمُّوا نصارى؛ لأنهم نزلوا قريةً تُسَمَّى ناصرة، وقيل: لأنَّ منهم مَنْ قالوا: نحن أنصار اللَّه.

وقوله ﷺ: «**وستفترق أمتي**» السِّينُ حرفُ تسويفٍ واستقبال، أي: إنَّ اليهود والنصارى افترقوا في الماضي، وأنَّ أمتَهُ ستفترقُ في المستقبلِ بعدَهُ ﷺ في أفهامِهِم في الدينِ، وقولُه: «**أمتي**» أي: أمَّة الاستجابة، الذين استجابوا للرسول ﷺ، وأظهروا الاتِّباع.

إنَّ افتراقَ أمَّةِ النبيِّ ﷺ هذا إنما هو جريًا على سَنَنِ اليهود والنصارى في افتراقهم في أديانهم، واقتفائِهِم سُنَنَهم وآثارَهُم، وهذا مصداقٌ لقول النبيِّ ﷺ لمَّا أنكر على بعضِ أهلِ جيشِهِ في غزوةِ حُنَيْنٍ -لما مَرُّوا على جماعةٍ من النَّاس يُعلِّقونَ أَسْلِحَتَهُم على شجرةٍ يُقال لها: (ذاتُ أنواط)(١)، ويذبحون عندها ويعكُفون-، قولَهم: اجعل لنا ذاتَ أنواطٍ كما لهم ذاتُ أنواطٍ، فعن أبي واقد الليثي ﵁ قال: خرجنا مع رسول اللَّه ﷺ إلى حنين، ونحن حديثُو عهد بكفر، وكانوا أسلموا يومَ الفتح، قال: فَمَرَرْنا بشجرةٍ، فقلنا: يا رسولَ اللَّه، اجعل لنا ذاتَ أنواطٍ كما لهم ذاتُ أنواط، وكان للكفار سِدْرة يَعْتَكِفُون حولها، ويُعلِّقُونَ بها أسلِحَتَهم، يَدْعُونَها ذاتَ أنواطٍ، فلمَّا قلنا ذلك للنبيِّ ﷺ قال: «**اللَّهُ أكبرُ، قلتم والذي نفسي بيده! كما قالت بنو إسرائيل لموسى**: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]»، قال:

---

(١) ذاتُ أنواط: أي: ذاتُ تعليق، والنَّوْط هو: التعليق.

«إنكم قومٌ تجهلونَ، لتركَبُنَّ سَنَنَ من كان قبلكم»(١).

وفي رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ستتَّبعون سَنَنَ من كان قبلكم باعًا بباع، وذراعًا بذراع، وشبرًا بشبر حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتم فيه**»، قالوا: يا رسول اللَّه: اليهودُ والنصارى؟ قال: «**فمن إذًا؟!**»(٢).

فإنَّ أمَّة الإسلامِ ستتَّبعُ سَنَنَ اليهودِ والنَّصارى، وستتفرَّقُ مثلَهم ويزيدُ حتى تصل إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة، وأخبرَ أنَّها كلُّها في النار إلا واحدةٌ، فسألهُ الصحابةُ: مَنْ هذه الفرقة؟ ليعرفوها ويعرفوا سبيلَها فيسلكوه، فقال: «**الجماعة**»، ويعني نفسَهُ ﷺ وأصحابَهُ، فإنه لم تكُنْ يومَها جماعةٌ غيرَهم، ويدخل في الجماعة من اتَّبعَهُ واتَّبعَ أصحابَهُ بإحسانٍ إلى يومِ القيامةِ.

وقوله ﷺ: «**ما أنا عليه وأصحابي**»، أي: هي التي تتمسَّك بطريقتي وطريقة أصحابي بِأَخْذِنَا للدِّين أصولِه وفروعِهِ، فَفَهْمُ الصحابةِ للكتابِ والسنَّةِ حجةٌ وميزانٌ لمن بعدَهُم؛ فمن اتَّبع الصَّحابةَ بأخذهم لدينِ اللَّهِ فهوَ مِنَ الفرقةِ الناجيةِ، ومَنْ خالَفَهُم خرجَ من الفرقَةِ الناجيةِ، وصارَ إلى ما خالفَهُم فيه.

وقوله ﷺ: «**السَّوادُ الأعظمُ**»، فإنَّ مَنِ اتبعَ النبيَّ ﷺ وأصحابَهُ بإحسانٍ كان من الجماعةِ، وهم يشكِّلون السَّوادَ الأعظمَ من الأمَّة؛ لأنَّهم الجماعة.

---

(١) حسن، أخرجه الترمذي (٢١٨٠)، وحسَّنه الإمام الألباني في «ظلال الجنَّة» (٧٦).

(٢) حسن، أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٤)، وحسَّنه الإمام الألباني في «ظلال الجنَّة» (٧٢)، وله شاهد من حديث ابن عباس مخرَّج في «الصحيحة» (١٣٤٨).

مِنْهَاجُ الفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ

أولًا: «**الجماعة**».

ثانيًا: «**ما أنا عليه وأصحابي**».

ثالثًا: «**السواد الأعظم**».

تصُبُّ هذه الألفاظُ النبويَّةُ في بوتقةٍ واحدة، فمعناها واحِدٌ، يرتبِطُ ببيان منهاج الفرقة الناجية وهذا ما قرَّرَهُ الإمام الآجُرِّيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه«الشريعة» (١/ ١٢٥) حيث قال: «ثم إنَّه -صلواتُ اللَّه وسلامهُ عليه- سُئِلَ مَنِ النَّاجيةُ؟، فقال -عليه الصلاةُ والسلامُ- في حَديثٍ: «**ما أنا عليه وأصحابي**»، وفي حَديثٍ: «**السَّواد الأعظم**»، وفي حديثٍ: «**واحدةٌ في الجنَّةِ وهي الجماعةُ**»، قُلتُ أنا: ومعانيها واحدةٌ إن شاءَ اللَّه -تعالى-».

الجماعةُ هي التي توافق الحقَّ ولو كانَ واحدًا، والحقُّ هو ما كانَ عليه النَّبيُّ ﷺ وأصحابُهُ:

عن عمرو بن ميمونٍ الأوديِّ، قال: قدم علينا معاذُ بنُ جبلٍ على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ؛ فوقَعَ حبُّه في قلبي، فلزمتُه حتى وارَيْتُهُ في التراب بالشام، ثم لزمتُ أَفْقَهَ النَّاس بعدَهُ عبداللَّه بن مسعودٍ، فَذُكِرَ يومًا عندَهُ تأخيرُ الصَّلاةِ عن وقتها، فقال: «صلُّوا في بيوتكم، واجعلوا صلاتَكُم معهم سُبحة»، فقلتُ لَهُ: وكيف لنا بالجماعَةِ؟ فقال لي: «يا عمروُ بن ميمونٍ، إنَّ جمهورَ الجماعةِ هي التي تفارقُ الجماعةَ، إنَّما الجماعةُ ما وافقَ طاعةَ اللَّهِ، وإنْ كنتَ وَحْدَكَ»(١).

فظهر أنَّ الجماعةَ بعد الفرقة والاختلاف الكثير هي التي تكون على ما كانت عليهِ الجماعةُ قبلَ الفرقة والاختلاف.

---

(١) صحيح، أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة والجماعة» (١٦٠)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٣/ ٣٢٢/ ٢)، وصححه الإمام الألباني في «تخريج مشكاة المصابيح» (١/ ٦١).

وهذه الجماعةُ جماعةُ أفهام لا جماعةُ أبدان، فَمَنْ لَزِمَ ما كانت عليه جماعةُ الصحابةِ من التحليلِ والتحريم، وكلِّ أمورِ الدِّينِ فهوَ مِنَ الجماعةِ.

قال الإمام الشافعيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «إذا كانت جماعتُهُم متفرِّقةً في البلدان؛ فلا يقدِرُ أحدٌ أن يلزَمَ جماعةَ أبدانِ قومٍ متفرِّقين، وقد وُجِدَتِ الأبدانُ تكونُ مجتمعةً من المسلمينَ والكافرينَ، والأتقياءِ والفجارِ، فلم يكنْ في لزومِ الأبدانِ معنًى؛ لأنهُ لا يُمكن؛ ولأنَّ اجتماعَ الأبدانِ لا يصنعُ شيئًا، فلم يكن للزومِ جماعتِهِم معنًى إلا ما عليه جماعتُهُم من التحليلِ والتحريمِ والطاعةِ فيهما، ومن قال بما تقولُ به جماعةُ المسلمينَ، فقد لزمَ جماعَتَهُم، ومن خالَفَ ما تقولُ بِهِ جماعةُ المسلمينَ، فقد خالفَ جماعَتَهُم التي أُمِرَ بلُزُومِهَا، وإنما تكونُ الغفلةُ في الفُرقَةِ، فأمَّا الجماعةُ فلا يمكنُ فيها غفلةٌ عن معنى كتابٍ ولا سنَّةٍ ولا قياسٍ -إن شاء اللَّهُ-»(١).

ويُفهم من كلام الشافعيِّ، أنَّ الجماعةَ لا تكونُ باجتماع النَّاس في مكانٍ واحدٍ، وإنَّما الجماعةُ هي جماعةُ أفهامٍ، فالذين يتمسَّكون بالحقِّ ولو كانوا مُتَفَرِّقين بأجسادهم همُ الجماعة.

السَّواد الأعظم؛ لأنَّها الجماعة:

قال إسحاقُ بن راهويه: «لو سألتَ الجهَّالَ عن السَّوادِ الأعظمِ لقالوا: جماعةُ النَّاس، لا يعلَمون أنَّ الجماعةَ عالِمٌ متمسِّكٌ بأَثَرِ النبيِّ ﷺ وطريقِهِ، فَمَنْ كان معه وتبعه فهو الجماعة»(٢).

وقال الإمام الشاطبي في «الاعتصام» (٢/ ٢٦٧) مؤكِّدًا هذا الفهم والتوجيه: «فانظر حكايتَهُ يتبيَّنُ غلط مَنْ ظنَّ أنَّ الجماعةَ هي جماعةُ النَّاس، وإن لم يكن فيهم عالم، وهو فَهْمُ العوامِّ لا فهمُ العلماءِ، فَلْيُثَبِّتِ الموفَّقُ في هذه المزلَّةِ قدمَهُ؛ لئلا يضلَّ عن سواءِ السبيلِ، ولا توفيق إلا باللَّه». اهـ

(١) «الرسالة» للشافعي (رقم ١٣١٩ و ١٣٢٠).
(٢) أخرجه أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ٢٣٩).

وقال اللالكائيُّ في «شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة والجماعة» (١/ ٢٥) واصفًا الفرقةَ الناجيةَ: «واغتاظَ بهم الجاحدونَ؛ فإنَّهم السَّوادُ الأعظمُ والجمهورُ الأضخمُ؛ فيهم العلمُ والحكمُ، والعقلُ والحلمُ، والخلافةُ والسيادةُ، والملكُ والسياسةُ، وهم أصحابُ الجمعاتِ والمشاهِدِ، والجماعاتِ والمساجدِ، والمناسكِ والأعيادِ، والحجِّ، والجهادِ، وباذِلُو المعروفِ للصادِرِ والوارِدِ، وحُماةُ الثُّغورِ والقناطِرِ، الذين جاهدوا في اللَّه حقَّ جهاده».

وقال شيخُ الإسلام ابنُ تيمية في «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٤٥): «ولهذا وصَفَ الفرقةَ الناجيةَ بأنَّها أهلُ السنَّةِ والجماعة، وهم الجمهورُ الأكبرُ والسَّوادُ الأعظمُ».

تطبيق لمنهج الصَّحابة

أولًا: احتجاجُ عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه بِفَهْمِ الصحابةِ وعَمَلِهِم:

عن عمرو بنِ سلمة: كُنَّا جلوسًا على باب عبداللَّه بن مسعود قبل الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعريُّ، فقال: أَخَرَجَ إِليكم أبو عبدالرحمن بعدُ؟

قلنا: لا.

فَجَلَسَ مَعَنا حتى خَرَجَ، فلمَّا خَرَجَ قُمْنَا إليهِ جميعًا، فقال له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن! إنِّي رأيتُ في المسجد آنفًا أمرًا أنكرته، ولم أرَ -والحمد للَّه- إلا خيرًا.

قال: فما هو؟

قال: إنْ عِشْتَ فَسَتَراه، رأيتُ في المسجدِ قومًا حِلَقًا جلوسًا ينتظرون الصلاة، في كلِّ حَلْقةٍ رجلٌ، وفي أيديهم حصى، فيقول: كبِّروا مئة، فيكَبِّرون مئة، فيقول: هلِّلوا مئة، فيهلِّلُونَ مئة، ويقول: سبِّحوا مئة، فيسَبِّحون مئة.

قال: فماذا قلتَ لهم؟

قال: ما قلتُ لهم شيئًا؛ انتظارَ أمرِكَ.

قال: أفلا أمرتَهُمْ أن يَعُدُّوا سيِّئاتهم[١]، وضَمِنْتَ لهم أن لا يضيع من حسناتهم؟!

ثم مضى، ومضينا معه، حتى أتى حَلْقَةً من تلك الحِلَق، فوقف عليهم، فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟!

قالوا: يا أبا عبدالرحمن! حصًى نعد بها التكبيرَ والتهليلَ والتسبيح.

قال: فعدُّوا سيئاتِكُم، فأنا ضامنٌ أن لا يضيعَ من حسناتِكُم شيءٌ، وَيْحَكُم يا أمَّة محمدٍ ما أسرعَ هَلَكَتَكُم! **هؤلاء صحابةُ نبيِّكُم** ﷺ متوافرون، وهذه ثيابُهُ لم تَبْلَ، وآنيتُهُ لم تُكْسَر، والذي نفسي بيدِهِ، إنَّكُم لعلى مِلَّةٍ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ محمد، أو مُفْتَتِحُو بابِ ضلالةٍ.

قالوا: واللَّه يا أبا عبدالرحمن، ما أردنا إلا الخير.

قال: وكم مِنْ مُريدٍ للخيرِ لن يصيبَهُ؛ إنَّ رسولَ اللَّهِ [ﷺ] حَدَّثَنَا: «**إنَّ قومًا يقرؤون القرآنَ لا يُجاوزُ تراقيهم**»[٢].

وأَيْمُ اللَّهِ! ما أدري، لعلَّ أكثرهُم منكم، ثم تولَّى عَنْهُم.

فقال عمرو بن سلمة: رأينا عامَّةَ أولئكَ الحِلَقِ يطاعنونَا يومَ النَّهْرَوانِ مَعَ الخوارج[٣].

وعن عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه قال: «مَنْ كانَ مُتَأَسِّيًا فَلْيَتَأَسَّ بأصحابِ

---

(١) لأنهم في حالهم هذهِ أكسَب للسيئات منهم للحسنات، وليستغفروا منها.

(٢) صحيح، أخرجه الدارمي (٢١٠)، وصحَّحه الإمام الألباني في «الصحيحة» (٢٠٠٥).

(٣) صحيح، أخرجه الدارمي (٢١٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٩٧٣٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٨٦٣٦)، وصحَّحه الألباني في «الصحيحة» تحت حديث رقم (٢٠٠٥)، وهو مخرَّج أيضًا في «سلسلة الآثار الصحيحة» (٨٧) لأبي عبداللَّه الداني بن منير آل زهوي.

رسولِ اللَّهِ ﷺ، فإنهُم كانوا أبرَّ هذهِ الأمَّةِ قُلُوبًا، وأعمقَها عِلْمًا، وأقلَّها تكلُّفًا، وأقدمَها هديًا، وأحسنَها حالًا، قومٌ اختارهُمُ اللَّهُ لصحبةِ نبيِّهِ، وإقامةِ دينهِ، فاعرفوا لهم فضلَهم، واتبعوهم في آثارِهم، فإنَّهم كانوا على الهدْيِ المستقيم»[(١)].

ثانيًا: احتجاج عبداللَّه بن عباس رضي الله عنهما بفهم الصحابة وعلمهم:

قال ابن عباس: لمَّا خَرَجَت الحروريَّة[(٢)] اعتزلوا في دار، وكانوا ستَّةَ آلافٍ، وأجمعوا على أنْ يخرجُوا على عليٍّ، فكان لا يزالُ يجيءُ إنسانٌ، فيقولُ: يا أميرَ المؤمنينَ! إنَّ القومَ خارجونَ عليك.

فيقول: دعوهم؛ فإنِّي لا أقاتلهم حتى يقاتلوني، وسوف يفعلون[(٣)]، فلمَّا كان ذات يوم؛ أتيته قبلَ صلاةِ الظهر، فقلتُ لعليٍّ: يا أميرَ المؤمنينَ! أَبْرِدْ بالصلاةِ؛ لَعَلِّي أكلِّمُ هؤلاءِ القوم.

قال: فإنِّي أخافهم عليك.

قلت: كلا، وكنت رجلًا حسنَ الخلق؛ لا أُوذي أحدًا، فَأَذِنَ لي، فلبستُ حُلَّةً من أحسنِ ما يكون من اليمن، وترجَّلتُ، ودخلتُ عليهم في دارٍ نِصْفَ النَّهارِ وهم يأكلون، فدخلت على قوم لم أرَ قطُّ أشدَّ منهم اجتهادًا، جباهُهُم قَرِحَة من السُّجود، وأياديهم كأنَّها ثَفِنُ[(٤)] الإبل، وعليهم قُمصٌ مُرْحَضَة[(٥)]، مشمِّرين، مُسْهَمَةٌ[(٦)] وجوهُهُم.

فسلَّمتُ عليهم، فقالوا: مرحبًا بك يا ابن عباس، وما هذه الحلَّةُ عليك؟!

(١) أخرجه بنحوه ابن عبدالبر في «جامع البيان» (٢/ ٩٧).
(٢) الحَرُورِيَّةُ: نسبة إلى حروراء، وهي قرية من قرى الكوفة، اجتمع فيها الخوارج أوَّل ما خرجوا على علي بن أبي طالب بها، فَنُسِبوا إليها، انظر «معجم البلدان» (٣/ ٣٤٥)، و«اللباب في تهذيب الأنساب» (١/ ٣٥٩).
(٣) تصديقًا بما أخبر به رسول اللَّه ﷺ من أمرهم.
(٤) ثَفِنُ الإبل: الركبة وما مسَّ الأرض من كِرْكِرَتِهِ وسَعْداناتِهِ وأصول أفخاذه.
(٥) مُرْحَضَة: أي: مَغْسُولَة.
(٦) مُسْهَمَةٌ: أي: ذاهبة شاحبة مرهقة.

قلت: ما تعيبونَ منِّي؟ فقد رأيتُ رسول اللَّه ﷺ أحسنَ ما يكونُ في ثيابِ اليمنيَّةِ، ثم قرأتُ هذه الآية: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

فقالوا: فما جاءَ بكَ؟

قلتُ لَهُم: أَتَيْتُكُمْ مِنْ عند أصحابِ النبيِّ ﷺ المهاجرينَ والأنصار، ومن عند ابنِ عمِّ النبيِّ ﷺ وصهرِهِ، وعليهم نَزَلَ القرآنُ، فهم أعلمُ بتأويلِهِ منكُم، وليسَ فيكُم منهم أحدٌ؛ لأبَلِّغَكُم ما يَقُولُون وأبلِّغَهُم ما تقولون.

فقالت طائفةٌ منهم: لا تُخاصِمُوا قريشًا؛ فإنَّ اللَّه ﷻ يقول: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الأعراف: ٥٨]، فانتحى لي نفرٌ منهم، فقال اثنان أو ثلاثة: لَنُكَلِّمَنَّه.

قلت: هاتوا؛ فما نِقْمَتكُم على أصحاب رسول اللَّه ﷺ وابنِ عَمِّهِ؟

قالوا: ثلاث.

قلت: ما هن؟

قالوا: أما إحداهنَّ، فإنَّه حكَّم الرجال في أمر اللَّه، وقال اللَّه: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [الأنعام: ٥٧].

قلت: هذه واحدة.

قالوا: وأمَّا الثانية؛ فإنه قاتل ولم يَسْبِ ولم يغنم؛ إن كانوا كفارًا لقد حلَّ سَبْيُهُم، وَلَئِنْ كانُوا مُؤمنين ما حلَّ سَبْيُهُمْ ولا قتالُهم(١).

قلتُ: هذه ثنتان، فما الثالثة؟

قالوا: محى نفسَهُ مِنْ أميرِ المؤمنين، فإن لم يكُن أميرَ المؤمنين؛ فهو أميرُ الكافرين.

---

(١) وهذا حكم الفئة الباغية من المسلمين: لا تُسْبَى نساؤهم، ولا يُقسم فيؤهم، ولا يُجْهَزُ على جريحهم، ولا يُتبع هاربهم، ولا يُبْدَؤون بالقتال ما لم يَفعلوا.

قلت: هل عندكم شيء غيرُ هذا؟

قالوا: حَسْبُنَا هذا.

قلت لهم: أرأيتَكُم إن قرأتُ عليكم من كتاب اللَّه -جلَّ ثناؤه- وسنَّة نبيه ﷺ؛ ما يَرُدُّ قولَكم؛ أترجعون؟

قالوا: نعم.

قلت: أمَّا قولُكم: «حكَّم الرِّجالَ في أمر اللَّه»؛ فإني أقرأُ عليكُم في كتاب اللَّه أَنْ قَدْ صَيَّرَ اللَّهُ حُكْمَهُ إلى الرجالِ في ثَمَنِ ربعِ درهمٍ، فأمَرَ اللَّه -تبارك وتعالى- أن يُحكَّموا فيه.

أرأيتَ قولَ اللَّهِ -تباركَ وتعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْتُلُواْ ٱلصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ﴾ [المائدة: ٩٥]، وكان حُكم اللَّه أنْ صيَّره إلى الرجال يَحكُمونَ فيه، ولو شاء يحكم فيه، فجاز من حكم الرجال.

أُنْشِدُكُم بِاللَّهِ أَحُكْمُ الرِّجالِ في إصلاحِ ذات البينِ، وحقنِ دمائِهِم أفضلُ، أو في أرنبٍ؟! قالوا: بلى، بل هذا أفضل.

وفي المرأة وزوجِهَا: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ﴾ [النساء: ٣٥]، فنشدتكم باللَّه، حُكمُ الرجالِ في صلاحِ ذاتِ بينِهِم، وحقنِ دمائِهِم أفضلُ مِنْ حكمهم في بُضْعِ امرأة؟!

خرجتُ مِنْ هذهِ؟

قالوا: نعم.

قلت: وأما قولُكُم «قاتلَ ولم يَسْبِ ولم يغْنَم»، أَفَتَسْبُونَ أُمَّكُم عائشةَ تَسْتَحِلُّونَ منها ما تستحِلُّونَ من غيرها وهي أمكُم؟ فإن قلتم: إنا نستحلُّ منها ما نستحلُّ مِنْ غيرها؛ فقد كفرتُم، وإن قلتم: ليست بأُمِّنا، فقد كفرتُم: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ

أَنفُسِهِمْۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْۗ﴾ [الأحزاب: ٦]، فأنتم بين ضلالتين، فَأْتوا بمخرج.

أفخرجْتُ مِنْ هذه؟

قالوا: نعم.

وأمَّا مَحْيُ نفسِهِ من أميرِ المؤمنينَ؛ فأنا آتيكم بما تَرضَوْنَ: إنَّ نبيَّ اللَّهِ ﷺ يومَ الحديبيةِ صالحَ المشركينَ، فقالَ لعليٍّ: «**امحُ يا علي، اللَّهم إنَّك تعلمُ أني رسولُ اللَّهِ، واكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبداللَّه**»[١].

واللَّهِ لَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ خيرٌ من عليٍّ، وقد محى نَفْسَهُ، ولم يكنْ محوُهُ نفسَه ذلك مَحاهُ من النبوَّةِ.

أَخَرَجْتُ من هذه؟

قالوا: نعم.

فرجع منهم ألفان، وخَرَجَ سائِرُهُم، فَقُتِلُوا على ضلالتهم، قَتَلَهُم المهاجرون والأنصار[٢].

* * *

---

(١) وله شواهد في البخاري (٢٦٩٨)، ومسلم (١٧٨٣ و ١٧٨٤).

(٢) صحيح، أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١٨٦٧٨)، وأحمد (١/ ٣٤٢)، والحاكم (٢/ ١٥٠-١٥٢)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٣١٨-٣٢٠)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٧٩)، قال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم»، ووافقه الذهبي، وهو مخرَّج في «سلسلة الآثار الصحيحة» (٣٠٨) لأبي عبداللَّه الداني بن منير آل زهوي.

الحديث السادس:

رابعًا: هديُ القرون الأربعةِ المفضَّلة

عن عمرانَ بنِ حصين رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«خيرُ أمتي قرني، ثمَّ الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم (قال عمران: فلا أدري أذَكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثًا)، ثم إنَّ بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهِمُ السِّمَنُ»**[(١)].

وفي روايةٍ عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«خيرُ النَّاس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيءُ قومٌ تسبقُ شهادةُ أحَدِهم يمينَه، ويمينُه شهادتَه»**[(٢)].

يخبرنا النبي ﷺ في هذا الحديث عن خير أمته قلوبًا وأعمالًا، بل عن خير النَّاس عامَّةً بعد النبيين -صلوات اللَّه وسلامه عليهم أجمعين- فقال: **«خير أمتي قرني»** أي: أهل قرني، فإنَّ للقرن معنيين: الأول: مئة عام، والثاني: الجيل وهو الأقرب هنا، وهم أصحابه ﷺ، ثم الذين يلونهم أي: التابعين، ثم الذين يلونهم أي: أتباع التابعين.

قال عمران بن حصين راوي الحديث: «فلا أدري [أي: شكَّ] أذكر النبيُّ ﷺ بَعْدَ قَرنِهِ مرتين، أو ثلاثًا؟»، فإذا ذكر بَعْدَ قَرْنِهِ مرتين كانت ثلاثة قرون، وإذا ذكر

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥).

(٢) صحيح، أخرجه أحمد (٣٥٩٤)، وابن حبان في «الثقات» (٨/ ١)، وابن أبي شيبة في «المصنَّف» (١٢٤٦٠)، وصحَّح ابن القيم زيادة القرن الرابع حيث قال في «إعلام الموقِّعين» (٢/ ٩): «ثم جاءت الأئمة في القرن الرابع المفضل في إحدى الروايتين، كما ثبت في الصحيح»، وكان الإمام الألباني قد ضعَّفها في «الصحيحة» (٢/ ٣١٣ رقم ٧٠٠) حيث قال: «وفي ثبوت هذه الزيادة عندي نظر»، ثمَّ صحَّحها وأودَعَها في كتابه «تيسير انتفاع الخلان بثقات ابن حبان».

ثلاثة كانت أربعة قرون، وقد ثبت في بعض الروايات أنها أربعةُ قرون كما سيأتي.

قال عمران: قال النبي ﷺ: **«ثم إنَّ بعدكم قومًا يشهدون ولا يستشهدون»**، أي: متسرِّعُونَ في الشهادةِ، وَمُتَسَاهِلُون فيها، والشهادةُ: هي إخبارُ الإنسانِ بما يعلم، لكنَّهم متسرِّعونَ في الشهادةِ، يُؤَدُّونَها قبلَ أن يُسْأَلوها، وقوله: **«ويخونون ولا يؤتمنون»** الخيانةُ: هي الغدرُ والخداعُ في موضعِ الائتمانِ، فهم يغدرون ويخدعون بصفة دائمة، فكأنَّ الخيانةَ أصبحت سجيَّةً لهم، ولا يؤتمنون على عِرْضٍ، أو مال، أو نَفْسٍ، أو غير ذلك مما هو موضع ائتمان، فهم ليسوا أهلًا للأمانة.

وقوله: **«وينذرون ولا يوفون»**، أي: يعاهدون اللَّه، أو النَّاس، ويلزمونَ أنفسهم بالشيءِ ولا يوفون بما عاهدوا عليه، وهذه من صفاتِ المنافقين.

وقوله: **«ويظهرُ فيهمُ السِّمَنُ»**، أي: يَكْثُر فيهم السِّمَن، والسِّمَن: هو كثرةُ اللحم والشَّحْمِ، ولا يكونُ السِّمَنُ مذمومًا؛ لأنهُ خارجٌ عن إرادةِ الإنسان، كاللونِ، والطولِ، والجمالِ، إلا إذا حَرِصَ الإنسان عليه بكثرة المآكل، والمشارب، والكسل، وجعل بطْنَه وشهوتَه شُغْلَه الشاغلَ، ولم يضبط كميَّةَ أكلِهِ.

وفي روايةِ النعمانِ بن بشيرٍ: **«خيرُ النَّاس»**، أي: أنَّهم ليسوا فقط خيرَ أمَّةِ محمد ﷺ، بل خيرُ النَّاس مطلقًا بعد الأنبياء، فهم خيرٌ من السبعينَ رجلًا الذين اختارهُم موسى -عليه الصلاة والسلام- لميقات اللَّه، وخيرٌ من حوارِيِّي عيسى -عليه الصلاة والسلام-، وفيها إثباتُ زيادة القرن الرابع، حيث قال ثلاث مرات بعد: **«خيرُ النَّاس قرني»**، **«ثمَّ الذين يلونهم»**، فكان المجموع أربعةَ قرون.

وقوله: **«ثمَّ يجيءُ قومٌ تسبقُ شهادةُ أحدِهم يمينَه ويمينُه شهادتَه»**، هذا من شِدَّةِ تسرُّعِهم في الشهادةِ وعدم حِفْظِهَا.

وقوله: **«إنَّ بعدكم قومًا»**، و **«ثمَّ يجيء قومٌ»** فيه أنَّ هذه الصفات المذمومة، ليست في كل النَّاس بعد القرون المفضلة، وإلا لَقَالَ: «إنَّ بعدكم النَّاس»، و«ثم

يجيء النَّاس»، ومعلوم وجود الفِرْقةِ الناجية والغرباء في الأمَّة إلى آخر الدهر.

وإنما حصلت الخيريَّةُ التامَّةُ لجيلِ الصحابةِ ﷺ جميعًا؛ لإيمانِهم الصادق باللَّه ﷻ؛ ولأمرهم بالمعروفِ ونهيهم عن المنكر، قال -تعالى-: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فهذا الخطابُ من اللَّهِ للأمَّةِ، وأوَّلُ مَنْ يدخُلُ فيه: هم الصحابة، ثمَّ من تبعهُم بإحسانٍ، وكان على آثارِهم من أهْلِ القرونِ الأربعةِ الخيريَّةِ بشهادةِ رسولِ اللَّه ﷺ، ثمَّ يَقِلُّونَ حتى يُصبِحُوا غرباءَ وقِلَّةً بين النَّاس، ثمَّ يكثُرونَ في آخر الأمَّةِ.

قال -تعالى-: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وسُئِل رسولُ اللَّه ﷺ: أيُّ النَّاس خير؟ فقال: «**أنا، والذين معي، ثمَّ الذينَ على الأثرِ، ثمَّ الذين على الأثر**»، ثم كأنه رفَضَ من بقي[(١)].

فالصحابةُ كانوا أمناءَ شريعةِ الإسلام، وحَفَظَتَها، وناقليها لمن بعدَهم؛ لذلك عظَّم اللَّهُ أجورَهم، وأعجزَ مَنْ بعدَهم أنْ يدركَهم، قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تَسُبُّوا أحدًا مِنْ أَصْحَابِي؛ فإنَّ أحَدَكُم لو أَنْفَقَ مثلَ أُحدٍ ذهبًا؛ ما أَدركَ مُدَّ أحدِهِم ولا نَصِيفَه**»[(٢)].

بهذا يتبيَّن أنَّ الخيريَّةَ الممدوحةَ في الصحابةِ، وأهلِ القرونِ الأربعةِ المفضلةِ، ليست في أجسامِهم، أو صُوَرِهم، أو أموالِهم، أو زمانِهم، وإنما كانت في إيمانِهم، وأَمْرِهم بالمعروفِ ونهيِهم عن المنكرِ، وصدقِهم، واتِّباعِهم، وعلمِهم، وعملِهم، وفهمِهم، ومنهجِهم، وصلاحِ قلوبِهم، وتقواهُم، وجمعِهِم كلَّ خصالِ الخيرِ.

---

(١) حسن، أخرجه أحمد (٨٤٨٣) من حديث أبي هريرة ﷺ، وحسَّنه الإمام الألباني في «الصحيحة» تحت حديث رقم (١٨٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٦٢)، ومسلم (٢٥٤١).

قال -تعالى-: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]، وقال النبيُّ ﷺ: **«إنَّ اللَّهَ لا ينظرُ إلى صورِكُم وأموالِكُم، ولكنْ ينظرُ إلى قلوبِكُم وأعمالِكُم»**(١).

قال عبداللَّه بن مسعود رضي الله عنه: «إنَّ اللَّه نظرَ إلى قلوبِ العبادِ، فوجدَ قلبَ محمدٍ ﷺ خيرَ قلوبِ العباد؛ فاصطفاه لنفسه، فابْتَعَثَهُ برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد، فوجد قلوبَ أصحابِهِ خيرَ قلوبِ العبادِ؛ فجعلهُم وُزَرَاءَ نبيه، يقاتلون عن دينه؛ فما رآه المسلمون حسنًا فهو عند اللَّه حسن، وما رَأَوْهُ سيئًا فهو عند اللَّه سيئ»(٢).

وقال: «من كان مُستنًّا فليستنَّ بمن قد مات؛ فإنَّ الحيَّ لا تُؤمَنُ عليه الفتنةُ، أولئك أصحابُ محمد ﷺ، كانوا أفضلَ هذه الأمَّة، وأبرَّها قلوبًا، وأعمقَها علمًا، وأقلَّها تكلُّفًا، قومٌ اختارهُمُ اللَّهُ لصحبةِ نبيه، وإقامةِ دينه؛ فاعرِفوا لهم فضلَهم، واتَّبِعوهم في آثارهم، وتمسَّكوا بما استطعتم من أخلاقِهِم ودينِهِم؛ فإنَّهم كانُوا على الهدْيِ المستقيم»(٣).

وعن أبي جُحَيفة قال: قلتُ لعليٍّ: هل عندكم كتاب؟

قال: «لا؛ إلا كتابُ اللَّهِ، أو فهمٌ أُعْطِيَهُ رجلٌ مسلم، أو ما في هذه الصحيفة».

قلت: فما في هذه الصحيفة؟

قال: «العقلُ، وفكاكُ الأسيرِ، ولا يُقتلُ مسلمٌ بكافر»(٤).

قال ابن قيم الجوزيَّة: «فأخبر النبيُّ ﷺ أنَّ خيرَ القرونِ قرنُه مطلقًا، **وذلك يقتضي تقديمَهم في كلِّ بابٍ من أبوابِ الخيرِ**، وإلا لو كانوا خيرًا من بعضِ الوجوهِ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٦٤/ ٣٣).

(٢) حسن، أخرجه أحمد (٣١٨٧)، وحسَّنه الألباني في «الضعيفة» (٥٣٣)، وهو مخرَّج -أيضًا- في «سلسلة الآثار الصحيحة» (١) لأبي عبداللَّه الداني.

(٣) أخرجه بنحوه ابن عبدالبر في «جامع البيان» (٢/ ٩٧).

(٤) أخرجه البخاري (١١١)

فلا يكونوا خيرَ القرون مطلقًا.

فلو جاز أن يخطئَ الرجلُ منهم في حكم وسائرهم لم يُفْتُوا بالصواب؛ وإنما ظَفَرَ بالصوابِ من بعدهم؛ وأخطؤوا هم، لزم أن يكونَ ذلك القرنُ خيرًا منهم من ذلك الوجهِ؛ لأنَّ القرنَ المشتملَ على الصواب خيرٌ من القرنِ المشتملِ على الخَطَأِ في ذلك الفن.

ثم إنَّ هذا يتعدَّدُ في مسائل عديدةٍ؛ لأنَّ من يَقولُ: إن قول الصحابيِّ ليسَ بحجَّةٍ؛ يجوزُ عندَه أن يكون من بعدهم أصابَ في كل مسألة قال فيها الصحابيُّ قولًا، ولم يخالفْهُ صحابيٌّ آخر، وفاتَ هذا الصوابُ الصحابةَ، ومعلومٌ أنَّ هذا يأتي في مسائلَ كثيرةٍ، تفوقُ العدَّ والإحصاءَ، فكيف يكونونَ خيرًا مِمَّن بعدَهم؛ وقد امتازَ القرنُ الذي بعدَهُم بالصوابِ فيما يفوقُ العدَّ والإحصاءَ ممَّا أخطَؤُوا فيه.

ومعلومٌ أنَّ فضيلةَ العلمِ، ومعرفةَ الصوابِ أكملُ الفضائلِ وأشرفُها، فيا سبحانَ اللَّه! أيَّةُ وَصْمَةٍ أعظَمُ من أن يكونَ الصِّدِّيقُ أو الفاروقُ، أو عثمانُ، أو عليٌّ، أو ابنُ مسعود، أو سلمانُ الفارسي، أو عبادةُ بن الصامت، وأضرابُهم ﷺ، قد أخبَرَ عن حكمِ اللَّهِ أنَّه كَيْتَ وكَيْتَ في مسائلَ كثيرةٍ، وأخطأَ في ذلكَ، ولم يشتملْ قرنُهم على ناطقٍ بالصوابِ في تلكَ المسائلِ؛ حتى تبعَ من بعدَهم، فعرفوا حكمَ اللَّهِ الذي جَهِلَهُ أولئكَ السادةُ، وأصابُوا الحقَّ الذي أخطأَهُ أولئكَ الأئمَّةُ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم!»[1].

وكذلك خيرُ النَّاس بعد الصحابة -مِنْ أهل القرون الأربعة المفضلة- خَيْرِيَّتُهُم خيريَّةُ إيمان، وعملٍ صالح، وفهمٍ، ومنهجٍ، وفهمُهم وهديُهم ومنهجُهم الذي هو على أثرِ فهمِ وهديٍ ومنهجِ الصحابة ﷺ، وقبلَ ذلكَ كُلِّهِ على منهج النبيِّ ﷺ، حجةٌ على من بعدهم من هذه الأمَّة إلى آخرها.

* * *

(١) «إعلام الموقِّعين عن ربِّ العالمين» (٥/ ٥٧٤-٥٧٥).

الحديث السابع:

وُضُوحُ الإسلامِ والسُّنَّةِ

عن جابر بن عبدالله ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقيَّة**»(١).

وعن العرباض بن سارية ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني قد تركتكم على مثل البيضاء: ليلُها كنَهارِها، لا يزيغُ عنها بعدي إلا هالك**»(٢).

يخبرنا النبي ﷺ في هذا الحديث، أنه جاءنا بملَّته وسنته بيضاء نقيَّة، أي: واضحةٌ، جليَّةٌ لا لُبْس فيها، ولا غموض، ولا تَقبلُ الشُّبَهَ أصلًا فقال: «**والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقيَّة**»، و«**ليلها كنهارها**»، فهي من أجلِ ذلك لا تستلزمُ الخلافَ كما لا تقتضيه ولا تقبلُه؛ لذلك قال: «**لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**»، أي: لا يميلُ ويختلفُ في الدين، ويأخذُ طريقًا يخالفُ طريقَ الآخر بعدي إلا هالك خاسر.

فلقد بيَّن لنا النبي ﷺ مصدرَ التلقي، الذي إنْ تمسكنا به فلن نختلفَ، ولن نضلَّ أبدًا: الكتابَ والسنَّةَ، كما قال النبيُّ ﷺ: «**يا أيها النَّاس إنِّي قد تركتُ فيكم ما إن اعتصَمْتُم به؛ فلن تضلُّوا أبدًا: كتابَ اللَّه وسنَّتي**»(٣).

ونهى عن الأخذِ من غيرهما، فعن جابر بن عبدالله ﵄: «أنَّ عمرَ بنَ الخطابِ ﵁ أتى النبيَّ ﷺ بكتابٍ أصابَهُ من بعضِ أهلِ الكتابِ، فقرأهُ النبيُّ ﷺ، فغضبَ، فقال: «**أمتهوِّكون**(٤) **فيها يا ابنَ الخطاب؟ والذي نفسي بيده، لقد جئتكم بها نقيَّة**،

---

(١) حسن، أخرجه ابن أبي عاصم في «السنَّة» (٥٠)، وحسنه الإمام الألباني فيه.

(٢) صحيح، أخرجه ابن أبي عاصم في «السنَّة» (٤٩)، وصحَّحه الإمام الألباني فيه.

(٣) مضى تخريجه في الحديث الثاني (ص٣٠).

(٤) أَمُتَهَوِّكُون: أي متحيِّرون متردِّدون.

لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو بباطل فتصدقوا به، والذي نفسي بيده لو أنَّ موسى ﷺ كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتَّبعني»(١).

وبيَّن لنا بعد ذلك مصدرَ الفَهْم، أي: فهم الكتاب والسنَّة، وهو فهمُ الخلفاء الراشدين، والصحابةِ أجمعين، والتابعين، وأتباعِهم مِنْ أهلِ القرونِ الأربعة المفضلة الخيريَّة، وجعلَ فَهْمَهُم سببًا للنجاةِ من الاختلاف في الدنيا، والنار في الآخرة.

فقال النبيُّ ﷺ: «**وإنه من يَعِشْ منكم بعدي؛ فسيرى اختلافًا كثيرًا؛ فعليكم بسنَّتي، وسنَّة الخلفاء الراشدين، المهديِّين، عَضُّوا عليها بالنَّواجِذ**»(٢).

وقال: «**وتختلفُ أمَّتي على ثلاث وسبعينَ ملَّة، كلُّهم في النارِ إلا واحدةٌ**»، قالوا: ومن هي يا رسولَ اللَّه؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»(٣).

وقال: «**خير النَّاس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم . . .**»(٤)، وهذه الخيريَّةُ تامَّةٌ، مطلقةٌ في كلِّ شيءٍ، تقتضي تقديمَهُم، واتِّباعَهُم في كلِّ بابٍ من أَبْوابِ الدِّين.

فتوحيدُ مصدرِ التَّلقِّي، وتوحيدُ مصدرِ الفَهْم، يجعلُ الدِّين واضِحًا بيِّنًا لا لَبسَ فيه ولا غموض، ويكونُ سببًا للاتحادِ، والاجتماعِ، والائتلاف، والاعتصام، ودونَه يحصلُ الاختلافُ والافتراقُ فيه، والرغبةُ عَنْهُ.

* * *

---

(١) حسن، أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١٥١٥٦)، وحسَّنه الإمام الألباني في «الإرواء» (١٥٨٩).

(٢) صحيح، أخرجه أبو داود (٤٦٠٧)، وقد سبق تخريجه (ص٣٢).

(٣) حسن، أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، وقد سبق تخريجه (ص٤٤).

(٤) مضى تخريجه في الحديث السادس (ص٥٥).

الحديث الثَّامن:

مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتي فَلَيْسَ مِنِّي

عن أنسٍ رضي الله عنه قال: جاءَ ثلاثةُ رَهْطٍ إلى بيوتِ النبيِّ ﷺ يسألونَ عن عبادةِ النبيِّ ﷺ، فلمَّا أُخْبِروا؛ كأنَّهم تقالُّوها، فقالوا: وأين نحن من رسولِ اللَّه ﷺ وقد غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه، وما تأخَّر؟ قال أحدُهم: أمَّا أنا، فأصلِّي الليلَ أبدًا، وقال الآخرُ: وأنا أصومُ الدهرَ ولا أفطر، وقال الآخرُ: وأنا أعتزلُ النساءَ ولا أتزوجُ أبدًا.

فجاءَ رسولُ اللَّه ﷺ إليهم، فقال: «**أنتُم الذينَ قلتم كذا وكذا؟ أَمَا واللَّهِ إنِّي لأخشاكُم للَّه، وأتقاكُم له، ولكنِّي أصومُ وأفطر، وأُصلِّي وأَرْقُدُ، وأتزوَّجُ النِّساءَ، فَمَنْ رَغِبَ عن سنَّتي فليس منِّي**».

وفي رواية مسلم: «أنَّ نفرًا من أصحابِ النبيِّ ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النبيِّ ﷺ عن عَمَلِهِ في السِّر؟ فقال بعضُهم: لا أتزوَّجُ النِّساءَ، وقال بعضُهم: لا آكلُ اللَّحمَ، وقال بعضُهم: لا أنامُ على الفراشِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وأَثْنَى عليه، فقال: «**ما بالُ أقوامٍ قالوا كذا وكذا، لكنِّي أُصَلِّي وأنامُ، وأصومُ وَأُفطرُ، وأتزوَّجُ النِّساءَ؛ فمن رغبَ عن سنَّتي فليسَ منِّي**»[1].

يخبرنا أنس رضي الله عنه أنَّ ثلاثةَ رَهْطٍ من أصحابِ النبيِّ ﷺ، والرَّهْطُ: من ثلاثةٍ إلى تسعة، ولا مُفْردَ لها من جِنْسِهَا، سَأَلوا أزواجَ النبيِّ ﷺ عن عِبادةِ النبيِّ ﷺ، و«العبادةُ: هي اسمٌ جامعٌ لكلِّ ما يُحبُّه اللَّهُ ويرضاهُ من الأقوالِ، والأعمالِ الباطِنَةِ والظَّاهِرَةِ»[2]، وفي الروايةِ الأُخْرَى: سألوا أزواج النبيِّ ﷺ عن عمله في السر

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، وابن حبان في «صحيحه» (١٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٧٧).

(٢) «العبوديَّة» (ص١٩) لشيخ الإسلام ابن تيمية.

-أي: في بيته- بعيدًا عن مَرْأَى ومَسْمَعِ أصحابِهِ والعامَّةِ؛ لأنَّ أهلَ الرجلِ غالبًا يَطَّلعون على كلِّ ما يعمَلُهُ الرَّجلُ في بيتِهِ بالليلِ والنهارِ، فلمَّا أخبرُوهُم بها؛ رَأَوْا أنَّها قليلةٌ؛ فظنُّوا أنَّ رسولَ اللَّه ﷺ لا يتعبَّدُ كثيرًا؛ لأنَّه غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبِهِ وما تأخَّر، فلا يحتاجُ إلى الانقطاعِ للعبادةِ، وهم لا يعلمونَ لأنفسِهِم ما يعلمونَهُ للنبيِّ ﷺ من غفرانِ ما تقدَّم من ذنبِهِ وما تأخَّر، فظنُّوا أنَّهُم بحاجَةٍ للعبادةِ أكثرَ من النبيِّ ﷺ، وهذا غيرُ صحيحٍ؛ فإنَّ النبيَّ ﷺ كان يقومُ أكثرَ الليلِ، وإذا سُئِلَ عن ذلك كانَ يقول: **«أفلا أكونُ عبدًا شكورًا»**(١)، وكان أحيانًا أخرى يرقُدُ؛ لِيَتَقَوَّى بِهِ على القيام.

فقال أحدُهُم: إنَّهُ يصلِّي الليلَ أبدًا، وقال آخرُ: إنَّهُ يصومُ الدهرَ ولا يفطرُ، وقال آخرُ: إنَّهُ يعتزلُ النساءَ ولا يتزوَّجُ أبدًا، وآخرُ: لا يأكلُ اللَّحمَ، وآخرُ: لا ينامُ على فراشٍ.

فأُخْبِرَ النبيُّ ﷺ بذلك، فسأَلَهم عن قولِهم هذا؛ فأَقَرُّوا به، فَأَخَذَ النبيُّ ﷺ يُعلِّمُهُم، ويبيِّنُ لهم، فقال كما في رواية مسلم: **«ما بالُ أقوام قالوا كذا وكذا؟»**، وهذا من هَدْيِهِ وخُلُقِهِ العظيم ﷺ، لا يذكُرُهُم بأسمائِهِم، رِفْقًا بهم وسِتْرًا عليهم، فالمقصودُ القضيَّةَ لا الشخصُ بعينِهِ، فَأَخْبَرَهُم أنَّهُ أَخْشَاهُم للَّه، وأتقاهُم له، وأنَّ ما سَمِعُوا بِهِ من صِفَةِ عبادَتِهِ، إنَّما هو ممَّا سَنَّهُ اللَّهُ له؛ رحمةً بِهِم، فقالَ: **«أنتُم الذينَ قلتُم كذا وكذا؟ أَمَا واللَّهِ إنِّي لأخشاكُم للَّه، وأتقاكُم له، ولكنِّي أصومُ وأُفْطِرُ، وأصلِّي وأرقُدُ، وأتزوَّجُ النِّساءَ»**، فإنَّهُ يصومُ ويُفطرُ فيتقوَّى على الصيام، ويُصلِّي ويرقُدُ فيتقوَّى على الصَّلاة، ويتزوَّجُ النِّساءَ، فبالزَّواجِ تُكْسَرُ حِدَّةُ الشهوةِ، وتُحفَظُ وتستَمِرُّ الذُّريَّةُ.

وقوله: **«فمن رَغِبَ عن سنَّتي»** أي: من تَرَكَهَا وأعرضَ عنها، إلى غَيْرِها في هذه الأمورِ، وغيرِهَا مِمَّا هو معروفٌ مِنْ سنَّة النبيِّ ﷺ، فليسَ منِّي، أي: ليسَ على طريقَتي، وهَدْيِي، وسِيْرَتي، وينبغي هُنا التفريقُ بينَ المتأوِّلِ والمعتَقِدِ، فلا يلزمُ

(١) أخرجه البخاري (١١٣٠)، ومسلم (٢٨١٩ و ٢٨٢٠).

الخروجُ من الملَّةِ إلا للمعتقِدِ.

قال الحافظُ ابنُ حجرٍ في «فتح الباري» (٩/ ١٠٥): «المرادُ بالسنَّةِ: الطريقةُ، لا التي تقابلُ الفَرْضَ، والرَّغبةُ عن الشيءِ: الإعراضُ عنه إلى غيره، والمرادُ: مَنْ تَرَكَ طريقتي، وأَخَذَ بطريقةِ غَيْرِي؛ فليسَ منِّي»؛ لأنَّ مَنْ تَرَكَ سنَّة النبيِّ ﷺ وسبيلَهُ، واقِعٌ لا محالةَ في سُبُل الشيطانِ.

* * *

الحديث التَّاسع :

سُبُلُ الشيطان

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: خَطَّ لنا رسولُ اللَّهِ ﷺ خطًّا، ثُمَّ قال: «**هذا سبيلُ اللَّه**»، ثُمَّ خَطَّ خطوطًا عن يمينِهِ وعن شمالِهِ ثمَّ قالَ: «**هذه سُبُلٌ متفرِّقَةٌ، على كلِّ سبيلٍ منها شيطانٌ يدعو إليه**»، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣](١).

قال -تعالى-: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

ففي هذا الحديثِ يخبِرُنَا ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ أَخذَ يبيِّنُ ويفسِّرُ لهم، آيةً من كتابِ اللَّهِ وهي قولُهُ -تعالى-: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، ويحذِّرُهُم من اتباعِ سُبُلِ الشيطانِ والتفرُّقِ في الدِّين، فخطَّ لهم خطًّا مستقيمًا، وقال: هذا سبيلُ اللَّه، ثمَّ خطَّ خطوطًا عن يمينه وعن شماله، وقال: «**هذه سبلٌ متفرِّقةٌ على كلِّ سبيلٍ منها شيطانٌ يدعو إليه**» ثم قرأ قولَهُ -تعالى-: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

يتبيَّنُ لنا من هذا الحديثِ أنَّ سبيلَ اللَّهِ واحدٌ لا يتعدَّدُ، وأنَّ السُّبلَ المتفرِّقةَ ليست من سبيلِ اللَّه؛ بل هي من سُبلِ الشيطانِ، وأنَّ من اتَّبَعَ سبيلَ اللَّهِ؛ فقد نَجا من الافتراقِ في الدُّنيا، ومِنَ النَّارِ في الآخرةِ، وكان من المتَّقين.

---

(١) حسن، أخرجه أحمد (٤١٤٢)، والنَّسائي في «التفسير» (١١١٧٤)، وابن حِبَّان في «صحيحه» (١/ ١٨٠-١٨١)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣١٨)، وحسَّنه الإمام الألباني في «المشكاة» (١٦٦).

ومن اتَّبَعَ سُبُلَ الشيطانِ؛ فقد وَقَعَ في الاختلافِ في الدُّنيا، وفي النار يومَ القيامةِ؛ لأنَّهُ بذلك ليسَ من المتَّقين، قال النبيُّ ﷺ: **«وستفترقُ أمَّتي على ثلاثٍ وسبعينَ فِرقةً، كلُّها في النَّارِ إلا واحدةٌ»**، قالوا: مَنْ هي يا رسولَ اللَّه؟ قال: **«ما أنا عليه وأصحابي»**[١].

فبذلكَ يتبيَّنُ أن سبيلَ اللَّهِ هو التمسُّكُ بالكتابِ والسنَّة، بِفَهْمِ السَّلَفِ الصَّالحِ وعلى رَأْسِهِمُ الصحابةُ، وأمَّا سُبُلُ الشيطانِ، فَهِيَ ما يُحدِثُهُ النَّاس من سُبلٍ مغايرةٍ لسبيلِ اللَّهِ، بتزيينِ وإملاءِ الشيطانِ لَهُم، فللحفاظِ على سبيلِ اللَّهِ لا بدَّ مِنْ: سِيَاجِ الإِسلامِ.

* * *

(١) مَضَى تخريجُه في الحديث الخامس (ص٤٤).

الحديث العاشر:

سِيَاجُ الإِسْلامِ

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَنْ عَمِلَ عملًا ليسَ عليْهِ أمرُنا فَهُوَ رَدٌّ»**(١).

وفي روايةٍ: **«من أحدثَ في أمرنا هذا ما ليسَ منهُ فهو ردٌّ»**(٢).

بعد أنْ بيَّن النبيُّ ﷺ، وَوَحَّد مصدر التَّلقِّي، وهو الكتابُ والسنَّةُ، ووحَّدَ مصدرَ الفَهْمِ، وهو فهمُ السَّلفِ الصالحِ، وأصبحَ دينُهُ واضِحًا جَليًّا بيِّنًا؛ رَفَضَ بعد ذلك كلَّ عَمَلٍ لا يُؤْخَذُ مِنْ هذا المصدرِ، ولا يُبنَى على هذا الفهم، وَرَدَّ كلَّ إحداثٍ في الدِّينِ بعدَ هذه الأصولِ ولم يقبلْهُ البتَّةَ.

فقوله: **«مَنْ عَمِلَ عَمَلًا»** أي: من أعمالِ الدِّين مما يُتَقَرَّبُ به إلى اللَّهِ ﷻ، وقوله: **«ليسَ عليهِ أمرُنا»** أي: ليس من دينِنَا وسُنَّتِنَا، وقوله: **«فهو»** أي: عملُهُ، **«ردٌّ»** أي: مردودٌ عليهِ لا يُقْبَلُ منهُ، ولا يُعْمَلُ بِهِ، ولا يُعْتَدُّ به.

وفي الرواية الثَّانية: **«من أَحْدَثَ»** أي: ابتدَعَ، وقوله: **«في أمرِنَا هذا»** أي: الإسلام، وقوله: **«ما ليس منه»** أي: أمرًا جديدًا عليه يخالِفُهُ، وقوله: **«فهو»** أي: الأمرُ المحدَثُ المبتَدَعُ، وقوله: **«رد»** أي: مردودٌ على صاحِبِهِ.

قال الحافظُ ابنُ رجبٍ الحنبليُّ: **«وهذا الحديثُ أصلٌ عظيمٌ من أُصولِ الإسلامِ، وهذا كالميزانِ للأعمالِ في ظاهِرِهَا، كما أنَّ حديثَ «الأعمالِ بالنيَّاتِ» ميزانٌ للأعمالِ في باطِنِهَا**، فكما أنَّ كلَّ عملٍ لا يرادُ بِهِ وجهُ اللَّهِ -تعالى-؛ فليس لعامِلِهِ فيه ثوابٌ،

---

(١) أخرجه مسلم (١٧١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨)، وأبو داود (٤٦٠٦)، وابن ماجه (١٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٦).

فكذلك كلُّ عملٍ لا يكونُ عليه أمرُ اللَّه ورسوله؛ فهو مردودٌ على عامِلِهِ، وكلُّ مَنْ أَحْدَثَ في الدِّينِ ما لم يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ورسولُهُ؛ فليسَ مِنَ الدِّينِ في شَيْءٍ»[١].

وذلك أنَّ اللَّهَ أتمَّ دينَهُ، وأكملَ شريعَتَهُ، قال -تعالى-: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فكلُّ ما أُحْدِثَ في دينِ اللَّهِ بعدَ نُزُولِ هذهِ الآيةِ، فهوَ مِنَ البدعِ الضَّلالاتِ، فإنَّه لا حلال إلا ما أحلَّه اللَّه، ولا حرام إلا ما حرَّمه اللَّه، ولا شرع إلا ما شرعَهُ اللَّهُ؛ وَبَيَّنَهُ على لسانِ رسولِهِ محمدٍ ﷺ، وَفَهِمَهُ أصحابهُ وطبَّقُوهُ.

ولذلك قال عبداللَّه بن مسعود: «اتَّبِعُوا ولا تبتدعُوا فقد كُفيتُم، وكلُّ بدعةٍ ضلالة»[٢]، وذلك أنَّ الابتداعَ في الدِّين ردٌّ للقرآن الكريم، كما بَيَّنَ ذلك الإمام الشوكاني في «القول المفيد» (ص٣٨) في مناقشة بعض المبتدعة في شيء من آرائهم المحدثة:

قال: «فإذا كانَ اللَّهُ قد أكملَ دينَهُ قبلَ أن يقبضَ نبيَّه ﷺ، فما هذا الرأيُ الذي أحدثَه أهلُه بعدَ أنْ أكملَ اللَّهُ دينَه؟!

إن كانَ من الدِّين في اعتقادِهِم؛ فهو لم يكملْ عندهم إلا برأيِهِم! وهذا فيه ردٌّ للقرآن!

وإن لم يكن من الدِّين؛ فأيَّةُ فائدةٍ في الاشتغالِ بما ليسَ من الدِّين؟! وهذه حجَّةٌ قاهرةٌ، ودليلٌ عظيمٌ لا يمكنُ لصاحبِ الرأيِ أن يدفَعَه بدافعٍ أبدًا، فاجعلْ هذه الآيةَ الشَّريفةَ أوَّلَ ما تَصُكُّ به وجوهَ أهلِ الرأيِ، وتُرغِمُ به آنافَهُم، وتدحضُ به حُجَجَهُم».

إذْ «كلُّ ما أُحدِثَ بعد نزولِ هذه الآية؛ فهو فَضْلَةٌ، وزيادةٌ، وبِدْعةٌ»[٣].

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص١٧٦).
(٢) رواه أبو خيثمة في «العلم» (رقم ٥٤).
(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ٥٠٩).

وفيه -أيضًا- أنَّ الإحداثَ في الدِّين استدراكٌ على الشريعةِ، واتهامٌ للنبيِّ ﷺ بأنَّه لم يبلِّغْ رسالةَ ربِّه.

قال الإمام الشَّاطبيُّ في كتابه «الاعتصام» (١/ ٦٢) مُبيِّنًا كمالَ الدِّينِ وحالَ المبتدعَةِ: «فإذا كانَ كذلك، فالمبتدعُ إنَّما محصولُ قولِهِ بلسانِ حالِهِ أو مقالِهِ: إنَّ الشريعة لم تتم، وإنه بقي منها أشياءُ يجب استدراكُها؛ لأنَّه لو كانَ معتقدًا لكمالها، وتمامها من كل وجه، لم يبتدع، ولا استدرك عليها، وقائلُ هذا ضال عن الصِّراطِ المستقيم.

قال ابنُ الماجِشُون: سمعتُ مالكًا يقولُ: «من ابتدعَ في الإسلامِ بدعةً يراها حَسَنَةً، فقد زَعَمَ أنَّ محمدًا ﷺ خانَ الرِّسالةَ؛ لأنَّ اللَّهَ -تعالى- يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فما لم يكُن يومَئِذٍ دينًا فلا يكونُ اليومَ دينًا». اهـ

معنى البدعة:

البدعةُ لغةً: الشيءُ المختَرعُ على غيرِ مثالٍ سابقٍ.

قال الإمام الطرطوشيُّ في «الحوادثِ والبدع» (ص ٤٠)[١]: «أصلُ هذهِ الكلمةِ من الاختراعِ، وهو الشيءُ يحدثُ مِنْ غَيْرِ أصلٍ سبق، ولا مثالٍ احتُذِيَ، ولا أُلِفَ مثلُه.

ومنه قوله -تعالى-: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:١١٧]، وقوله: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٩] أي: لم أكن أوَّلَ رسولٍ إلى أهلِ الأرضِ.

وهذا الاسمُ[٢] يدخلُ فيما تخترعُهُ القلوبُ، وفيما تنطقُ به الألسنةُ، وفيما تفعلُهُ الجوارحُ».

والبدعةُ شرعًا لها تعاريفُ كثيرةٌ منها:

ما قالَهُ الفيروزآبادي في «بصائر ذوي التمييز» (٢/ ٢٣١): «والبدعة: الحَدَثُ

---

(١) بتحقيق شيخنا علي الحلبي -حفظه اللَّه-.

(٢) يعني: البدعة.

في الدِّين بعد الإكمال، وقيل: ما استُحْدِثَ بعده ﷺ من الأقوال والأعمال، والجمعُ: بِدَعٌ، وقيل: البدعةُ: إيرادُ قولٍ، أو فعلٍ لم يَسْتَنَّ قائلها، أو فاعلُها فيه بصاحِبِ الشَّريعةِ، وأمثالِهَا المتقدمةِ وأصولِها المقنَّنة».

وأجمعُ وأحسنُ تعريفٍ للبدعَةِ في الاصطلاحِ الشَّرعيِّ، ما اختارهُ الإمامُ الشاطبيُّ في كتابِهِ «الاعتصام» (١/ ٤٣)، حيث قال: «فالبدعةُ إذن عبارةٌ عن طريقةٍ في الدِّين مخترعةٍ، تضاهي الشرعية، يُقْصَدُ بالسلوك عليها المبالغةُ في التعبُّد للَّه -سبحانه-». اهـ

ثمَّ شَرَعَ رَحِمَهُ اللَّهُ في شرح هذا التعريفِ مطولًا، ولخَّصَ كلامَهُ شيخُنا عليٌّ الحلبيُّ -حفظه اللَّه- في كتابه: «أصول البدع» (ص٢٤-٢٥) قائلًا: «طريقةٌ في الدِّين»: الطريقةُ، والطريقُ، والسبيلُ، والسَّننُ: هي بمعنًى واحدٍ، وهو ما رُسِمَ للسلوكِ عليه.

وإنَّما قُيِّدت بالدين؛ لأنَّها فيه تُخْتَرَعُ، وإليه يضيفُها صاحِبُها «مخترعةً»، ولما كانت الطرائقُ في الدِّين تنقسمُ فمنها ما له أصلٌ في الشريعةِ، ومنها ما ليسَ لهُ أصلٌ فيها، خُصَّ منها ما هو المقصودُ بالحدِّ[1]، وهو القسمُ المخترعُ.

أي: طريقةٌ ابتُدِعَتْ على غيرِ مثالٍ تَقَدَّمَهَا من الشارع؛ إذِ البدعةُ إنَّما خاصَّتها أنها خارجةٌ عمَّا رَسَمَهُ الشَّارعُ.

«تضاهي الشرعيةَ» يعني: أنَّها تُشابِهُ الطريقةَ الشَّرعيَّةَ، من غيرِ أنْ تكونَ في الحقيقةِ كذلك، بل هي مُضادَّةٌ لها من أوجُهٍ متعدِّدَةٍ؛ منها: التزامُ كيفيَّاتٍ، وهيئاتٍ معيَّنَةٍ، دون إذنٍ مِنَ الشَّارعِ بذلك، ومنها: التزامُ عباداتٍ معيَّنةٍ، لم يُوجدْ لها ذلكَ التعيينُ في الشَّريعةِ.

«يُقصدُ بالسلوكِ عليها: المبالغةُ في التَّعَبُّدِ للَّه -تعالى-»: هو تمامُ معنى

(١) أي: التعريف.

البدعةِ، إذ هو المقصودُ بتشريعها .

وذلك أنَّ أصلَ الدخولِ فيها ، يَحُثُّ على الانقطاع إلى العبادةِ والترغيبِ في ذلكَ؛ لأنَّ اللَّهَ -تعالى- يقولُ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] .

فكأن المبتدعَ رأى أنَّ المقصودَ هذا المعنى ، ولم يتبيَّنْ لهُ أنَّ ما وَصَفَهُ الشارعُ فيه من القوانينِ والحدودِ كافٍ ، فَبَالَغَ وزاد وكرَّرَ وأَعَادَ» .

أنواعُ البِدَعِ :

اعلَم أنَّ للبدعِ ثلاثةَ أنواعٍ ، وهي :

١- البدعةُ الحقيقيَّةُ .

٢- البدعةُ الإضافيَّةُ .

٣- البدعةُ التَّرْكِيَّةُ .

قال العلامةُ الشاطبيُّ في «الاعتصامِ» (٢/ ١٢٧)، مُبَيِّنًا هذه الأنواعَ : «إنَّ البدعةَ الحقيقيَّةَ هي التي لم يدلَّ عليهَا دليلٌ شرعيٌّ ؛ لا من كتابٍ ، ولا سنَّةٍ ، ولا إجماعٍ ، ولا استِدْلالٍ مُعتبَرٍ عِنْدَ أهلِ العِلْمِ ؛ لا في الجملةِ ، ولا في التفصيلِ ، ولذلك سُمِّيَتْ بدعةً ؛ لأنَّها شيءٌ مخترعٌ على غَيْرِ مثالٍ سابقٍ ، وإنْ كان المبتدعُ يَأْبى أن يُنْسَبَ إليه الخروجُ عن الشرعِ ، إذ هو مُدَّعٍ أنَّهُ داخلٌ بما استُنْبِطَ تحت مقتضى الأدلة! لكنَّ تلك الدعوى غيرُ صحيحة ، لا في نفسِ الأمرِ ، ولا بِحَسَبِ الظاهرِ : أمَّا بِحَسَب نفس الأمرِ فبالعَرَض[1] ، وأمَّا بِحَسَب الظاهر ، فإنَّ أدلَّتَهُ شُبَهٌ ، ليست بأدلَّةٍ إنِ استدلَّ ، وإلا فالأمرُ واضحٌ .

وأمَّا البدعةُ الإضافيَّةُ ؛ فهي التي لها شائبتان :

إحداهما : لها من الأدلة متعلِّقٌ ، فلا تكونُ من تلكَ الجهةِ بدعة .

---

(١) أي : بعرضها على الأدلة ، وليس لها أدلة!

والأخرى: ليسَ لها متعلَّقٌ؛ إلا مثلُ ما للبدعةِ الحقيقيةِ(١).

فلمَّا كان العملُ الذي له شائبتان لم يتخلَّص لأحدِ الطَّرَفَيْن؛ وَضَعْنا له هذه التَّسمِيةَ، وهي البدعةُ الإضافيَّةُ؛ أي: أنها بالنسبةِ إلى إحدى الجهَتَيْنِ سُنَّةٌ؛ لأنَّها مستندةٌ إلى دليلٍ(٢)، وبالنسبةِ إلى الجهةِ الأخرى بدعةٌ؛ لأنَّها مستندةٌ إلى شبهةٍ، لا إلى دليلٍ، أو غيرُ مستندةٍ إلى شيءٍ.

والفرقُ من جهةِ المعنى: أنَّ الدليلَ عليها من جهةِ الأصلِ قائمٌ، ومن جهةِ الكيفيَّاتِ، أو الأحوالِ، أو التفاصيلِ، لم يَقُم عليها، مع أنها محتاجةٌ إليه؛ لأنَّ الغالِبَ وقوعُها في التعبدات، لا في العاديَّات المحضة».

وعليه؛ «فإنَّ البدعةَ الحقيقيَّةَ أعظمُ وِزْرًا؛ لأنَّها التي باشَرَها المنتهي(٣) بغير واسطة؛ ولأنَّها مخالَفَةٌ محضةٌ، وخروجٌ عن السُّنَّةِ ظاهرٌ، كالقولِ بالقَدَرِ، والتحسينِ، والتقبيحِ، والقولِ بإنكارِ خبرِ الواحدِ(٤)، وإنكارِ الإجماعِ، وإنكارِ تحريمِ الخمرِ، والقولِ بالإمامِ المعصومِ، وما أَشْبَهَ ذلك.

فإذا فرضت إضافيَّة؛ فمعنى الإضافيَّة: أنَّها مشروعةٌ مِنْ وَجْهٍ، ورأيٍ مجرَّدٍ من وَجْه، إذ يدخُلُها من جهة المخْتَرِع، رأيٌ في بعض أحوالها، فلم تُنافِ الأدلَّةَ من كلِّ وَجْه»(٥).

قال الشيخُ محمد أحمد العدويُّ في «أصولِ البدعِ والسُّنَن» (ص٣٠-٣٣): «وهذا القسمُ وهو البدعةُ الإضافيَّةُ، هو مَثَارُ الخلافِ بين المتكلِّمينَ في السُّنَنِ والبِدعِ، وَلَهُ أمثِلَةٌ كثيرةٌ:

---

(١) أي: أنها شُبَهٌ وليست أدِلَّة.

(٢) لكنَّه عامٌّ.

(٣) أي: المواقع لها.

(٤) وهذا القول ورثَهُ حِزب التحرير عن أسلافهم المعتزلة والجهميَّة، ولا يقِلُّ كلامُهُم عنه عن كلامِهِم في الخلافة.

(٥) «الاعتصام» (١/ ٢٨٧-٢٨٨).

١- صلاةُ الرَّغائبِ[١]، وهي اثنتا عشرةَ ركعةً من ليلةِ الجمعةِ الأولى من رَجَب، بكيفيَّةٍ مخصوصةٍ، وقد قال العلماءُ[٢]: إنَّها بدعةٌ منكرةٌ قبيحةٌ، وكذا صلاةُ شعبانَ.

ووجهُ كونِهَا بدعةً إضافيَّةً: أنَّها مشروعةٌ باعتبارٍ، غيرُ مشروعةٍ باعتبارٍ آخر، فأنتَ إذا نظرتَ إلى أصلِ الصلاة؛ تَجِدْهَا مشروعةً؛ لحديثٍ رواهُ الطبرانيُّ في «الأوسط»: «**الصلاةُ خيرُ موضوعٍ**»[٣]، وإذا نظرتَ إلى ما عَرَضَ لها من التزامِ الوقتِ المخصوصِ، والكيفيَّةِ المخصوصةِ؛ تجدْها بدعةً، فهي مشروعةٌ باعتبارِ ذاتها، مبتدعةٌ باعتبارِ ما عَرَضَ لها.

وقد قال النَّووي[٤]: «صلاةُ رجب وشعبانَ بدعتانِ قبيحتانِ مذمومتانِ».

وقال في «شرح الإحياء»[٥]: «بدعتانِ موضوعتانِ منكرتانِ قبيحتانِ، ولا تغترَّ بذكرِهِمَا في «كتاب القوتِ»[٦] و «الإحياءِ»[٧] وليسَ لأحدٍ أن يستدلَّ على شرعِيَّتِهِما بقولِهِ ﷺ: «**الصلاةُ خيرُ موضوعٍ**»، **فإنَّ ذلكَ يختصُّ بصلاةٍ لا تخالفُ الشرعَ بوجهٍ من الوجوهِ، وقد صَحَّ النهيُ عن الصلاةِ في الأوقات المكروهة**». اهـ

فأنتَ ترى أنَّ العلماءَ قد ذمُّوا صلاةَ الرغائبِ، مع دخولِهَا في عمومِ أوامرِ الصلاةِ؛ لأنَّها وإنْ شُرِعَتْ باعتبارِ أَصْلِها؛ فهيَ غيرُ مشروعةٍ باعتبارِ ما عَرَضَ لها مِنَ التزامِ الوقتِ المخصوصِ، والكيفيَّةِ المخصوصةِ.

٢- الصلاةُ والسلامُ «**من المؤذنِ**» عقبَ الأذانِ مع رفعِ الصوتِ بهمَا،

---

(١) انظر «تبيين العجب» (ص٤٧-٥١) للحافظ ابن حجر.

(٢) انظر «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢/ ٢)، و «المدخل» (١/ ٢٩٣)، و«الباعث» (ص٣٩)، وغيرها.

(٣) حسن لغيره، رواه الطبراني في «الأوسط» (٢٤٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وحسَّنه الإمام الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٩٠).

(٤) انظر فتاويه (ص٢٦).

(٥) «إتحاف السادة المتقين» (٣/ ٤٢٤).

(٦) «قوت القلوب» (١/ ٦٢) لأبي طالب المكِّي.

(٧) «إحياء علوم الدين» (١/ ٢٣٧).

وجَعْلِهِمَا بمنزلَةِ ألفاظِ الأذانِ؛ فإنَّ الصلاةَ والسلامَ مشروعانِ باعتبارِ ذاتهما، ولكنَّهما بدعةٌ باعتبارِ ما عَرَضَ لهما من الجهر، وجعلهما بمنزلة ألفاظ الأذان.

وقد أشار إلى ذلك ابنُ حجر الهيتميُّ، حيثُ سُئِلَ[1] عن الصلاةِ والسلامِ عقبَ الأذانِ بالكيفيَّةِ المعروفةِ؟ فقال: «الأصلُ سنَّةٌ، والكيفيَّةُ بدعةٌ».

ومعناه: أنَّه بدعةٌ إضافيَّةٌ، فهو باعتبارِ ذاته مشروعٌ، وباعتبارِ كيفيَّتِهِ غيرُ مشروعٍ، فهو كصلاةِ الرغائبِ.

٣- التأذينُ للعيدين أو الكسوفين، فإنَّ الأذانَ مِنْ حيثُ هو قربةٌ، وباعتبار كونِهِ للعيدَيْن، أو الكسوفَيْن بدعةٌ.

٤- الاستغفارُ عقبَ الصلاةِ على هَيْئَةِ الاجتماعِ وَرَفْعِ الصَّوْتِ؛ فإنَّ الاستغفارَ في ذاتِهِ سُنَّةٌ، وباعتبار هيْئَتِهِ من رَفْعِ الصَّوْتِ واجتماعِ المستغفرينَ بدعةٌ.

٥- الأذانُ يومَ الجمعةِ داخلَ المسجدِ، فإنَّ الأذانَ في ذاتِهِ مشروعٌ وبالنظرِ إلى مكانِهِ مبتدعٌ.

٦- تخصيصُ يومٍ لم يَخُصَّه الشارعُ بِصَوْم، أو ليلةٍ لم يخصَّها الشارعُ بِقيام، فالصومُ في ذاته مشروعٌ، وتخصيصُهُ بيومٍ مخصوصٍ لم يخصَّه الشارعُ به بدعةٌ، وقيامُ الليلِ في ذاتِهِ مشروعٌ وتخصيصُهُ بليلةٍ لم يخصَّها الشارعُ بِهِ بدعةٌ.

٧- رفعُ الصَّوتِ بالذِّكرِ والقرآنِ أمامَ الجنازة، فإنَّ الذكرَ باعتبارِ ذاتِهِ مشروعٌ، وكذا القرآنُ باعتبارِ ذاتِهِ مشروعٌ، وباعتبارِ ما عَرَضَ له من رفعِ الصَّوْتِ غيرُ مشروعٍ، وكذا وضعُهُ في ذلك الموضعِ غيرُ مشروعٍ، فهو مبتدعٌ من جهتَيْن: من جِهَةِ موضِعِهِ، ومن جِهَةِ كيفيَّتِهِ.

إلى غير ذلك من كلِّ عملٍ له شائبتان، بحيثُ يكونُ مشروعًا باعتبارٍ، غيرَ

(١) «الفتاوى الفقهيَّة الكبرى» (١/ ١٣١).

مشروعٍ باعتبارٍ آخر، ومن ذلك تعلم أنَّ من ينكرُ البدعَ المذكورةَ؛ إنَّما ينكِرُهَا بالاعتبارِ الثَّاني، وهو جهةُ الابتداعِ.

فما تَسْمَعُهُ من بعضِ النَّاس من أنَّ فلانًا ينكرُ الذِّكْرَ، أو الدعاءَ، أو الصَّلاةَ على النبيِّ ﷺ، أو قراءة القرآن[1]، هو كلامٌ نَشَأَ عن جهلٍ بالدِّينِ، وجهلٍ بما يعنيه المنكرُ، أو هو كلامٌ يرادُ منه التشهيرُ بصاحبِ القولِ؛ فهو إما جهلٌ أو تجاهلٌ نعوذُ باللَّهِ منهما.

وقد أخبرني بعضُ أصدقائي أنَّ بعضَ المشايخِ كان إذا أرادَ التنكيلَ بصاحِبِهِ الذي يعلِّمُ النَّاس الدِّينَ؛ دعا عوامَّ النَّاس وقال لهم: ماذا تقولونَ في الصَّلاة على النبيِّ ﷺ؟ فيقولون: هي من الدِّينِ، فيقول: إنَّ فلانًا ينكرُها! وماذا تقولونَ في الاستغفارِ وقراءةِ القرآنِ؟ فيقولون: إنَّ الاستغفارَ عبادةٌ، وكذا قراءةُ القرآنِ، فيقولُ لهم: إنَّ فلانًا ينكرُها! فوقع ذلك من صديقي موقعَ الإعجابِ، وقال له: كيفَ ذلك وأنتَ تعلمُ ما يقولُ؟! فقالَ له: إنِّي لا أريدُ إلا تنفيرَ العامَّةِ منهُ، حتى لا يَسْمَعُوا له نصيحةً أُخرى!!

فانظُرُوا يا قومِ كيفَ يكونُ هذا؟ وكيف يُحارَبُ مَنْ يدعونَ النَّاس إلى سنَّةِ الرسولِ ﷺ بأساليبَ شيطانيَّةٍ؟!

هذا وإنَّ صاحبَ البدعةِ الإضافيَّةِ يتقربُ إلى اللَّهِ -تعالى- بمشروعٍ وغير مشروعٍ، كما علمتَ من الأمثلة الماضية، والتقرُّبُ يجبُ أن يكونَ بمَحْضِ

---

(١) ومن أقوى الرُّدود على هؤلاء لو كانوا يعقلون: ما أجاب به سعيد بن المسيِّب رضي الله عنه رجلًا رآه يصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين، يُكثر فيهما الركوع والسجود، فنهاه، فقال: يا أبا محمد! يعذبني اللَّه على الصلاة؟! قال: «لا، ولكن يعذِّبك على خلاف السُّنَّة»، رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٤٦٦)، والدارمي (٤٥٠) بسند صحيح.

ذكر الإمام الالباني رحمه الله هذا الأثر في «إرواء الغليل» (٢/ ٢٣٦)، ثمَّ قال: «وهذا من بدائع أجوبة سعيد بن المسيِّب -رحمه اللَّه تعالى-، وهو سلاحٌ قويٌّ على المبتدعةِ الذين يستحسنون كثيرًا من البدع باسم أنها ذِكرٌ وصلاةٌ!! ثمَّ يُنكرونَ على أهل السنَّة إنكار ذلك عليهم، ويتهمونهم بأنهم ينكرون الذكر والصلاة!! وهم في الحقيقة إنَّما ينكرون خلافهم للسنَّة في الذكر والصلاة ونحو ذلك».

المشروعِ، فكما يجبُ أن يكونَ العملُ مشروعًا باعتبارِ ذاتِهِ؛ يجبُ أن يكونَ مشروعًا باعتبار كيفيَّتِهِ، كما يفيدُه حديث: «**مَنْ عَمِلَ عملًا ليسَ عليهِ أمرُنا فهو رَدٌّ**»، رواه مسلم.

فالمبتدعُ بدعةً إضافيَّةً قد خلطَ عملًا صالحًا وآخرَ سيئًا، وهو يرى أنَّ الكلَّ صالحٌ». اهـ

وأمَّا البدعةُ الترْكِيَّةُ: فَـ«من المقررِ عند ذوي التحقيقِ مِنْ أهلِ العلمِ: أنَّ كلَّ عبادةٍ مزعومةٍ لم يَشْرَعْهَا لنا رسولُ اللَّهِ ﷺ بقولِهِ، ولم يتقرَّبْ هو بِهَا إلى اللَّهِ بِفِعْلِهِ؛ فهي مخالِفَةٌ لسنَّتِهِ؛ لأنَّ السنَّةَ على قسمَيْنِ: سنةٌ فعليَّةٌ، وسنَّةٌ تَرْكيَّةٌ.

فما تركه ﷺ من تلكَ العباداتِ، فمن السنَّةِ تركُها، ألا ترى مثلًا: أنَّ الأذان للعيدَيْنِ ولدَفْنِ الميتِ، مع كونِهِ ذِكرًا وتعظيمًا للَّه ﷻ لم يَجُزِ التقرُّبُ بِهِ إلى اللَّهِ ﷻ، وما ذاكَ إلا لِكَوْنِهِ سنَّةً تَرَكَهَا رسولُ اللَّه ﷺ.

وقد فَهِمَ هذا المعنى أصحابُهُ ﷺ فَكَثُرَ عنهم التَّحْذيرُ من البدع تحذيرًا عامًّا، كما هو مذكورٌ في موضعه»[(١)].

إن من أدلة البدعة التَّرَكِية حديثَ الثلاثةِ نفرِ الذينَ جاؤُوا إلى بيوتِ أزواجِ النبيِّ ﷺ يسألونَ عن عبادةِ النبيِّ ﷺ، فلمَّا أُخبِرُوا بها كأنَّهم تَقَالُّوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ؟ وقد غَفَرَ اللَّهُ لهُ ما تقدَّم من ذنبِهِ وما تأخَّر! قال أحدُهم: أمَّا أنا، فأنا أُصلي الليلَ أبدًا، وقال آخرُ: أنا أصومُ الدهرَ ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزلُ النساءَ فلا أتزوَّجُ أبدًا، فجاءَ رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال: «**أنتمُ الذينَ قلتُم كذا وكذا؟ أما واللَّهِ إني لأخشاكُم للَّهِ، وأتقاكُم له، لكنِّي أصومُ وأفطر، وأصلِّي وأرقد، وأتزوَّجُ النِّساءَ، فمن رَغِبَ عن سُنَّتِي فليسَ منِّي**»[(٢)].

فقد قام هؤلاء النَّفر الثلاثة بعبادة مشروعة في الأصل، لكنها متروكة وغير

---

(١) «حجة النبي ﷺ» للإمام الألباني (ص١٠٠-١٠١).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، ومسلم (١٤٠١)، ومضى تخريجه في الحديث الثامن (ص٦٢).

مشروعة في هذه الكيفية والصِّفة؛ لذلك رَدَّ النبي ﷺ أفعالهم، وأنكرها أشد الإنكار.

قال الحافظُ ابنُ رجبٍ رَحِمَهُ اللَّهُ في «فضلِ علمِ السَّلَفِ» (ص٣١): «فَأَمَّا ما اتفقَ السَّلفُ على تركِهِ[١]، فلا يجوزُ العملُ به؛ لأنَّهم ما تركوهُ إلا على علم أنه لا يُعْمَلُ به»، ومن أمثلَةِ ذلكَ: «تركُهُ ﷺ التلفُّظَ بالنيَّةِ عندَ دخولِ الصَّلاةِ، وتركُ الدعاء بعد الصلاةِ على هَيْئَةِ الاجتماع»[٢].

«والأذانُ لصلاةِ العيد:

فالأذانُ مشروعٌ في أصلِهِ؛ لكن لم يَفْعَلْهُ رسولُ اللَّه ﷺ ولا أصحابُهُ وتركُوهُ، فتركُهُم لَهُ سنَّة يجبُ اتباعُهُم فيها، وكذا الأذانُ للاستسقاءِ، والجنازةِ ونحوِهِمَا.

فمن فَعَلَ من التَّعبُّدياتِ والقرباتِ ما تركُوه؛ فقد واقَعَ البدعةَ، وتلبَّسَ بِهَا»[٣].

فالحاصلُ أنَّنا مأمورونَ بمتابَعَةِ النبيِّ ﷺ في العباداتِ، والتأسِّي بِهِ في سنَّتِهِ على كلِّ أحوالها -فِعْلًا وتَرْكًا-.

والعبادةُ حتى تكونَ صحيحةً، وتُقبَل عندَ اللَّهِ ﷻ لا بدَّ لَهَا من شرطَيْن أساسيَّيْنِ:

أحدُهُما: الإخلاصُ للَّه ﷻ.

والثاني: المتابعةُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ.

ذكرَ هذينِ الأصلينِ الشيخُ محمد بنُ صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ في «مجموع فتاواه»

---

(١) وللعلامة الشنقيطي رَحِمَهُ اللَّهُ مبحثٌ مُهِمٌّ في أنَّ التَّرك فعل في «أضواء البيان» (٦/ ٣١٧-٣٢٠)، وهذا يؤكد أنَّ التَّرك سنَّة، بل وصدرت رسالة مستقلة في كون التَّرك عمل وسنة للشيخ محمد بن محمود بن مصطفى الإسكندري وهي: «تنبيه النبيل إلى أن الترك دليل - بحث يثبت أن ترك النبي ﷺ لعبادة ما يدل على بدعيَّتِها-» فانظره.

(٢) نقلًا عن «أصول في البدع والسنن» (ص٧٥).

(٣) «علم أصول البدع» (ص١١٠) لشيخنا علي الحلبي -حفظه اللَّه-.

(٧/ ٣٣٢-٣٣٧)، ثمَّ ذكرَ الأدلَّةَ من الكتابِ والسنَّةِ على وجوبِ متابعةِ الرسولِ ﷺ، والأمورِ التي لا بدَّ أنْ تتحقَّقَ في العبادةِ حتى تكونَ موافقةً لسنَّةِ النبيِّ ﷺ، قال: «قال اللَّهُ ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥]، فإنَّ حنفاءَ بمعنى: غيرُ مائِلين يمينًا ولا شمالًا، هذا هو المتابع، ولهذا نجدُ الرسولَ ﷺ يقولُ للنَّاسِ: «**صَلُّوا كما رأيتُموني أُصلِّي**»[١]، وقالَ مِنَ المناسِكِ: «**لِتَأخُذُوا عنِّي مناسِكَكُم**»[٢]، وتوضأَ وقال: «**مَنْ توضَّأَ نحوَ وضُوئِي هذا، ثمَّ صلَّى ركعتَيْن، ثمَّ لم يُحَدِّثْ فِيهِما نَفْسَه؛ غَفَرَ اللَّهُ لهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[٣].

ولكن بماذا تَتَحقَّقُ متابعةُ الرسولِ ﷺ؟

أقول: لا تَتَحقَّقُ المتابعةُ حتى تكونَ العبادةُ موافقةً لِمَا جاءَ بِهِ الرسولُ -عليه الصلاة والسلام- في أمور ستة: في سَبَبِها، وجِنْسِهَا، وقدرها، وصِفَتِها، وزمانها، ومكانها.

أولًا: سببُها: لا بدَّ أن تكون موافقةً للشرع في سببها، فمَنْ تَعبَّد للَّه بعبادةٍ وقَرَنَهَا بسببٍ لم يجعلْهُ اللَّهُ سببًا، فإنَّها لا تُقْبَل منه، مثالُ ذلك: لو أنَّ الإنسانَ أحدثَ عبادةً مقرونةً بسبب، لكنَّ الرَّسولَ -عليه الصَّلاة والسلام- لم يجعَلْهُ سببًا، بل لكنَّها ليستْ بسببٍ لا في الكتاب ولا في السنَّة، فإنَّها لا تُقبَلُ منه لو كانت هي خيرًا، ما دام جعلها مربوطةً بسبب لم يجعله اللَّه سببًا لها فإنها لا تقبل منه؛ مثال ذلك:

---

(١) رواه البخاري (٦٣١) من حديث مالك بن الحويرث ﷺ.
(٢) رواه مسلم (١٢٩٧)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٩٠٨) من حديث جابر بن عبداللَّه ﷺ.
(٣) رواه البخاري (١٦٤)، ومسلم (٢٢٦) من حديث حُمْران مولى عثمان بن عفان ﷺ.

لو أنَّ رجلًا صار كلما تمَّت له سَنَةٌ ذَبَحَ ذَبِيحَة، وتصدَّق بها، [فنقول]: ذَبْحُ الذَّبائِحِ والتصدُّق بها جائز، لكن هذا جعل كلما تمت السنة ذبح هذه الذبيحة، صارت بدعة لا يؤجر عليها، بل يأثم عليها.

وكذلك لو أحدث احتفالًا بِمَوْلِدِ الرَّسول ﷺ، وقال: أنا أُحِبُّ الرَّسولَ، وأُحدِثُ احتفالًا للصَّلاة عليه، والثناء عليه -عليه الصلاة والسلام- بما هو أَهْلُه، ماذا تقول له؟ نقول: الصلاة على النبي ﷺ خيرٌ، مَنْ صلَّى على النبي ﷺ صلاةً، صلى اللَّهُ بها عليهِ عَشْرًا، كيف تقولُ هذه بدعة؛ [نقول]: لأنَّها غيرُ مربوطةٍ بهذا السَّبب، أنت صلِّ على النبيِّ ﷺ كلَّ وقتٍ ما نَمْنَعُكَ، لكن كونك تجعل هذا السبب سببًا للصَّلاة عليه والثناء عليه، واحتفالًا بالمولدِ فهذا لا يصحُّ، ولا تقبلُ منك.

الثاني: جنسُها: أن تكونَ موافقةً للشرع في جنسها، هذا رجلٌ في عيدِ الأضحى، ضَحَّى بشَاةٍ من بهيمةِ الأنعامِ على الوجهِ الشَّرعي؛ بالطبعِ تُقْبَلُ أضحيتُه؛ لأنَّها شرعيَّةٌ، الشاةُ قيمتُها ثلاثُ مِئَةِ ريالٍ، فجاءَ رجلٌ آخرُ، وقال: سأُضحِّي بفرسٍ؛ لأنَّ الفرسَ قيمتُه ألفُ ريالٍ، والشاةُ ثلاثُ مئةِ ريالٍ، فأنا سأُضحِّي بفرسٍ يومَ العيدِ، [نقول]: هذه غيرُ صحيحةٍ، لماذا؟! لأنَّها ليست من بهيمةِ الأنعامِ، فخالفتِ الشرعَ في الجنسِ، فلا تُقْبَلُ، يعني: لا بدَّ أن تكونَ موافقةً للشرعِ في الجنسِ.

الثالث: قَدْرها: أن تكونَ موافقةً للشرعِ في قَدْرِهَا، رجلٌ قالَ: إنَّ الإنسانَ إذا صلَّى الظهرَ أربعًا، كلُّ ركعةٍ فيها ركوعٌ وفيها سجودان، وأتى بشروطِهَا وأركانِهَا تُقْبَلُ -إن شاء اللَّه-؛ لأنَّهُ ماشٍ على ما رُسِمَ شرعًا، لكنَّ آخرَ قالَ: سأُصَلِّيها ستًّا أَزْيَدَ، اللَّه ﷻ يقول: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة: ١٩٧]، لا تُقْبَلُ بل تُرَدُّ عَلَيْهِ؛ لأنَّها خالفتِ الشرعَ في قَدْرِهَا.

رَجُلٌ آخرُ قال: الوضوءُ ثلاثًا سُنَّةٌ، لكنه تَوضَّأَ أربعًا، الغَسْلةُ الرابعةُ لا تُقبل؛ لأَنَّها صارت على خلافِ الشرعِ.

الرابع: صِفَتُهَا: أن تكونَ موافقةً للشرعِ في صِفَتِهَا، [مثالٌ]: كيفَ يَتَوضَّأُ الإنسانُ؟!

يبدأُ بغسل الكفَّين، ثمَّ الوجهِ، ثمَّ اليديْنِ، ثمَّ مسح الرأسِ، ثمَّ غسلِ الرِّجْلَيْنِ، هكذا الترتيب، لكنَّ هذا الرجلَ عَكَسَ، فبدأ يغسلُ الرِّجْلَيْن، ثمَّ يمسحُ الرأسَ، ثمَّ يغسلُ اليدينِ، ثمَّ يغسلُ الوجهَ، إنَّ عبادَتَهُ هذه غيرُ مقبولةٍ؛ لأنَّها خالَفَتِ الشرعَ في صِفَتِهَا وكيفيَّتِهَا(١).

الخامس: زمانُهَا: أن تكونَ موافقةً للشرعِ في زمانِهَا؛ لو أنَّ رجلًا في عيدِ الأضْحَى أصبَحَ فذَبَحَ أضحيةً قبلَ الصلاةِ، وأكَلَ منها، وذَهَبَ وصلَّى، لا تُقبَلُ هذه الأضحيةُ؛ لأنَّها ليست في وقتِ العبادةِ، الأضحيةُ ما تكونُ إلا بعدَ صلاةِ الإمامِ.

مثال آخرُ: رجلٌ تعمَّدَ ألَّا يصلِّي الظهرَ إلا بعدَ دخولِ وقتِ العصرِ دونَ عُذْرٍ، [فصلاتُهُ] لا تُقْبَلُ؛ لأنَّها مُخالِفةٌ للشرع في وَقْتِهَا أو في زَمَنِهَا.

السادسُ: مكانُها: أن تكونَ موافقةً للشرعِ في مَكانِهَا:

لو أنَّ رجلًا لمَّا دَخَلَ العشرُ الأخيرُ من رَمَضَانَ بقيَ في غرفةٍ من بيتِهِ لا يخرجُ منها، وقال: أنَا معتكِفٌ للَّه، [فنقول]: الاعتكافُ غيرُ صحيحٍ لمخالفَتِهِ للشرعِ في مكانِ العبادةِ؛ لأنَّ الاعتكافَ في المساجد.

إذًا أيُّها الإخوةُ: كلُّ عبادةٍ لا تُقبلُ إلا بشرطَيْنِ أساسيَّيْنِ:

أحدُهُمَا: الإخلاصُ للَّه.

الثاني: المتابعةُ لرسولِ اللَّهِ ﷺ، و[قد] ذَكَرْنَا الأدلَّةَ لذلك وقُلْنَا: إنَّ المتابعةَ لا تتحركُ إلا إذا كانَتْ موافقةً للشرعِ في أمورٍ ستَّةٍ وهي: «السَّبَبُ، الجِنْسُ، القَدْرُ، الصِّفَةُ، الزَّمَانُ، المَكَانُ». اهـ

* * *

(١) في الحقيقة أنَّ الأمر على خلاف هذا المثال، فإنه لا يشترط الترتيب في الوضوء، انظر «تمام المنَّة» (ص٨٨).

الحديث الحادي عشر:

الأُمورُ التي تُؤَدِّي إلى انحرافِ المسلمينَ عن سبيلِ المؤمنينَ -منهاجِ السَّلَفِ الصَّالحِ، والفرقةِ النَّاجيةِ-

أولًا: عدمُ ضبط البدايات:

عن عبداللَّه بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لكلِّ عملٍ شِرَّة، ولكل شِرَّة فَتْرَة، فمن كانت فَتْرَتُهُ إلى سنَّتي فقد اهتدى، ومن كانت فترته إلى غير ذلك؛ هلك»**[1].

يخبرنا النبيُّ ﷺ في هذا الحديث عن طبيعة المسلم، وأنه يبدأ بـ**«شِرَّةٍ»** وهي: النَّشاط والحماس، فَيُقْبِلُ على عبادة اللَّه عز وجل، والعمل للإسلام بنشاط وحماس وحرص، ثم يَعْقُبُ هذا النشاط والحماس **«فترة»**، وهي: فتور وكسل، فمن بقي بعد فتوره على سنَّة النبيِّ ﷺ وهديهِ؛ فقد رَشَدَ واهتدى، ومن صارت فترته إلى بدعة، أو إعراض ومعصية؛ فقد هلك.

وإنَّ خيرَ ما يُعين على الثبات في هذا الأمر؛ إحسان البدايات، ففي الحكمة: «من صَلَحَتْ بدايتُه صَلَحَتْ نهايتُه»، فَمَن أَحْسَنَ البداياتِ سلمت له النهاياتُ، وإذا لم تكن البدايات صحيحة كانت النهايات قبيحة، فإنَّ للبدايات أثرًا في النهايات، فالإخلاص والسنَّة وخصال الخير تؤدي إلى السَّلامة في الطريق وحُسن الخاتمة في نهايته، أمَّا الرِّياء، والنِّفاق، والبِدَع، ودسائس البواطن السَّيئة؛ فتؤدِّي إلى الانحراف في الطريق وسوء الخاتمة في نهايته، ففي الحديث: **«إنَّ الرجل ليعمل عملَ أهل الجنَّة فيما يبدو للنَّاس وهو من أهل النار، وإنَّ الرجل ليعمل عملَ**

---

(١) صحيح، أخرجه أحمد (٦٩٥٨)، وابن حبان (٣٤٩)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ٨٩)، وابن أبي عاصم في «السنَّة» (٥١)، وهو مخرَّج في «الصحيحة» (٢٨٥٠).

أهل النار فيما يبدو للناس، وهو من أهل الجنَّة»، وزاد البخاري في رواية له: «**إنَّما الأعمال بالخواتيم**»[١].

فبإخلاص النيَّة، واتِّباع السنَّة من البداية يُضبط الفهم، وتُجْلَى الصُّورة، فبالتالي سلامة في الطريق، وفتور إلى السنَّة، وحُسْنُ خاتمة، لذلك قال أيوب السختياني: «إنَّ من سعادة الحَدَثِ والأعجمي أن يُوَفِّقَهُما اللَّه لعالمٍ من أهل السنَّة»[٢].

ومن المعين على الثبات -أيضًا-، الصحبة الصالحة: قال ﷺ: «**مَثَلُ الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك: إمَّا أن يُحذِيك وإمَّا أن تبتاع منه، وإمَّا أن تجد منه ريحًا طيبة، ونافخ الكير: إمَّا أن يحرقَ ثيابك، وإمَّا أن تجد منه ريحًا خبيثة**»[٣].

ولذلك قال ابن شَوذَب: «إنَّ من نعمةِ اللَّه على الشَّابِّ إذا نَسَكَ أن يُؤاخِي صاحبَ سُنَّةٍ، يَحْمِلُهُ عليها»[٤].

وذلك لأنَّه كما قيل: «مَنْ شَبَّ على شيءٍ شَابَ عليه»، و«من عاشَ على شيءٍ مات عليه».

وعن يوسف بن أَسباط أنَّه قال: «كان أبي قَدَرِيًّا، وأخوالي روافض، فأنقذني اللَّه بسفيان[٥]»[٦].

وهكذا؛ فإنَّ «صحبةَ الأخيار: توجب العلومَ النَّافعةَ، والأخلاقَ الفاضلةَ، والأعمالَ الصالحةَ، وصحبةَ الأشرار تَحْرِمُ من ذلك أجمع»[٧].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٩٨) و (٤٢٠٢)، ومسلم (١١٢) من حديث سهل بن سعدٍ السَّاعديِّ رضي الله عنه.
(٢) حسن، أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة» (رقم ٣٠).
(٣) رواه البخاري (٥٥٣٤)، ومسلم (٢٦٢٨) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.
(٤) حسن، أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة» (رقم ٣١).
(٥) هو سفيان الثَّوري إمام أهلِ السنَّة.
(٦) «شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة» (رقم: ٣٢).
(٧) «بهجة الأبرار» (ص٢٢٦).

فمن وُفِّقَ في بدايته ونشاطه لعالم سُنَّة، وصاحب صالح، يحمله على السنَّة، فهذا يرجى أن تكون فترته على السنَّة والهدى.

أمَّا من كانت بدايته ونشاطه مع مبتدع، وصاحب سوء يحمله على البدعة، ويزيِّنها له، فتكون فترتُهُ إلى البدعة والهلاك -عياذًا باللَّه تعالى-، وقد قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ من أشراط الساعة أن يُلْتَمَسَ العلم عند الأصاغر**»[1]، قال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأصاغر: أهل البدع»[2].

وفي حقِّ الأصاغر قال أبو علي الحسين بن سعد الآمدي[3]:

تَصَدَّرَ للتَّدريسِ كُلُّ مُهوَّسٍ   بليدٍ تسمَّى بالفقيه المُدَرِّسِ
فَحَقَّ لأهلِ العلمِ أن يتمثَّلوا   ببيتٍ قديم شاعَ في كُلِّ مَجْلِسِ
لقد هَزُلتْ حتَّى بدا من هُزالِها   كُلاها، وحتَّى سامَها كُلُّ مُفْلِسِ

وقال عمرو بن قيس الملائي الكوفي: «إذا رأيتَ الشابَّ في أوَّله مع أهل البدع فايأسْ منه؛ فإنَّ الشَّابَّ على أوَّلِ نشأَتِهِ»[4].

فكثيرٌ من الشباب «المحبين للدِّين والعلم» الذين تَرَبَّوْا في بداياتهم وحماساتهم على أيدي أهل البدع، فما زالوا بهم حتى دفعوهم إلى كثير من بدع الغلوِّ إفراطًا وتفريطًا؛ فمنهم من كفَّر المجتمعات الإسلاميَّة، وأصبح خارجيًّا، ومنهم ما إنْ جاءتهم فترتُهم إلا وهم شِبْهُ عوام، مُنْكَبِّين على الدنيا جاعِلِيها أكبرَ همِّهم، ومبلَغَ علمِهِم، لا يعرفون من الدِّينِ إلا ما أحدثوه من قواعد أصوليَّة فاسدة، وشبهات مُضلَّة، لِيَرُدُّوا بها الحقَّ، ويندِّدوا بها أَهْلَهُ.

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (٦١) من حديث أبي أميَّة الجمحي رضي الله عنه، وجوَّد إسناده الإمام الألباني في «الصحيحة» (٦٩٥).

(٢) إسناده جيد، انظر «الصحيحة» (٦٩٥).

(٣) الأبيات في «معجم الأدباء» (٣/ ١٠٦٣).

(٤) «الإبانة» (٤٤).

لذلك قال سعيد بن جبير: «لأنْ يصحبَ ابني فاسقًا شاطرًا[١] سُنِّيًا؛ أحبُّ إليَّ من أن يصحب عابدًا مبتدِعًا»[٢]؛ وذلك لأنَّ «البدعةَ أحبُّ إلى إبليس من المعصية، فإنَّ المعصيةَ يُتَابُ منها، والبدعة لا يُتاب منها»[٣].

جاء في كتاب «البدع والنهي عنها» (ص ١١٨) للإمام ابن وضَّاح القرطبي المُتَوفَّى سنة (٢٨٧هـ) بإسناده إلى الإمام أيوب السختياني قال: (كان رجل يرى رأيًا فرجع عنه، فأتيت محمدًا -وهو ابن سيرين- فرحًا بذلك أُخْبِرُهُ، فقلت: أَشَعَرْتَ أنَّ فلانًا ترك رأيه الذي كان يرى؟! فقال: انظروا إلامَ يتحوَّل؟! إنَّ آخرَ الحديثِ أَشَدُّ عليهِم مِنْ أوَّلِهِ: «... **يَمْرُقُونَ من الإسلام، ثم لا يعودون فيه**»)!

يشير إلى حديث الخوارج المرويِّ في «صحيح البخاري» (٤٠٩٤)، و«صحيح مسلم» (١٠٦٤)، وغيرهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومعنى قولهم: (إنَّ البدعة لا يتاب منها): أنَّ المبتدع الذي يتخذ دينًا لم يشرِّعه اللَّه ولا رسوله، قد زُيِّن له سوء عمله فرآه حسنًا، فهو لا يتوب ما دام يراه حسنًا؛ لأنَّ أول التوبة العلم بأنَّ فعله سيئ ليتوب منه، أو بأنَّه ترك حسنًا مأمورًا به أمر إيجاب، أو استحباب؛ ليتوب ويفعله، فما دام يرى فعله حسنًا، وهو سيئ في نفس الأمر؛ فإنَّه لا يتوب.

ولكن التوبة ممكنة وواقعة، بأن يهديه اللَّه ويرشده، حتى يتبيَّن له الحق، كما هدى ﷻ من الكفَّار، والمنافقين، وطوائف من أهل البدع والضلال. وهكذا، بأن يَتَّبع من الحق ما علمه»[٤].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ أهل البدع شرٌّ من أهل المعاصي الشَّهوانيَّة بالسنَّة

---

(١) الشَّاطر هو: قاطع الطريق.

(٢) ذكره ابن بطَّة في «الإبانة الصغرى» (ص١٣٢).

(٣) أخرجه علي بن الجعد في «مسنده» (١٨٠٩)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة والجماعة» (١٨٨٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/٢٦) عن سفيان الثوري رضي الله عنه.

(٤) «مجموع الفتاوى» (١٠/٩).

والإجماع؛ إذ أهل المعاصي ذنوبهم: فِعْلُ بعض ما نُهوا عنه من سرقة أو زِنا، أو شرب خمر، أو أكل مال بالباطل، وأهل البدع ذنوبهم: ترك ما أُمروا به من اتباع السنَّة وجماعة المؤمنين»(١).

وقد دحض شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ شبهةً لأهل البدع، وهي زعمهم بأنَّهم يُتَوِّبُونَ النَّاس من المعاصي، وبيَّن كيف يكون أهل البدع شرٌّ من أهل المعاصي، فقال في «مجموع الفتاوى» (١١/ ٤٧٢): «. . . وكان قد قال بعضهم: نحن نُتَوِّب النَّاس! فقلت: مِمَّاذا تُتَوِّبونَهُم؟ قال: من قطع الطريق، والسرقة، ونحو ذلك، فقلت: حالهم قبل تتويبكم خير من حالهم بعد تتويبكم؛ فإنَّهم كانوا فسَّاقًا يعتقدون تحريم ما هم عليه، ويرجون رحمة اللَّه، ويتوبون إليه، أو ينوُون التوبة! فَجَعلتُمُوهم بتتويبكم: ضالِّين مشركين، خارجين عن شريعة الإسلام، يحبُّون ما يبغضه اللَّه، ويبغضون ما يحبُّه اللَّه . . . وبيَّنتُ أنَّ هذه البدع التي هم عليها، وغيرهم عليها، شرٌّ من المعاصي».

* * *

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٠/ ١٠٣).

الحديث الثاني عشر

ثانيًا: اتِّباعُ الشُّبهات بالحَدْسِ والتَّخْمينِ وجدالُ وتلبيسُ المنافقين والمبتدعين

عن أبي عثمان النَّهْدِي، قال: كنتُ عند عمر -وهو يخطب النَّاس- فقال في خطبته، فذكر عن النبي ﷺ-: **«إنَّ أخوفَ ما أخافُ على أمتي كلُّ منافق عليم اللِّسانِ»**[1].

يُخبرنا النبيُّ ﷺ في هذا الحديث أنَّ أخوف ما يخاف على أمَّته كلُّ منافق أظهر الإسلام والخير، وأبطن الكفر والزَّيغ والسُّوء والشَّر، يَمْكُرُ بهم، ويُغْوِيهم، وَيَلْفِتُهُم عن دينهم، بما أوتيه من بيان، وجَدَلٍ بالباطل، فَيُمَرِّرُ عليهم الشُّبهاتِ بالقالبِ الذي يُريد، ويلبِّس عليهم دينهم، فَيَقْلِبُهُم عن الحق الذي معهم، ويُضلُّهم عن سواء السَّبيل، وَيَفْتِنُهم في دينهم، فَيَرُدُّهُم من التوحيد إلى الشرك، ومن الاتباع إلى الابتداع، ومن الهدى إلى الضلال، وقد قال النبي ﷺ: **«إنَّ من البيان لسحرًا، أو: إنَّ بعض البيان سحرٌ»**[2].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن في «فتح المجيد» (ص٢٩٠): «هذا من التشبيه البليغ، لكون ذلك يعمل عمل السحر، فيجعل الحق في قالب الباطل، والباطل في قالب الحق، فيستميل به قلوب الجهال، حتى يقبلوا الباطل وينكروا الحق، ونسأل اللَّه الثبات والاستقامة على الهدى».

قوله ﷺ: **«إن أخوفَ ما أخافُ»**، هذا من باب المبالغة في الخوف.

---

(١) صحيح، رواه أحمد (١٤٣ و ٣١٠)، وابن بطَّة في «الإبانة» (١/ ٢٨٦/رقم٩٤٠ و٩٤١)، وصحَّحه الإمام الألباني في «السلسلة الصحيحة» برقم (١٠١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٦٧) عن عبداللَّه بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

وقوله: «**على أمتي**» أي: أُمَّة الاستجابة.

وقوله: «**كلُّ منافق**» المنافق هو من أظهر الإسلام وأبطن الكفر.

وقوله: «**عليم اللِّسان**» هو الذي يستطيع أن يُمَرِّر الشُّبهات على النَّاس، فهؤلاء المنافقون لَمَّا فسدت نيَّاتُهم ومقاصدُهم، وزاغت قلوبُهم وامتلأت نفاقًا؛ عَدَلُوا عن الحُجَجِ، والأدلَّة، والبراهين، والآيات المحكمات، إلى زُخرُف القول، واتباع المتشابهات التي تَشْتَبِهُ على بعض النَّاس، فَيَحْمِلُون الآيات على ما لا تَحْتَمِلُهُ عند السلف، أو يأخذون الأدلَّة ابتداءً مستدلين بها على اعتقادات، أو أفعال، أو أقوال، توافق أغراضهم ومقاصدهم، فَيُنْزِلُونَها عليها، وَيُلَبِّسُون بها على أتباعهم والعامَّة؛ لذلك فإنَّ ضررهم على المسلمين كضرر إبليس الرَّجيم، وهم من شياطين الإنس، ويحسبون أنهم على شيء، وليسوا على شيء ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤].

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول اللَّه ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَـٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ[(1)] فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]، قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا رأيتم الذين يتَّبِعُون ما تشابه منه، فأولئك الذين سمَّى اللَّه، فاحذروهم**»[(2)].

قال الإمام ابن كثير في «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٤٥٧): «قال -تعالى-: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أي: ضلالٌ وخروجٌ عن الحقِّ إلى الباطل ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ

---

(١) قال السعدي في تفسيره «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (ص ١٢٢) في معنى المتشابهات: «أي: يلتبس معناها على كثير من الأذهان لكون دِلالتها مجملة، أو يتبادر إلى بعض الأفهام غير المراد منها، فالحاصل أن منها آيات بينة واضحة لكل أحد، وهي الأكثر التي يُرجع إليها، ومنه آيات تشكل على بعض النَّاس، فالواجب في هذا أن يُرَدَّ المتشابه إلى المحكم، والخفي إلى الجلي، فبهذه الطريق يُصدق بعضه بعضًا، ولا يَحصل فيه مناقضة ولا معارضة».

(٢) أخرجه البخاري (٤٥٤٧)، ومسلم (٢٦٦٥).

﴿مِنْهُ﴾ أي: إنما يَأْخُذُونَ منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرِّفوه إلى مقاصدهم الفاسدة، ويُنْزِلوه عليها، لاحتمال لفظه لما يصرفونه، فأمَّا المحكم فلا نصيبَ لهم فيه؛ لأنه دامغ وحُجَّةٌ عليهم؛ ولهذا قال: ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ أي: الإضلال لأتباعهم؛ إيهامًا لهم أنهم يَحتجُّون على بدعتهم بالقرآن، وهذا حُجَّة عليهم لا لهم، كما لو احتجَّ النَّصارى بأنَّ القرآن قد نطق بأنَّ عيسى روح اللّه وكلمته ألقاها إلى مريم، وتركوا الاحتجاج بقوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ﴾ [الزخرف:٥٩]، وبقوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران:٥٩] وغير ذلك من الآيات المحكمة المصرِّحة بأنه خَلْقٌ من مخلوقات اللّه، وعبدٌ، ورسول من رسل اللّه.

وقوله: ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ أي: تحريفه على ما يريدون».

«وكان قتادة إذا قرأ هذه الآية: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ قال: إن لم يكونوا الحَرُورِيَّة والسَّبَئِيَّة فلا أدري من هم؟! وقيل: هم جميع المبتدعة»(١).

قال أيوب السختياني: «ما أعلم أحدًا من أهل الأهواء إلا يُخاصم بالمتشابه»(٢).

والذي سمع هذا الحديث ورواه عن النبي ﷺ هو الخليفة الراشد الملهم، صاحب البصيرة النَّافذة، والنَّظرة الثَّاقبة عمر بن الخطاب -رضي اللّه عنه وأرضاه-، فقد نال حظًّا وافرًا من علم النبوَّة، وتفرَّد بالإلهام من هذه الأمَّة، عرف الخير فنمَّاه، وعرف الشَّرَّ فأفناه، وأطفأ نار الفتنة قبل أن تستفحل فتستعصي، وأسقط جَنِينَها قبل أن يُولد فيسعى، وقد عَرَفَ المفسدين الهدَّامين من سِيماهُم وبداياتهم فَحَذِرَهُم وحَذَّرَ منهم، وقد ورد عنه رضي الله عنه قوله: «ثلاثة يَهْدِمْنَ الدين: زلَّة عالم، وجدال منافق بالقرآن، وأئمة مضلُّون»(٣).

---

(١) «تفسير البغوي (معالم التنزيل)» (١/ ٣٢٣).

(٢) أخرجه ابن بطَّة (١/ ٢٣٣ رقم ٧٨٨).

(٣) صحيح، أخرجه الدارمي (١٢٢٠/ ١٥)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة» رقم (٦٤١، ٦٤٣)، وهو مخرَّج في «الاعتصام» (٢/ ٤٦٤، ٣/ ١٧٨) بتحقيق شيخنا مشهور حسن -حفظه اللّه-.

فالأول: زلَّة عالِم، وقد قيل: (زلَّة عالِم زلَّة عالَم).

«و(**الثاني**): كالمتفلسفة والمتكلِّمين الذين يجادلون بشبهات القرآن مع أنَّهم في الحقيقة منسلخون من آيات اللَّه، وإنما احتجاجهم به دفعًا للخصم، لا اهتداءً به واعتمادًا عليه، ولهذا قال: «جدال منافق بالقرآن» فإنَّ السنَّة والإجماع تدفع شبهته»[1].

والثالث: أئمَّة مضلُّون؛ لأنَّ لهم سُلطة وطاعة على النَّاس، وفتنتهم عامَّة.

لذلك كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حذرًا وشديدًا جدًّا على من يَسأل ويتكلَّم ويجادل بالمتشابهات والمحدثات، فعن سُليمان بن يَسار أنَّ رجلًا يقال له: صَبِيغ، قَدِمَ المدينة، فجعلَ يسألُ عن مُتشابه القرآن، فأرسَلَ إليه عُمَرُ وَقد أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِيْن[2] النَّخل، فقال: مَنْ أنتَ؟ قال: أنا عبداللَّه صَبِيغ، فَأَخَذَ عُمَرُ عُرْجونًا مِنْ تِلك العَرَاجِيْن فَضَرَبَهُ وقال: أنا عبداللَّه عمر، فَجَعَلَ لهُ ضربًا حتى دَمِيَ رَأسُهُ فقال: يا أمير المؤمنين، حَسْبُكَ، قد ذَهَبَ الذي كُنْتُ أجِدُ في رأسي»[3].

وفي رواية عن نافع مولى عبداللَّه: «أنَّ صَبِيغًا العراقيَّ جَعَلَ يسألُ عن أشياءَ من القرآن في أجنادِ المسلمين حتى قَدِمَ مِصْرَ، فَبَعَثَ به عَمْرُو بن العاص إلى عمر ابن الخطاب، فَلمَّا أتاهُ الرسولُ بالكتاب فقرأهُ قال: أين الرجل؟ فقال: في الرَّحْلِ.

قال عُمر: أَبْصِر أن يكون ذَهَبَ فَتُصِيبَكَ مني به العقوبةُ الموجِعَة، فأتاهُ به، فقال عمر: تسألُ مُحْدَثَةً! فأرسَلَ عمر إلى رَطَائِبَ مِنْ جَريدٍ فضربه بها حتى ترك ظهره دَبِرَةً[4]، ثمَّ تركهُ حتى بَرَأَ، ثمَّ عاد له، ثمَّ تركه حتى برأ، فَدَعا به ليعودَ لَه: فقال صَبِيغٌ: إن كنتَ تُريدُ قتلي فاقتُلني قتلًا جميلًا، وإنْ كُنْتَ تُريدُ أن تُداويني فقد

(١) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (١٠/ ٢٨١-٢٨٢).
(٢) عَرَاجينَ: جمع عُرجون، وهو العود الأصفر الذي فيه شماريخ العَذْق، أي: عروق النخل.
(٣) أخرجه الدارمي (١٤٦) بإسناد صحيح.
(٤) دَبِرَةً: قروح.

واللَّه برئتُ(١)، فَأَذِنَ له إلى أرضِهِ، وكَتَبَ إلى أبي موسى الأشعري أن لا يجالسَه أحدٌ من المسلمين، فاشتدَّ ذلك على الرَّجُل(٢)، فَكَتَبَ أبو موسى إلى عمر أنْ قد حَسُنَتْ توبَتُهُ، فكتب عُمَرُ أنْ يأذن للناس بِمُجالسته»(٣).

وفي رواية عن أبي عثمان: «أن رجلًا من بني يربوع يقال له: صَبيغ، سأل عمر ابن الخطاب رضي الله عنه عن الذاريات والنازعات والمرسلات، أو عن إحداهن، فقال له عمر: ضع عن رأسك، فوضع عن رأسه فإذا له وفيرة فقال: لو وجدتك محلوقًا لضربت الذي فيه عيناك، قال: ثمَّ كتب إلى أهل البصرة أن لا تجالسوه، أو قال: كتب إلينا أن لا تجالسوه، قال: فلو جلس إلينا ونحن مئة لتفرقنا عنه»(٤).

قال الآجري في «الشريعة» (١/ ٢١١) مُعلقًا على قصة صَبيغ مع عمر بن الخطاب: «فإن قال قائل: فمن يسأل عن تفسير ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ [الذاريات: ١-٢] استحق الضرب، والتنكيل به، والهجرة؟!

قيل له: لم يكن ضرب عمر رضي الله عنه له بسبب هذه المسألة، ولكن لمَّا تأدَّى إلى عمر ما كان يسأل عنه من متشابه القرآن، من قبل أن يراه؛ علم أنه مفتون، قد شَغَلَ نفسه بما لا يعودُ عليه نَفْعُهُ، وعلم أنَّ اشتغالَهُ بطلب علم الواجبات من علم الحلال والحرام أولى به، وتَطَلُّبِ علمِ سننِ رسول اللَّه ﷺ أولى به، فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ مُقبل على ما لا ينفعُه؛ سأل عمرُ اللَّهَ -تعالى- أم يُمَكِّنَهُ منه، حتَّى ينكِّلَ به، وحتَّى يحذرَ غيره؛ لأَنَّهُ راعٍ يجبُ عليه تَفَقُّدُ رعيَّتِهِ في هذا وفي غيره، فَأَمكَنَهُ اللَّهُ -تعالى- منه».

---

(١) بَرِئْتُ: أي: شُفِيتُ.

(٢) أي: هجرانهم إياه ونفورهم منه.

(٣) أخرجه الدارمي (١٥٠)، والآجري في «الشريعة» (١/ ٤٨١-٤٨٢/ رقم ١٥٢) بإسناد صحيح.

(٤) أخرجه البزار في «مسنده» (١/ ٤٢٣/رقم ٢٩٩)، وابن بطة في «الإبانة»(١/ ١٢١-١٢٢/رقم ٣٢٩)، ولهذه القصة عدة طرق جمعها ابن حجر في «الإصابة» (٥/ ١٦٨-١٦٩) وجزم بصحتها، وصححها وخرَّجها شيخُنا مشهور حسن -حفظه اللَّه- بتفصيل في تعليقه على «الموافقات» (١/ ٥٦)، و«الاعتصام» (١/ ١٣٠-١٣١)، كلاهما للشاطبي.

وعلَّق ابن بطَّة -أيضًا- على قصَّة صَبيغ مع عمر بن الخطاب في «الإبانة» (١/ ١٢٢-١٢٣) بقوله:

«وعسى الضعيف القلب القليل العلم من النَّاس إذا سمع هذا الخبر وما فيه من صنيع عمر ﷺ أن يتداخله من ذلك ما لا يعرف وجه المخرج عنه فيكثر هذا من فعل الإمام الهادي العاقل -رحمة اللَّه عليه-، فيقول: كان جزاء من سأل عن معاني آيات من كتاب اللَّه ﷻ أحبَّ أن يعلم تأويلها أن يوجع ضربًا، ويُنفى، ويُهجر، ويُشهَّر! وليس الأمر كما يظن من لا عِلْمَ عنده، ولكن الوجه فيه غير ما ذهب إليه الذاهب، وذلك أنَّ النَّاس كانوا يهاجرون إلى النبيِّ ﷺ في حياته، ويفدون إلى خلفائه من بعد وفاته -رحمة اللَّه عليهم- ليتفقهوا في دينهم، ويزدادوا بصيرة في إيمانهم، ويتعلَّموا علم الفرائض التي فرضها اللَّه عليهم، فما بلغ عمر رحمه الله قدوم هذا الرجل المدينة وعرف أنه سأل عن متشابه القرآن وعن غير ما يلزمه طلبه مما لا يضره جهلُه، ولا يعود عليه نفعُه، وإنما كان الواجب عليه حين وفَد على إمامه أن يشتغل بعلم الفرائض والواجبات، والتفقُّه في الدين من الحلال والحرام، فلمَّا بلغ عمر رحمه الله أنَّ مسائله غير هذا، علم من قبل أن يلقاه أنه رجل بطَّال القلب، خالي الهمَّة عَمَّا افترضه اللَّه عليه، مصروف العناية إلى ما لا ينفعه، فلم يأمن عليه أن يشتغل بمتشابه القرآن، والتنقير عمَّا لا يهتدي عقله إلى فهمه فيزيغ قلبه فيهلك، فأراد عمر رحمه الله أن يكسره عن ذلك، ويذله ويشغله عن المعاودة إلى مثل ذلك، فإن قلت: فإنه قال: لو وجدتك محلوقًا لضربت الذي فيه عيناك.

فَمَنْ حلقَ رأسه يجب عليه ضرب العنق؟ فإنِّي أقول لك من مثل هذا أُتِي الزائغون، وبمثل هذا بُلِي المُنَقِّرون، الذين قصرت هِمَمُهُم، وضاقت أعطانُهم عن فهم أفعال الأئمة المهديين، والخلفاء الراشدين، فلم يحسُّوا بموضع العجز من أنفسهم، فنسَبُوا النقص والتقصير إلى (سلفهم)، وذلك أن عمر ﷺ قد كان سمع النبي ﷺ يقول: **«يَخْرُجُ قوم أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير النَّاس، يقرؤون**

القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميَّة، من لقيهم فليقتلهم فإنَّ في قتلهم أجرًا عند الله[1]»، وفي حديث آخر: «**طُوبى لمن قتلهم، وطُوبى لمن قتلوه**»[2]، قيل: يا رسول اللَّه! ما علامتهم؟ قال: «**سيماهم التحليق**»[3]، فلمَّا سمع عمر ﷺ مسائله، فيما لا يعنيه، كشف رأسه لينظر هل يرى العلامة التي قالها رسول اللَّه ﷺ، والصفة التي وصفها فلم يجدها، أحسن أدبه لئلا يتغالى به في المسائل إلى ما يضيق صدره عن فهمه، فيصيرَ من أهل العلامة الذين أمر النبي ﷺ بقتلهم، فحقن دمه، وحفظ دينه بأدبه -رحمة اللَّه عليه ورضوانه-، ولقد نفع اللَّه صبيغًا بما كتب له عمر في نفيه، فلمَّا خرجت الحروريَّة قالوا لصَبيغ: إنه قد خرج قوم يقولون كذا وكذا، فقال: هيهات! نفعني اللَّه بموعظة الرجل الصالح، وكان عمر ضربه حتى سالت الدماء على وجهه، أو رجليه، أو على عقبيه، ولقد صار صبيغ لمن بعده مثلًا، وتردعةً لمن نقَّر وألحف السؤال.

عن القاسم بن محمد أنَّ رجلًا جاء إلى ابن عباس فسأله عن الأنفال، فقال ابن عباس: كان الرجل (ينقل الفرس وسرجه)، فأعاد عليه، فقال مثل ذلك، ثمَّ أعاد عليه، فقال مثل ذلك، فقال ابن عباس: تدرون ما مثل هذا؟ هذا مثل صبيغ الذي ضربه عمر ﷺ، أما لو عاش عمر لما سأل أحد عمَّا لا يعنيه». اهـ

وهكذا كان الأمر في زمن عمر ﷺ لم يَخْرُج للفتنة رأسٌ إلا كَسره، ولم يُرْفَعْ لها عَلَمٌ إلا مزَّقَهُ وبدَّدَهُ، وجيوش المسلمين في الأرض سَيَّارة، لا يقف أمامها جيشٌ إلا هُزم، ولا دولة إلا كُسِرت، ولا راية إلا سَقَطَتْ، واستمرَّ الأمر على هذه الحال إلى زمن عثمان ﷺ[4] فلم يُعجب هذا الحال أئمة الكفر والنِّفاق من اليهود

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١١).

(٢) صحيح، أخرجه أبو داود (٤٧٦٥) وصحَّحه الإمام الألباني في «صحيح سنن أبي داود» بلفظ: «**طوبى لمن قتلهم وقتلوه**».

(٣) صحيح، أخرجه أبو داود (٤٧٦٦) وصحَّحه الإمام الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

(٤) وقال -أيضًا- في «الإبانة» (١/ ١٢٣-١٢٤): «ولقد أنكر الإمام الهادي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ مثل هذا، وكرهه، وعاب السائل عنه ووبخه. =

والنَّصارى والمشركين وغيرهم، وأدركوا أنهم لن يستطيعوا أن يقفوا أمام هذا المدِّ الإسلامي الهائل الكبير بالقوَّة، فأخذوا يُخططون وَيَكيدون وَيَمكرون، فأرادوا أن يُفسدوا دين الإسلام من الداخل كما أفسدوا دين النصارى من قبل.

«ومن هنا أدخل أهلُ النفاق في الإسلام ما أدخلوه، فإنَّ الذي ابتدع دين الرافضة

= قال علي بن أبي طالب ﷺ يومًا: سَلُوني عمَّا شئتم؟ فقال ابن الكوا: ما السواد الذي في القمر؟ قال: فإنَّ تلك للَّه، ألا سألت عمَّا ينفعك في دينك وآخرتك؟ ذاك محو الليل، وفيه زيادة من طريق أخرى قال: أخبرنا عن قوله: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾ [الذاريات: ٢] قال: «ثكلتك أمك سل تفقهًا ولا تسل تعنُّتًا، سل عمَّا يعنيك، ودع ما لا يعنيك»، وذكر الحديث.

وهكذا كان العلماء والعقلاء، إذا سُئِلُوا عمَّا لا ينفع السائل علمه ولا يضره جهله -وربما كان الجواب أيضًا مما لا يضبطه السائل، ولا يبلغه فهمه- منعوه الجواب، وربما زجروه وعنَّفوه.

قال ابن شبرمة: مِنَ المسائلِ مَسَائِلُ لا يجوز للسائل أن يسأل عنها، ولا للمسؤول أن يجيب عنها.

قال ابن مسعود: من أفتى النَّاس في كل ما يستفتونه فهو مجنون.

وقال ابن مسعود -أيضًا-: إذا أراد اللَّه بعبدٍ خيرًا سدَّده، وجعل سؤاله عمَّا يعنيه، وعلمه فيما ينفعه.

وقال: إيَّاكم والتنطُّعَ والتعمُّقَ، وعليكم بالعتيق.

وقال أبو يوسف: العلم بالكلام هو الجهل، والجهل بالكلام هو العلم.

وقال زيد بن علي لابنه: يا بني! اطلب ما يعنيك بترك ما لا يعنيك، فإنْ كان تركُك ما لا يعنيك دركًا لما يعنيك، واعلم أنك تقدم على ما قدمت، ولست تقدم على ما أخرت، فآثر ما تلقاه غدًا على ما لا تراه أبدًا.

وقال يحيى بن معاذ الرازي: إنَّ ربنا -تعالى- أبدى شيئًا وأخفى أشياء، وإن المحفوظين بولاية الإيمان حفظوا ما أبدى وتركوا ما أخفى، وذهب آخرون يطلبون علم ما أخفى فهتكوا فهلكوا، فأدَّاهم الترك لأمره إلى حدود الضلال فكانوا زائغين.

وبلغني عن الحارث المحاسبي أنه كان يقول: سؤال العبد عمَّا لا يعنيه خذلان من اللَّه ﷻ له». اهـ

ولِيُعْلَمَ أنَّ صانع الشُّبهات وموزِّعَهَا على النَّاس في أسواقٍ كاسدة فاسدة، بثمنٍ بخس واستمتاعٍ قليلٍ هو إبليس الوسواس الخنَّاس، الذي يوسوس في صدور النَّاس، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«يأتي الشيطانُ أحدَكُم فيقول: مَنْ خَلَقَ كذا وكذا؟ حتى يقول له: من خلق ربَّك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذْ باللَّه وَلْيَنْتَهِ»**، أخرجه البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤/ ٢١٤).

فإذا تلقَّف شياطين الإنس هذه الشُّبهات ثَوَّرُوها وسألوا بها، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لا يزال النَّاس يتساءلون حتى يُقال: هذا، خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ، فمن خَلَقَ اللَّه؟ فمن وجد من ذلك شيئًا فَلْيَقُل: آمنتُ باللَّه»** أخرجه مسلم (١٣٤/ ٢١٢).

وعن أبي هريرة ﷺ قال لي رسول اللَّه ﷺ: **«لا يزالون يسألونَك يا أبا هريرة! حتى يقولوا: هذا اللَّهُ، فمن خَلَقَ اللَّه؟»**، قال: فَبَيْنَا أنا في المسجدِ إذ جاءني ناسٌ من الأعراب، فقالوا: يا أبا هريرة! هذا اللَّهُ، فمن خَلَقَ اللَّه؟ قال: فأَخَذَ حَصًى بِكَفِّهِ فَرَماهُم به، ثمَّ قال: قُوموا قُوموا، صدق خليلي ﷺ»، أخرجه مسلم (١٣٥).

كان زِنْدِيقًا يهوديًا، أظهر الإسلام وأبطن الكفر؛ ليحتال في إفساد دين المسلمين -كما احتال «بولص»[١]- في إفساد دين النصارى، سعى في الفتنة بين المسلمين حتى قتل عثمان، وفي المؤمنين من يستجيب للمنافقين، كما قال -تعالى-: ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُواْ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧].

ثمَّ إنَّه لَمَّا تفرقت الأمَّة، ابتدع ما ادَّعاهُ في الإمامة من النَّصِّ والعصمة، وأظهر التكلم في أبي بكر وعمر، وصادف ذلك قلوبًا فيها جهل، وظلم، وإن لم تكن كافرة، فظهرت بدعة التشيُّع التي هي مفتاح الشرك، ثم لما تمكنت الزنادقة، أمروا ببناء المشاهد، وتعطيل المساجد، محتَجِّين بأنه لا تُصَلَّى الجمعة والجماعة، إلا خلْف المعصوم»[٢].

لقد صدق رسول اللَّه ﷺ وهو الصادق المصدوق الذي لاينطق عن الهوى -

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٣٥/ ١٥٠): «فأوَّل من ابتدع الرفض كان منافقًا، زنديقًا، يقال له: «عبداللَّه بن سبأ»؛ فأراد بذلك إفساد دين المسلمين، كما فعل «بولص» صاحب الرسائل التي بأيدي النصارى، حيث ابتدع لهم بدعًا أفسد بها دينهم، وكان يهوديًا، فأظهر النصرانيَّة نفاقًا، فقصد إفسادها، وكذلك كان «ابن سبأ» يهوديًا، فقصد ذلك، وسعى في الفتنة لقصد إفساد الملَّة، فلم يتمكَّن من ذلك، لكن حصل بين المؤمنين تحريش وفتنة، قُتِلَ فيها عثمان رضي الله عنه، وجرى ما جرى من الفتنة، ولم يجمع اللَّه -وللَّه الحمد- هذه الأمَّة على ضلالة؛ بل لا يزال فيها طائفة قائمة بالحق لا يضرها من خالفها ولا من خذلها، حتى تقوم الساعة؛ كما شهدت بذلك النصوص المستفيضة في الصحاح عن النبي ﷺ».

وقال في «منهاج السنَّة» (٦/ ٤٢٨): «وأول من ابتدع الرفض، والقول بالنصِّ على علي، وعصمته، كان منافقًا زنديقًا، أراد فساد دين الإسلام، وأراد أن يصنع بالمسلمين ما صنع بولص بالنصارى، لكن لم يتأتَّ له ما تأتَّى لبولص؛ لضعف دين النصارى وعقلهم، فإنَّ المسيح ﷺ رُفع ولم يتَّبعه خلق كثير يَعْلَمُون دينه، ويقومون به علمًا وعملًا، فلمَّا ابتدع بولص ما ابتدعه من الغلوِّ في المسيح؛ اتَّبعه على ذلك طوائف، وأحبُّوا الغلوَّ في المسيح، ودخلت معهم ملوك، فقام أهل الحقِّ خالفوهم، وأنكروا عليهم، فقتلت الملوك بعضهم، وداهن الملوك بعضهم، وبعضهم اعتزلوا في الصوامع والديارات.

وهذه الأمَّة -وللَّه الحمد- لا يزال فيها طائفة ظاهرة على الحقِّ، فلا يتمكَّن مُلحدٌ ولا مبتدعٌ من إفساده بِغلوٍ، أو انتصار على أهل الحق، ولكن يَضِلُّ من يتبعه على ضلاله».

(٢) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٢٧/ ١٢٤).

في تَخَوُّفِهِ على أمته من كل منافقٍ عليم اللسان، فهذا المنافق الزنديق -عبد اللَّه بن سبأ- كان يهوديًّا يريد الشر للمسلمين، أظهر الإسلام نفاقًا؛ ليفسد دين المسلمين، وقد كان منافقًا عليم اللسان.

أخذ عبداللَّه بن سبأ يقومُ بِجَوْلاتٍ مخيفةٍ في بعض بلاد الإسلام، ويلقي عليهم الشبهات، وقد أظهر النُّسُك، ثمَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان يقول:

العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويُكَذِّب برجوع محمد، وقد قال اللَّه ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[1] [القصص: ٨٥]، فمحمدٌ أحقُّ بالرُّجوع من عيسى.

وقال -أيضًا-: إنه كان ألف نبي، ولكلٍّ نبي وصي، ومحمد خاتم النبيين، وعليٌّ خاتم الأوصياء[2]، فمن أظلم ممن لم يُجِزْ وصيةَ رسول اللَّه ﷺ، وتعدَّى على وصيِّ رسول اللَّه ﷺ؟!.

---

(١) وقد ورد في معنى «لرادُّك إلى معاد»: عن ابن عباس وغيره عدَّة معانٍ، ذكرها ابن كثير في تفسيره (٣/ ٥٣٥-٥٣٦)، وجمع بينها، وهي: أنه سَيَرُدُّه إلى مكَّة بعد أن أخرج منها، أو إلى الموت، أو إلى يوم القيامة، أو إلى الجنَّة، أو «إلى بيت المقدس، وهذا -واللَّه أعلم- يرجع إلى قول من فسَّر ذلك بيوم القيامة؛ لأنَّ بيت المقدس هو أرض المحشر والمنشر، واللَّه الموفق للصواب، ووجهُ الجَمْع بين هذه الأقوال أنَّ ابن عباس فسَّر ذلك تارة برجوعه إلى مكَّة، وهو الفتح الذي هو عند ابن عباس أمارة على اقتراب أجله -صلوات اللَّه وسلامه عليه- كما فسَّره ابن عباس بسورة [النصر]؛ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ١-٣] أنه أجلُ رسول اللَّه ﷺ نُعِيَ إليه، وكان بحضرة عمر بن الخطاب، ووافقه عمر على ذلك، وقال: لا أعلم منها غير الذي تعلم، ولهذا فسَّر ابن عباس تارة أخرى قوله: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ بالموت، وتارة بيوم القيامة الذي هو بعد الموت، وتارة بالجنَّة التي هي جزاؤه، ومصيره على أداء رسالة اللَّه وإبلاغها إلى الثقلين: الجن والإنس؛ ولأنه أكمل خلق اللَّه، وأفصح خلق اللَّه، وأشرف خلق اللَّه على الإطلاق».

ولم يرد عن أحد من السلف في معنى: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ أنَّ النبي ﷺ يرجع إلى الدنيا بعد موته، كرجوع عيسى عليه السلام، وإنما هي بدعة ابتدعها عبداللَّه بن سبأ؛ ليفسد عقيدة المسلمين.

(٢) وقد أنكر عليٌّ رضي الله عنه ذلك، وكذلك الصحابة ومنهم عائشة رضي الله عنها، فعن الأسود قال: ذكروا عند عائشة أن عليًّا رضي الله عنهما كان وصيًّا، فقالت: «متى أوصى إليه وقد كنتُ مُسْنِدَتَهُ إلى صدري؟ أو قالت: حِجْرِي، فدعا بالطَّستِ، فلقد انْخَنَثَ في حِجْرِي، وما شَعَرْتُ أنه مات، فمتى أوصى إليه؟» أخرجه البخاري (٢٧٤١)، ومسلم (١٦٣٦).

ثمَّ أَخَذَ يُحرِّض على ولاة الأمور كذبًا وبهتانًا، فزعم أنَّ عثمان ﵁ جمع أموالًا بغير حقٍّ، وَوَلَّى أقاربه . . . إلى غير ذلك من الأباطيل[١]، وأنَّ عليًّا ﵁ أحقُّ بالخلافة منه، ثمَّ أمر الخلايا التي شكَّلها من أوغاد النَّاس ممن سمعوا له، بالتحرُّك، والنشاط، والطعن على الولاة بلباس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ ليستميلوا النَّاس إليهم[٢]، وإلى ما يدعون النَّاس إليه، وتراسلوا فيما بينهم بالطعن على الأئمة، وغير ذلك؛ حتى هيَّؤُوا الأجواء للخروج على أمير المؤمنين عثمان بن عفان ﵁ فخرجوا عليه وقتلوه، صابرًا، محتسبًا، مظلومًا -رضي الله عنه وأرضاه-، وقد كان على الهدى وكانوا على الضلال، فعن كعب بن عُجْرَةَ قال: «ذكر رسول اللَّه ﷺ فتنة فَقَرَّبها[٣]، فمرَّ رجل مُقنَّعٌ[٤] رأسه، فقال رسول اللَّه ﷺ: **«هذا يومئذٍ على الهدى»**، فوثبتُ فأخذتُ بِضَبْعَيْ[٥] عثمان، ثمَّ استقبلت رسول اللَّه ﷺ، فقلتُ: هذا؟ قال: **«هذا»**»[٦].

والدَّليلُ على أنَّ هؤلاءِ الخوارجَ الثوَّارَ والفِرقَ الضالَّةَ، منافقون زائغون مضلُّون ومُلبِّسون، وإنْ زعموا أنهم يُريدون تطبيق حكم اللَّه في الأَرض، والعدل، والحرص على مصالح الأمَّة الكبرى، ما روته عائشة ﵂، قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: **«يا عثمانُ! إن وَلَّاكَ اللَّهُ هذا الأمر يومًا، فأرادَكَ المنافقون أن تخلعَ قميصك الذي قَمَّصَكَ اللَّه[٧]، فلا تَخْلَعْهُ»**، يقول ذلك ثلاث مراتٍ، قال النُّعمان: فقلت

---

(١) وقد انطلت بعض هذه الأباطيل على بعض الإسلاميِّين المعاصرين -كسيِّد قطب-! وانظر ما أُخِذَ على عثمان ﵁ وهي ثمانية عشر مأخذًا، والرد عليها في كتاب «العواصم من القواصم» (ص٦١-١١٠) بتحقيق العلامة محبِّ الدين الخطيب ﵀، و«حقبة من التاريخ» (ص٤٦-٦٤) للشيخ عثمان خميس -حفظه اللَّه-.

(٢) وهذه عادة وسنَّة الخوارج في كل زمان ومكان.

(٣) فَقَرَّبَها: أي: قال: إنَّ وقوعها وإتيانها قريب.

(٤) مُقَنَّعٌ: التقنيع: هو ستر الرأس بالرداء، وإلقاء طرفه على الكتف.

(٥) بِضَبْعَيْ: الضَّبع العضُد، والعضُد هو ما بين المرفق والكتف.

(٦) صحيح، أخرجه ابن ماجه (١١١) بسند صحيح، عن كعب بن عُجْرَةَ ﵁، وصحَّحه الإمام الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه».

(٧) قَمَّصَكَ اللَّه: أي: ألبَسَكَ اللَّه إياه، وهي الخلافة.

لعائشة: ما مَنَعَكِ[1] أن تُعْلِمي النَّاس بها؟ قالت: أُنْسِيتُهُ[2].

فأصرَّ هؤلاء المبتدعة المنافقون تلاميذ عبداللَّه بن سبأ على خلعه أو قتله، رغمَ أنه ناظرهم وردَّ كلَّ شبهاتهم وكذباتهم، فقتلوهُ- قتلهم اللَّه-، فوقعت الفتنة والاقتتال والتفرق في الأمَّة بعد أن كانوا على قلبِ رجلٍ واحد، وهاجتْ بدعة الخروج على ولاة الأمور، وبدعة التكفير، فخرج قوم يقتلون أهل الإسلام، ويذرون أهل الأوثان؛ جَرَّاءَ شبهات منافق عليم اللسان.

وبعد ذلك، زعم عبداللَّه بن سبأ في عليٍّ الوصيَّة والعصمة، وزعم أنَّ القرآن جزء من تسعة أجزاء وعِلْمُه عند عليٍّ، ثمَّ زعم في عليٍّ الألوهيَّة، فخرجت طائفة تسمى السبئية نسبةً إليه، تدَّعي في عليٍّ ﷺ الألوهية، فحرَّقَهُم عليٌّ ﷺ بالنَّار[3]، وظهرت بدعة التَّشَيُّع، التي أعادت عبادة القبور، وعطَّلت عبادة اللَّه، من خلال تعطيل المساجد وبناء المشاهد، وظهر الطَّعن في أبي بكر، وعمر، وسائر الصحابة الذين هم شهودنا على الكتاب والسنة، وما زال أهل التشيُّع يتبنون ما ادَّعاه عبداللَّه بن سبأ ويتوسَّعون فيه إلى يومنا هذا، فهاتان الفرقتان الخوارج[4] والشيعة، أضر الفرق على الأمة على الإطلاق، ما خرجوا إلا من وراء تلبيسات منافق عليم اللسان.

ولذلك فإنَّ عبد اللَّه بن سبأ؛ يكون من أكثر النَّاس أوزارًا وآثامًا يوم القيامة؛ لأنه سَنَّ سُننًا سيئةً كثيرةً في أمَّة الإسلام، فهو أول من كذب على اللَّه ورسوله ﷺ[5]، وهو

---

(١) ما مَنَعَكِ: أي: عند فتنة مقتل عثمان ﷺ.

(٢) صحيح، أخرجه ابن ماجه (١١٢) بسند صحيح، عن عائشة ﷺ، وصحَّحه الإمام الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه».

(٣) أخرجه البخاري (٣٠١٧ و٦٩٢٢)، وانظر «تاريخ دمشق» (٢٩/٧).

(٤) أصل فرقة الخوارج هو ذو الخويصرة التميمي عندما اعترض على قسمة رسول اللَّه ﷺ يوم حُنين، وعبداللَّه بن سبأ هو الذي حرَّكها وثورها بعد ذلك.

(٥) أخرج أبو يعلى في مسنده (٢٣٨/١) عن أبي الجلاس، قال: سمعت عليًّا ﷺ يقول لعبد اللَّه السبائي: «ويلك! واللَّه ما أفضى إليَّ بشيءٍ كتمه أحدًا من النَّاس، ولقد سمعته يقول: «**إن بين يدي الساعة ثلاثين كذَّابًا، وإنك لأحدهم**».
=

الذي أحيا فتنة الخروج على ولاة أمور المسلمين بعد موتها، وأيقظها بعد نومها، وهو أول من ابتدع دين الرافضة وأسس الغلوَّ في آل البيت، وكان أول من فرّق المسلمين، وجعلهم شيعًا وأحزابًا، وفتح أبوابًا عريضةً لمن بعده ممن هم على شاكلته للاختلاف في الدين وتفريق المسلمين.

قال رسول اللَّه ﷺ: **«مَنْ سَنَّ في الإسلام سنَّة حسنة؛ فله أجرها، وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقصَ من أجورهم شيء، ومَنْ سَنَّ في الإسلام سنة سيئة؛ كان عليه وِزْرُها وَوِزْرُ من عمل بها مِنْ بعده، من غير أن ينقصَ من أوزارهم شيء»**[1].

ثم أزاغ اللَّه قلب أحد تلامذة الحسن البصري ﵁ وهو واصل بن عطاء، واستهواه الشيطان، فخالف شيخه الحسن، وأخذ باتباع المتشابهات، والجدال بالباطل، فخرج بعقائد ومناهج جديدة، وكوَّن مجموعة من الأتباع يُلقي عليهم شبهاته وأفكاره ويلبِّس عليهم دينهم، واعتزلوا مجلس الحسن البصري، فَسُمُّوا المعتزلة، وكانوا بداية تلك الفرقة التي انتحلت فلسفة اليونان، ومنطق الإغريق، وعلومهم، فملؤوا الدين بما يسمى «علم الكلام» المليء بالزندقة، والضلال، فكانوا شرًّا ووبالًا على الأمة، وضررهم على الإسلام والمسلمين كبير كبير، ومعلوم في التاريخ حيث إنهم في زمن المأمون والمعتصم والواثق ابتدعوا القول بخلق القرآن، وألزموا النَّاس به، وفتنوهم، وقتلوا من خالفهم، فوقف في وجوههم أهل السنة والجماعة، وعلى رأسهم إمام أهل السنَّة والجماعة أحمد بن حنبل ﵁، فَرَدَّ بدعتهم، فعرَّضوه للتخويف والسِّجن والضرب؛ فصبر على الحق؛ حتى كان كالصخرة التي تحطمت عليها بدعتهم، واسْتَرَاحَ بَرٌّ واسْتُرِيحَ من فاجر.

= وأخرج ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٩/ ٧) بسنده إلى الشعبي قال: «أول من كذب عبداللَّه بن سبأ».

(١) أخرجه مسلم (١٠١٧)، عن جرير بن عبد اللَّه البجلي ﵁.

«وكان واصل بن عطاء أوَّلَ مَنْ تكلَّم في الاعتزال، فدخل معه في ذلك عَمرو ابن عُبيد، فأُعجب به، فزوَّجه أُختَه، وقال لها: زوَّجْتُكِ برجلٍ ما يصلح إلا أن يكون خليفة[1].

ثمَّ تجاوزوا الحدَّ حتى ردُّوا القرآن بالتَّلويح، والتَّصريح لرأيهم السُّوء»[2].

«ولَمَّا كان النبيُّ ﷺ قد أخبر: أنَّ هذه الأمَّة تتَّبعُ سَنَنَ مَنْ قبلها حذو القُذَّة بالقُذَّة، حتى لو دخلوا جحر ضَبٍّ لدخلتموه[3]: وجب أن يكون فيهم من يُحرف الكَلِمَ عن مواضعه، فَيُغَيِّرُ معنى الكتاب والسنَّة فيما أخبر اللَّه به، أو أمر به»[4].

وقال -تعالى- عن أهل الكتاب: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٨]، فوجب أن يكون في أمَّة الإسلام من يَلْوُونَ ألسنتهم بالكذب على اللَّه ورسوله، والأئمة، ويُزَيِّنونه للناس ويُوهِمونَهم أنه من عند اللَّه وأنه مراده، وهم يعلمون أنه كذب.

«ولا سيَّما المبتدعَ اللَّسِنَ الفصيحَ الآخذَ بمجامع القُلوب، إذا أخذ في التَّرغيب والتَّرهيب، وأدلى بشُبهته التي تداخل القلبَ بزُخْرُفها، كما كان معبدٌ الجُهَنيُّ يدعو النَّاس إلى ما هو عليه من القول بالقَدَر، ويَلْوي بلسانه نسبته إلى الحسن البصري.

فروي عن سفيان بن عُيينة: «أن عَمرو بن عُبيد سُئِلَ عن مسألةٍ فأجاب فيها، وقال: هو من رَأْي الحسن، فقال له رجل: إنَّهم يروون عن الحسن خلاف هذا،

---

(١) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٧٥٦).
(٢) «الاعتصام» (٢/ ٢٧-٢٨) بتحقيق شيخنا مشهور بن حسن -حفظه اللَّه-.
(٣) أخرجه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩).
(٤) «مجموع الفتاوى» (٢٥/ ١٣٠).

فقال: إنَّما قلتُ لك: هذا من رأيي[١] الحسن؛ يريد نفسه»[٢].

وقال محمد بن عبدالله الأنصاري: «كان عمرو بن عُبيد إذا سُئِلَ عن شيءٍ؛ قال: هذا من قولي الحسن، فيوهمهم أنه الحسن بن أبي الحسن [البصري]، وإنَّما هو قوله»[٣].

وقد خرج في زمن الصحابة والتابعين وأتباعهم: الخوارج، والشِّيعة، والقدرية، والمُرجِئَة، والجَهميَّة، والصُّوفيَّة، وكلٌّ منهم قد أصَّل لنفسه دينًا وضعه من عند نفسه بالكذب، والتحريف، والتلبيس، ويُزينه بعلم اللسان والكلام، وبما تشتهيه الأنفس، ويجادل عليه بالباطل، فتصدَّى لهم أئمة الإسلام، وكشفوا باطلهم وكذبهم، وأقاموا عليهم الحُجَّة، ووضحوا المَحجَّة لكلِّ من يُريد الحقَّ واتِّباعه.

ومن سمات أولئكم المنافقين، والمبتدعين عليمي اللِّسان -وهو أصْلٌ من أصولهم الفاسدة-، أنهم يسمُّون الأشياء بغير اسمها، قال رسول الله ﷺ: **«ليشربنَّ ناسٌ من أمتي الخمرَ يُسمُّونها بغير اسمها[٤]»**[٥].

---

(١) علَّق شيخنا مشهور حسن -حفظه الله- على هذه الكلمة في تعليقه على «الاعتصام» (١/ ٢٨٤) بقوله: «رأيي هنا: بياءَيْن، الثانية ياء المتكلم، وهذا هو معنى «ليِّ اللِّسان بالكلام»؛ لأجل التدليس والإيهام، ولكن النَّاسخ كتبها بياء واحدة كالتي قبلها؛ لأنه لم يفهم، ولم يعرب الرواية، ولأجل هذا لم يكن يقول: هذا رأي الحسن، وهذا قول الحسن؛ إذ لا يحتمل هذا إلا معنى واحدًا، فإذا قال: من رأيي الحسن، و: من قولي الحسن، تحذف ياء المتكلِّم [لفظًا]؛ لالتقاء الساكنين، فيكون المسموع: هذا من رأي الحسن، و: هذا من قول الحسن، فيقع الإيهام المراد».

(٢) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٧٥٠).

(٣) أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٧٥٥-١٧٥٦).

(٤) ويدخل في هذا المعنى من يُسمِّي الفرق الضالة -أهل السنَّة والجماعة- أو أنهم -الفرقة النَّاجية، والطائفة المنصورة-، وكذلك من يُسمِّي الربا -فوائد-، والتبرج، والتعري، والرقص، والغناء -فنًّا وثقافة-، وهكذا.

(٥) حسن، أخرجه أبو داود (٣٦٨٨ و ٣٦٨٩)، عن أبي مالك الأشعري ﷺ، وحسَّنه الإمام الألباني في «الصحيحة» (٨٩و٩٠و٩١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب «النبوات» (ص٩٥): «وأما أهلُ البِدَع؛ فهم أهل أهواءٍ وشبهات، يتبعون أهواءهم فيما يحبُّونه ويبغضونه، ويحكمون بالظنِّ والشُّبَه، فهم يتبعون الظنَّ وما تهوى الأنفُس، ولقد جاءَهُم من ربهم الهدى.

فكل فريقٍ منهم قد أصَّل لنفسه أصلَ دينٍ وضعه: إما برأيه وقياسه الذي يسميه (عقليات)، وإما بذوقه وهواه الذي يسميه (ذوقيات)، وإمَّا بما يتأوَّله من القرآن، ويحرف فيه الكَلِمَ عن مواضعه، ويقول: إنه إنما يتبع القرآن كالخوارج، وإما بما يدَّعِيهِ من الحديث والسنَّة، ويكون كذبًا وضعيفًا، كما يدعيه الروافض من النَّصِّ والآيات، وكثير ممن يكون قد وضع دينه برأيه أو ذوقه يحتج من القرآن بما يَتَأَوَّلُهُ على غير تَأَوُّلِهِ، ويجعل ذلك حجة لا عمدة، وعمدته في الباطن على رأيه». اهـ

ولذلك؛ فإنك «لا تجد مبتدعًا ممن ينتسب إلى الملَّة إلا وهو يستشهد على بدعته بدليل شرعي، فينزله على ما وافق عقله وشهوته»![1].

إنَّ هذا الاستدلال والجدال المذموم الهدَّام، إنما يكون بعد الزيغ والضلال، وعلامة عليه، قال رسول اللَّه ﷺ: **«ما ضلَّ قومٌ بعد هدًى كانوا عليه إلا أُوتوا الجدل»** ثمَّ قرأ: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾[2] [الزخرف: ٥٨].

فتراهم يجعلون الدين مطيَّة للوصول إلى أهدافهم الخاصَّة، ففي سبيل ذلك يكذبون على اللَّه ورَسوله، ويبتدعون في دين اللَّه ما لم ينزِّل به سلطانًا، ويُحدِثُون في الإسلام سُبُلًا وأحزابًا، مخالفةً لما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه كذبًا وتلبيسًا، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى يخرجَ ثلاثون كذابًا دجالًا، كلهم يَكْذِبُ على اللَّه وعلى رسوله»**[3].

(١) «الاعتصام» (١/ ٢٣٢).

(٢) صحيح، أخرجه الترمذي (٣٢٥٣)، عن أبي أُمامة رضي الله عنه، وصحَّحه الإمام الألباني في «المشكاة» (١٨٠).

(٣) حسن، أخرجه أبو داود (٤٣٣٤)، وحسَّنه الإمام الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

حتى إنَّ كثيرًا من هؤلاء المنافقين يتجرؤون ويتواقحون، ويدَّعون أنهم أنبياء من عند اللَّه، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تقوم السَّاعة حتى يخرُجَ ثلاثون دجالون، كلهم يزعمون أنه رسول اللَّه**»[(١)].

ومن أكبر علامات دجلهم وكذبهم، أنهم يأتوننا بما لم نسمع به عن سلفنا الصالح من الصحابة، والتابعين، وتابعيهم بإحسان، ومن سار على نهجهم من الأئمة والعلماء، ولم يشتهر عنهم لقول النبي ﷺ: «**يكون في آخر الزمان دجَّالون، كذَّابون، يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يُضلونكم، ولا يَفتنونكم**»[(٢)].

ومن هؤلاء المنافقين الذين أخبرنا معاذ بن جبل رضي الله عنه بسوء نيَّاتهم، وفساد أحوالهم، بعض رؤوس الفرق والأحزاب والبدع، حيث إنَّ الهدف الأول من تأسيسهم لهذه الفرق والأحزاب هو أن يكونوا أئمة متَّبَعين، ورؤساء مُطَاعِين، لا أن ينصروا الحقَّ والدين.

فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنه قال يومًا: «**إنَّ من ورائكم فتنًا، يكثر فيها المال، ويُفتح فيها القرآن، حتى يأخذه المؤمن، والمنافق، والرجل، والمرأة، والصغير، والكبير، والعبد، والحر، فيوشك قائلٌ أن يقول: ما للناس لا يتَّبعوني وقد قَرأْتُ القرآن؟ ما هم بمتبعيَّ حتى أبتدع لهم غيره! وإياكم وما ابتدع؛ فإنَّ ما ابتدع ضلالة، وأُحذركم زيغة الحكيم، فإنَّ الشيطان قد يقول كلمة الضَّلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق**».

قال الراوي[(٣)]: قلت لمعاذ: وما يُدريني -يرحمك اللَّه- أنَّ الحكيم قد يقول كلمة الضلالة، وأنَّ المنافق قد يقول كلمة الحق؟! قال: «**بلى، اجتنب من كلام**

---

(١) صحيح، أخرجه أبو داود (٤٣٣٣)، وصحَّحه الإمام الألباني في «صحيح سنن أبي داود».
(٢) أخرجه مسلم في مقدِّمة «صحيحه» (٧)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) هو يزيد بن عميرة كما عند أبي داود.

الحكيم المشتهرات، التي يقال: ما هذه؟ ولا يَثْنِيَنَّكَ ذلك عنه، فإنَّه لعلَّهُ أن يراجع، وتلقَّ الحقَّ إذا سمعته، فإنَّ على الحقِّ نورًا».

قال أبو داود: وقال ابن إسحاق عن الزهري قال: بلى، ما تشابه عليك من قول الحكيم حتى تقول: ما أراد بهذه الكلمة»؟!(١).

ولشيخ الإسلام الثاني ابن قيم الجوزية كلامٌ قيِّمٌ في كشفِ حقيقة مُحِبي الرياساتِ ومُتَّبِعِي الشهوات المتلبسين بالشبهات، والتحذير من الدنيا والركون إليها، ذكر بعده قوله -تعالى-: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٦]، مستنبطًا منه عَشْرَ فوائِدَ دقيقة نفيسة حيث قال:

لِيَحْذَرِ العَالِمُ الدُّنيا والرُّكونَ إليها(٢)

كلُّ من آثَرَ الدُّنيا من أهل العلمِ واستحبَّها؛ فلا بدَّ أنْ يقولَ على اللَّهِ غيرَ الحقِّ في فتواهُ وحُكمِهِ، في خبرِهِ وإلزامِهِ؛ لأنَّ أحكامَ الرَّبِّ -سبحانه- كثيرًا ما تأتي على خلافِ أغراضِ النَّاس، ولا سيَّما أهل الرياسةِ، والذين يتَّبعون الشهواتِ، فإنَّهم لا تتمُّ لهم أغراضُهم إلا بِمخالفةِ الحقِّ ودفعِهِ كثيرًا.

فإذا كانَ العالمُ والحاكمُ مُحِبَّيْنِ للرياسةِ مُتَّبِعَيْنِ للشهوات؛ لم يتمَّ لهما ذلكَ إلا بدفع ما يضادُّه من الحقِّ، ولا سيَّما إذا قامت له شبهةٌ، فَتَتَّفِقُ الشبهةُ والشهوةُ ويثورُ الهوى، فيخفى الصوابُ وينطمسُ وجهُ الحقِّ.

---

(١) صحيح، أخرجه أبو داود (٤٦١١)، عن يزيد بن عميرة رضي الله عنه، وصحَّحه الإمام الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٣٨٥٥) قال: (صحيح الإسناد موقوف).

(٢) ما تحته من كتاب «فوائد الفوائد» (ص٢٤٣-٢٤٦) للإمام ابن قيِّم الجوزيَّة، بترتيب وتعليق وتخريج شيخنا علي الحلبي -حفظه اللَّه-، وهذا الكلام أنقله بطوله لغزارة فوائده.

وإنْ كان الحقُّ ظاهرًا لا خفاءَ به ولا شبهةَ فيه؛ أَقدمَ على مخالفتِهِ وقالَ: لي مخرجٌ بالتوبة!!

وفي هؤلاء وأشباهِهم قالَ -تعالى-: ﴿فَخَلَفَ مِنْۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ [مريم:٥٩]، وقال -تعالى- فيهم -أيضًا-: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ وَٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف:١٦٩]، فأخبرَ -سبحانه- أنَّهم أخذوا العَرَضَ الأدنى مع علمِهم بتحريمه عليهم، وقالوا: سيُغفَرُ لنا، وإنْ عَرَضَ لهم عَرَضٌ آخرُ أخذوه؛ فهم مُصِرُّون على ذلك، وذلكَ هو الحاملُ لهم على أن يقولوا عليه ما يعلمون بطلانَه.

وأمَّا الذين يتَّقونَ فيعلمون أنَّ الدارَ الآخرةَ خيرٌ من الدُّنيا؛ فلا يحملُهم حبُّ الرياسةِ والشهوةِ على أن يُؤْثِرُوا الدنيا على الآخرة، وطريقُ ذلك أن يتمسَّكوا بالكتاب والسنَّة، ويستعينوا بالصبر والصلاة، ويتفكَّروا في الدنيا وزوالِها وخِسَّتها، والآخرة وإقبالِها ودوامِها.

وهؤلاء لا بدَّ أنْ يبتدعوا في الدِّين مع الفجور في العمل، فيجتمعَ لهم الأمرانِ؛ **فإنَّ اتِّباعَ الهوى يُعْمي عينَ القلبِ فلا يميِّزُ بينَ السنَّةِ والبدعةِ، أو يُنكِّسُه؛ فيرى البدعةَ سنَّةً والسنَّةَ بدعةً!**

فهذه آفَةُ العلماءِ إذا آثروا الدُّنيا واتَّبعوا الرياساتِ والشَّهواتِ.

وهذه الآياتُ فيهم إلى قوله: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث﴾ [الأعرف:١٧٥-١٧٦].

فهذا مثلُ عالم السُّوءِ الذي يعملُ بخلافِ علمِهِ.

وتأمَّل ما تضمَّنتْهُ هذه الآيةُ من ذمِّهِ، وذلكَ من وجوهٍ:

أحدها: أنَّه ضلَّ بعدَ العلمِ، واختارَ الكفرَ على الإيمانِ عمدًا لا جهلًا.

وثانيها: أنَّهُ فارقَ الإيمان مفارقةَ مَنْ لا يعودُ إليه أبدًا؛ فإنَّه انسلَخَ من الآياتِ بالجملةِ كما تنسلخُ الحيَّةُ من قشرِها، ولو بقي معه منها شيءٌ لم ينسلخْ منها.

وثالثهما: أَنَّ الشيطانَ أدركَه ولحقَه بحيث ظفرَ به وافترَسَه، ولهذا قالَ: ﴿فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾، ولم يقل: تبعَه؛ فإنَّ معنى (أتبعَه): أدركَه ولحقَه، وهو أبلغُ من (تَبِعَهُ) لفظًا ومعنى.

ورابعُها: أنَّه غوى بعد الرُّشدِ، والغيُّ: الضلال في العلمِ والقصدِ، وهو أخصُّ بفساد القصد والعمل، كما أنَّ الضلال أخصُّ بفسادِ العلمِ والاعتقادِ، فإذا أُفردَ أحدُهما دخل فيه الآخرُ، وإن اقْتَرَنا، فالفرق ما ذُكِر.

وخامسها: أنَّه -سبحانه- لم يشأ أَنْ يرفعَه بالعلمِ، فكان سبب هلاكِهِ؛ لأنَّه لم يُرْفَعْ به! فصارَ وبالًا عليه، فلو لم يكنْ عالمًا، كان خيرًا له وأخفَّ لعذابِه.

وسادسها: أنَّه -سبحانه- أخبرَ عن خِسَّة همَّتِهِ، وأنَّه اختارَ الأسفلَ الأدنى على الأشرف الأعلى.

وسابعها: أَنَّ اختيارَه للأدنى لم يكنْ عن خاطرٍ وحديثِ نفسٍ، ولكنَّه كانَ عن إخلادٍ إلى الأرض وميل بكليَّته إلى ما هناك.

وأصلُ الإخلاد: اللُّزومُ على الدَّوامِ، كأنَّه قيل: لزمَ الميلَ إلى الأرضِ، ومن هذا يقالُ: أَخلدَ فلانٌ؛ إذا لزمَ الإقامةَ به، قال مالك بن نُوَيرة[1]:

بأَبناءِ حَيٍّ مِنْ قبائِلِ مالِكٍ ... وعمرِو بنِ يَرْبُوعٍ أقامُوا فأَخْلَدُوا

وعبَّر عن ميله إلى الدنيا بإخلاده إلى الأَرضِ؛ لأنَّ الدنيا هي الأرضُ وما فيها وما يستخرج منها من الزِّينةِ والمتاع.

---

(١) البيت لهُ في «الأصمعيَّات» (ص١٩٣).

وثامنها: أَنَّه رَغِبَ عن هداه واتبعَ هواه، فجعلَ هواه إمامًا له يَقْتَدي به ويتَّبعُه.

وتاسعها: أَنَّهُ شبَّهَهُ بالكلبِ الذي هو أخسُّ الحيوانات هِمَّةً، وأسقطُها نفسًا، وأبخلُها وأَشدُّها كَلَبًا، ولهذا سُمِّيَ كلْبًا.

وعاشرها: أَنَّه شَبَّهَ لهَثَه على الدنيا وعدمَ صبره عنها وجزعَه لفقدِها وحرصَه على تحصيلِها؛ بِلَهْثِ الكلبِ في حالَتَيْ تركِهِ والحملِ عليه بالطَّردِ، وهكذا هذا؛ إنْ تُركَ فهو لَهْثانُ على الدنيا، وإنْ وُعظَ وزُجرَ فهو كذلكَ، فاللَّهثُ لا يُفارِقُهُ في كلِّ حالٍ كلَهْثِ الكلبِ.

قال ابنُ قُتيبة[1]: كلُّ شيءٍ يلهثُ فإنَّما يلهثُ من إعياءٍ، أو عطشٍ إلا الكلب، فإنَّه يلهثُ في حال الكَلالِ وحالِ الرَّاحةِ، وحالِ الرِّيِّ، وحالِ العطشِ، فضربَه اللَّه مثلًا لهذا الكافر، فقال: إنْ وعظْته فهو ضالٌّ، وإنْ تركتَه فهو ضالٌّ، كالكلبِ إنْ طردته لهثَ، وإنْ تركتَه على حالِهِ لهثَ.

وهذا التمثيلُ لم يقعْ بكلِّ كلبٍ، وإنَّما وقعَ بالكلبِ اللاهثِ، وذلك أخَسُّ ما يكون وأشنعُه». اهـ

«حُبُّ الرِّئاسة:

ولذلك يعسُرُ خروج حبِّ الرئاسة من القلب إذا انفرد، حتى قال الصوفيَّة: حبُّ الرئاسة آخر ما يخرج من رؤوس الصِّدِّيقين! فكيف إذا انضاف إليه الهوى من أصل، وانضاف إلى هذين الأمرين دليل -في ظنِّه- شرعيٌّ على صحَّة ما ذهب إليه؟! فتمكَّن الهوى من القلب تمكُّنًا لا يمكن في العادة الانفكاك عنه، وجرى منه مجرى الكَلَب من صاحبه؛ كما جاء في حديث الفِرَق[2]، فهذا النَّوع ظاهرٌ أنَّه آثِمٌ

---

(١) «تأويل مشكل القرآن» (ص٣٦٩).

(٢) الذي رواه معاوية ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال: **«ألا إنَّ مَنْ قبلكُم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملَّة، وإنَّ هذه الأمَّة ستفترق على ثلاثٍ وسبعين، ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنَّة، وهي الجماعة»**، زاد ابن يحيى وعمرو في حديثيهما: **«وإنَّه سيخرج في أُمتي أقوامٌ تَجَارى بهم تلك الأهواء كما يَتَجارى الكَلَبُ**=

في ابتداعه إثمَ من سنَّ سنَّةً سيِّئةً»[1] .

وقد رُوي عن عيسى بن مريم عليه السلام في حقِّ مثلِ أولئك المنافقين الدجَّالين، الكذَّابين، الحزبيين، المفرقين، الوُصُولِيِّين، وكيفيَّة معرفتهم قوله: «من ثمارهم تعرفونهم».

ومن أمثلة ما يفعله المنافق المبتدع العليم اللِّسان من التَّلبيس، والتَّدليس على العوامِّ، وقلب الحقائق إلى أوهام، وجَعْلِ السنَّة بدعة، والبدعة سنَّة، ما ذكرهُ الشيخ محمد أحمد العَدَوي في «أصول البدع والسُّنن» (ص٣٠-٣٣)، بعد أن تكلَّم عن البدعة الإضافيَّة أنَّها مشروعة من وجه، وغير مشروعة من وجه آخر، أي أنَّ: «الأصل سنَّة والكيفيَّة بدعة»، وَذَكَرَ أمثلةً كثيرةً من البدع الإضافيَّة، قال: «ومن ذلك تَعْلمُ أن من يُنكِر البدعَ المذكورة؛ إنَّما يُنكرُها بالاعتبار الثاني، وهو جهة الابتداع.

فما تسمعهُ من بعض النَّاس مِنْ أنَّ فلانًا يُنكِرُ الذكرَ أو الدعاءَ، أو الصَّلاة على

= لِصاحِبِهِ»، وقال عمرو: «**الكَلَب بصاحبِهِ، لا يبقى منه عِرْقٌ ولا مَفْصِلٌ إلا دخله**» أخرجه أبو داود (٤٥٩٧)، وحسَّنه الإمام الألباني في «الصحيحة» (٢٠٤).

قال صدِّيق حسن خان رحمه الله في «الدين الخالص» (٣/ ٤٥) مُعرِّفًا الكَلَب: «داء يعرض للآدميِّ من عَضِّ الكلْب، فيصير مجنونًا، ويستولي عليه، ويسري فيه، ولا يستطيع أن ينظر إلى الماء، وإن نظر يصيح، وربما يموت من العطش، ولا يتمكن من شرب الماء وهوشبيه المانيخليا لا يبقى منه عِرق ولا مِفصل إلا دخله.

قال بعض أهل العلم: تشبيه أهل الهوى بصاحب هذه العلَّة؛ لاستيلائها عليه، وتولد الأعراض الرديَّة منها، وتعدِّي ضَرَرِها إلى غيره؛ كما تتعدَّى علَّة البدعة في أهل الأهواء.

وكما أنَّ صاحب الكَلَبِ يَفِرُّ من الماء، ولا يتمكَّن من شربه، ويموت عطشان، فكذلك أهل الأهواء يفرُّون من علم الدين الذي هو اتباع الكتاب والسنَّة، ولا يتمكنون من الاستفادة منهما، ويموتون محرومين في بادية الجهل، وهاوية البدعة نسأل اللَّه العافية».

فمن تَخمَّرَ حُبُّ الرئاسة والهوى والشبهة في قلبه، وجرى منه حُبُّ هذه الأمور كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه، وكان مؤسِّسًا لحزب ما، أو مُنظِّرًا لجماعة ما، أو مناظرًا عن فرقةٍ ما، فكيف يرجع إلى الحق وهو لا يراه، ويَرْعَوي عن الباطل إلا أن يشاء اللَّه؟!

(١) «الاعتصام» (١/ ٢٥٢-٢٥٣).

النبيِّ ﷺ، أو قراءَة القرآن: هو كلامٌ نشأَ عن جهلٍ بالدِّين، وجهلٍ بما يعنيه المُنْكِرُ، أو هو كلامٌ يُراد منه التَّشهيرُ بصاحب القولِ؛ فهو إمَّا جهلٌ أو تجاهلٌ، نعوذ بالله منهما.

وقد أخبرني بعضُ أصدقائي أنَّ بعض المشايخ كان إذا أراد التَّنكيل بصاحبه الذي يُعَلِّمُ النَّاس الدِّين؛ دعا عوامَّ النَّاس، وقال لهم: ماذا تقولونَ في الصَّلاة على النبيِّ ﷺ؟ فيقولون: هي من الدِّين، فيقول: إنَّ فلانًا يُنكرُها! وماذا تقولون في الاستغفار، وقراءةِ القرآن؟ فيقولون: إنَّ الاستغفار عبادةٌ، وكذا قراءة القرآن، فيقولُ لهم: إنَّ فلانًا ينكرُها، فوقع ذلك من صديقي موقع الإعجاب، وقال له: كيف ذلك وأنت تعلمُ ما يقول؟! فقال له: إني لا أريدُ إلَّا تنفيرَ العامَّة منه، حتى لا يسمعوا له نصيحةً أخرى!!

فانظروا يا قومِ كيفَ يكونُ هذا؟ وكيف يحارَبُ من يدعونَ النَّاس إلى سنَّةِ الرسول ﷺ بأساليب شيطانيَّة؟!». اهـ

ومن أساليبهم الشيطانيَّة -أيضًا- أنهم يَبْتُرون النصوص ويقطعونها عن متمِّمَاتِها ومكمِّلاتها، وينزعونها من مناسباتها وأسبابها، فيقلبون المراد والمعاني رأسًا على عقب، ويقلبون الحقَّ باطلًا والباطل حقًّا، كما لو قال مثلًا في قوله -تعالى-: ﴿طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [طه: ١-٢]، ثمَّ يقف، أو يقول: ﴿... أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾، فمرَّة يَنْزِعُ آخرَ الكلام، ومرَّةً يَنْزِعُ أوله، وفي كلتا الحالتين ينقلب المعنى ويتغيَّر، وكمن يقول: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون: ٤]، ثمَّ يقف ولا يتمُّ قوله -تعالى-: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥].

فكذلك يَفعلون في كلام الله -تعالى- وأقوال النبيِّ ﷺ، وأقوال الصحابة، والأئمَّة، والعلماء، ويَكْثُرُ هذا الفعل مِنْ أهل البدع في رُدودهم ومُناظراتهم مع أهل السنَّة؛ حيث يَستشهدون بأقوال بعضِ علماءِ أهلِ السنَّةِ من كتبهم فيبترونها، ويغيِّرون معانيها، ثمَّ يقولون: ها هم علماؤكم يا أهل السنَّة! يقولون كذا وكذا؛

لِيَطْعَنُوا في عقيدةِ أولئكَ العلماء، ومناهجهم، ويُسقطونهم، ويُلْبِسُوا على أهل السنَّةِ وعلى أتباعهم، وفي حقيقة الأمر يكون كلام أهل السنَّة ومعناه غير ما قالوا وزعموا.

فالمنافق عليم اللسان، -وهذه ثماره- إمَّا أن يُلْبِسَ على النَّاس فيوقعهم في البدع والسُّبل المضلَّة، وإمَّا أن يورث قلوبهم فتنة وارتيابًا، فيخرجهم من الدين والملة.

و«بعد أن عُرِفَ سبيلُ أهل البدع، وأنَّه قائم على التَّلبيس والتَّدليس، ومبنيٌّ على التَّضليل والتَّزيين؛ ظهر أنَّ المنهج الصحيح في التعاملِ معهم هو المجانبةُ، والهجرُ، والإعراض»[1].

هِجْرَانُ أَهْلِ البِدَعِ

قال الإمام البغويُّ في «شرح السنَّة» (١/ ٢٢٤): «وقد أخبر النبيُّ ﷺ عن افتراق هذه الأمَّة، وظهور الأهواءِ والبدع فيهم، وحكم بالنجاة لمن اتَّبع سنَّته وسنَّة أصحابه رضي الله عنهم.

فعلى المرء المسلم إذا رأى رجلًا يتعاطى شيئًا من الأهواء والبدع معتقدًا، أو يتهاون بشيء من السنن: أَنْ يَهْجُرَه، ويتبرَّأَ منه، ويَتْرُكَه حيًّا وميتًا، فلا يُسلِّم عليه إذا لقيه، ولا يُجيبُه إذا ابتدأ، إلى أَنْ يترُكَ بدعته، ويُراجع الحق.

والنهيُ عن الهجران فوق الثلاث[2] فيما يقع بين الرجلين من التَّقصير في حقوق الصُّحبة والعِشرة، دون ما كان ذلك في حقِّ الدِّين؛ فإنَّ هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة إلى أن يتوبوا».

ثمَّ قال رَحِمَهُ اللَّهُ في (١/ ٢٢٧) مستنبطًا من حديث المخلَّفين: «وقد مضت

---

(١) «علم أصول البدع» (ص٣٠٥)، لشيخنا علي الحلبي -حفظه الله-.

(٢) كما رواه البخاري (٦٠٧٧)، ومسلم (٢٥٦٠) عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه.

الصحابة والتابعون وأتباعهم، وعلماء السنَّة على هذا، مجمعين متفقين على معاداة أهل البدعة ومهاجرتهم».

وقال الإمام الشوكاني في «فتح القدير» (٢/ ١٢٢) في تفسير قوله -تعالى-: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي هذه الآية موعظة عظيمة لمن يَتَسمَّحُ بمجالسة المبتدعة الذين يحرفون كلام اللَّه، ويتلاعبون بكتابه وسنَّة رسوله، ويردُّون ذلك إلى أهوائهم المضلَّة، وبدعهم الفاسدة؛ فإنه إذا لم يُنكِر عليهم ويُغيِّر ما هم فيه؛ فأقلُّ الأحوال أن يَتْرُك مجالستهم، وذلك يسيرٌ عليه غير عسير، وقد يجعلون حضوره معهم مع تنزُّهه عمَّا يتلبسون به شبهة، يشبِّهون بها على العامَّة، فيكون في حضوره مفسدة زائدة على مجرَّد سماع المنكر.

وقد شاهدنا من هذه المجالس الملعونة ما لا يأتي عليه الحصر، وقمنا في نصرة الحق ودفع الباطل بما قَدِرْنا عليه، وبلغت إليه طاقتنا، ومن عرف هذه الشريعة المطهرة حقَّ معرفتها عَلِمَ أنَّ مجالسةَ أهل البدع المضِلَّة فيها من المفسدة أضعاف ما في مجالسة من يعصي اللَّه بفعل شيء من المحرمات، ولا سيَّما لِمَنْ كان غيرَ راسخ القدم في علم الكتاب والسنَّة؛ فإنه ربما يَنْفَقُ عليه من كذباتهم وهَذَيانِهِم ما هو من البطلان بأوضح مكان، فينقدح في قلبه ما يَصْعُبُ علاجه ويعسر دفعُه، فيعملُ بذلك مدة عُمره ويلقى اللَّه به معتقدًا أنه من الحق، وهو -واللَّه- من أبطل الباطل، وأنكر المنكر».

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«مَثَلُ المنافق في أمتي كمثلِ الشاة العائرة**[1] **بين الغنمين، تعيرُ إلى هذه مرَّة، وإلى هذه مرَّة [لا تدري أيَّها**

---

(١) العائرة: الساقطة التي لا يُعْرف لها مالك، كما في «النهاية» (٣/ ٣٢٨) لابن الأثير.

تَتَّبع]»[١].

ذكر هذا الحديث ابن بطّة في كتابه «الإبانة» (١/ ٤٥٦)، ثم قال عقبه: «كثر هذا الضرب في زماننا -لا كثَّرهم اللَّه-، وسلَّمنا وإياكم من شرِّ المنافقين، وكيد الباغين، ولا جعلنا وإيَّاكم من اللاعبين بالدِّين، ولا من الذين استهوتهم الشياطين، فارتدوا ناكصين، وصاروا حائرين»[٢].

تحذيرُ السَّلفِ مِنَ المُنَافِقينَ المبتدعَةِ

لذلك كَثُرَتْ أقوالُ السَّلَفِ في التَّحذير من قُرب ومُجالسة ومُناظرة المبتدعة الزَّائغين الضَّالين المُضِلِّين.

قال الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ: «أدركتُ خِيار النَّاس كُلُّهم أصحاب سنَّة، وَيَنْهَوْن عن أصحاب البدع»[٣].

وقال يحيى بن أبي كثير: «إذا لقيت صاحب بدعةٍ في طريق، فخُذْ في غيره»[٤].

وقال أبو قلابة الرَّقاشيُّ في أهل البدع: «لا تُجالسوهُم، ولا تخالطوهم، فإنه لا آمَنُ أن يغمسوكم في ضلالتهم، ويُلبِّسوا عليكم كثيرًا ممَّا تعرفون»[٥].

وقال الفُضَيْلُ بنُ عِيَاضٍ: «من جلس مع صاحب بدعة؛ فاحْذَره، ومَن جَلَس مع صاحب البدعة؛ لم يُعْطَ الحكمة، وأُحِبُّ أن يكون بيني وبين صاحب بدعةٍ حصنٌ من حديد»[٦].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٨٤)، وما بين المعقوفين زيادة رواها النسائي (٥٠٣٧) بإسناد صحيح كما في «صحيح سنن النسائي».

(٢) «الإبانة» (١/ ١٤٧).

(٣) «شرح أصول الاعتقاد» (٢٦٧).

(٤) «الشريعة» (٦٤) للآجري.

(٥) «السنَّة» (ص١٨) لعبد اللَّه بن أحمد.

(٦) «الحلية» (٨/ ١٠٣).

وقال مُفضَّل بن مُهَلْهِل: «لو كان صاحبُ البدعة إذا جلست إليه يُحدِّثك ببدعته؛ حَذِرْتَهُ وفررتَ منهُ، ولكنَّهُ يُحدِّثُكَ بأحاديثِ السُّنَّة في بدء مجلِسِه، ثمَّ يُدخِلُ عليك بدعَتَهُ، فلعلَّها تلزم قلبك! فمتى تخرُجُ من قلبك؟»[١].

وقال الأوزاعي: «لا تُمكِّنوا صاحب بدعةٍ من جدلٍ، فيورث قلوبكم من فتنته ارتيابًا»[٢].

وقال الحسن البصري: «لا تُمكِّنْ أذنيك من صاحب هوًى فَيَمْرَضَ قلبُك»[٣].

وعن سفيان الثوري قال: «من أصغى سَمْعَهُ إلى صاحب بدعةٍ وهو يعلَمُ أنَّه صاحب بدعة؛ نُزِعتْ منه العصمةُ، ووُكِّلَ إلى نفسه»[٤].

وقال عمر بن عبدالعزيز: «من جعل دينه غرضًا للخصومات؛ أكثر التَّنقُّل»[٥].

وقال الإمام مالك حاثًّا على الثبات على السنَّة، ومُحذِّرًا من الجدال في الدين وعائبُه: «كُلَّما جاءنا رجل أجدل من رجل؛ أردنا أن نَرُدَّ ما جاء به جبريل إلى النبيِّ ﷺ»[٦].

وعن خالد بن الحارث الهجيمي قال: «إيَّاكم وأصحابَ الجدالِ والخصومات، فإنَّهم شرارُ أهل القبلة»[٧].

وقال ابن بطَّة: «فاللَّهَ اللَّهَ معشر المسلمين! لا يَحْمِلَنَّ أحدًا منكم حسنُ ظنِّه بنفسه، وما عهد من معرفته بصحَّة مذهبه على المخاطرة بدينه في مجالسة بعض

---

(١) «الإبانة» (٣٩٤).

(٢) «البدع والنَّهي عنها» (ص٥٣).

(٣) «البدع والنَّهي عنها» (ص٥٠) لابن وضَّاح، و«الإبانة» (٣٩٦) لابن بطَّة.

(٤) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٢٦١).

(٥) أخرجه الدارمي (٣١٠)، والآجري في «الشريعة» رقم (١١٦ و ١١٧) تحقيق عبد اللَّه الدميجي، وقد صححه الدميجي فيه.

(٦) «ذم الكلام» رقم (٨٦٩ و ٨٧٠ و ٨٧١).

(٧) «ذم الكلام» (١٠٨٤).

أهل هذه الأهواء، فيقول: أُداخله؛ لأناظره أو لأستخرج منه مذهبه، فإنهم أشدُّ فتنة من الدَّجال[١]، وكلامهم ألصق من الجَرَب، وأحرقُ للقلوب من اللَّهَبِ»[٢].

لذا؛ قال أبو عثمان الصابوني في «عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص١٠٠) بعد ذِكره بُغْضَ أهل البدع ومجانَبَتَهُم؛ قال: «ويرونَ[٣] صَوْنَ آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مرَّت بالآذان وقرَّت في القلوب؛ ضرَّت وجرَّت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جرَّت».

وعن سفيان الثوريِّ قال: «من سمع بدعة؛ فلا يَحْكِهَا لجلسائه؛ لا يُلقيها في قلوبهم»، أورده الإمام الذَّهبي في «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٢٦١)، وعقَّب بقوله: «أكثر أئمة السَّلَف على هذا التحذير، يرون أنَّ القلوب ضعيفة، والشُّبه خطَّافة».

ولكن؟ لا بد من التمييز بين من يسأل محدثةً وفتنةً وتعنُّتًا، وبين من يَسأل مُستفهمًا مُسترشدًا وتلطف في ذلك.

قال الإمام النَّووي في «شرح صحيح مسلم» (٨/ ٤٣٤): في شرح حديث عائشة رضي الله عنها وهو قولها: «تلا رسول اللَّه ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، قالت: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إذا رأيتم الذين يتَّبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سَمَّى اللَّه فاحذروهم»**[٤].

(١) هذا الكلام منه -رحمه اللَّه- فيه مبالغة؛ لأن فتنة الدَّجَّال أكبر فتنة تشهدها الأرض إطلاقًا؛ لما صحَّ عن النبي ﷺ أنه قال: **«ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلقٌ أكبر من الدجَّال»** أخرجه مسلم في «صحيحه» رقم (٢٩٤٦) من حديث هشام بن عامر رضي الله عنه، وأخرجه -أيضًا- الإمام أحمد في «مسنده» رقم (١٤١١٢) من حديث جابر ابن عبداللَّه رضي الله عنه بلفظ: **«ما كانت فتنة ولا تكون حتى تقوم الساعة أكبر من فتنة الدجَّال»**.

(٢) «الإبانة» (١/ ١٥٤-١٥٥).

(٣) أي: أهل الحديث.

(٤) مضى تخريجه (ص٨٧).

قال: «وفي هذا الحديث التحذير من مخالطة أهل الزيغ وأهل البدع، ومن يتبع المشكلات للفتنة، **فأما من سأل عمَّا أشكل عليه منها للاسترشاد، وتلطف في ذلك فلا بأس عليه، وجوابه واجب**، وأمَّا الأول فلا يُجاب بل يُزجر ويُعزَّر كما عزَّر عمر بن الخطاب رضي الله عنه صَبيغَ بن عِسْل حين كان يتَّبع المتشابه».

وكذلك فإنَّ أحكام مجانبة أهل البدع والضلال تجري على مؤلفاتهم ومصنفاتهم، وأشرطتهم، -وما أشبه- لنفس العلَّة.

قال ابن قدامة المقدسي: «كان السلف ينهون عن مجالسة أهل البدع، والنظر في كتبهم، والاستماع لكلامهم»[١].

وهناك علَّة أخرى في نَهْي السَّلف عن مناظرة أهل البدع ومجالستهم، ذكرها العز بن عبدالسلام رحمه الله، وهي أنَّ: «البحث معهم ضائعٌ مُفضٍ إلى التقاطع والتدابر، من غير فائدة يجنيها، وما رأيتُ أحدًا رجع عن مذهبه إذْ ظهر له الحق في غيرِه، بل يُصِرُّ عليه مع علمِه بضعفه وبُعدِه»[٢].

تطبيقاتٌ سَلفيَّة

عن هشام بن حسان، قال: «قال رجلان لابن سيرين: إنَّ فلانًا يريد أن يأتيك ولا يتكلَّم بشيء، قال: قل لفلان: لا، ما يأتيني فإنَّ قلب ابن آدم ضعيف، وإنِّي أخاف أن أسمع منه كلمةً فلا يرجع قلبي إلى ما كان» أخرجه ابن وضَّاح في «النهي عن البدع» (١٥٣)، وابن بطة في «الإبانة» (١/ ١٤١).

وعن عبدالرزاق، قال: « قال لي إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى: أرى المعتزلة عندكم كثيرًا، قلت: نعم، وهم يزعمون أنك منهم، قال: أفلا تدخل معي هذا الحانوت حتى أكلِّمكَ، قلت: لا، قال: لم؟ قلت: لأنَّ القلب ضعيف والدين

---

(١) «الآداب الشرعيَّة» (١/ ٢٦٣) لابن مفلح.

(٢) «قواعد الأحكام» (٢/ ١٣٥) بتصرُّف يسيرٍ.

ليس لمن غلب»، أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (١/ ١٤١)، واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (٢٤٩).

وعن ابن خثيم أنَّ طاوسًا كان جالسًا هو وطَلْقُ بن حَبِيبٍ، فجاءهما رجل من أهل الأهواء، فقال: أتأذن لي أن أجلس، فقال له طاوس: إنْ جلست قمنا، فقال: يغفر اللَّه لك يا أبا عبدالرحمن، فقال: هو ذاك إن جلست واللَّه قمنا، فانصرف الرجل»، أخرجه ابن بطَّة في «الإبانة» (١/ ١٤١).

وعن سعيد بن عامر، عن أسماءَ بن عبيد قال: «دخل رجلان من أصحاب الأهواء على ابن سيرين، فقالا: يا أبا بكر! نُحدِّثك بحديث؟ قال: لا، قالا: فنقرأ عليك آيةً من كتاب اللَّه؟ قال: لا؛ لتقومانِ عنِّي أو لأقومنَّ، قال: فخرجا، فقال بعض القوم: يا أبا بكر! وما كان عليك أن يَقْرَآ عليك آية من كتاب اللَّه -تعالى- قال: إني خشيت أن يقرآ عليَّ آيةً فيُحرِّفانها، فَيَقَرَّ ذلك في قلبي»[1].

وعن سلام بن أبي مُطيع أنَّ رجلًا من أصحاب الأهواء قال لأيوب: يا أبا بكر أسألك عن كلمة؟ قال: فولَّى وهو يُشيرُ بإصبعه: ولا نصف كلمةٍ، وأشار لنا سعيد بخِنْصِرِهِ اليُمنى»[2].

وعن مَعمر، قال: «كان ابن طاوس جالسًا فجاء رجل من المعتزلة فجعل يتكلَّم، قال: فأدخل ابن طاوس إصبعيه في أذنيه، وقال لابنه: أي بُني! أدخل إصبعيك في أذنيك واسدُدْ؛ لا تَسمع من كلامه شيئًا، قال مَعمر: يعني أنَّ القلب ضعيف»[3].

ومن النَّتائج الواقعيَّة لمخالفة مثل هذه التَّحذيرات السلفيَّة، ما حصل لأقوامٍ من

(١) رواه الدارمي (١/ ٤٠١)، واللالكائي (٢٤٢).

(٢) رواه الدارمي (١/ ٤٠٢).

(٣) رواه الهروي في «ذم الكلام» (٤/ ٤٥-٤٦)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة والجماعة» (١/ ١٣٥).

الوقوع في البدع، وسُبُلِ الضَّلال، ولآخرين من الخروج من الدِّين، والحطِّ على الملَّة.

ذكر ابن حجر العسقلاني في «الإصابة» (٥/ ٣٠٢) في ترجمة عِمرانَ بنِ حِطَّانَ أنَّه كان سُنيًّا ثمَّ تزوَّج ابنة عمٍ له، فعلم أنَّها ترى رأي الخوارج، فأراد أن يردَّها فصرفته إلى مذهبها.

وعن مغيرة، قال: قال محمد بن السائب: «قوموا بنا إلى المرجئة نسمع كلامهم، قال: فما رجع حتى عَلِقَهُ»، أخرجه ابن بطة في «الإبانة» (١/ ١٥٠).

قال الإمام الذهبيُّ في «سير أعلام النبلاء» (١٩/ ٤٤٧) في ترجمة ابن عَقيل، حيث نقل عنهُ قولَه: «كان أصحابنا الحنابلَةُ يريدون منِّي هِجْرَانَ جماعةٍ من العلماءِ، وكان ذلك يَحْرِمُني علمًا نافعًا»!!

فعلَّق الذهبيُّ بقوله: «كانوا يَنْهونه عن مجالسة المعتزلة ويأبى، حتى وقع في حبائِلِهم، وتَجسَّر على تأويل النصوص، نسألُ اللَّه السلامة».

قال ابن بطَّة في «الإبانة» (١/ ١٥٥) بعد أن حذَّر من مجالسة المبتدعة: «ولقد رأيت جماعة من النَّاس كانوا يلعنونهم ويسبُّونهم، فجالسوهم على سبيل الإنكار والرد عليهم، فما زالت بهم المباسطة وخَفِيُّ المكْرِ ودقيقُ الكفر حتى صَبَوْا إليهم».

وقال الإمام الذهبيُّ في «السِّير» (١٤/ ٥٩) -أيضًا- في ترجمة ابن الرِّيوَنْديِّ الملحِد؛ قال: «وكان يُلازم الرافضةَ والملاحدةَ، فإذا عوتِبَ قال: إنَّما أُريد أنْ أعرف أقوالهم»!!

إلى أن صار ملحدًا، وحطَّ على الدينِ والمِلَّةِ!

وقال اللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (١/ ١٦): «فما جنى على المسلمين جنايةً أعظمُ من مناظرة المبتدعة، ولم يكُنْ لهم قهر ولا ذل أعظم ممَّا تركهُم السلف على تلك الجملةِ يموتون من الغَيْظ؛ كمدًا ودَرَدًا، ولا يجدون إلى إظهار بدعتهم سبيلًا، حتَّى جاء المغرورون، ففتحوا لهم إليها طريقًا، وصاروا لهُم

إلى هلاك الإسلام دليلًا، حتَّى كثُرت بينهم المشاجرة، وظهرت دعوتُهم بالمناظرة، وطَرَقَتْ أسماع مَنْ لم يكن عَرَفها مِنَ الخاصَّة والعامَّة، حتَّى تقابلت الشُّبَه في الحُجَجِ، وبلغوا من التدقيق في اللُّجَجِ، فصاروا أقرانًا وأخدانًا، وعلى المداهنةِ خلانًا وإخوانًا، بعد أن كانوا في دينِ اللَّه أعداءً وأضدادًا، وفي الهجرةِ في اللَّه أعوانًا: يكفِّرونهم في وجوههم عيانًا، ويلعنونَهم جهارًا، وشتَّان ما بين المنزلتين، وهيهات ما بين المقامَيْن».

«هذا كلُّه جَعَلَ من أعظم وصايا الشيوخ لطلابهم البُعْدَ عن مجالسة أهل البدع، وعدمَ سماعِ كلماتهم، وشُبهاتهم؛ كما هي نصيحةُ شيخ الإسلام ابن تيميَّة لتلميذه ابن قيِّم الجوزيَّة»[1]:

«لا تَجْعَل قلبَكَ للإيرادات والشُّبهات مثلَ السِّفِنْجَة فيَتَشَرَّبَها، فلا يَنْضَحَ إلا بها، ولكن اجْعَلْهُ كالزُّجاجة المُصمَتَةِ[2]؛ تمرُّ الشبهاتُ بظاهرها ولا تستقرُّ فيها، فيراها بصفائه، ويدفعها بصلابته، وإلا؛ فإذا أشْرَبْتَ قَلْبَكَ كلَّ شبهةٍ تمرُّ عليه؛ صار مقرًّا للشُّبُهات».

نقلها عنه في «مفتاح دار السَّعادة» (ص١٤٠)، ثمَّ علَّق عليه بقوله: «فما أعلم أنِّي انتفعتُ بوصيَّةٍ في دفع الشُّبهات كانتفاعي بذلك».

المجُادَلَةُ المحمودَةُ والمجادَلَةُ المذمومَةُ

إنَّ ما ثبت في النصوص وكلام أئمَّة السَّلف من الذَّمِّ للجدال وأهله، والتحذير من مجادلة أهل البدع، ليس على إطلاقه وعمومه، بل جاء الأمر بالمجادلة في بعض الصور والحالات والثناء عليها وعلى أهلها في بعض النصوص، كما في قوله -تعالى-: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ

(١) «أصول البدع» (٣٠٣-٣٠٤) لشيخنا علي الحلبي -حفظه اللَّه-.

(٢) المُصْمَت: هو الجامد الذي لا جَوْفَ له؛ كالحجر، ويقصد المرآة.

أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

وقد ذكر اللَّه -تعالى- لنا في القرآن بعض المناظرات بين أنبيائه وبين أقوامهم على سبيل التقرير والثناء عليهم وعلى حُجَجِهِم، وورد في بعض أقوال السلف جواز المناظرة والحث عليها عند الضرورة والحاجة لمن رسخ في العلم قدمه، ودقَّت في الفهم حُجَّتُه، وتوسعت مداركُه، وأمن الفتنة على نفسه، ليهلك من هلك عن بينة، ويَحْيَا من حَيَّ عن بينة، قال ابن رجب: «قال كثير من أئمة السلف: ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقروا به خَصَمُوا، وإن جَحَدُوا فقد كَفرُوا»(١).

وقد تناظر السلف أنفسهم فيما بينهم في كثير من مسائل الأحكام والعلم والخلاف، قال ابن عبدالبر: «وأمَّا تناظر العلماء وتجادلهم في مسائل الأحكام من الصحابة والتابعين ومَنْ بعدَهم فأكثر من أن تُحصى»(٢).

وأمَّا مناظراتهم لأهل البدع فهي كثيرةٌ جدًّا، فمنها: مناظرات عثمان، وعلي، وابن عباس ﷺ للخوارج، ومناظرات عمر بن عبدالعزيز للخوارج والقدريَّة، ومناظرات الأوزاعي للقدريَّة، ومناظرات أبي حنيفة والشافعي لبعض أهل البدع، ومناظرات أحمد بن حنبل للمعتزلة والجهميَّة بحضور الخليفتين: المعتصم، والواثق، ومناظرات شيخ الإسلام ابن تيمية الكثيرة لأهل البدع في زمانه، منها ما كان بحضور بعض الوُلاة والحكَّام، وغير ذلك من مناظرات لأئمَّة السَّلف مع أئمَّة البدع والأهواء، واستمرار ذلك إلى زماننا.

فتبيَّن ممَّا سبق أنَّ المجادلة تنقسم إلى قسمين:

مجادلة مذمومة منهيٌّ عنها، ومجادلة محمودة مأمورٌ بها، وذلك بشروط:

١- عند الحاجة إليها والضرورة الملجئة.

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (ص١٠٣).

(٢) «جامع بيان العلم» (ص٤٣٤).

٢- إذا عُلِمَ أنَّ الخصمَ يجهل فيلزمك أن تُعلِّمَه.

٣- إذا غلب على ظنِّكَ أنَّ في المجادلة فائدة تُرجى.

٤- إن تَمكَّنَ المُجادل وعَلِمَ حجَّةَ الخصم؛ ليُحسن الردَّ عليها.

٥- أن يستعين باللَّه ويلتجئ إليه؛ لِوُلُوجِ هذه العَقَبَة؛ لئلا يُصيبه من عُرَّة[1] أهل الأهواء والبدع.

الفروقُ والضَّوابطُ بين المجادلةِ المحمودةِ والمجادلةِ المذمومةِ

ذكر أهل العلم عددًا من الضوابط والفروق تُميِّز المجادلة المحمودة مِنَ المجادلة المذمومة، وتجمع بين النُّصوص الواردة في مدح المجادلة والحثَّ عليها، وذمِّها والنَّهي عنها.

قال الإمام النَّووي: «واعلم أنَّ الجدال قد يكون بحق، وقد يكون بباطل، قال اللَّه -تعالى-: ﴿وَلَا تُجَادِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وقال -تعالى-: ﴿وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال -تعالى-: ﴿مَا يُجَـٰدِلُ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: ٤]، فإن كان الجدال للوقوف على الحق وتقريره كان محمودًا، وإن كان في مدافعة الحق، أو كان جدالًا بغير علم كان مذمومًا، وعلى هذا التفصيل، تَنْزِيل النُّصوص الواردة في إباحته وذمِّه»[2].

وقال الإمام الشَّوكاني في تفسير قوله -تعالى-: ﴿مَا يُجَـٰدِلُ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [غافر: ٤]: «أي: ما يخاصم في دفع آيات اللَّه وتكذيبها إلا الذين كفروا، والمراد الجدال بالباطل والقصد إلى دحض الحق كما في قوله -تعالى-: ﴿وَجَـٰدَلُواْ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [غافر: ٥]، فأمَّا الجدال لاستيضاح الحقِّ، ورفع اللَّبس، والبحث عن الراجح والمرجوح، وعن المحكم والمتشابه، ودفع ما يتعلَّق

---

(١) العُرَّة: الجَرَب.

(٢) «الأذكار» (ص: ٣٣٠).

به المبطلون من متشابهات القرآن، وردهم بالجدال إلى المحكم، فهو من أعظم ما يتقرَّب به المتقربون، وبذلك أخذ اللَّه الميثاق على الذين أوتوا الكتاب، فقال: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧]»[١].

ولأنَّ دعوة أهل البدع شاعت وذاعت، وطافت كل جبل وسهل وواد، يكسوها لباسُ التَّلبيس، والتَّدليس، والإيهام، فقد انطَلَتْ على كثيرٍ من النَّاس، فزلَّت فيهم الأقدام، وضلَّت الأفهام، ولو تبيَّن لهم الحق، ورُفع عنهم اللَّبْس لرجعوا وآبُوا؛ لذلك وجب نصحهم وإرشادهم، فإنَّ الدين النَّصيحة، فعن تميم الدَّاريِّ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**الدِّينُ النَّصيحَةُ**»، قُلنا: لمن؟ قال: «**للَّه، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمَّة المسلمين وعامَّتهم**»[٢].

وقال الشيخ بكر أبو زيد في معرض حديثه عن المجادلة، والردِّ المحمود على المخالف: «ومجادلة من جَنَحَ به الرأي إلى قول شاذ، أو إحداث قول جديد في مسألة: باب عظيم من أبواب النُّصح والإرشاد، فالردُّ والمجادلة عن الحقِّ بالحقِّ رُتَبٌ ومنازل، وقد جعل اللَّه لكلِّ شيءٍ قَدْرًا»[٣].

وقال عن المجادلة والردِّ المذموم: «وعلى هذا النوع (الرد المذموم)، تتنزَّل ردود المخالفين -كأهل البدع والأهواء- على أهل السنَّة والجماعة ومجادلتهم، وإيذائهم، وهضم ما هم عليه من الحقِّ والهدى.

وقد بيَّن اللَّه -سبحانه- في القرآن الكريم أنواع مجادلتهم الآثمة وذمَّها، وهي ثلاثة أنواع:

١- المجادلة بالباطل لدحض الحق: وقد ذمَّها اللَّه -تعالى- بقوله: ﴿وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [غافر: ٥].

---

(١) «فتح القدير» (٤/ ٦٢٨).

(٢) أخرجه مسلم (٥٥).

(٣) «الرد على المخالف من أصول الإسلام» (ص٤٨).

٢- المجادلة في الحق بعدما تبيَّن: وقد ذمَّها اللَّه -سبحانه- بقوله: ﴿يُجَٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ﴾ [الأنفال: ٦].

٣- المجادلة فيما لا يعلم المحاج: وقد ذمَّها -سبحانه- بقوله: ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [آل عمران: ٦٦].

وعلى هذه الأنواع الآثمة من أنواع المجادلة بالباطل، وما جرى مجراها كالمجادلة بمتشابه القرآن، والمراء في القرآن، ومجادلات المنافقين، والجدل في بدعة، والجدل لتحقيق العناد . . وهكذا من كل مجادلة تنصر الباطل، أو تُفضي إلى نُصرته وتهضم الحق، وتُحَقِّقُ العناد تتنزَّل النُّصوص من الكتاب والسنَّة التي تذمُّ الجدل والمجادلة، كقوله -تعالى-: ﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ [الشورى: ٣٥].

وقال النبيُّ ﷺ في حديث أبي أمامة مرفوعًا: «**ما ضلَّ قومٌ بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل، ثمَّ قرأ:** ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨]»(١)، وعلى هذا النوع المذموم: يتنزَّل -أيضًا- كلام السلف في ذم الجدل والمجادلة . . »(٢).

والخُلاصةُ في الفروق
بين الجدالِ المحمودِ والجدالِ المذمومِ

المجادلة المحمودة:

أولًا: لإثبات الحقِّ وتقريره.

ثانيًا: لدفع الباطل.

---

(١) مضى تخريجه (ص: ١٠١)

(٢) «الرد على المخالف» للشيخ بكر أبي زيد (ص٤٩ ، ٥٠).

ثالثًا: لهداية النَّاس ونُصحهم.

رابعًا: لردِّ المتشابه إلى المحكم.

خامسًا: المجادلة بالعلم.

سادسًا: لبيان الحقِّ واستيضاحه.

سابعًا: المجادلة بإخلاص.

ثامنًا: لرفع اللَّبْس والغُموض.

تاسعًا: إذا غلب على الظن رجوع المجادَل إلى الحق.

المجادلة المذمومة:

أولًا: لردِّ الحقِّ وتعطيله.

ثانيًا: لنُصرة الباطل.

ثالثًا: لإضلال النَّاس.

رابعًا: الجدال بالمتشابه والمراء في القرآن.

خامسًا: المجادلة بغيرعلم.

سادسًا: في الحق بعد ما تبيَّن؛ تعنُّتًا ومكابرة.

سابعًا: المجادلة رياءً وَلِحُظوظِ النفس.

ثامنًا: للتَّلبيس والتَّدليس والإيهام.

تاسعًا: إذا غلب على الظن عدم رجوع المجادَل إلى الحق.

وقد ظهرتْ في زماننا طوائفُ من النَّاس يَدْعُون إلى عدم النَّقد والنَّقض على أهل الأهواء والبدع، والرد عليهم بحججٍ واهيةٍ خاوية، والحقيقة أنَّ هذه الدعوة باطلة عاطلة؛ تُؤدِّي إلى هدم الدين ونقض عُراه، وزلزلةِ أُسِّهِ وأساسِه، وهو العقيدة؛ ولذلك فإنَّ: «الذين يلوون ألسنَتَهُم باستنكار نقد الباطل -وإن كان في بعضهم صلاح وخير-، لكنه الوهن وضعف العزائم حينًا، وضعف إدراك مدارك

الحق ومناهج الصواب أحيانًا، بل هو في حقيقته من التولِّي يوم الزَّحف عن مواقع الحراسة لدين اللَّه والذبِّ عنه، وحينئذٍ يكون الساكت عن كلمة الحق كالناطق بالباطل في الإثم.

قال أبو عليٍّ الدَّقاق: «الساكت عن الحق شيطان أخرس، والمتكلِّم بالباطل شيطان ناطق».

والنبيُّ ﷺ يخبر بافتراق هذه الأمَّة إلى ثلاث وسبعين فرقة، والنجاة منها لفرقة واحدة على منهاج النبوة؛ أيريد هؤلاء اختصار هذه الأمَّة إلى فرقة وجماعة واحدة، مع قيام التمايز العقدي المضطرب؟!

أم أنها دعوة إلى وحدةٍ تُصَدِّعُ كلمة التوحيد، فاحذروا؟!

وما حجتهم إلا المقولات الباطلة:

لا تصدعوا الصف من الداخل (!)

لا تثيروا الغُبار من الخارج (!)

لا تحرِّكوا الخلاف بين المسلمين (!)

نلتقي فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه (!)

. . . وهكذا!!

وأضعف الإيمان أن يُقال لهؤلاء:

هل سكت المبطلون لنسكت؟!

أم أنهم يهاجمون الاعتقاد على مرأى ومسمع ويطلب السكوت؟! اللَّهم لا . .

ونُعيذ باللَّه كل مسلم من تسرب حجة يهود؛ فهم مختلفون على الكتاب، مخالفون للكتاب . ومع هذا يُظهرون الوحدة والاجتماع؛ وقد كذبهم اللَّه -تعالى-، فقال -سبحانه-: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾ [الحشر: ١٤]»(١).

---

(١) «الرد على المخالف» (ص٧٦-٧٧) للشيخ بكر أبي زيد.

تقرَّر فيما مضى أنَّ مناظرةَ أهل البدع، والردَّ عليهم، أو ترك مناظرتهم، وجفاءهم وهجرهم، وعقوباتهم؛ إنَّما هي من أجل أن يَرجعوا إلى الحق، وزجرًا لهم، واتقاءً لِشُبَهِهِم، وفِتَنِهِم، وإضلالِهم للناس، وهذه العقوبات غير مقدرة؛ لأنَّ الأصل في التعزير أنه غير مقدَّر إذ هو مَنُوطٌ باجتهاد العلماء والقضاة وولاة الأمور.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ١٠٧) أثناءَ حديثِهِ عن أنواع العقوبات في الشرع: «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يتمُّ إلا بالعقوبات الشرعيَّة، فـ«إنَّ اللَّه يَزَعُ بالسُّلْطان ما لا يزَعُ بالقرآن»[(١)]، وإقامة الحدود واجبة على ولاة الأمور؛ وذلك يحصُل بالعقوبةِ على ترْكِ الواجبات وفِعْل المحرَّماتِ.

فمنها عقوباتٌ مُقَدَّرةٌ، مثل: جلد المفتري ثمانين، وقطع السارق، ومنها عقوباتٌ غيرُ مُقدَّرة قد تُسمى «التَّعزير»، وتختلف مقاديرها وصفاتها بحسب كِبَرِ الذنوب وَصِغَرِهَا؛ وبِحَسْبِ حال المذنب؛ وبِحَسْبِ حال الذنب في قلَّته وكثرته.

والتَّعزير أجناس: فمنه ما يكون بالتوبيخ والزجر بالكلام، ومنه ما يكون بالحبس، ومنه ما يكون بالنفي عن الوطن، ومنه ما يكون بالضرب».

وسأقوم هنا بتلخيصِ ما ورد ذكرُهُ، وذكرِ عَدَدٍ من العقوبات ممَّا ورد عن السَّلف لأهل البدع:

أولًا: نصحهم والتبيين لهم، ومناظرتهم، وإقامة الحجَّة عليهم: فإن أصرُّوا على بِدَعِهِم وأهوائِهِم:

ثانيًا: ترك مناظرتِهِم، والإعراض عنهم، وعدم الاستماع لهم.

ثالثًا: إتلاف كتبهم وتمزيقها وتحريقها؛ زجرًا لهم، وحمايةً للأمَّة مما فيها

---

(١) هذه مقولة عثمان رضي الله عنه أخرجها ابن شَبَّةَ في «تاريخه» (٣/ ٩٨٨).

من شرٍّ، وفسادٍ، وبدع، وقد ورد ذلك عن السلف، قال المروزي: «قلت لأحمد: استعرت كتابًا فيه أشياء رديئة، ترى أن أخْرِقَه أو أحرقه؟ قال: نعم»(١).

وقال ابن قَيِّم الجوزيَّة: «وكل هذه الكتبِ المتضمنةِ لمخالفةِ السنَّة غيرُ مأذونٍ فيها، بل مأذونٌ في محقِها وإتلافِها، وما على الأمَّةِ أضرُّ منها، وقد حرق الصحابة جميع المصاحف المخالفة لمصحف عثمان، لَمَّا خافوا على الأمَّةِ من الاختلاف، فكيف لو رأوا هذه الكتب التي أوقعت الخلاف والتفرق بين الأمَّة»(٢).

رابعًا: العَزْلُ من وظيفة الخطابة والإمامة والتدريس وما أشبه ذلك، فإنه يجب على وليِّ الأمر أن يَعْزِل أهل البدع -الأصاغر- من مرتبة الخطابة والإمامة والتدريس، الذين اتخذوا هذه المنابر لنشر بدعهم والدعوة إليها بين النَّاس، ولا يتحرون ثبوت الأحاديث عن النبي ﷺ، والآثار عن السَّلف؛ إمَّا لنَصْرِ بدعهم بالروايات الضعيفة والمكذوبة، وإمَّا لجهلهم بمنهج أهل الحديث بالتمييز بين الصحيح والضعيف، وهذه حالُ أكثرِ أهلِ البدعِ إن لم تكُن حالُ جميعِهم، فَمَنْ كانتْ هذه حالُهُم، عُزلوا تعزيرًا لهم، ودرءًا لفسادهم، وحمايةً لدين اللَّه من التحريف والتغيير، فقد جاء في فتوى الإمام ابن حجر الهيتمي في خطيب لا يُبيِّن مُخَرِّجي ورواة الأحاديث، في فتاويه الحديثية (ص٣٢): «وسئل رضي الله عنه في خطيب يَرقى المنبر في كل جمعة، ويروي أحاديثَ كثيرة، ولم يُبيِّن مُخَرِّجيها، ولا رواتَها فما الذي يجب عليه؟

فأجاب بقوله: ما ذكَره من الأحاديث في خُطَبِهِ من غير أن يُبَيِّن رواتَها، أو من ذَكَرها، فجائزٌ بشرط أن يكون من أهل المعرفة في الحديث، أو بنقْلِها مِنْ مؤلِفِهِ كذلك.

وأمَّا الاعتماد في رواية الأحاديث على مجرَّدِ رُؤيَتِها في كتاب ليس مؤلفه مِنْ

(١) «الطرق الحكميَّة» لابن قيِّم الجوزيَّة (ص٢٧٥).
(٢) «الطرق الحكميَّة» لابن قيِّم الجوزيَّة (ص٢٧٥).

أهل الحديث، أو في خطبٍ ليس مؤلفها كذلك، فلا يَحِلُّ ذلك! ومَن فعله عُزِّرَ عليه التَّعزير الشديد.

وهذا حال أكثر الخطباء، فإنهم بمجرد رؤيتِهِم خطبةً فيها أحاديث، حفظوها، وخطبوا بها من غير أن يعرفوا أنَّ لِتِلْكَ الأحاديثِ أصلًا أم لا، فيجبُ على حُكَّام كل بلد أن يزجروا خطباءَها عن ذلك، ويجب على حُكَّام بلد هذا الخطيب منعُهُ من ذلك إن ارتكَبه».

ثمَّ قال: «فعلى هذا الخطيب أن يُبَيِّنَ مستنده في روايته، فإنْ كانَ مستندًا صحيحًا؛ فلا اعتراض عليه، وإلا ساغ الاعتراض عليه، بل وجاز لوليِّ الأمر -أيَّدَ اللَّهُ به الدين، وقمعَ بِعَدْلِهِ المعاندين- أن يعزله مِن وظيفة الخطابة؛ زجرًا له عن أن يتجرَّأ على هذه المرتبة السنيَّة بغير حق»[١] انتهى ملخَّصًا.

خامسًا: فِعْلٌ أو قَوْلٌ يكون فيه إهانتهم، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في القدرية: «لو رأيتُ أحدَهُم لأخذتُ بشعره»[٢]، وقال: «لو رأيتُ أحدَهُم لعضضت أنفه»[٣].

وعن سالم بن عبداللَّه أنه جاءه رجل فقال له: «رجل زنى، فقال سالم: يستغفر اللَّه، ويتوب إليه، فقال الرجل: اللَّه قدَّره عليه؟ فقال سالم: نعم، ثمَّ أخذ قبضة من الحصى، فضرب بها وجه الرجل، وقال: قُمْ»[٤].

سادسًا: ضربهم وجلدهم، وقد ورد ذلك عن بعض السلف، فمن ذلك القصَّة المشهورة، وهي ضرب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لصَبيغ العراقي لمَّا سَألَ عن متشابه القرآن، فقد ضربه عمر حتى أصبح ظهره مُجَرَّحًا، ثمَّ تركه حتى برأ ثمَّ أتى به

---

(١) عن «قواعد التحديث» للعلامة القاسمي.
(٢) رواه الآجري في «الشريعة» (ص٢١٤).
(٣) رواه الآجري في «الشريعة» (ص٢١٤).
(٤) رواه الآجري في «الشريعة» (ص٢٤٠).

فضربه، ثمَّ كتب إلى أهل الأمصار ألا يجالسوه حتى تاب ورجع.

وقد ضرب عمر أناسًا كانوا يجتمعون فيدعون للمسلمين وللأمير بطريقة مبتدعة، فقد كتب عامِلٌ لعمر: «إنَّ هاهنا قومًا يجتمعون فيدعون للمسلمين وللأمير، فكتب إليه عمر: أقبل بهم معك فأقبل، وقال عمر للبواب: أَعِدَّ سوطًا، فلمَّا دخلوا على عمر علا أميرَهم ضربًا بالسَّوط»(١).

وضرب علي بن أبي طالب رضي الله عنه قاصًا كان في مسجد الكوفة، فعن علي رضي الله عنه «أنَّه خرج يومًا إلى مسجد الكوفة ورجل يَقُصُّ، حوله ناس كثير، فضربه بالدِّرَّة»(٢).

وضرب عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه رجلًا سَبَّ عثمان رضي الله عنه عَشْرَةَ أسواط لسبِّه عثمان، فلم يزل يسبه حتى ضربه سبعين سوطًا(٣).

وقال الشافعي -مقرِّرًا عقوبةَ أهل البدع بالضرب-: «حُكْمِي في أصحاب الكلام أن يُضْرَبوا بالجريد، ويُحْمَلوا على الإبل، ويُطافُ بهم في العشائر، ويُقال: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنَّة وأخذ الكلام»(٤).

سابعًا: هدمُ وتحريقُ أماكِنِهم التي يجتمعون فيها للبدع والتفريق بين المؤمنين، كمساجدهم، وجمعيَّاتهم، وما أشبه ذلك، وقد دل على ذلك الكتاب والسنَّة وعمل السلف.

قال ابنُ قيِّم الجوزيَّة في معرض ذكره لفوائد غزوة تبوك: «ومنها تحريقُ أمكنة المعصية التي يُعصى اللَّه ورسوله فيها وهدمُها، كما حرق رسول اللَّه ﷺ مسجد الضِّرار وأمر بهدمه، وهو مسجدٌ يُصلَّى فيه، ويُذْكَر اسم اللَّه فيه لما كان بناؤُه ضرارًا وتفريقًا بين المؤمنين ومأوًى للمنافقين، وكل مكانٍ هذا شأنه فواجب على

---

(١) «البدع والنهي عنها» (ص١٩).

(٢) «البدع والنهي عنها» (ص١٦).

(٣) انظر «شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة والجماعة» (٤/ ١٢٦٥).

(٤) رواه البغوي في «شرح السنَّة» (١/ ٢١٨).

الإمام تعطيلُه، إمَّا بهدمٍ وتحريق، وإمَّا بتغيير صورته وإخراجه عما وُضِعَ له.

وإذا كان هذا شَأْنُ مسجد الضِّرار، فمشاهد الشرك التي تدعو سَدَنَتُها إلى اتِّخاذ من فيها أندادًا من دون اللَّه أحقُّ بذلك وأوجب، وكذلك مَحالُّ المعاصي والفسوق، كالحانات، وبيوت الخمارين، وأرباب المنكرات، وقد حرق عمر بن الخطاب قريةً بكاملها يُباع فيها الخمر، وحرق حانوت رويشد الثقفي وسمَّاه فُوَيْسِقًا»[(١)].

ثامنًا: نفيُهم وتغريبُهم عن الأهل والأوطان: وقد ثبتت هذه العقوبة بالسنَّة وعمل السلف، فقد أخرج البخاري في «صحيحه» تحت باب (نفي أهل المعاصي والمخَنَّثين) عن ابن عباس ﵄ قال: **«لَعَنَ النبيُّ ﷺ المخنَّثين من الرِّجال، والمترجِّلاتِ من النِّساء، وقال: أخرجوهم من بيوتكم، وأخرج عمر فلانًا»**[(٢)].

وأخرج الترمذي في «سننه» تحت باب (ما جاء في النفي)، عن عبداللَّه بن عمر ﵄: **«أنَّ النبيَّ ﷺ ضرب وغرَّب، وأنَّ أبا بكر ضرب وغرَّب، وأنَّ عمر ضرب وغرَّب»**[(٣)].

تاسعًا: سجنهم وحبسهم: عن بهز بن حكيم، عن أبيه عن جدِّه ﵁: **«أنَّ النبيَّ ﷺ حَبَسَ رجلًا في تُهمة»**[(٤)]، وقد فعل ذلك السلف، وأرشدوا إليه زجرًا لأهل البدع، ودرءًا لمفاسدهم؛ لئلا يختلطوا بالنَّاس ويفتنوهم، فعن مالك بن أنس، قال: «القرآن كلام اللَّه ﷻ، وكان يقول: من قال: القرآن مخلوق؛ يُوجَعُ ضربًا ويُحْبَسُ حتى يموت»[(٥)].

وعن عبداللَّه بن أحمد بن حنبل قال: **«سألتُ أبي عن رجلٍ ابتدع بدعة يدعو إليها، وله دعاة عليها، هل ترى أن يُحبس؟ قال: نعم أرى أن يُحبس، وتُكفَّ بدعته**

---

(١) «زاد المعاد» (٣/ ١٧).

(٢) البخاري (٦٨٣٤).

(٣) صحيح، أخرجه الترمذي (١٤٣٨)، وصحَّحه الألباني في «الإرواء» (٢٣٤٤).

(٤) حسن، أخرجه أبو داود (٣٦٣٠)، وحسَّنه الإمام الألباني في «الإرواء» (٢٣٩٧).

(٥) أخرجه الآجري في «الشريعة» (ص٧٩).

عن المسلمين»[١].

وعن أبي الحسن اللَّخمي، أنه سُئِلَ عن قوم من الإباضية سكنوا بين أظهر المسلمين، وبنَوْا مسجدًا يجتمعون فيه بِحِلَقٍ، ويُظهرون مذهبَهم، فأجاب: «**إذا أظهر هؤلاءِ القومُ الذين ذكرتَ مذهبَهم، وأعلنوه، وابتنَوْا مسجدًا يجتمعون فيه وَصَلَّوْا العيد بناحيةٍ عن المسلمين بجماعة: فهذا باب عظيم يُخشى منه أن تشتدَّ وطأتُهم، ويُفسدوا على النَّاس دينَهم، ويميلُ الجهلةُ، ومن لا تمييز عنده إليهم، فوجب على من بسط اللَّه قدرته أن يستَتِيبَهُم مما هم عليه، فإنْ لَم يَرجعوا ضُرِبوا وسُجِنوا، ويُبالغ في ضربهم، فإن أقاموا على ما هم عليه فقد اختُلِفَ في قتلهم** . .

وأمَّا هدمُ المسجد الذي بَنَوْهُ فحقٌّ، وجميعُ ما يَتَألَّفُون فيه كذلك . . . »[٢].

عاشرًا: قتلهم، وذلك سواءٌ أكانوا ليسوا بكافرين أو كانوا كافرين، فأمَّا قتل المبتدع الداعيةِ إلى بدعته المعلنِ بها وليس بكافر؛ فلأجل دفعِ فسادهِ وحمايةِ النَّاس من شرهِ وبدعتهِ إذا لم يُمكن دفعُ فساده إلا بالقتل، وأمَّا قتل المبتدع الكافر؛ فلأجل كفرهِ وردتهِ.

إذا عُلِمَ هذا فَلْيُعْلَم أنَّ عقوبةَ أهلِ البدعِ -الدَّاعينَ إلى بِدَعِهِم، المعلنينَ بها- بالقتلِ، ثابتةٌ بالكتابِ والسنَّةِ وعمل السلف الصالح، ولقتلِهِم علَّتان:

الأولى: قتلهم دفعًا لفسادهم في الأرض، وحماية للناس من شرهم وإضلالهم، إذا لم يُمكن دفعُ فسادهم إلا بالقتل:

فعندما اعترض ذو الخُويصِرة التميمي على قِسْمَةِ رسول اللَّه ﷺ يومَ حُنينٍ سأله بعضُهم قتلَهُ فَمَنَعَهُم من قتله ابتداءً، فقد «جاء رجلٌ غائرُ العينين، مشرفُ الوجنتين، ناتئُ الجبين، كثُّ اللِّحْيَةِ محلوق، فقال: اتَّقِ اللَّه يا محمد، فقال ﷺ:

---

(١) «مسائل الإمام أحمد برواية ابنه عبداللَّه» (ص٤٣٩).

(٢) «تبصرة الحكَّام» لابن فرحون، المطبوع بحاشية «فتح العلي المالك» (١/ ٤٢٦)، و«المعيار المعرب» للوَنْشَرِيسي (٢/ ٤٤٦).

«**من يُطِعِ اللَّه إذا عصيت؟ أيأمنني اللَّهُ على أهل الأرض ولا تأمنوني؟!**» فسأله رجل قتْلَهُ، فمنعه، فلمَّا ولَّى قال ﷺ: «**إنَّ من ضِئْضِئِ هذا قومًا يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرميَّة، يقتلون أهل الإسلام ويَدَعُون أهل الأوثان، لئن أدركتُهُم؛ لأقتلنَّهم قتل عاد**»(١).

ثمَّ ظهر للنبيِّ ﷺ بعد ذلك أن دفعَ فسادِ وشرِّ هذا الرجلِ الذي أعلن بدعتَهُ، لن يحصل إلا بالقتل، فأمر بقتله؛ لأنه أساسُ الفتن ومُثيرُها، وباعثُ الاختلافِ والفُرْقَةِ في الأمَّةِ إلى آخر الدهر، فعن أبي بكرةَ: أنَّ النبيَّ ﷺ مرَّ برجل ساجد -وهو يَنطلق إلى الصلاة-، فقضى الصلاة ورجع عليه وهو ساجِد، فقام النبيُّ ﷺ فقال: «**من يقتلُ هذا؟**»، فقام رجل، فحسر عن يديه، فاخترط سيفَه وهزَّه؛ ثمَّ قال: يا نبيَّ اللَّه! بأبي أنت وأمي، كيف أقتل رجلًا ساجدًا، يشهد أن لا إله إلا اللَّه وأنَّ محمدًا عبده ورسوله؟! ثمَّ قال: «**من يقتلُ هذا؟**» فقام رجل فقال: أنا؛ فحسر عن ذراعيه، واخترط سيفَه وهزَّه حتى أُرْعِدَتْ(٢) يدُهُ، فقال: يا نبيَّ اللَّه! كيف أقتل رجلًا ساجدًا يشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأن محمدًا عبده ورسوله؟ فقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو قتلتموه؛ لكان أولَ فتنةٍ وآخرَها**»(٣).

وله شاهد من حديث أنس بنحوه، وفيه زيادة، وهي أنَّ الرجل الأول الذي قام لقتله هو أبو بكر، والثاني عمر، وزاد -أيضًا-: فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أيكم يقوم إلى هذا؛ فيقتله؟**» قال عليٌّ: أنا، قال رسول اللَّه ﷺ: «**أنت له إن أدركتَهُ**»، فذهب عليٌّ فلم يجده، فرجع، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**أقتلت الرجل؟**» قال: لم أدرِ أين سلك من الأرض؟! فقال رسول اللَّه ﷺ: «**إنَّ هذا أوَّلُ قِرْنٍ(٤) خرج من أمتي، لو**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤).

(٢) أُرْعِدت: فعل ماضٍ مبني للمجهول، أي: أخذها الاضطراب والاهتزاز.

(٣) صحيح، أخرجه أحمد (٢٠٤٣١) من حديث أبي بكرة ﷺ، قال الشيخ شعيب الأرناؤوط: «رجاله رجال الصحيح».

(٤) المقاوم لك في أيِّ شيء كان.

قتلتَه ما اختلف من أمتي اثنان»[١].

قال ابن أبي زمنين في حكمِ أهل الأهواء، وجواز قتل من كفر منهم، ومن لا يبلغ بهم الكفر -أيضًا-: «اختلف أهل العلم في تكفير أهل الأهواء: فمنهم من قال إنهم كفار مخلَّدُون في النار، ومنهم من لا يبلغ بهم الكفر، ولا يُخرِجُهم عن الإسلام، ويقول: إنَّ الذي هُم عليه فُسوقٌ ومعاصٍ، إلا أنَّها أشدُّ المعاصي والفسوق، وهذا مذهب مشايخنا بالأندلس، والذي يعتقدونه فيهم، وكانوا يقولون: لا يُواضَعُ أحدٌ منهم الكلامَ والاحتجاج، ولكن يُعرف برأيه رأي السوء، ويُستتاب منه فإن تاب، وإلا قُتِل»[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -مبيِّنًا علَّة قتل الأئمة لبعض أهل البدع-: «والأئمة الذين أمروا بقتل هؤلاء الذين ينكرون رؤيةَ اللَّه في الآخرة ويقولون: القرآن مخلوق، ونحو ذلك، قيل: إنَّهم أمروا بقتلهم لكفرهم، وقيل: لأنهم إذا دعوا النَّاس إلى بدعتهم أضلوا النَّاس؛ فَقُتِلوا لأجل الفساد في الأرض؛ وحفظًا لدين النَّاس أن يُضلُّوهم»[٣].

وقال: «ومن لم يندفِعْ فسادُهُ في الأرض إلا بالقتل قُتِلَ، مثلُ المفرِّق لجماعة المسلمين، والداعي إلى البدع في الدين . . .»[٤].

وقال -أيضًا-: «ومن كان داعيًا منهم إلى الضلال، لا ينكفُّ شرُّهُ إلا بقتله قُتِلَ -أيضًا-، وإن أظهر التوبة، وإن لم يُحكَمْ بكفره، كأئمة الرفض الذين يُضلون النَّاس، كما قَتَلَ المسلمون غيلان القدري، والجعد بن درهم وأمثالهما، فهذا الدجَّالُ يُقتل مطلقًا، واللَّه أعلم»[٥].

---

(١) حسن، أخرجه أبو يعلى في «المسند» (٧/ ١٥٤-١٥٥ رقم ٤١٢٧) بإسناد حسن كما في «الصحيحة» (٢٤٩٥).

(٢) «أصول السنَّة» (٣/ ١٠٨١) لابن أبي زمنين.

(٣) «مجموع الفتاوى» (١٢/ ٥٢٤).

(٤) «مجموع الفتاوى» (٢٨/١٠٨-١٠٩).

(٥) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٥٥٥).

وأمَّا العلَّة الثانية: فهي قتلهم ردَّةً وكفرًا.

فإنَّ المبتدعَ الداعيةَ إلى بدعتِهِ يُحكم بـ«قتله ردَّةً إذا اعتقد ما يكفر به، أو صدر منه قول أو فعل مكفر، وثبتت عليه الحجَّةُ بذلك، كمن سبَّ اللَّه -تعالى-، أو الرسول ﷺ، أو استخفَّ بالقرآن، أو جحد شيئًا منه -كما عليه بعض الزنادقة- فإنه يقتل إجماعًا، وكذا من قُطِعَ بكفرِهِ وزندَقَتِهِ، كبعض طوائف من أهل البدع كالباطنيَّة على مختلف فِرَقِهَا، وأصحابِ وحدةِ الوجود، والحلوليَّة، وملاحدة الفلاسفة ومن في حُكْمِهِم، وكذلك مَنْ حُكِمَ بكفرِهِ من أهل البدع كالقدريَّة، والجهميَّة، والرافضة، فكل هؤلاء يُقْتَلون لكفرهم وردَّتهم، دلَّ على ذلك قولُ النبيِّ ﷺ فيما رواه البخاري عنه أنه قال: «**من بدَّل دينه فاقتلوه**»[(١)]»[(٢)].

وعن عثمان رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا يحل دمُ امرئٍ مسلم إلا بإحدى ثلاث: رجل زنى بعد إحصان فعليه الرجم، أو قَتَلَ عمدًا فعليه القَوَدُ، أو ارتد بعد إسلامه فعليه القتلُ**»[(٣)].

ونقل ابنُ قُدامة في «المغني» (١٢/ ٢٦٤) إجماعَ أهلِ العلمِ على وجوبِ قتلِ المرتدِّين، قال: «وأجمعَ أهل العلم على وجوبِ قتل المرتدين، ورُويَ ذلك عن أبي بكر، وعثمانَ، وعليٍّ، ومعاذ، وأبي موسى، وابن عباس، وخالد، وغيرهم، ولم يُنْكَرْ ذلك، فكان إجماعًا».

وذكر شيخ الإسلام ابن تيمية عددًا من العلماءِ ذكروا الإجماع على كفرِ من سبَّ اللَّه -تعالى- أو سبَّ النبيَّ ﷺ، ووجوبِ قتله وأيَّدهم، قال: «وقال الإمام إسحاق بن رَاهُويَه أحدُ الأئمَّةِ الأعلام: «أجمع المسلمون على أن من سبَّ اللَّه، أو سَبَّ الرسول ﷺ، أو دفع شيئًا مما أنزل اللَّه عز وجل، أو قتل نبيًّا من أنبياء اللَّه عز وجل:

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠١٧).

(٢) «موقف أهل السنَّة والجماعة من أهل الأهواء والبدع» (٢/ ٦١٥) لإبراهيم الرحيلي.

(٣) أخرجه البخاري (٦٨٧٨)، ومسلم (١٦٨٦)، والنسائي (٤٠٥٧) واللفظ له.

أنه كافر بذلك وإنْ كان مُقِرًّا بكلِّ ما أنزل اللَّه، قال الخَطَّابي: لا أعلم أحدًا من المسلمين اختلف في وجوب قتله.

وقال محمد بن سحنون: أجمع العلماء على أنَّ شاتمَ النبيِّ ﷺ، والمُنْتَقِصَ له كافرٌ، والوعيدُ جاء عليه بعذاب اللَّه لهُ، وحكمُهُ عند الأمةِ القتلُ، ومن شكَّ في كفره وعذابه كافر.

(قال شيخ الإسلام): «وتحريرُ القول فيه: أنَّ السَّابَّ إن كان مسلمًا فإنه يكفرُ، ويُقتلُ بغير خلاف»[(١)].

وقد تواردتْ أقوال السلف والعلماء من بعدهم مُصَرِّحَةً بقتل الزنادقة، ومن كفر بِبِدْعَتِهِ من أهل الأهواء والبدع، وإن اختلفوا في استتابتهم.

قال ابن المنذر في ذكر اختلافهم في استتابة الزنديق: «واختلفوا في الزنديق يُظْهَر عليه هل يُستتابُ، أم يُقْتَلُ ولا يُقْبَلُ منه الرجوع؟

فقالت طائفة: تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ إن تاب، ويُقْتَلُ إن لم يتب، يُروى هذا عن علي بن أبي طالب، وبه قال عبيدُ اللَّه بن الحسن، والشافعي.

وكان مالك، والليث بن سعدٍ، وأحمدُ، وإسحاقُ يقولون: لا يُستتابون، وقال مالك: «يُقْتَلُ الزنادقة ولا يُستتابون»، وقال أحمدُ: «الزنديق لا يُستتاب»، وذكر ذلك إسحاق بن منصور عنه.

(قال ابن المنذر): كما قال الشافعيُّ أقول، وقد احتجَّ بقول اللَّه -تعالى- في المنافقين: ﴿اتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٦]، وهذا يَدُلُّ على أنَّ إظهارَ الإيمان جُنَّةٌ من القتل»[(٢)].

وقال -أيضًا- ابن المنذر في ذكر اختلافهم في استتابة أهل البدع: «واختلفوا

---

(١) «الصارم المسلول على شاتم الرسول» (ص٣، ٤).

(٢) «الإشراف على مذاهب أهل العلم» (٢/ ٢٤٧-٢٤٨).

في استتابة أهل البدع مثل: القدريَّة، والإباضيَّة:

فكان مالك يقول: «أرى أن يُستتابوا فإن تابوا وإلا قُتِلُوا»، وفي قول الشافعي: «لا يُستتابون»، وكان يذم الكلام ذمًّا شديدًا.

وقال شَبَابَةُ وأبو النَّضْرِ: «المريسيُّ كافر جاحد، يُستتابُ فإنْ تابَ وإلا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ، وقال يزيد بن هارون: جَهْمٌ كافرٌ، قتله سالم بن أحوز بأصبهان على هذا القول»[1].

وقال عبدالرحمن بن مهدي: «من زعم أنَّ اللَّه -تعالى- لم يكلم موسى -صلوات اللَّه عليه- يُستتابُ فإن تاب وإلا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ»[2].

وقال الإمام أحمد في القَدَرِي: «إذا جَحَدَ العلم قال: إن اللَّه ﷻ لا يَعْلَمُ الشَّيْءَ حتى يكون، استُتِيبَ فإن تاب؛ وإلا قُتِلَ»[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في حديثه عن حكم من يقولُ بوحدة الوجود: «... وهكذا هؤلاء الاتحادية: فرؤوسهم هم أئمة كفر يجب قتلُهُم، ولا تُقْبَلُ توبةُ أحدٍ منهم، إذا أُخذ قبل التوبة، فإنَّه من أعظم الزنادقة الذين يُظْهِرُونَ الإسلام ويُبْطِنُونَ أعظمَ الكفر، وهم الذين يَفْهَمُونَ قولَهُمْ ومُخالَفَتَهُم لدين المسلمين، ويجب عقوبةُ كُلِّ من انتسب إليهم، أو ذبَّ عنهم، أو أثنى عليهم، أو عظَّم كتُبَهُم ...»[4].

* * *

(١) «الإشراف على مذاهب أهل العلم» (٢/ ٢٥٧-٢٥٩) لابن المنذر.
(٢) رواه البخاري في «خلق أفعال العباد» المطبوع ضمن عقائد السلف للنشار (١٢٩).
(٣) رواه الخلال في «السنَّة» (١/ ٥٣٢).
(٤) «مجموع الفتاوى» (٢/ ١٣٢).

الحديث الثالث عشر

ثالثًا: تضليلُ الجَاهِلينَ

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إنَّ الله لا يقبضُ العلمَ انتزاعًا ينتزعه من النَّاس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء؛ حتى إذا لم يُبْقِ عالمًا، اتَّخذ النَّاس رؤوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بغير علم، فضلُّوا وأضلُّوا**»[1].

وفي رواية: «**فيبقى ناسٌ جُهَّالٌ يُستفْتَوْن، فَيُفتون برأيهم، فيُضِلُّون ويَضِلُّون**»[2].

يخبرنا النبي ﷺ في هذا الحديث عن سببٍ عظيم من أسباب الشر والضلال في الأمَّة؛ وذلك لنحذره، ونَسْلَمَ من شرِّه، وهو أنَّ الأمَّة لا تُؤتى من قِبَلِ علمائها، وإنما تؤتى من الرؤوس الجهال الذين نُصِّبوا، أو نَصَّبوا أَنْفُسَهم علماء للمسلمين، فَسُئِلُوا فأفتَوْا بغير علم، فإذا حصل هذا الأمر، حصل الابتداعُ في الدينِ والتحريفُ والتغييرُ والتبديلُ، وحَصَلَ الضَّلالُ والإضلالُ.

فقوله ﷺ: «**إنَّ الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من النَّاس**» أي: لا يرفع العلم نزعًا من صدور العلماء وحافظتهم، وقوله ﷺ: «**ولكن يقبض العلم بقبض العلماء**» أي: يرفع العلم بموت العلماء، وقوله ﷺ: «**حتى إذا لم يُبقِ عالمًا اتَّخذ النَّاس رؤوسًا جهَّالًا**» أي: جعلوا بعض الرجال الجُهَّال في مقام العلماء المفتين، وقوله ﷺ: «**فسُئلوا**» أي: سَأَلُوهُم عن أحكام الدين، وقوله ﷺ: «**فأَفْتَوا بغير علم**»

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣)، والترمذي (٢٦٥٢)، وابن ماجه (٥٢)، والدارمي (٢٤٥)، وابن حبان (٦٦٨٤).

(٢) أخرجه البخاري (٧٣٠٧).

أي: بآرائهم وظنونهم فيتكلَّفون ما لا يعلمون، ويتنطَّعون، ويتشدَّقون، ويقولون على اللَّه ما لا يعلمون، فتكونُ النتيجةُ أنَّهم «**ضَلُّوا**» أنفسهم، «**وأَضَلُّوا**» غيرهم.

وقد بيَّنَ الإمام الشاطبي في كتابه «الاعتصام» (٣/ ١٢٨) كيف يتَّخِذُ النَّاس رؤوسًا جُهَّالًا فقال: «أن يعتقدَ الإنسانُ في نفسِهِ -أو يُعْتَقَدُ فيه- أنه من أهل العلم والاجتهاد في الدين -ولم يبلغ تلك الدرجة-، فيعمل على ذلك، ويعد رأيه رأيًا، وخلافه خلافًا: ولكن تارة -يكون ذلك في جزئي وفرع من الفروع-، وتارة -يكون في كليٍّ وأصل من أصول الدين- كان من الأصول الاعتقاديَّة، أو من الأصول العلميَّة-، فتراه آخذًا ببعضِ جزئيات الشريعة في هدم كليَّاتها[1]، حتى يصير منها إلى ما ظهر له بادي رأيه، مِنْ غيرِ إحاطةٍ بمعانيها، ولا رُسُوخٍ في فهم مقاصدها.

وهذا هو المبتدع، وعليه نبَّه الحديثُ الصحيحُ؛ أنَّه ﷺ قال: «**إنَّ اللَّه لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من النَّاس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبْقِ عالمًا؛ اتَّخذ النَّاس رؤساء جهالًا؛ فسئلوا، فَأَفْتَوْا بغيرِ علمٍ؛ فضلُّوا وأضلُّوا**».

وعن عبداللَّه بن مسعود رضي الله عنه قال: «تعلموا العلم قبل أن يُقبض، وقبضُهُ أن يذهبَ أهلُه، ألا وإيَّاكم والتنطُّع، والتعمُّق، والبدع، وعليكم بالعتيق[2]».

* * *

---

(١) هذا مثال مَنْ جاء لِيُوَحِّدَ الأمَّةَ فأحدث فيها فِرْقةً وحزبًا؛ ليوحِّدها به، والحقيقة أنه ما زادها به إلا فُرقةً واختلافًا، وكما قيل في حقِّ هؤلاء الجهلة:

طبيبٌ جاهلٌ جاءته يومًا ... فتـاةٌ آلـمتها مقلتاهـا
فشمَّـر عـن ذراعيه فلمَّا ... تقدَّم كي يكحلها عماها

وفي هذا يُضرب المثل: «إجا يُكَحلها عماها»، وهذا فيمن يُقدم على إصلاح الشيء دون علمٍ وخبرة، فبدلًا من أن يُصلحه يُفسده ويُتلفه، ويُقال لهؤلاء:

أوردها سعدٌ وسعدٌ مُشْتَمِلُ ... ما هكذا يا سعدُ تُوْرَدُ الإبلُ

(٢) سنن الدارمي مع شرحه «فتح المنان» (٢/ ١١٥)، و«المصنَّف» لعبدالرزاق (١١/ ٢٥٢)، و«جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٥٢)، و«الأمر بالاتِّباع» (ص٥٩).

الحديث الرَّابع عشر

رابعًا: اتِّباعُ سَنَنِ اليَهُودِ والنَّصارَى

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ من قبلَكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا في جُحْر ضبٍّ لاتبعتُموهُم**»، قلنا: يا رسول اللَّه! اليهود والنصارى؟ قال: «**فَمَنْ؟!**»[1].

يخبرنا النبي ﷺ في هذا الحديث أنَّ أُمَّتَهُ ستتبع طرق اليهود والنصارى وسُبُلهم، وتوافقهم في أقوالهم وأعمالهم تمام الموافقة، الشِّبر بالشِّبر، والذِّراع بالذِّراع، وَمَثَّلَ لِشِدَّةِ متابعتهم بدخول جُحْر الضَّب دون غيره؛ لضيقه ورداءته.

قال ابن حجر العسقلاني في «الفتح» (٦/ ٤٩٨): «والذي يظهر أنَّ التخصيص إنما وقع لجُحْر الضَّبِّ؛ لشدَّة ضيقه ورداءته، ومع ذلك فإنهم لاقتفائهم آثارَهُم، واتِّباعهم طرائِقَهُم، لو دخلوا في مثل هذا الضَّيِّق الرديء لتبعوهم».

«قوله ﷺ: (**لتتبعنَّ سنن الذين من قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراعٍ.. إلخ**)، **السَّنَن -بفتح السين والنون-: وهو الطريق، والمراد بالشبر والذراع وجُحْر الضَّب: التمثيل بشدة الموافقة لهم، والمراد: الموافقة في المعاصي والمخالفات، لا في الكفر، وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول اللَّه ﷺ، فقد وقع ما أخبر به ﷺ**»[2].

إنَّ أوَّلُ ما ظهرت بوادرُ هذا الاتِّباع، كان في زمن النَّبيِّ ﷺ، فَأَنْكَرَهُ النبيُّ ﷺ أشدَّ الإنكار.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩)، وابن ماجه (٣٩٩٤)، وأحمد (١١٨٠٠)، والحاكم (١/ ٣٧)، وابن أبي عاصم في «السنَّة» (٧٤ و ٧٥).

(٢) النَّووي في «شرح صحيح مسلم» (٨/ ٤٣٦).

فعن أبي واقد الليثي أنَّ رسول اللَّه ﷺ لَمَّا خرج إلى حُنين، مرَّ بشجرة للمشركين، يقال لها: ذاتُ أنواط[١]، يُعَلِّقُون عليها أسلِحَتَهُمْ، فقالوا: يا رسول اللَّه! اجعل لنا ذاتَ أنواطٍ كما لهم ذاتُ أنواط، فقال النبي ﷺ: «**سبحان اللَّه! هذا كما قال قوم موسى: ﴿اَجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾** [الأعراف: ١٣٨]، **والذي نفسي بيده لتَركبُنَّ سُنَّة من كان قبلكم**»[٢].

واتِّباعُ هذه الأمَّة سَنَنَ اليهود والنصارى شامل لكل الأمور، سواء منها أمور العقيدة، أو الأخلاق، أو العبادة، أو السلوك، وأَظْهَرُ ما يكون هذا الاتِّباع في الاختلاف والتَّفرق، حيث افترقت بنو إسرائيل إلى ثنتين وسبعين فرقةً، وتفترق هذه الأمَّة إلى ثلاث وسبعين فرقةً.

فعن عبداللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**ليأتينَّ على أمتي ما أَتَى على بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بالنَّعْلِ، حتى إن كان منهم مَنْ أَتى أُمَّه علانيةً؛ لكان في أمتي من يَصْنَعُ ذلك، وإنَّ بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملَّة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين مِلَّة، كُلُّهم في النار، إلا ملَّةً واحدة**»، قالوا: ومَنْ هي يا رسول اللَّه؟ قال: «**ما أنا عليه وأصحابي**»[٣].

* * *

---

(١) ذاتُ أنواط: أي ذاتُ تعليق، والنَّوْط هو: التعليق.

(٢) حسن، أخرجه الترمذي (٢١٨٠)، وحسَّنه الإمام الألباني في «ظلال الجنَّة» (٧٦)، وقد مضى تخريجه تحت الحديث الخامس (ص٤٦).

(٣) حسن، أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، وحسَّنه الإمام الألباني في «الصحيحة» (١٣٤٨)، وقد مضى تخريجه في الحديث الخامس (ص٤٤).

الحديث الخامس عشر

خامسًا: الغُلُوُّ

عن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال لي رسول اللَّه -غداة العقبة، وهو على راحلته-: «**هاتِ الْقُطْ لِي**»، فَلَقَطْتُ له حَصَيَاتٍ -هُنَّ حصى الخذْفِ-، فلمَّا وضعتُهُنَّ في يدِهِ؛ قال: «**بأمثال هؤلاء وإيَّاكم والغُلُوَّ في الدِّين، فإنَّما أهْلَكَ مَنْ كان قبلكم الغُلُوُّ في الدِّينِ**»(1).

يحذِّرنا النبي ﷺ في هذا الحديث من الغلوِّ في الدين، فيقول: «**إيَّاكم**» أي: احذروا، وقوله: «**والغلوَّ في الدين**» أي: مجاوزة الحدِّ في أيِّ أمرٍ من أمور الدين، وقوله: «**فإنَّما أهلك من كان قبلكم**» اليهود والنصارى، «**الغلوُّ في الدين**» أي: بمجاوزتهم الحدَّ في الدِّين؛ حيث إنَّهم غلَوْا في دينهم ورسُلِهِم إفراطًا وتفريطًا، ووقعوا في الشرك والكفر، فكان مصيرُهم إلى النار.

قال -تعالى- زاجرًا أهلَ الكتاب على غُلُوِّهم في نبيِّهم عيسى بنِ مريم -عليه الصلاة والسلام-: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [النساء: ١٧١].

قال ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٧٧١): «ينهى -تعالى- أهل الكتاب عن الغلوِّ والإطراء، وهذا كثيرٌ في النصارى، فإنَّهم تجاوزوا حدَّ التصديق بعيسى؛ حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه اللَّه إياها، فنقلوه من حيِّز النبوة إلى أن اتخذوه إلهًا

---

(1) صحيح، أخرجه النسائي (٣٠٥٧)، وابن ماجه (٣٠٢٩)، وابن حبان (٣٨٧١)، وأحمد (٣٢٤٨)، والحاكم (١/ ٤٦٦)، وابن أبي عاصم في «السنَّة» (٩٨)، وصحَّحه الإمام الألباني في «الصحيحة» (١٢٨٣).

من دون اللَّه، يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غَلَوْا في أتباعه وأشياعه، ممن زعم أنه على دينه، فادَّعوا فيهم العصمة، واتبعوهم في كل ما قالوه، سواءً كان حقًّا، أو باطلًا، أو ضلالًا، أو رشادًا، أو صحيحًا، أو كذبًا، ولهذا قال -تعالى-: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية [التوبة: ٣١]».

وقال -تعالى-: ﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓاْ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

قال ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ١١٣): «﴿قُلْ يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾[المائدة: ٧٧] أي: لا تجاوِزُوا الحدَّ في اتِّباع الحقِّ، ولا تُطروا من أُمرتم بتعظيمه فتبالغوا فيه، حتى تُخرجوه عن حيِّز النبوة إلى مقام الإلهيَّة، كما صنعتم في المسيح، هو نبي من الأنبياء، فجعلتموه إلهًا من دون اللَّه، وما ذلك إلا لاقتدائكم بشيوخ الضلال، الذين هم سلفكم ممن ضلَّ قديمًا ﴿وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: وخرجوا عن طريق الاستقامة والاعتدال، إلى طريق الغواية والضلال».

كان غلوُّ النصارى في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ غلوَّ إفراط، حتى رفعوه فوق منزلة الرسالة التي أنزله اللَّه إياها إلى مَنْزِلة الأُلوهيَّة، وَغَلوْا في أتباعه، وأشياعه؛ حتى ادَّعوا فيهم العصمة، واتبعوهم في محدثاتهم التي ضلوا فيها، وأضلُّوا؛ فخرجوا عن الصراط المستقيم، وسبيل النجاة إلى سُبُل الضلال والغواية.

وكان غُلوُّ اليهود فيه غلوَّ تفريطٍ، حتى أنهم كذبوه، ورمَوْه وأمَّهُ بما بَرَّأَهُم اللَّه منه، ويُسمَّى التَّفريط غُلُوًّا؛ لأنَّ فيه مجاوزة الحدِّ في التقصير.

فالإفراط والتفريط كلاهما غلوٌّ، وكلاهما مذموم.

وقد حذَّرنا نبينا ﷺ من الغلوِّ في الدِّين عامَّةً، ومن الغلوِّ فيه بخاصَّةٍ -كما غلت النصارى بنبيِّهم- فقال: «**لا تطروني كما أَطْرتِ النَّصارى ابن مريم، فإنَّما أنا عبدُه،**

فقولوا عبدالله ورسوله»[١].

وعن أنس بن مالك أنَّ رجلًا قال: يا محمد، يا سيِّدنا وابن سيِّدنا، وخيرنا وابن خيرنا، فقال رسول الله ﷺ: «**يا أيها النَّاس! عليكم بتقواكُم، لا يستهوينَّكُمُ الشيطانُ، أنا محمد بن عبدالله، عبدُ الله ورسولُه، واللهِ ما أحبُّ أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله**»[٢].

وقال ﷺ: «**لتتبعنَّ سَنَنَ الذين مِنْ قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع؛ حتى لو دخلوا جحر ضبٍّ لاتبعتموهم**»، قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: «**فَمَنْ**»[٣]؟!

وقد غَلا مَنْ قَبْلنا في دينهم وأنبيائهم؛ فلا بدَّ أن يقع الغلوُّ في أُمَّتنا، في ديننا ونبيِّنا جَرْيًا على سَنَنِهِم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٧٦): «ثمَّ إنَّ الغلوَّ في الأنبياء والصالحين قد وقع في طوائف من ضُلال المتعبدة والمتصوفة، حتى خالط كثيرًا منهم من مذهب الحلول والاتحاد ما هو أقبح من قول النصارى، أو مثله، أو دونه».

«وقد ظنَّ كثيرٌ من المُنْتَمِين للإسلام والتصوُّف أنَّ محبَّة رسول الله ﷺ تُبيح لهم إظهارَها بما تشتهيه نفوسُهم دون رجوعٍ إلى الوحي، وفقه الأئمَّة الأُوَل في نصوصه، فعبَّرَ عنها بعضهم بالعشق، ومدحوه تبعًا لذلك بأنَّ (خدَّه أحمر مورَّد، ريقه سكَّر مكرَّر، بطنه طيُّ الحرير حين يشتدُّ الزفير، خدُّه التفاح الشاميُّ)!

وأصاب العدوى بعض المنتمين لأهل السُّنَّة: فوصفوه في خطب الجمعة، والقنوت (بالوجه الأنور، والجبين الأزهر)، ذهولًا منهم عن الرجوع إلى النصِّ والفقه فيه.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٤٥) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) حسن، أخرجه أحمد (٨٤٨٣) بإسنادٍ جيِّد.

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

بل وضع له المبتدعةُ تسعةً وتسعينَ اسمًا، وزعموا أنَّه خُلِقَ من نور اللَّه، وأنَّ من نعمته على الخلق: الدنيا والآخرة، وأنَّ من علومه علم اللوح والقلم! وأنَّ عمامَتَهُ عَلَتْ على عرش الرحمن! وأنَّه الأول والآخر والظاهر والباطن، وأنَّ له كل أسماء اللَّه -تعالى-، وأنَّه أُوتي علم الخَمْس [مفاتح الغيب]، تجد هذا التحريف -كُلَّه- في شعر البوصيري (البُرْدَة)، والروَّاس الحموي «بَوَارق الحقائق»، وكُتُبِ محمد بن علوي المالكي «الذَّخائر المحمديَّة»، و«شفاء الفؤاد» بخاصَّة، وهي غيض من فيوض الصوفيَّة الضالَّة»[1].

قال البوصيري في «بُرْدَتِهِ» في مدح النبي ﷺ:

دَعْ ما ادَّعَتْهُ النصارى في نَبِيِّهِمُ ... واحْكمْ بما شِئْتَ مَدْحًا فيهِ واحْتَكِمِ

إلى أن قال في وصف النبي ﷺ:

فإنَّ من جُودِكَ الدُّنيا وَضَرَّتَهَا ... ومِن عُلومِك عِلْمُ اللَّوحِ والقَلَمِ

فماذا أبقى للَّه، وهل بعد هذا الغُلُوِّ غلوٌّ؟!!

«والغلوُّ يكون بالفعل، ويكون بالتَّرك، فمن تجاوز الحد في فعلٍ فَهُوَ غالٍ، سواء كان الفعل مِنْ عمل الجوارح، كالزيادة في العبادة المشروعة، أو التَّعبُّدِ بِما لم يشرعه اللَّه أصلًا، أو كان الفعل من عمل القلوب والعقائد، وهو أخطر أنواع الغلوِّ، كالغلوِّ في الأنبياء، والأولياء بالإطراء، وإنزالهم فوق منزلتهم التي أنزلهم اللَّهُ إياها، وكالغلوِّ باعتقاد تكفير المجتمع المسلم، والتَّبرِّي منه لعصيانه.

ويكون الغلوُّ بالتَّرك -أيضًا-، سواء كان التَّرك من عمل الجوارح، كمن يتقرَّب إلى اللَّه -تعالى- بترك ما شرعه من العبادات، وأباحه من الطيبات؛ تزهدًا فاسدًا، حذَّر اللَّه -تعالى- من ذلك في قوله: ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧].

(١) «مجلة الأصالة» (٥٢/ ٤٠-٤١) مقال «المحبة والنصرة بين الشرع والعاطفة» للشيخ سعد الحصين -حفظه اللَّه-.

ومنه ما فعله النَّفر الذين استَقلُّوا عباداتِهم عندما سألوا عن عبادة رسول اللَّه ﷺ، فقال أحدهم: إنِّي لا أتزوج النساء، فردَّ عليهم رسول اللَّه ﷺ زُهْدَهُم، وقال: «... **فمن رغب عن سنتي فليس منِّي**»(١).

ويكون الغلوُّ بالتَّرك -أيضًا- في الاعتقاد وعمل القلوب، وهو يكثر في غُلوِّ المُلحِدِين، والعقلانيِّين، والعِلْمَانيِّين الذين يستخفُّون بمعتقدات أهل الإيمان، وينكرون ما هو معلوم بالضرورة من دين الإسلام»(٢).

وقد أخذت فرق من الأمَّة باتِّباع سنَّة اليهود والنصارى شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع في الغلوِّ، فَفِرَقٌ غَلَتْ في النبي ﷺ، وَفِرَقٌ غلت في الأولياء والصالحين وغير ذلكَ؛ لاقتدائها بأئمَّة الضَّلال، ومن ذلك غلوُّ أول فِرْقَة خرجت في الإسلام -وهي الخوارج- في العبادة، حتى قال النبي ﷺ عن كثرة عبادتهم: «**يَحْقِرُ أحدكم صلاته مع صلاتهم، وَصِيامَهُ مع صيامهم**»(٣).

وَغَلَوْا في التكفير؛ حتى كفروا خيار النَّاس، واستحلُّوا دماءَهم، وَكَفَّرُوا مُرْتكِبَ الكبيرة، وَغَلَوْا في الحاكميَّة، فخرجوا على ولاة الأمور بغير وجه حق، وبِغُلُوِّهم هذا مرقوا من الدين مُرُوقَ السهم من الرميَّة، كما قال ﷺ: «**يمرقون من الدِّين كما يمرق السهم من الرميَّة**»(٤)، فهلكوا.

ثم خرجت فِرْقَةُ الشيعة التي غَلَتْ في آل بيت النبي ﷺ، حتى إِنَّهم فضَّلوهم على أبي بكر وعمر، وادَّعوا فيهم العصمة، بل وفضلوهم على الأنبياء والملائكة، إلى أن رفعوهم إلى منزلة الألوهيَّة والربوبيَّة، وَدَعَوْهُمْ من دون اللَّه، وزعموا أنَّ لهم تَصَرُّفٌ في ذرَّات الكون -والعياذ باللَّه تعالى-.

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣)، وقد سبق تخريجه (ص٦٢).
(٢) «الغلوُّ في الدين» (ص١٢) للدكتور الصادق عبدالرحمن الغرياني.
(٣) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤/١٤٨)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٤) أخرجه البخاري (٦١٦٣)، ومسلم (١٠٦٤/١٤٨)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وغَلَوا في بُغْضِ الصحابة؛ حتى إِنَّهم كَفَّروهم إلَّا ثلاثة، أو ستة نفر منهم، ويتَّهمون عائشة بما بَرَّأَهَا اللَّه منه، ويتقربون إلى اللَّه بسبِّ أبي بكر وعمر.

ثم خرجت المعتزلة الذين أزاغ اللَّه قلوبهم، واتبعوا أهواءهم، فتراهم غَلَوا في منزلة العقل مقابل النقل، حتى إنَّهم رفعوه فوق منزلته، والتي هي فَهْمُ الدين، وتدبُّر كلام ربِّ العالمين، إلى أن جعلوه حَكَمًا على الدين، فما وافق عقولَهُم الفاسدة الكاسدة؛ قبلوه، وما خالفها؛ رفضوه وردوه، وأتوا بغلوهم هذا بمحدثات كثيرة، وأصول فاسدة، واتبعوا فيها غير سبيل المؤمنين، وأسقطوا عدالة الصحابة المقربين، وتنكبوا سنَّة الخلفاء الراشدين، حتى قال واصل بن عطاء: «ولو شهدت عندي عائشة، وعلي، وطلحة على باقة بقل، لم أقبل بشهادتهم»(١).

وفي رواية: «لو شهد عندي عليٌّ، وعثمان، وطلحة، والزُّبير على نعلٍ؛ ما أجزتُ شَهَادَتَهُم»(٢).

ثمَّ خرجت فرقةُ الصوفيَّة التي غَلَتْ في النبي ﷺ -كما سبق ذكره- وزيادة، وغلت في الأولياء والصالحين؛ حتى اتَّخذُوا قبورَهُم مساجد وأعيادًا، وذَبَحُوا لها، وطَافُوا بها، وصَرَفُوا لها من العبادة ما لا يجوز إلا لِله ﷻ.

وغَلَوْا في الكشف والوجد والذوق، والتي هي من وساوس الشيطان، حتى قدَّموها على العلم بالكتاب والسنَّة، حتى نقل ابن الجوزي: «أنَّ شيخًا صوفيًّا رأى مُرِيدًا وبيده محبرة، فقال له: أَخْفِ سَوْأَتَك»(٣)، بل أسقطوا منهاجَ الصحابة والتابعين وأتباعهم من أهل الحديث والأئمة في حفظ ميراث النبوة، حتى قال أحدُ كُبَرائهم، وهو أبو يزيد البسطامي: «أخذتم علمَكُم ميتًا عن ميت، وأخذنا علمنا

---

(١) «ميزان الاعتدال» للذهبي (٤/ ٣٢٩).

(٢) أخرجه الدارقطني في «أخبار عمرو بن عبيد» (رقم ١٨).

(٣) «تلبيس إبليس» (ص٤٣٣).

عن الحيِّ الذي لا يموت، يقول أمثالُنا: حدَّثَنِي قلبي عن ربِّي، وأنتم تقولون: حَدَّثَنِي فلان، وأين هو؟ قالوا: مات، عن فلان، وأين هو؟ قالوا: مات»[١].

وقال الشعراني: «وهذا الحديث وإن كان فيه مقال عند المُحَدِّثين، فهو صحيح عند أهل الكشف»[٢].

وما خرجت فرقة في الإسلام؛ إلا وقد غَلَتْ في أمرٍ من أمور الدِّين، خرجت به عن سبيل المؤمنين، ومنهاج السلف الصالحين.

* * *

(١) «الفتوحات المكيَّة» (١/ ٣٦٥)، و «الكواكب الدريَّة» للمناوي (ص٢٢٦).

(٢) «الميزان» (١/ ٢٨).

الحديث السَّادس عشر

سادسًا : التكلُّف

عن عُمَرَ بن الخَطَّاب رضي الله عنه قال : «**نُهِينا عَنِ التَّكلُّف**»(١).

يخبرنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنَّهم نُهُوا عن التَّكلف، وهذا الحديث موقوفٌ، له حكم الرفع، فعندما يقول الصحابي نُهينا، فكأنَّه يقول: نهانا رسول اللَّه ﷺ، ومعنى «**نُهينا عن التَّكلُّف**»: أي: نُهينا «أن يتكلَّفَ الإنسانُ ما لا عِلْمَ له به، ويحاولَ أن يظْهَر بمظهر العالم العارف، وليس كذلك»(٢).

قال -تعالى-: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص:٨٦]، أي: لا أسألكم على ما جئتكم به أجرًا، أشقُّ به عليكم، ولا أدَّعي ما ليس لي، أو أقول ما ليس لي به علم، ولا أتَّبعُ إلا ما يُوحى إليَّ.

وعن مسروق قال: «دخلنا على عبداللَّه بن مسعود رضي الله عنه فقال: يا أيُّها النَّاس! من علم شيئًا فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: اللَّه أعلم، فإنَّ من العلم أن تقول لما لا تعلم: اللَّه أعلم، قال اللَّه -تعالى- لنبيِّه ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص:٨٦]»(٣).

وهذا الكلام من عبداللَّه بن مسعود تفسير لهذه الآية -التي أمر اللَّه فيها نبيه ﷺ، أن لا يكون من المتكلِّفين-، بأنَّ من علم شيئًا قال به، ومن لا يعلم يقول: اللَّه أعلم، أمَّا من يتكلَّف بالظن والتخمين أشياء لا يعلمها؛ ليظهر بمظهر العارف فهذا هو التَّكلُّف المنهيُّ عنه.

---

(١) رواه البخاري (٧٢٩٣).

(٢) «شرح رياض الصالحين» (٤/٣٠٨) للعثيمين.

(٣) أخرجه البخاري (١٠٠٧)، ومسلم (٢٧٩٨).

وعن شقيق أبي وائل، قال: دخلتُ أنا وصاحبٌ لي على سلمان رضي الله عنه، فَقَرَّبَ إلينا خُبزًا ومِلْحًا، فقال: «لولا أنَّ رسول اللَّه ﷺ نهانا عن التكلُّف لتكلَّفتُ لكم».

فقال صاحبي: لو كان في مِلْحِنَا سَعْتَر!

فبعث بمطهرته إلى البقَّال، فرهنها؛ فجاء بسعتر، فألقاه فيه، فلمَّا أكلنا قال صاحبي: الحمد للَّه الذي قنَّعنا بما رزقنا.

فقال سلمان: «لو قَنِعْتَ بما رُزِقْتَ؛ لم تكن مطهرتي مرهونةً عند البقَّال»[(١)].

فلقد كان أصحابُ محمدٍ ﷺ أعمقَ هذه الأمَّة علمًا، وأقلَّها تكلُّفًا؛ لذلك كانوا هم الأئمَّة والقدوة، كما قال عبداللَّه بن مسعود رضي الله عنه: «من كان مُستنًّا فليستنَّ بمن قد مات؛ فإنَّ الحيَّ لا تُؤمَنُ عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا أفضل هذه الأمَّة، وأبرَّها قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلها تكلفًا، قومٌ اختارهم اللَّه لصُحبة نبيه، وإقامة دينه، **فاعْرِفُوا لهم فَضْلَهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم**، فإنَّهم كانوا على الهدي المستقيم»[(٢)].

أمَّا من جاء بعدهم وبعد القرون المفضلة، فإنَّ الكثير منهم لا يصل علمهم إلى تراقيهم، ومع ذلك يتكلفون ليظهروا بمظهر العلماء، فأفسدوا الدِّين والدنيا؛ لأنَّهم يُفْتُونَ بغير علم، وبنصف علم، أي: بآرائهم المتكلِّفة؛ ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في كتابه «الفتوى الحمويَّة»: «كانوا يقولون: ما أفسد الدُّنيا والدِّين إلا أربعة: نصف متكلِّم، نصف فقيه، نصف لُغوي، نصف طبيب»[(٣)].

---

(١) حسن، أخرجه الحاكم (٤/ ١٢٣)، وهو مخرَّج في «سلسلة الآثار الصحيحة» (١٣٧)، و«الصحيحة» (٢٣٩٢).

(٢) أخرجه بنحوه ابن عبدالبر في «جامع البيان» (٢/ ٣١٧)، وأبو نعيم في «الحلية» عن ابن عمر (١/ ٣٠٥).

(٣) «الفتوى الحمويَّة الكبرى» (ص٦٨)، نقلتها عن شرح العثيمين لرياض الصالحين (٤/ ٣٠٩) بهذا اللفظ، ولفظها الصحيح في «الفتوى»: «وقد قال بعض النَّاس: أكثر ما يفسد الدنيا: نصف متكلِّم، ونصف مُتفقِّه، ونصف متطبِّب، ونصف نحْوي: هذا يفسد الأديان، وهذا يفسد البلدان، وهذا يفسد الأبدان، وهذا يفسد اللسان».

«أما المتكلِّم: فإنَّه أفسد الأديان والعقائد؛ لأنَّ أهل الكلام الذين نالُوا من الكلام شيئًا، ولم يَصِلوا إلى غايته؛ اغترُّوا به، وأمَّا أهل الكلام الذين وصلوا إلى غايته فقد عرفوا حقيقته ورجعوا إلى الحق.

ونصف فقيه: يُفْسِدُ البلدان؛ لأنَّه يقضي بغير الحق: فيفسد البلدان، فيعطي حقَّ هذا لهذا، وهذا لهذا.

ونصف نحوي؛ لأنَّه يُفْسِدُ اللسان؛ لأنَّه يظنُّ أنَّه أدرك قواعد اللغة العربيَّة، فيتكلَّم وهو لا يعرف، فيلحن فيفسد اللسان.

ونصف طبيب: فَيُفْسِدُ الأبدان؛ لأنَّه لا يعرف، فربما يصف دواءً يكون داءً، وربما لا يصف الدَّواء فيهلك المريض.

فالحاصل أنَّه لا يجوز للإنسان أن يُفْتِي إلا حيث جازت له الفتوى، ولا يتعجَّلْ ولا يتسرَّع، إن كان اللَّه ﷻ قد أراد أن يكون إمامًا للنَّاس يُفتيهم، ويَهديهم إلى صراط مستقيم، فإنَّه سيكون، وإن كان اللَّه لم يُرد ذلك فلن يُفيده تسرُّعه في الفتوى»[١].

ورُوي أنَّ: للمتكلِّف ثلاث علامات: «ينازعُ من فوقه، ويتعاطى ما لا ينال، ويقول ما لا يعلم»[٢].

* * *

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (٤/ ٣٠٩) للعثيمين.

(٢) ولا يصحُّ مرفوعًا!

الحديث السَّابع عشر

سابعًا: التنطُّع

عن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «**هلك المتَنَطِّعون**»، قالها ثلاثًا[(١)].

يخبرنا عبدالله بن مسعود رضي الله عنه في هذا الحديث أنَّ النبي ﷺ قال: «**هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون**»، وهم المتعمِّقون المتشدِّدون في غير موضع التشديد في أمورهم الدينيَّة والدنيويَّة، أي: تَلِفُوا وخَسِرُوا؛ لأنَّ من شدَّد؛ فإنَّ أمره إلى شدَّة، قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ هذا الدِّين يُسر، ولن يُشادَّ الدِّينَ أحدٌ إلا غلبه**»[(٢)]، وقال: «**أحبُّ الدِّين إلى الله الحنيفيَّةُ السَّمحة**»[(٣)]، وقال: «**لا تُشَدِّدُوا على أنفسكم؛ فإنَّما هلك مَنْ قبلكم بتشديدهم على أنفسهم، وستجدون بقاياهم في الصوامع والدِّيارات**»[(٤)].

ومن أمثلة التشدُّد: ما يفعلُهُ بعضهم في الوضوء، حيث يزيد في الوضوء عن ثلاثٍ، أو أربعٍ، أو خمسٍ، أو أكثر من ذلك.

وفي الاغتسال؛ حيث يشدد على نفسه في إدخال الماء في أُذنيه، وفي مِنْخَرَيْه، وفي تخليل لحيتِهِ، فَيُتعبُ نفسه تعبًا عظيمًا هو في غِنًى عنه.

وفي قصة بني إسرائيل؛ حيثُ أمرهم موسى -عليه الصلاة والسلام- أن يذبحوا بقرة، فتعنَّتوا وتشدَّدوا، فشدَّد الله عليهم، فذبحوها وما كادوا يفعلون،

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٠)، وأبو داود (٤٦٠٨)، وأحمد (٣٦٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) حسن، ذكره البخاري تعليقًا في «صحيحه» (كتاب الإيمان) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، فقال: «باب: الدِّين يسر، وقول النبيِّ ﷺ»، فذكره، ووصله في «الأدب المفرد» (٢٨٧)، وحسَّنه الإمام الألباني فيه.

(٤) حسن، أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٨٥٩)، والطبراني في «الكبير» (٥٥٥١)، وجوَّد إسناده الإمام الألباني في «الصحيحة» (٣١٢٤)، من حديث سهل بن حنيف عن أبيه عن جده رضي الله عنه.

فهؤلاء ينطبق عليهم الحديث: «**هلك المتنطِّعون**».

«ومن ذلك ما يفعله بعض الطلبة المجتهدين في باب التوحيد؛ حيث تجدهم إذا مرَّتْ بهم آيات صفات الرب ﷻ جعلوا يُنَقِّبون عنها، ويسألون أسئلة ما كُلِّفوا بها، ولا درج عليها سلف الأمَّة من الصحابة والتابعين وأئمة الهدى من بعدهم، فتجد الواحد يُنَقِّبُ عن أشياءَ ليست من الأمور التي كُلِّف بها تنطُّعًا وتشدُّقًا، فنحن نقول لهؤلاء: إنه يَسَعُكم ما وَسِعَ الصحابة ﵃ فأمسكوا، وإن لم يسعكم، فلا وسَّع اللَّه عليكم، وثقوا بأنَّكم ستقعون في شدَّة وفي حرج وفي قلق.

ومثال ذلك أنَّ بعض النَّاس يقول: إنَّ اللَّه ﷻ له أصابع كما جاء في الحديث الصحيح: «**إنَّ قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن، كقلب واحد يصرِّفه حيث يشاء**»(١)، فيأتي هذا المتنطِّع فيبحث كم عدد هذه الأصابع؟ وهل لها أنامل؟ وكم أناملها؟ وما أشبه ذلك.

كذلك مثلًا: «**ينزلُ ربُّنا إلى السماء الدُّنيا كلَّ ليلة، حين يبقى الثلث الأخير**»(٢)، يقول: كيف ينزل؟ ولِمَ ثلث الليل؟ وثلث الليل يدور على الأرض كلها، معنى هذا أنه نازلٌ دائمًا، وما أشبه ذلك من الكلام الذي لا يؤجرون عليه، ولا يُحمدون، بل هم إلى الإثم أقرب منهم إلى السلامة، وهم إلى الذمِّ أقرب منهم إلى المدح.

هذه المسائل التي لم يُكلَّف بها الإنسان، وهي من مسائل الغيب، ولَم يَسْأَلْ عنها من هو خير منه، وأحرص منه على معرفة اللَّه بأسمائه وصفاته، يجب عليه أن يُمْسِكَ عنها، وأن يقول: سَمِعْنَا وأَطَعْنا، وصدَّقنا وآمنَّا، أمَّا أن يبحث أشياء دقيقة ما لها فائدة، فإنَّ هذا لا شك أنه من التَّنطُّع.

ومن ذلك -أيضًا- ما يفعله بعض الطلبة من إدخال الاحتمالات العقليَّة في

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٥٤) من حديث عمرو بن العاص ﵁.

(٢) أخرجه البخاري (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨) من حديث أبي هريرة ﵁.

الدلائل اللفظيَّة، فتجده يقول: يحتمل كذا، ويحتمل كذا؛ حتى تضيع فائدة النَّص، وحتى يبقى النَّصُّ كلُّه مرجوحًا لا يُستفاد منه، فهذا غلط، والواجب الأخذ بظاهر النصوص وطرح هذه الاحتمالات العقليَّة، فإنَّنا لو سلَّطنا الاحتمالات العقليَّة على الأدلَّة اللفظيَّة في كتاب اللَّه وسنَّة رسوله ﷺ ما بقي لنا حديث واحد، أو آية واحدة يَسْتَدِلُّ بها الإنسان، ولأورد عليها كل شيء، والأمور العقليَّة هذه قد تكون وَهْمِيَّات وخيالات من الشَّيطان، يلقيها في قلب الإنسان؛ حتى يُزَعْزِعَ عقيدته وإيمانَه، والعياذ باللَّه»[1].

* * *

---

(١) «شرح رياض الصالحين» (١/ ٥٦٥-٥٦٦) للعثيمين.

الحديث الثَّامن عشر

ثامنًا: الاسْتِعْجَال

عن خبَّاب بن الأرتِّ ﷺ قال: شكونا إلى رسول اللَّه ﷺ -وهو متوسِّدٌ بُردةً له في ظلِّ الكعبة-، قلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو اللَّه لنا؟ قال: «**كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض فيجعل فيه، فيُجاء بالمنشار، فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، واللَّهِ، لَيُتِمَّنَّ اللَّه هذا الأمر، حتَّى يسيرَ الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا اللَّه، أو الذئب على غنمه، ولكنَّكم تستعجلون**»(١).

إنَّ الابتلاء سنَّة للَّه -تعالى- جارية في المؤمنين؛ لتمييز الصادق من الكاذب، والقوي من الضعيف، قال -تعالى-: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١-٣]، ولمَّا كان الأنبياء أقوى النَّاس إيمانًا، وأعظمهم صبرًا، كانوا أشدَّهم ابتلاءً، ولذلك قال النبي ﷺ: «**أشدُّ النَّاس بلاءً الأنبياء، ثمَّ الأمثل فالأمثل، يُبتلى الرجل على حسب دينه؛ فإن كان في دينه صلبًا اشتدَّ بلاؤُه، وإن كان في دينه رِقَّة؛ ابتُلي حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه من خطيئة**»(٢).

فلقد تعرَّضَ النبيُّ ﷺ إلى أشدِّ الأذى من المشركين، حتى قال: «**ما أوذي أحدٌ ما أوذيتُ في اللَّه ﷻ**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦١٢)، و(٣٨٥٢)، و(٦٩٤٣)، وأبو داود (٢٦٤٩)، والنسائي (٥٣٢٠).

(٢) صحيح، أخرجه الترمذي (٢٣٩٨) من حديث سعد بن أبي وقاص ﷺ، وجوَّد إسناده الإمام الألباني في «الصحيحة» (١٤٣).

(٣) حسن، أخرجه الديلمي (٤/ ٥١) من حديث بريدة عن أبيه، وحسَّنه الإمام الألباني «الصحيحة» (٢٢٢٢).

وبَلَغَ الأذى به وبأصحابه ﷺ في مكة ذروته، حتى قُتِلَ بعض أصحابه تحت وطأة التعذيب، فجاء خباب بن الأرت رضي الله عنه ومعه بعض الصحابة إلى رسول اللَّه ﷺ وكان «متوسِّدًا» أي: متَّكِئًا على «بردةٍ له»، وهي كِساءٌ يُلْتَحَفُ به، وقد كان مستظلًّا في «ظلِّ الكعبة» فجاؤوا يشكون له ما يجدونه من الكفَّار، ويطلبون منه أن يَستنصر ويدعو لهم، ولكن الرسول ﷺ مأمور بالصبر وعدم الاستعجال لهم، كما صبر أولو العزم مِنَ الرسل مِنْ قبله، قال -تعالى-: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، فأمرهم النبي ﷺ بالصبر كما صبر مَنْ قبلهم من المؤمنين، فاللَّه ﷻ أمر نبيَّه بالصبر كما صبر مَنْ قَبْلَه من الرسل مِنْ أُولي العزم، والنبيُّ ﷺ أمر المؤمنين بالصبر كما صبر مَنْ قَبلَهم من المؤمنين الصَّادقين، وبيَّن لهم أنَّ الابتلاءَ سنَّةٌ للَّه جاريةٌ في المؤمنين قبل النَّصر والتمكين، فقد حصل الابتلاء للذين آمنوا قبلكم؛ فقول النبيِّ ﷺ: **«كان الرجل فيمن قبلكم يُحفر له في الأرض فَيُجعل فيه، فيُجاء بالمنشار»**، المنشار: آلة للنحت والتفريق، وقول النبيِّ ﷺ: **«فيوضع على رأسه فَيُشَقّ باثنتين، وما يصدُّه ذلك عن دينه»** أي: يُقَتَّل بهذه الطريقة الشَّنيعة المخيفة؛ ليرتدَّ عن دينه واتباع نبيِّه فيصبر، وما يصدُّه هذا التَّعذيب وهذا التَّقتيل عن دينه.

وقوله ﷺ: **«واللَّه لَيُتِمَّنَّ اللَّه هذا الأمر»** أي: الدِّين، وقوله ﷺ: **«حتى يسيرَ الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا اللَّه، أو الذئب على غنمه»** أي: ينتشر الأمن والأمان بين النَّاس في الأرض، وينصر اللَّه هذا الدِّين وأهله حتى يسير الراكب، أي: المسافر من صنعاء وهي قرية بباب دمشق من بلاد الشام، إلى حضرموت من اليمن، لا يخاف إلا اللَّه، أو الذئب على غنمه، أي: لا يخاف قبائل في طريقه، أو قطَّاع طرق، أو أي عدو؛ لأنَّ هذا وعد اللَّه -تعالى-: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي

﴿لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٥٥].

وقوله ﷺ: «**ولكنَّكم تستعجلون**» أي: تستعجلون النَّصر والتَّمكين والفرج، وهو قادم لا محالة، عندما تتهيَّأ أسبابه، فاصبروا ولا تتعجلوا.

وقد صدق مَنْ قال:

لا تَحْسَبَنَّ المجدَ تمرًا أنتَ آكلُه لنْ تَبْلُغَ المجدَ حتَّى تَلْعَقَ الصَّبِرَا

فإنَّ من اسْتَطْوَلَ الطريقَ، واسْتأخَرَ النصرَ؛ تَعْرِض له آفتان:

الأولى: الوَهَنُ، والضَّعفُ، والفتور، والانتكاس على عقبيه.

الثانية: الاستعجال.

والاستعجال يدفع إلى التَّكلف، والتنطُّع، والغُلُو، فالمستعجلون يريدون أن يدعوا النَّاس إلى ما هم عليه، وليس معهم أثارة من عِلْم، فيتكلَّفون ويتنطَّعون ويَغْلُون في الاستدلال والاستنباط، فلربما كفَّروا المسلمين بغير حق، أو خرجوا على حاكم ظالم، ولم يروا منه كفرًا بواحًا عندهم فيه من اللَّه برهان، أو أوقعوا في عدوهم ما يُؤذيه ولا يَضرُّه، فَيُسَلِّطونَهُ عليهم، ويُحَمِّلُونَ أنفسَهم من البلاء ما لا يَطيقون، ويُذِلُّون أنفسهم، ويُضيِّعون جهودَهُم وأتباعَهُم[١]، فعن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا ينبغي للمؤمن أن يُذِلَّ نفسَه**»، قالوا: وكيف يُذِلُّ نفسَه؟ قال: «**يتعرَّضُ من البلاء لِما لا يُطيقه**»[٢].

وليتدبَّر المستعجلون هذه الحِكَم: «من تعجَّل الشيءَ قبل أوانه عوقِبَ بحرمانه»، و«من تصدَّر قبل أوانه، فقد تصدَّى لهوانه».

وقد سئل الشافعيُّ رحمه الله: أيُّهما أفضل للرجل؛ أن يُمكَّنَ، أو يُبْتَلَى؟ فقال: «لا يُمَكَّن حتى يُبتلى»[٣].

(١) وهذا حال كثيرٍ من بلاد الإسلام اليوم، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه . . .

(٢) حسن، أخرجه ابن ماجه (٤٠١٦) بإسناد حسن كما في «الصحيحة» (٦١٣).

(٣) انظر «الفوائد» لابن قيِّم الجوزيَّة (ص٢٥٨).

قال -تعالى-: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، ومنها أَخَذَ شيخُ الإسلام ابنُ تيمية قولَه: «بالصَّبر واليقين تُنال الإمامةُ في الدين»[1].

* * *

(١) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٠٢).

الحديث التَّاسع عشر

تاسعًا: الخروجُ على وُلاةِ الأُمورِ

عَنْ أُمِّ سَلمة رضي الله عنها زَوْج النبيِّ ﷺ، عن النبيِّ ﷺ أنَّهُ قال: «**يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُم أُمراءُ، فَتَعْرِفُونَ وتُنْكِرُون، فَمَنْ كَرِهَ فقد بَرِئَ، ومَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، ولكن مَنْ رَضِيَ وتابَع**»، قالوا يا رسولَ اللَّه! ألا نُقَاتِلُهُم؟ قال: «**لا؛ ما صَلَّوا**» -أيْ: مَنْ كَرِهَ بِقَلْبه وأنْكَرَ بِقَلْبِهِ»-(١).

وفي روايةٍ عن عوف بن مالك الأشجعيِّ رضي الله عنه قال: سَمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقول: «**خِيَارُ أئمَّتِكُمُ الذين تحبُّونَهُم ويُحبُّونكُم، وتُصَلُّونَ عليهم ويُصَلُّونَ عليكم، وشرار أئمَّتِكُم الذين تُبغِضُونَهم ويُبغِضُونكُم، وتَلعَنُونَهُم ويَلْعَنُونكُم**»، قال: قالوا يا رسول اللَّه! أفلا نُنَابِذُهُم عند ذلك؟ قال: «**لا؛ ما أقامُوا فيكُمُ الصَّلاةَ، قال: لا، ما أقاموا فيكُمُ الصَّلاةَ، أَلا مَنْ وَلِيَ عليه والٍ، فرآهُ يأتي شيئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّه، فَلْيَكْرَه ما يأتي من معصية اللَّه، ولا يَنْزِعَنَّ يدًا من طاعةٍ**»(٢).

وفي روايةٍ عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: دَعانا رسولُ اللَّه ﷺ فبايَعْنَا[هُ]، فَكَانَ فيما أَخَذَ علينا: أنْ بايَعَنا على السَّمْعِ والطَّاعة في مَنْشَطِنَا ومَكْرَهِنا، وعُسْرِنا ويُسْرِنا، وأَثَرةٍ عَلَيْنا، و[أنْ] لا نُنَازِعَ الأمرَ أهلَه، قال: «**إلَّا أن تَرَوْا كُفرًا بواحًا عِنْدَكُم مِنَ اللَّهِ فيهِ بُرْهان**»(٣).

لقد بيَّن النبيُّ ﷺ علاقةَ الراعي بالرعيَّة، وعلاقة الرعيَّة بالراعي أكمل بيان في أحاديثَ كثيرةٍ شائعة ذائعة؛ وذلك لأهميَّة هذا الموضوع في حياة الأمَّة؛ لأنَّ أيَّ

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٤/ ٦٣)، وأبو داود (٤٧٦٠)، والترمذي (٢٢٦٥).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٥/ ٦٦).

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (١٨٤٠/ ٤٢).

خلل في هذه العُلاقة؛ يُؤدِّي إلى خطرٍ عظيم، وشرٌّ مستطير، لا تُضبط بدايتُهُ، ولا تُعرف نهايتُهُ، تُسفك فيه الدماء، وتُنتهك فيه الأعراض، وتُستباحُ الأموال والممتلكات.

ففي حديث أُمِّ سلمةَ زوجِ النبيِّ ﷺ أَخْبَرَ أَنَّهُ: «**يُسْتَعمَلُ عليكم أُمراء، فَتَعْرِفونَ وتُنكرون**» أي: تعرفون بعض أعمالهم لموافقتها للشرع، وتنكرون بعضها لمخالفتها للشرع، وقال: «**فمن كره فقد بَرِئ، ومن أنْكر فقد سَلِم**» أي: من كره ما يعملونه من منكرات، وأنكرها بقلبه فقد برئ من إثمها، وسلم من عقوبتها، وقوله: «**ولكن من رَضِيَ وتابع**» أي: عليه الإثم والعقوبة، وقولهم: «**يا رسول اللَّه ألا نُقاتلُهم**» أي: ألا ننكر عليهم بالقتال؟ قال: «**لا؛ ما صَلَّوْا**» أي: لا تقاتلوهم ما داموا يُصلُّون.

وفي حديث عوف بن مالك أخبر النبيُّ ﷺ أنَّ: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويُحبُّونكم، وتُصلُّون عليهم ويُصلُّون عليكم**» أي: تدعون لهم ويدعون لكم.

وقوله: «**أفلا نُنابذهم**» أي: أفلا ننكر عليهم ونقاتلهم، وقوله: «**لا؛ ما أقاموا فيكم الصلاة**» أي: لا تقاتلوهم ما صلُّوا وما سمحوا لكم بالصلاة.

وفي حديث عبادة بن الصامت قال: «**دعانا رسول اللَّه ﷺ فبايَعناه**» أي: عاهدناه، وقوله: «**فكان فيما أخذ علينا**» أي: فيما أخذ علينا من العهد، وقوله: «**أن بايعنا على السَّمع والطَّاعة**» أي: أخذ علينا العهد أن نسمع ونطيع لولاة الأمور ونجتنب نهيهم، وقوله: «**في مَنشَطِنا ومَكْرَهِنا، وعُسرنا، ويُسرنا**» أي: يجب طاعة ولاة الأمور فيما تحبه النفوس وتكرهه، وقوله: «**وأثرة علينا**» أي: اختصاص ولاة الأمور -الأمراء- بأُمور الدنيا، وقوله: «**وأن لا ننازع الأمر أهله**» أي: لا نخرج على ولاة الأمور، ونأخذ منهم الحكم: «**إلا أن تروا كفرًا بواحًا**» أي: كفرًا ظاهرًا، وقوله: «**عندكم من اللَّه فيه برهان**» أي: عِلْمٌ وأدلَّة على أنَّ ما قاموا به من أقوالٍ، أو أعمالٍ كفر مُتيَقَّن لا شكَّ فيه، ولا ريب يعتريه.

فلا يجوز الخروج على ولاة الأمور إذا ارتكبوا المعاصي والكبائر التي هي دون الكفر الأكبر المخرج من الملَّة، واستأثروا بالأموال، ويجوز الخروج عليهم بشرطين معتبرين عند العلماء الربانيِّين، وهما:

أولًا: أن يُظهِروا الكفر البواح الصُّراح.

ثانيًا: القدرة والاستطاعة على الخروج عليهم.

حقوقُ الرَّاعي والرعيَّة

أولًا: حقوقُ الرَّاعي:

«إنَّ لوُلاة الأمورِ على الرعيَّةِ حقوقًا أَوْجَبَها الإسلامُ، وأكَّدَ على الاهتمام بها، ورعايتها، والقيام بها، فإنَّ مصالحَ الأُمم والمجتمعات لا تَتِمُّ، ولا تنتظم إلا بالتعاون بين الآمر والمأمور، وقيامِ كلٍّ بما يجب عليه من واجبات، وأداء ما حَمَلَ من أمانة ومسؤوليَّات»[(١)].

أولًا: السمع والطاعة بالمعروف، أي: يُسمع أمرُه ويُجتنب نهيُه، قال -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**من أطاعني فقد أطاع اللَّه، ومن يعصيني فقد عصى اللَّه، ومن يطع الأمير؛ فقد أطاعني، ومن يَعْصِ الأمير؛ فقد عصاني**»[(٢)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنَّه قال: «**على المرء المسلم، السمع والطاعة فيما أحبَّ وكره؛ إلا أن يُؤمر بمعصية، فإنْ أُمِرَ بمعصية، فلا سمع ولا طاعة**»[(٣)]؛ وذلك لأنه كما قال النبيُّ ﷺ: «**لا طاعة في معصية اللَّه عز وجل، إنما الطاعة في المعروف**»[(٤)].

---

(١) «الأدلَّة الشرعيَّة» (ص٢٤).

(٢) أخرجه البخاري (٧١٣٧)، ومسلم (١٨٣٥).

(٣) أخرجه البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩).

(٤) أخرجه البخاري (٧١٤٥)، ومسلم (١٨٤٠).

ثانيًا: **الوفاء ببيعة الخليفة الأوَّلَ فالأوَّلَ ونصرته**، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**فُوا ببيعة الأول فالأول، وأعطوهم حقَّهم، فإنَّ اللَّه سائِلُهُم عمَّا استرعاهم**»[١].

وعن عبداللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**...ومن بايَعَ إمامًا فأعطاهُ صفقةَ يده، وثمرةَ قلبه، فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخرُ ينازعه فاضربوا عُنُقَ الآخر**»[٢].

وعن عرفجة قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إنها ستكون هَنَاتٌ[٣] وهَنَات، فمن أراد أن يفرِّق أمر هذه الأمَّةِ وهي جميع؛ فاضربوه بالسيف كائنًا من كان**»[٤].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا بويع لخليفتين، فاقتلوا الآخر منهما**»[٥].

ثالثًا: **أن لا يُنَازَعُوا الإمارة، ما لم يُرَ منهم كفرٌ بواحٌ**، فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: دَعانا رسول اللَّه ﷺ فبايعناهُ، فكان فيما أخذ علينا أن بَايَعَنَا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا، وعُسرنا ويُسرنا وأثرة علينا، وأن لا ننازع الأمر أهله، قال: «**إلا أن تروا كفرًا بواحًا عندكم من اللَّه فيه برهان**»[٦].

رابعًا: **أن يُحَبُّوا ويُخْلَصَ ويُدعى لهم**، فعن عوف بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «**خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويُحبونكم، ويُصَلُّون عليكم وتُصلُّون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويُبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم . . .**»[٧].

وقال رسول اللَّه ﷺ: «**الدين النصيحة**»، قلنا: لِمَنْ؟ قال: «**للَّه عز وجل،**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢).
(٢) أخرجه مسلم (١٨٤٤).
(٣) الهَنَات: الفتن والأمور الحادثة.
(٤) أخرجه مسلم (١٨٥٢).
(٥) أخرجه مسلم (١٨٥٣).
(٦) أخرجه البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (١٨٤٠/ ٤٢).
(٧) أخرجه مسلم (١٨٥٥).

ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم»(١)، والنصيحة لغة: الخلوص، وهي بمعنى إرادة الخير للمنصوح له.

خامسًا: إكرامه وتعزيره وتوقيره، فعن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ من إجلال اللَّه إكرامَ ذي الشيبة المسلم، وحامل القرآنِ غيرِ الغالي فيه والجافي عنه، وإكرامَ ذي السُّلطان المُقسِط**»(٢).

وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «**السُّلطان ظلُّ اللَّهِ في الأرض، فمن أكرمه أكرمه اللَّه، ومن أهانه أهانه اللَّه**»(٣).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**خمس من فعل واحدة منهنَّ كان ضامنًا على اللَّه عز وجل: من عاد مريضًا، أو خرج مع جنازة، أو خرج غازيًا، أو دخل على إمامه يريد تعزيره، وتوقيره، أو قعد في بيته فسلم النَّاس منه، وسلم من النَّاس**»(٤).

ثانيًا: حقوقُ الرعيَّة على الرَّاعي:

أولًا: أن يَعْدِلَ بينَهُم، قال -تعالى-: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء:٥٨]، وقال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ المقسطين عند اللَّه على منابر من نور، على يمين الرحمن عز وجل، وكلتا يديه يمين: الذين يَعْدِلُونَ في حكمهم وأهليهم ومَا وَلُوا**»(٥).

ثانيًا: أن يَجْهَدَ وَيَنْصَحَ لهم ولا يَغُشَّهُمْ، فعن معقل بن يَسار قال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «**ما من أمير يَلِي أمر المسلمين؛ ثم لا يجهد لهم وينصح؛**

(١) أخرجه مسلم (٥٥) من حديث تميم الداري رضي الله عنه.
(٢) حسن، أخرجه أبو داود (٤٨٤٣)، انظر «صحيح الجامع» (٢١٩٩).
(٣) حسن، أخرجه الترمذي (٢٢٢٤)، وابن أبي عاصم في «السنَّة» (١٠٢٤) بإسناد حسن كما في «الصحيحة» (٢٢٩٦).
(٤) حسن، أخرجه أحمد (٢٢٠٩٣)، والطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٣٧-٣٨)، وصحَّحهُ الإمام الألباني في «السنَّة» (١٠٢١).
(٥) أخرجه مسلم (١٨٢٧).

إلا لم يدخل معهم الجنَّة»[١]، وعن معقل بن يَسار -أيضًا-، قال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: **«ما مِن عبدٍ يسترعيه اللَّه رعيَّة، يموتُ يومَ يموتُ وهو غاشٌ لرعيَّته؛ إلا حرَّم اللَّهُ عليه الجنَّة»**[٢].

ثالثًا: أن يرفقَ بهم ولا يشُقَّ عليهم،عن عائشة أم المؤمنين ﵂ قالت: سَمعتُ من رَسولِ اللَّه ﷺ يقول في بيتي هذا: **«اللَّهمَّ! مَنْ وَلِيَ مِنْ أمرِ أمَّتي شيئًا، فشقَّ عليهم؛ فاشْقِق عليه، ومَنْ وَلِيَ مِن أمرِ أمتي شيئًا فَرَفَقَ بهم، فارفِق به»**[٣].

رابعًا: أن يُحبَّهم ويدعو لهم، فعن عوف بن مالك الأشجعي قال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: **«خيارُ أئمتكم الذين تحبونهم ويُحبونكم، وتُصلُّون عليهم ويُصَلُّون عليكم، وشرارُ أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم»**[٤].

ماذا لو أنَّ الأمراءَ ظلموا واستأثروا بالدُّنيا، ومنعوا الحقوق، وعملوا المنكرات؟

أولًا: من سنَّة النَّبي ﷺ:

وجوب السَّمعِ والطاعة بالمعروف؛ والصبر عليهم، وإعطائِهم حقوقَهم، وسؤالِ الرعيَّةِ اللَّهَ حقَّهم، ولزوم الجماعة، والإنكار عليهم بالقلب، وبالقول سِرًّا بين أيديهم، فعن وائل الحضرمي قال: سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول اللَّه ﷺ فقال: يا رسول اللَّه! أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا، فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم سأله في الثانية، أو في الثالثة،

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٢٩).
(٢) أخرجه البخاري (٧١٥١)، ومسلم (١٨٢٩/ ١٤٢).
(٣) أخرجه مسلم (١٨٢٨).
(٤) أخرجه مسلم (١٨٥٥/ ٦٦).

فَجَذَبَهُ الأشعثُ بن قيس؛ وقال: «**اسمعوا وأطيعوا، فإنَّما عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حُمِّلْتُم**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**كان بنو إسرائيل تَسُوسُهُمُ الأنبياء، كلَّما هلكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نبيٌّ، وإنَّهُ لا نَبِيَّ بعدي، وستكون خُلفاءَ فتَكْثُر**»، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «**فُوا ببيعة الأوَّل فالأوَّل، وأعطوهم حقَّهم؛ فإنَّ اللَّه سائِلُهُم عمَّا استرعاهم**»(٢).

وعن ابن عمر عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**على المرء المسلم السمع والطاعة، فيما أحبَّ وكره، إلا أن يُؤمر بمعصية، فإن أُمِرَ بمعصية فلا سمع ولا طاعة**»(٣).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من أَمَرَكُم من الوُلاةِ بمعصيةٍ فلا تُطيعوه**»(٤).

وعن عبداللَّه رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إنَّها ستكون بعدي أَثَرَةٌ، وأمورٌ تنكِرُونَها**»، قالوا: يا رسول اللَّه! كيف تأمر مَنْ أدرك مِنَّا ذلك؟ قال: «**تُؤَدُّون الحقَّ الذي عليكم، وتَسْأَلونَ اللَّهَ الذي لكم**»(٥).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما يرويه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من رأى من أميره شيئًا يكرهه، فليصبر، فإنه مَنْ فارق الجماعة شبرًا فمات؛ فَمِيتَةٌ جاهليَّة**»(٦).

وعن عَوْف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «**ألا من ولي عليه والٍ، فرآه يأتي شيئًا من معصية اللَّه؛ فليكره ما يأتي من معصية اللَّه**

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢).

(٣) أخرجه البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩).

(٤) أخرجه البخاري (٧١٤٤)، ومسلم (١٨٣٩)، وابن ماجه (٢٨٦٣).

(٥) أخرجه البخاري (٣٦٠٣)، ومسلم (١٨٤٣).

(٦) أخرجه البخاري (٧٠٥٣)، ومسلم (١٨٤٩).

ولا ينزعَنَّ يدًا من طاعة»(١).

وعن أُسَيْد بن حُضَيْرٍ رضي الله عنه، أنَّ رجلًا من الأنصار خلا برسول اللَّه ﷺ فقال: ألا تستعملني كما استعملت فلانًا؟ فقال: «**إنكم ستلقون أثرة، فاصبروا حتى تلقَوْني على الحوض**»(٢).

ثانيًا: من أقوال العلماء والأئمَّة:

أولًا: عن سُويد بن غفلة رضي الله عنه قال: «قال لي عمر: يا أبا أُمَيَّة إنِّي لا أدري لعلِّي لا ألقاك بعد عامي هذا، فإنْ أُمِّر عليك عبدٌ حبشي مُجَدَّع؛ فاسمع له وأطع، وإن ضربَكَ فاصبر، وإن حَرَمك فاصبر، وإن أراد أمرًا ينقض دينك فقل: سمعًا وطاعة، دمي دون ديني، ولا تفارق الجماعة»(٣).

ثانيًا: وعن حنبل رحمه الله قال: «في ولاية الواثق، اجتمع فقهاء بغداد إلى أبي عبداللَّه -أي: أحمد بن حنبل- فقالوا: يا أبا عبداللَّه! إنَّ هذا الأمر قد تفاقم وفَشَا -يعنون: إظهاره لخلق القرآن وغير ذلك-، فقال لهم أبو عبداللَّه: فما تريدون؟ قالوا: نشاورك في أنَّا لسنا نرضى بإمرته ولا سلطانه، فناظرهم أبو عبداللَّه ساعة، وقال لهم: عليكم بالنُّكرة بقلوبكم، ولا تخلعوا يدًا من طاعة، ولا تَشُقُّوا عصا المسلمين، ولا تسفكوا دماءكم ودماء المسلمين معكم، انظروا في عاقبة أمركم، واصبروا حتى يستريح برٌّ أو يُستراح من فاجر . . . »(٤).

ثالثًا: وقال الفُضَيْلُ بن عِيَاضٍ رحمه الله: «لو كان لي دعوة مستجابة، ما جعلتها إلا في السُّلطان»(٥).

رابعًا: وقال الإمام سهل بن عبداللَّه التستري رحمه الله: «هذه الأمَّةُ ثلاثٌ

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٥/٦٦).
(٢) أخرجه البخاري (٣٧٩٢)، ومسلم (١٨٤٥).
(٣) أخرجه الخلال في «السنَّة» (١/ ١١١).
(٤) رواه الخلال في «السنَّة» (١/ ١٣٣) بسند صحيح.
(٥) «شرح السنَّة» للإمام البربهاري (ص١٠٨).

وسبعون فرقة: اثنتان وسبعون هالكة، كلهم يبغض السلطان، والنَّاجية هذه الواحدة التي مع السلطان»(١).

خامسًا: وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي رَحِمَهُ اللَّهُ في «العقيدة الطحاويَّة»: «ولا نرى الخروجَ على أئمَّتِنَا، وولاة أمورنا؛ وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يدًا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة اللَّه عَزَّ وَجَلَّ فريضة ما لم يأمروا بمعصية؛ وندعو لهم بالصلاح والمعافاة»(٢).

سادسًا: وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولهذا كان المشهور من مذهب أهل السنَّة: أنهم لا يَرَوْن الخروجَ على الأئمَّة وقتالَهُم بالسيف، وإنْ كان فيهم ظلمٌ، كما دلَّت على ذلك الأحاديثُ الصحيحةُ المستفيضةُ عن النبيِّ ﷺ؛ لأنَّ الفساد في القتال والفتنة، أعظم من الفساد الحاصل بظلمهم بدون قتال ولا فتنة.

ولعله لا يكاد يُعرف طائفة خرجت على ذي سلطان إلا وكان في خروجها من الفساد ما هو أعظم من الفساد الذي أزالته»(٣).

سابعًا: وقال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ من تمام الاجتماع: السمعَ والطاعةَ لمن تأمَّر علينا ولو كان عبدًا حبشيًا، فبيَّن النبيُّ ﷺ هذا بيانًا شائعًا ذائعًا بكل وجه من أنواع البيان شرعًا وقدرًا، ثم صار هذا الأصل لا يعرف عند أكثر من يَدَّعي العلم، فكيف العمل به؟!»(٤).

ثامنًا: وقال الإمام محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ: « . . . لأنَّ الرسولَ ﷺ تواترت عنه الأحاديث في طاعة الحكام إلا في معصية اللَّه؛ كما قال في حديث: **«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»**(٥)، وفي أحاديث أخرى أنه تجب

(١) «قوت القلوب» لأبي طالب المكي (٢/ ٢٤٢).
(٢) «شرح العقيدة الطحاويَّة» لابن أبي العز (ص٣٧٩).
(٣) «منهاج السنَّة» (٣/ ٣٩١).
(٤) «الجامع الفريد» (ص٣٢٤).

طاعتُهم ولو ظلموك، ولو ضربوا ظهرك ما لم تروا كفرًا [موصدًا]»(١).

تاسعًا: وقال الإمام عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «فلا ريبَ أنَّ اللَّه -جلَّ وعلا- أمر بطاعة وُلاة الأمر، والتعاون معهم على البر والتقوى، والتواصي بالحق، والصبر عليه، فقال -جلَّ وعلا-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾»(٢).

عاشرًا: وقال الإمام محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن حقوق الولاة على رعيتهم: السمع والطاعة بامتثال ما أمَرُوا به وترك ما نَهَوْا عنه، ما لم يكن في ذلك مخالفة لشريعة اللَّه؛ فلا سمع ولا طاعة: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**(٣)»»(٤).

وجوب الإنكار على الأمراء فيما يُخالِف الشَّرع بالقلب وعدم متابعتهم عليه ونصحهم والإنكار عليهم بالسر وتحريم قتالهم والخروج عليهم ما أقاموا الصلاة وما لم يُرَ منهم كُفرٌ بواحٌ

عن أُمِّ سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -زوج النبي ﷺ-، عن النَّبي ﷺ أنه قال: «**إنَّه يُستعمل عليكم أُمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كَرِهَ منكم فقد بَرِئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع**»، قالوا: يا رسول اللَّه! ألا نقاتلهم؟ قال: «**لا، ما صَلَّوْا**»، أي: من كره بقلبه، وأنكر بقلبه(٥).

---

(١) صحيح، أخرجه أحمد (١٠٩٥) عن علي رضي الله عنه، والتبريزي في «مشكاة المصابيح» (٣٦٩٦)، وصحَّحهُ الإمام الألباني في «الصحيحة» (١٧٩).

(٢) «فتاوى العلماء الأكابر فيما أهدر من دماء في الجزائر» (ص٩١-٩٢).

(٣) «مجموع فتاوى الشيخ عبدالعزيز بن باز» (٩/ ٩٣).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) رسالة «حقوق الراعي والرعيَّة» (ص١٧).

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبُّونكم، ويُصَلُّون عليكم وتُصَلُّونَ عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم»**، قيل: يا رسول اللَّه! أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال: **«لا؛ ما أقاموا فيكم الصلاة، وإذا رأيتم من وُلاتكم شيئًا تكرهونه، فاكرهوا عمله ولا تنزعوا يدًا من طاعة»**(١).

وفي رواية: أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: **«لا؛ ما أقاموا فيكم الصلاة، لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه والٍ، فرآه يأتي شيئًا من معصية اللَّه، فليكره ما يأتي من معصية اللَّه، ولا ينزعنَّ يدًا من طاعة»**(٢).

وعن أنس رضي الله عنه قال: نهانا كبراؤُنا مِنْ أصحاب محمد ﷺ قالوا: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لا تسبُّوا أمراءكم، ولا تغشُّوهم، ولا تُبغضوهم، واتقوا اللَّه واصبروا، فإنَّ الأمْرَ قريب»**(٣).

وعن عبادة بن الصَّامت رضي الله عنه قال: دعانا رسول اللَّه ﷺ فبايَعْناهُ، فكان فيما أَخَذَ علينا: أنْ بايَعَنا على السَّمع والطاعة، في منشطنا ومكرهنا، وعسرنا ويُسرنا، وأثرةٍ علينا، وأن لا ننازع الأمرَ أهلَهُ، قال: **«إلا أن تَروا كفرًا بَواحًا عندكم من اللَّه فيه برهان»**(٤).

وعن تميم الداري رضي الله عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: **«الدِّين النصيحة»**، قلنا: لمن؟ قال: **«للَّه، ولِكتابه، ولِرسوله، ولأئمة المسلمين وعامَّتِهم»**(٥).

وعن عياض بن غنم رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«مَنْ أراد أن يَنْصَحَ لذي**

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٤/ ٦٣).
(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٥).
(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٥/ ٦٦).
(٤) حسن، أخرجه ابن أبي عاصم في «السنَّة» (١٠١٥)، وجوَّد إسناده الإمام الألباني فيه.
(٥) أخرجه البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (١٧٠٩/ ٤٢).
(٦) أخرجه مسلم (٥٥).

سلطان فلا يُبْدِهِ علانية، وليأخذ بيده، فَيَخْلُ به، فإن سَمِعَ منه؛ فذاك، وإلا كان قد أدَّى الذي عليه»[١].

وعلى هذا يُحمل حديث النبيِّ ﷺ: «**سيِّدُ الشهداء حمزة بن عبدالمطلب، ورجلٌ قامَ إلى إمام جائر، فأمره ونهاه، فقتله**»[٢].

قوله ﷺ: «**فَيَخْلُ به**» أي: بالسِّرِّ، وقوله: «**قام إلى إمام جائر**» أي: بحضوره وبين يديه، هذا هو منهج أهل السنَّة والجماعة، لا يخرجون على الأئمة ما لم يَرَوْا منهم كفرًا بواحًا، ويدعون لهم بالمعافاة والصلاح في حضورهم وغيابهم، وينصحونهم وينكرون عليهم بين أيديهم بالسِّرِّ.

قال الإمام النَّووي في «شرح صحيح مسلم» (٦/ ٤٣٢-٤٣٣): «وأمَّا الخروج عليهم وقتالهم فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فَسَقَة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديثُ بمعنى ما ذكرتُه، وأجمع أهل السنَّة أنه لا ينعزل، وحُكِيَ عن المعتزلة -أيضًا- فَغَلَطٌ من قائله، مخالف للإجماع.

وقال العلماء: وسبب عدم انعزاله، وتحريم الخروج عليه؛ ما يترتب على ذلك من الفتن، وإراقة الدماء، وفساد ذات البين؛ فتكون المفسدة في عزلِهِ أكثر منها في بقائه.

قال القاضي: وقد ادَّعى أبو بكر بن مجاهد في هذا الإجماع، وقد ردَّ عليه بعضهم هذا بقيام الحسن، وابن الزُّبير، وأهل المدينة على بني أميَّة، وبقيام جماعة عظيمة من التَّابعين والصَّدر الأول على الحجاج مع ابن الأشعث.

قال القاضي: وقيل: إنَّ هذا الخلاف كان أولًا، ثم حصل الإجماع على منع الخروج عليهم، والله أعلم»[٣].

---

(١) صحيح، أخرجه ابن أبي عاصم في «السنَّة» (١٠٩٦)، وصحَّحه الإمام الألباني فيه.
(٢) صحيح، أخرجه الحاكم (٣/ ١٩٥)، وصحَّحه الإمام الألباني في «الصحيحة» (٣٧٤).
(٣) باختصار.

مَنْهَجُ الخَوارِجِ مع الحكَّامِ والأمراءِ

لقد قام أصل الخوارج على الجهل والشبهات والأهواء، يحسبون أنَّ الحقَّ والأدلةَ معهم وهي عليهم، كما قال ﷺ: **«يقرؤون القرآن يحسبون أنه لهم وهو عليهم»**(١)؛ وذلك لأنَّ عقولهم صغيرة وحقيرة، كما قال ﷺ أنهم: **«سفهاء الأحلام»**(٢)، أي: سفهاء العقول، فهم جَهَلة لا يعقلون، حمقى لا يفقهون، يَضَعون الأشياء في غير مواضعها، كما قال ﷺ: **«يُحسنون القِيل ويُسيؤون الفعل»**(٣)، و**«يَدعون إلى كتاب اللّه وليسوا منه في شيء»**(٤)، حتى أنَّهم كما قال ﷺ: **«يقولون من خَيْر قول البَرِيَّة»**(٥).

فلمَّا خرجت الحروريَّة على عليٍّ بن أبي طالب ﵁ قالوا: لا حكم إلا للّه، قال علي ﵁ تعليقًا على كلمتهم هذه: **«كلمةُ حقٍّ أُريد بها باطل»** أي: يضعونها في غير موضعها، وكما قال ﷺ: **«ويُسيؤون الفعل»**(٦)، فإنَّهم كما قال ﷺ: **«يقتلون أهل الإسلام، ويَدَعون أهل الأوثان»**(٧)، وقد جمعوا مع سوءِ فَهْمِهِم اتِّباعَهُم لأهوائِهم، كما قال ﷺ: **«وإنَّه سيخرج في أمتي قومٌ تتجارى بهم الأهواء، كما يتجارى الكَلَب بصاحبه، لا يبقى منه عرقٌ ولا مفصل إلا دَخَلَهُ»**(٨)، ومع سوئهم هذا

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٦٦/ ١٥٦) من حديث زيد بن وهب الجُهَنِيِّ ﵁.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦) من حديث سُويد بن غَفَلَةَ ﵁.

(٣) صحيح، أخرجه أبو داود (٤٧٦٥)، وصحَّحه الإمام الألباني في «ظلال الجنَّة» (٩٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك ﵄.

(٤) صحيح، أخرجه أبو داود (٤٧٦٥)، وصحَّحه الإمام الألباني في «ظلال الجنَّة» (٩٤٠) من حديث أبي سعيد وأنس بن مالك ﵄.

(٥) أخرجه البخاري (٣٦١١)، ومسلم (١٠٦٦) من حديث سُويد بن غَفَلَة ﵁.

(٦) صحيح، أخرجه أبو داود (٤٧٦٥)، وصحَّحه الإمام الألباني في «ظلال الجنَّة» (٩٤٠) من حديث أبي سعيد وأنس بن مالك ﵄.

(٧) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري ﵁.

(٨) صحيح، أخرجه أبو داود (٤٥٩٧) من حديث معاوية بن أبي سفيان ﵄ وصححه الإمام الألباني في «المشكاة» (١٧٢).

كلِّه فإنَّهم يُعْجِبُون النَّاس ويُعجَبون بأنفسهم؛ فقد قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ فيكم قومًا يتعَبَّدون حتى يُعجبوا النَّاس، ويُعجبهم أنفسَهُم، يمرقون من الدِّين كما يمرق السَّهم من الرَّميَّةِ**»[١].

فمن اجتمعت فيهم هذه الصفات، وعجزت عن ردِّهم إلى الحقِّ الحججُ والبراهينُ البيِّناتُ و«**يمرقون من الدين كما يمرق السَّهم من الرميَّة، ثمَّ لا يعودون فيه حتى يعود السَّهم إلى فَوْقِه**»[٢]؛ فإنَّه لا يبقى لهم إلا علاجٌ واحد، وحلٌّ واحد، كيف لا يكون لهذا الداء دواء، والنبيُّ ﷺ يقول: «**لكلِّ داء دواء**»[٣]، ألا وهو القتل؛ ذلك لأنَّهم كما قال ﷺ: «**شرُّ الخلق والخليقة**»[٤]، و«**من أبغض خلق اللَّه إليه**»[٥]، وقال ﷺ: «**لئن أدركتُهُم لأقتلنَّهم قَتْلَ عاد**»[٦]، وفي رواية: «**قتل ثمود**»[٧]، وقد قضى النبيُّ ﷺ وأمر بقتلهم، ورغَّب فيه أيَّما ترغيب، فقال: «**فأينما لقيتموهم فاقتلوهم؛ فإنَّ في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة**»[٨]، وقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه حاثًّا جيشَه على قتالهم: «لو يعلم الجيشُ الذين يصيبونهم ما قُضِيَ لهم على لسان نبيهم ﷺ لاتَّكلوا عن العمل»، وفي لفظ: «لَنَكَلُوا عن العمل».

ويوم القيامة يكون «**الخوارج كلاب أهل النار**»[٩]، كما قال ﷺ.

فقد قام أصلُهم الأول على التَّشكيك في قسمةِ رسول اللَّه ﷺ، وأنَّها لم يُرَدْ بها

---

(١) صحيح، أخرجه أبو يعلى (٣/ ١٠٠٧) من حديث أنس رضي الله عنه، وصحَّحه الإمام الألباني في «الصَّحيحة» (١٨٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٠٤) من حديث جابر رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم (١٠٦٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٥) أخرجه مسلم (١٠٦٦/ ١٥٧) من حديث عُبَيْدِ اللَّه بن أبي رافع رضي الله عنه.

(٦) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٧) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٨) أخرجه البخاري (٣٦١١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٩) صحيح، أخرجه الترمذي (٣٠٠٠)، وصحَّحه الإمام الألباني في «ظلال الجنَّة» (٩٠٤) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

وجهُ اللَّه؛ وذلك لأنَّه أعطى المؤلَّفَةَ قلوبُهم ليتألَّفهم، كما قال -تعالى-: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: ٦٠].

فعن عبداللَّه رضي الله عنه قال: «لما كان يوم حنين آثر رسول اللَّه ﷺ ناسًا في القسمة، فأعطى الأقرع بن حابس مئة من الإبل، وأعطى عُيَيْنَةَ مثل ذلك، وأعطى ناسًا مِن أشراف العرب، وآثرهم يومئذٍ في القسمة؛ فقال رجل: واللَّه! إنَّ هذه القسمة ما عُدِلَ فيها، وما أُريدَ بها وجه اللَّه، قال: فقلت: واللَّهِ، لأُخبرنَّ رسول اللَّه ﷺ، قال: فأتيته فأخبرته بما قال: فتغيَّر وَجْهُهُ حتى كان كالصِّرف[١]، ثم قال: **«يرحم اللَّه موسى، قد أُوذِيَ بأكثر من هذا فصبر»**[٢].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، فقال رسولُ اللَّه ﷺ: **«إنِّي فعلت ذلك لأتألَّفهم»**، فجاء رجلٌ كثُّ اللِّحية، مشرف الوجنتين، غائر العينين، ناتِئُ الجبين، محلوق الرأس، فقال: اتَّقِ اللَّه يا محمد! قال: فقال رسول اللَّه ﷺ: **«فمن يُطعِ اللَّه إن عصيته! أيأمَنُني على أهل الأرض ولا تأمنونني؟!»**[٣].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «بينا نحن عند رسول اللَّه ﷺ وهو يقسم قسمًا، أتاه ذو الخويصرة، -وهو رجل من بني تميم-، فقال: يا رسول اللَّه! اعْدِلْ، قال رسول اللَّه ﷺ: **«ويلك! ومَنْ يعدل إذا لم أعْدِلْ؟ قد خبت وخسرت إنْ لم أعدلْ»**، فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ائذن لي فيه أضرب عنقه، قال رسول اللَّه ﷺ: **«دَعْهُ، فإنَّ له أصحابًا يحقر أحدُكم صلاتَه مع صلاتِهم، وصيامَهُ مع صيامهم، ويقرؤون القرآنَ لا يجوز[٤] تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السَّهمُ من الرميَّة، ينظر إلى نَصْلِهِ فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رِصافه فلا يوجد فيه شيء،**

---

(١) الصِّرف: صبغ أحمر يُصبغُ به الجلود، وقد يُسمَّى الدَّم -أيضًا- به.

(٢) أخرجه البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤).

(٤) وفي نسخة (يجاوز).

ثم ينظر إلى نَضِيِّه[(١)] **فلا يوجد فيه شيء -وهو القدح-، ثم ينظر إلى قُذَذِهِ**[(٢)] **فلا يُوجَدُ فيه شيء، سبق الفَرْث والدَّم، آيتهم رجل أسود، إحدى عَضُدَيْه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة تَدَرْدَرُ**[(٣)]**، يخرجون على حين فُرقة من النَّاس»**، قال أبو سعيد: فأشهدُ أني سمعت هذا من رسول اللَّه ﷺ، وأشهدُ أنَّ عليًّا بن أبي طالب ﷺ قاتلهم وأنا معه، فَأَمَرَ بذلك الرجُل، فالتُمِسَ، فَوُجِدَ فأُتي به، حتى نظرتُ إليه على نعت رسول اللَّه ﷺ الذي نَعت»[(٤)].

ثم أمرَ النبيُّ ﷺ بقتله، فعن أبي بكرة عن أبيه ﷺ أنَّ النبيَّ ﷺ مَرَّ برجلٍ ساجدٍ -وهو ينطلق إلى الصلاة-، فقضى الصلاة ورجع عليه وهو ساجد، فقام النبيُّ ﷺ فقال: **«من يقتل هذا؟»**، فقامَ رجلٌ فَحَسرَ عن يديه فاخترط سيفه، وَهَزَّهُ، ثم قال: يا نبيَّ اللَّه! بأبي أنت وأمي، كيف أَقْتُلُ رجلًا ساجدًا يشهد أن لا إله إلا اللَّه وأنَّ محمدًا عبدهُ ورسوله؟ ثمَّ قال: **«من يقتل هذا؟»**، فقام رجلٌ فقال: أنا، فحَسرَ عن ذراعيه، واخترط سيفَهُ وهزَّهُ حتى أُرْعِدَتْ يَدُه، فقال: يا نبيَّ اللَّه! كيف أَقْتُلُ رجلًا ساجدًا، يشهد أن لا إله إلا اللَّه وأنَّ محمدًا عبده ورسوله؟ فقال النبيُّ ﷺ: **«والذي نفسي بيده، لو قتلتموه لكان أَوَّلَ فِتْنَةٍ وآخرَها»**[(٥)][(٦)].

وله شاهد أخرجه أحمد (١١١١٨)، وفيه أنَّ الرجل الأول الذي قام لقتله هو أبو بكر، والثاني عمر، ثم ذهب إليه عليٌّ فلم يجده، كما في حديث أبي سعيد الخدري.

وإنَّما لم يقتله أبو بكر وعمر؛ لأنَّهما لمَّا ذهبا إليه ليقتلاه؛ وجَدَاه يُصلي،

---

(١) نَضِيَّه: السهم بلا نصل وبلا ريش.

(٢) قُذَذِهِ: ريش السهم.

(٣) أصله تَتَدَرْدَرُ، أي: تضطرب وتجيء وتذهب.

(٤) أخرجه البخاري (٦١٦٣)، ومسلم (١٤٨/١٠٦٤).

(٥) صحيح، أخرجه أحمد (٢٠٤٣١)، وصحَّحه الإمام الألباني في «الصحيحة» (٢٤٩٥).

(٦) وانظر للفائدة: «فقد جاء أشراطها» (ص١٠٨-١١١)، لشيخنا محمود عطية -حفظه اللَّه-.

وهما يَعلمانِ أنَّ النبيَّ ﷺ قد نهى عن قتل المصلِّين، بل قد نهى عن ضربهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ أُتِيَ بِمُخَنَّثٍ قد خَضَبَ يديه ورجليه بالحنَّاء، فقال رسول اللَّه ﷺ: **«ما بالُ هذا؟»** فقيل: يا رسول اللَّه! يتشبَّه بالنساء، فأمر به فَنُفِيَ إلى النَّقيع، قالوا: يا رسول اللَّه! ألا نقتُله؟ قال: **«إنِّي نُهيت عن قتل المصلِّين»**، قال أبو أُسامة: «النَّقيع ناحية عن المدينة، وليس بالبقيع»[١].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: **«نهانا رسول اللَّه ﷺ عن ضرب المصلِّين»**[٢].

وعن أبي أُمامة رضي الله عنه أنَّ رسول اللَّه ﷺ وَهَبَ لعليٍّ غلامًا، فقال: **«لا تضربه؛ فإنِّي نُهيتُ عن ضرب أهل الصلاة، وقد رأيتُه يُصلِّي»**[٣].

ثم خَرَجتِ الخوارج على أمير المؤمنين عثمان بن عفان -رضي اللَّه عنه وأرضاه- بشبهات أوهى من بيت العنكبوت، فناظرهم عثمان وبيَّن لهم، وردَّ كلَّ شبهاتهم، لكنهم قومٌ لا يفقهون، ولأهوائهم متَّبعون، ومن الإسلام مارقون، أَبَوْا إلا خلعه من الخلافة أو قتله، فأبى أن يخلع نفسه من الخلافة، كما أوصاه بذلك رسول اللَّه ﷺ، فقتلوه -قتلهم اللَّه-، قُتِلَ شهيدًا صابرًا على هذه البلوى التي أصابَتْهُ -رضي اللَّه عنه وأرضاه-.

ثم خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه على حين فُرقة بين المسلمين، فأرسل إليهم عليُّ بن أبي طالب ابنَ عمِّه عبداللَّه بن عباس ليناظِرَهم، فناظرهم[٤]، وردَّ شبهاتهم وما نقموه على عليِّ بن أبي طالب وأصحاب النبيِّ ﷺ، وقد كانوا ستة آلاف رجل، فرجع منهم ألفان، وبقي أربعةُ آلافٍ خرجوا على

---

(١) صحيح، أخرجه أبو داود (٤٩٢٨) بإسناد صحيح، انظر «المشكاة» (٤٤٨١).

(٢) أخرجه التبريزي في «المشكاة» (٣٣٦٥ و ٣٣٦٦).

(٣) حسن، أخرجه أحمد (٢٢١٥٤)، وحسَّنه الإمام الألباني في «هداية الرواة» (٣٣٠١).

(٤) انظر صفحة (٥١-٥٤) من الحديث الخامس.

المسلمين، فقال علي بن أبي طالب: «واللَّه إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم، فإنَّهم قد سفكوا الدم الحرام، وأَغَارُوا في سَرْحِ النَّاس، فسيروا على اسم اللَّه»[١]، فذهب إليهم علي بن أبي طالب ﷺ ومعه جيش المسلمين، فقتلهم جميعًا إلا نفرًا قليلًا منهم قد فرُّوا.

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«تمرق مارِقَةٌ عندَ فُرقةٍ من المسلمين، يَقْتُلُها أولى الطائفتين بالحق»**[٢].

ثمَّ إنَّ من بقي منهم لم يُعجبهم هذا الحال، ولم يَهدأ لهم بال؛ فما زالوا يخططون ويمكرون، حتى قتَلُوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب -رضي اللَّه عنه وأرضاه-؛ ثأرًا لإخوانهم الذين قُتِلُوا.

وحديثُ عبداللَّه بن الصامت ﷺ الذي يَمنع فيه النبيُّ ﷺ الخروج على الحاكم ما لم يُرَ مِنه كفرٌ بواحٌ فيه فوائد ومسائل فقهيَّة كثيرة، منها: «أنَّ فيه ردًّا صريحًا على الخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، فإنهم يعلمون دون أيِّ شك أو ريب أنهم لم يَرَوْا منه (كفرًا بواحًا)، ومع ذلك استحلُّوا قتاله وسفك دمه هو ومن معه من الصحابة والتابعين فاضطُرَّ ﷺ لقتالهم، واستئصال شأفتهم، فلم يَنْجُ منهم إلا القليل، ثمَّ غدروا به ﷺ كما هو معروف في التاريخ.

والمقصود أنَّهم سنُّوا سُنَّةً في الإسلام سيئة، وجعلوا الخروج على حكام المسلمين دينًا على مر الزَّمان والأيام، رغم تحذير النبيِّ ﷺ منهم في أحاديث كثيرة، منها قوله ﷺ: **«الخوارج كلابُ النار»**[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (١٠٦٦/ ١٥٦).

(٢) أخرجه مسلم (١٠٦٥/ ١٥٠).

(٣) صحيح، أخرجه الترمذي (٣٠٠٠)، وصحَّحه الإمام الألباني في «ظلال الجنَّة» (٩٠٤) من حديث أبي أمامة ﷺ.

ورغم أنهم لم يروْا كفرًا بواحًا منهم، وإنَّما دون ذلك من ظلم وفجور وفسق . . .، واليوم والتاريخ يُعيد نفسَه -كما يقولون-؛ فقد نبتت نابتة من الشباب المسلم، لم يتفقهوا في الدين إلا قليلًا، ورَأَوْا أنَّ الحكَّام لا يحكمون بما أنزل اللَّه إلا قليلًا، فرأَوْا الخروج عليهم دون أن يستشيروا أهلَ العلمِ والفقه والحكمة منهم، بل ركبوا رؤوسهم، وأثاروا فِتَنًا عمياء، وسفكوا الدماء في مصر، وسوريا، والجزائر، وقبل ذلك فتنة الحرم المكِّي؛ فخالفوا بذلك هذا الحديث الصحيح الذي جرى عليه عمل المسلمين سلفًا وخَلَفًا إلا الخوارج»[١].

ثم إنَّ منهجهم بعد ذلك قديمًا وحديثًا قائمٌ على غمز الحُكَّام ولمزهم، وتضخيم أخطائهم في نظر النَّاس حتى لو كانت شبهات أو إشاعات أو افتراءات، وفضحهم والإنكار عليهم عَلَنًا أمامَ عامَّة النَّاس في التجمعات والجُمعات، وفي المحاضرات والندوات، وعلى المنابر والمِنصَّات، في الكتب والنَّشرات، وفي الجرائد والمجلات، والإنترنت والفضائيات؛ ليُفْسِدوا عقائدهم، ولِيُوغروا صُدُورهم، وليكونوا في صفِّهم وعِراضهم، وليخرجوا على ولاة أمورهم.

إنَّ المتتبع لأحاديث النبيِّ ﷺ في التحذير من الخوارج، والمتتبع لتاريخ الإسلام منذ عهد الخلافة الراشدة وحتى أيامنا هذه، يعلم علم اليقين أنه لم يُبتَلَ أهل الإسلام بفرقة أشد وأخطر وأخبث من هؤلاء الخوارج، الذين أضروا بالإسلام وأهله، وأفسدوا عليهم دينهم ودنياهم، فلم يسلم من ألسنتهم النبيُّ ﷺ، ولم يسلم من سيوفهم أفضل الخلق بعد الأنبياء، ألا وهم الصحابة ﷺ، فقد قتلوا عثمان بن عفان ﷺ، وقتلوا علي بن أبي طالب ﷺ، وَخَلْقًا من صحابة النبيِّ ﷺ، فما زال هذا منهجهم على مَرِّ القرون: «**يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان**»[٢].

---

(١) «الصحيحة» للإمام الألباني رحمه الله تحت حديث رقم (٣٤١٨) باختصار.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٤٤)، ومسلم (١٠٦٤) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

وها هم يعودون في هذا الزمان بغير أسمائهم، ثابتين على مناهجهم في تكفير المسلمين بالذنوب والكبائر، والخروج على ولاة أمور المسلمين، ويسفكون الدم الحرام، وينتهكون الأعراض، ويفسدون العباد والبلاد، ساعين لإقامة دولتهم المزعومة، التي لم تقُم ولن تقوم أبدًا -بإذن اللَّه تعالى- مصداقًا لقول النبيِّ ﷺ: «**كلما خرج قرنٌ قُطع**»، فعن ابن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**كلما خرج قرن قطع**»، أكثر من عشرين مرة، «**حتى يخرج في عِراضهم الدجال**»[1] أي: في جيشهم وجمعهم.

فالخوارج أهل أهواءٍ وبدعٍ، لهم صفات وعلامات يُعْرَفُونَ بها، وهذه الصفات تنسحب على أكثر أهل البِدع.

قال محمد بن بدر بن منسي في «الصفحاتُ الغُرَرُ في الدفاع عن إمارة كُنَر» (ص١٦٦) ملخِّصًا لأكثر هذه الصفات: «فأصحاب الأهواء مخالفون للفطرة وتجد من علاماتهم المستقصدة: اتِّباع ما تشابه من القول ويقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، ويدفعون النصَّ بالرأي، ويقدِّمون القياس على الدليل، وقول الشيخ على قول اللَّه -تعالى- ورسوله، و[هُم] معرضون متعصِّبون مقلِّدون يُحرِّفون الكَلِم عن مواضعه، ويستخدمون الحيل والكيد والمكر، وفيهم الكذابون الأفاكون، ورميهم أهل الحق بالنقائص، ويقعون في التناقض الواضح واللوازم الباطلة، وفيهم الاغترار بالأكثر سواء كان عددًا أو عملًا، والاغترار بكبر السن أو بكثرة المال أو وجود الجاه، وكذلك الدَّعاوى المجردة في اتِّباع الحق مع مخالفتهم الظاهرة له، وعندهم من الأَنَفَة والكبر والخُيَلاء حتى على الحق فيعز عليهم الإذعان له، وغير ذلك من الصفات الذميمة التي فيها مشابهة بالكافرين، ومحاكاة لأصحاب الجحيم، نسأل اللَّه -تعالى- السلامة والمعافاة».

* * *

(١) حسن، أخرجه ابن ماجه (١٧٤)، وحسَّنه الإمام الألباني في «الصَّحيحة» (٢٤٥٥).

الحديث العشرون

عاشرًا: البَغْيُ

عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ اللَّه زوى ليَ الأرض، فرأيتُ مشارقها ومغاربها، وإنَّ أمتي سيبلغ ملكُها ما زُوي لي منها، وأُعطيتُ الكَنْزَيْن: الأحمر والأبيض، وإني سألتُ ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامَّة، وأن لا يُسلِّط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم؛ فيستبيح بيضتهم، وإنَّ ربي قال: يا محمد! إني إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يُرَد، وإني أَعطيتُ لأمتك أن لا أُهلكهم بسنةٍ عامَّة، وأن لا أُسلِّط عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم يستبيحَ بيضَتَهُم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها -أو قال: من بين أقطارها-، حتى يكونَ بعضهم يهلكُ بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا**»[١].

وفي رواية: «**وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم، فمنعنيها**»[٢].

يخبرنا النبيُّ ﷺ في هذا الحديث فيقول: «**إنَّ اللَّه زوى ليَ الأرضَ، فرأيتُ مشارقَها ومغاربَها**» أي: جَمَعَ وضَمَّ له الأرض حتى أنه رأى مشارقها ومغاربها، وهذا يدلُّ على كرامة نبينا محمد ﷺ عند ربه، وقوله ﷺ: «**وإنَّ أمتي سيبلغُ مُلكُها ما زُوِيَ لي منها**» أي: مشارقها ومغاربها، وهذا فيه بشرى لأمَّة الإسلام بانتشار الإسلام في أطراف الأرض، وقوله ﷺ: «**وأُعطيتُ الكَنْزَيْن: الأحمرَ، والأبيضَ**» أي: أنَّ اللَّه أعطاهُ الكَنْزَيْن، الأحمر أي: الذهب، والأبيض أي: الفضَّة، «قال العلماء: المرادُ بالكنزين: الذهب والفضَّة، والمراد: كَنْزَي كِسرى وقيصر، مَلِكَي العراق والشام، فيه إشارة إلى أنَّ مُلْك هذه الأمَّة يكون معظم امتداده في جِهَتي المشرق والمغرب، وهكذا وَقَع، وأمَّا في جِهَتَي الجنوب والشمال، فقليل بالنسبة

---

(١) أخرجه مسلم (٢٨٨٩)، وأبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢١٧٦)، وابن ماجه (٣٩٥٢).
(٢) أخرجه مسلم (٢٨٩٠).

إلى المشرق والمغرب، وصلوات اللَّه وسلامه على رسوله الصادق، الذي لا ينطق عن الهوى، إنْ هو إلا وحيٌ يوحى»[١].

وقوله ﷺ: **«وَإنِّي سألتُ ربي لأمَّتي أن لا يُهلكها بسنةٍ عامَّة»** أي: دعوت ربي لأمَّتي أن لا يُهلكها بقحْطٍ وجَدْبٍ، ومجاعةٍ تَعُمُّهُم، وقوله ﷺ: **«وأن لا يُسلِّطَ عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم؛ فيستبيحَ بيضتهم»** أي: ألَّا يُسلِّط عليهم عدوًّا من غيرهم فيقضي على أصلهم، وجماعتهم، وعزِّهم، وملكهم، كما حصل لغيرهم من الأمم، فبادوا وأفناهم اللَّه فلا تسمع لهم رِكْزًا، وقوله ﷺ: **«وإنَّ ربي قال: يا محمد! إنِّي إذا قضيتُ قضاءً، فإنَّه لا يُرَدُّ، وإنِّي أعطيتُ لأُمَّتك أن لا أُهلكهم بسنةٍ عامَّةٍ»** أي: إنِّي إذا قَدَّرْتُ قدرًا وأردته فإنَّهُ لا يُردُّ، وإني أعطَيْتُ لأمَّتك أن لا أُهلكهم بمجاعة تَعُمُّهم، وقوله ﷺ: **«وأن لا أُسلِّطَ عليهم عدوًّا من سوى أنفسهم يستبيح بيضَتَهُم، ولو اجتمع عليهم مَنْ بأقطارها -أو قال: مِنْ بين أقطارها-»**، أي: أعطيتُ لأمَّتك أن لا أُسلِّط عليهم عدوًّا من غيرهم يقضي عليهم ويُهلكهم، ولو اجتمع للقضاء عليهم كل من في الأرض، وقوله ﷺ: **«حتى يكونَ بعضهم يُهلكُ بعضًا، ويسبي بعضهم بعضًا»**، أي: إنَّ أكثر هلاكهم يكون ببغي بعضهم على بعض، لا باعتداء غيرهم عليهم، فيقتل بعضهم بعضًا، ويأسر بعضهم بعضًا، وقوله ﷺ: **«وسألتُهُ ألا يجعل بأسهم بينهم، فمنعنيها»** أي: دعوته ألا يجعل بعضهم يُبغض بعضًا، ويقتل بعضهم بعضًا، فلم يستجب لذلك.

فعن عبداللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: **«إذا فُتحت عليكم فارس والرُّوم، أيُّ قوم أنتم؟»**، قال عبدالرحمن بن عوف: نقول كما أَمَرَنا اللَّه[٢]، قال: **«أوَ غَيْرَ ذَلك؛ تتنافسون[٣]، ثمَّ تتحاسدون[٤]، ثمَّ تتدابرون[٥]، ثمَّ**

---

(١) النَّووي في «شرح صحيح مسلم» (٩/ ٢٢٢).

(٢) نحمده، ونشكره، ونسأله المزيد من فضله، كما في «شرح النَّووي على صحيح مسلم» (٩/ ٢٩٧).

(٣) تتنافسون: أي تتسابقون إلى الدنيا.

(٤) تتحاسدون: الحسد: تمنِّي زوال النعمة عن صاحبها.

(٥) تتدابرون: تتقاطعون.

تتباغضون[١] -أو نحو ذلك-، **ثمَّ تنطلقون في مساكين المهاجرين، فتجعلون بعضهم على رقابِ**[٢] **بعض**»[٣].

ولذلك بكى عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمَّا فُتِحَتْ فارس، وجاءه من خيراتها، فقال من عنده: «لِمَ تبكي، وقد فتح اللَّه لك وأظهرك على عدوك وأقرَّ عينَك؟»، فقال عمر: «إنِّي سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**لا تُفتح الدُّنيا على أحد إلا أَلْقى اللَّهُ بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة**» وأنا أشفق من ذلك»[٤].

ولمَّا أُتِيَ بكنوز كسرى -الحمراء والبيضاء- بكى، فقال له عبدالرحمن: «ما يُبكيك يا أمير المؤمنين؟ واللَّه، إنَّ هذا اليوم يوم شكر ويوم فرح وسرور»، فقال عمر: «**إنَّه لم يُعْطَهُ قومٌ إلا أُلْقِيَتْ بينهم العداوة والبغضاء**»[٥].

ولمَّا رأى بعض ما جاءه -أيضًا- بكى، فقال له عبدالرحمن: «ما يبكيك، فواللَّهِ إنَّ هذا لمن مواطن الشكر؟» قال: «واللَّه ما ذاك أبكاني، ولكن واللَّه ما أَعطى اللَّهُ هذا قومًا إلا ألقى بأسهم بينهم»[٦].

وقد اجتمعتْ وتداعتْ الأمم الكافرة من أقطار الأرض على أمَّة الإسلام كما تداعى الأكَلةُ إلى قصعتها في القرن العشرين الميلادي، فما استطاعوا استئصال أمَّة الإسلام ولن يستطيعوا؛ لأنَّ اللَّه أعطى لنبيه أن لا يُسَلِّطَ على أمَّته عدوًّا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم، أمَّا هلاكُ الأمَّة بعضها بأيدي بعض، وبغي بعضهم على بعض فكثيرٌ جدًّا ومشاهد في كل الأزمان والأمصار؛ مصداقًا لما أخبر به النبيُّ ﷺ حيث

---

(١) تتباغضون: تتكارهون وتنقطع بينكم المودة.

(٢) فتجعلون بعضهم على رقاب بعض: أي تجعلون بعضهم أمراء على بعض.

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٦٢).

(٤) صحيح، أخرجه أحمد (٩٣)، وصحَّحه أحمد شاكر في تخريجه على «المسند».

(٥) صحيح، رواه ابن المبارك في «الزهد» (ص٢٦٥) بإسناد صحيح.

(٦) ذكره ابن الجوزي (ص١٦٥)، وانظر آثار عمر بن الخطاب هذه وغيرها في «محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب» (٢/ ٦٢٥-٦٢٧) تحقيق عبدالعزيز الفريج.

قال: «**سيُصيب أمتي داءُ الأُمَم**»، فقالوا: يا رسول اللَّه وما داء الأمم؟

قال: «**الأَشَرُ**[١]**، والبَطَرُ**[٢]**، والتَّكاثُرُ**[٣]**، والتَّناجُشُ في الدُّنيا**[٤]**، والتَّباغُضُ والتَّحاسُدُ، حتى يكون البغيُ**»[٥].

* * *

(١) الأَشَرُ: أشد أنواع البطر.

(٢) البَطَرُ: الطغيان عند النعمة وطول الغنى.

(٣) التَّكاثُر: هو كل ما يتكاثر به المتكاثرون من أموال وأولاد وغير ذلك.

(٤) التَّنَاجُش في الدنيا: النَّجش: هو أن يزيد في ثمن السلعة، وهو لا يريد شراءَها ليقع غيرُه فيها.

(٥) حسن، أخرجه الحاكم (٤/ ١٦٨)، والطبراني في «الأوسط» (٩٠١٦) من حديث أبي هريرة ﵁، وجوَّد إسناده الإمام الألباني في «الصحيحة» (٦٨٠).

الحديث الحادي والعشرون

اشتدادُ الفتنِ مع مُضِيِّ الزَّمن

عن الزُّبير بن عَدِيٍّ ﷺ قال: أتينا أنس بن مالك، فشكونا إليه ما يلقون من الحجَّاج[١]، فقال: «**اصبروا فإنَّه لا يأتي زمانٌ إلا والذي بعدَه أَشَرُّ منه حتى تلقَوْا ربكم، سمعته من نبيكم ﷺ**»[٢].

قوله: (مِن الحجَّاج) أي: ابن يوسف الثقفي الأمير المشهور، والمراد: شكواهم ما يَلْقَوْنَ من ظلمه لهم وتعدِّيه عليهم، فعندما تَحْدُثُ البدعُ في بعض الأمَّة، وتتجارى الأهواء بأقوام، كما يتجارى الكَلَبُ بصاحبه، ويُتَّبع غيرُ سبيل المؤمنين، ويُتَنَافس على الدُّنيا؛ فلا بدَّ أن يقعَ البغي والبأس الشَّديد في الأمَّة، فتشتدَّ الفتن، ويقلَّ الخير، ويكثر الشر، فهذا الزُّبير بن عَدِيٍّ ﷺ قال: أتينا أنس ابن مالك، وهو من صحابة النَّبي ﷺ، فشكونا إليه ما نلقى من ظلم الحجاج، وبطشه، وتعدِّيه، فقال: «**اصبروا**»، أي: على ظلم الحجَّاج «**فإنَّه لا يأتي زمان إلا والذي بعده أشرُّ منه حتى تلقوا ربكم**» أي: يبقى الخير في نقصان، والشرُّ في ازدياد إلى يوم القيامة.

---

(١) قال الذهبي عنه في «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٣٤٣): «أهلكهُ اللَّه في رمضان سنةَ خمسٍ وتسعين كَهْلًا، وكان ظلومًا، جبَّارًا، ناصبيًّا، خبيثًا، سفَّاكًا للدماء، وكان ذا شجاعة وإقدام، ومَكْرٍ ودهاء، وفصاحةٍ، وبلاغةٍ، وتعظيم للقرآن، قد سُقْتُ من سوء سيرته في تاريخي الكبير، وحصارِهِ لابن الزُّبير بالكعبة، وَرَمْيِهِ إيَّاها بالمنجنيق، وإذلالِهِ لأهل الحرمين، ثمَّ وِلايته على العراق والمشرق كُلِّه عشرين سنة، وحروب ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات إلى أن استأصلَهُ اللَّه، فنسبُّهُ ولا نُحِبُّه، بل نبغضُهُ في اللَّه، فإنَّ ذلك من أوثَقِ عُرَى الإيمان.

وله حَسناتٌ مغمورةٌ في بحْر ذنوبه، وأمرُه إلى اللَّه، وله توحيدٌ في الجملة، ونُظَراءُ مِنْ ظَلَمةِ الجبابرة والأمراء».

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٦٨)، والترمذي (٢٢٠٦) بلفظ: «**ما من عام إلا والذي بعده شرٌّ منه حتى تَلْقَوْا ربكم**».

وهذا الكلام «**سمعته من نبيكم**»، أي: قاله محمد ﷺ، فهذا الحديث من معجزات النَّبي ﷺ، فإنَّ فيه إخبارًا بما يقع في المستقبل، وقد وقع.

وفي الحديث نصرٌ لمذهب أهل السنَّة في طاعة وُلاة الأمر، مع الردِّ على حماسات الخوارج الحروريَّة.

«وقد ذكر ابن الزبير في «الموفقيَّات» من طريق مجالد عن الشعبي، قال: «كان عمر فمن بعده إذا أخذوا العاصي أقاموه للناس ونزعوا عمامته، فلمَّا كان زياد ضرب في الجنايات بالسِّياط، ثم زاد مصعب بن الزُّبير حَلْقَ اللِّحية، فلمَّا كان بشر ابن مروان سَمَرَ كفَّ الجاني بمسمار، فلمَّا قَدِمَ الحَجَّاج قال: هذا كلُّه لعب، فَقَتَلَ بالسيف»[(١)].

وأمَّا قوله: «**فإنَّه لا يأتي زمان إلا والذي بعده أشرُّ منه حتى تلقوا ربكم**»، خرج مخرج الغالب، فهو عامٌّ مخصوص، فإنَّ آخر الأمَّة سترجع إلى دينها وأمرها الأوَّل، فتنال من الخيريَّة قريب ممَّا نال أوَّلها، وستعود الخلافة للأمَّة الإسلاميَّة على منهاج النبوَّة؛ كما أخبر بذلك النبيُّ ﷺ في حديث الأمراء[(٢)]، وسيكون فيها المهدي، الذي يملأ الدنيا عدلًا كما مُلئت ظلمًا وجورًا، وسيعود للإسلام انتصارهُ، وازدهارهُ، وانتشارهُ، وللأمَّة مجدُها وعزُّها، وسينزل عيسى بن مريم -عليه الصلاة والسلام- حكمًا عدلًا، وتنتهي المِلَلُ في زمانه إلا الإسلام، وتُنزل السماءُ خيراتِها، وتُخرج الأرض بركاتِها.

وعن علي رضي الله عنه قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «**مَثَلُ أمَّتي مثل المطر، لا يُدرى أولُه خير أم آخِرُهُ**»[(٣)].

وقد بوَّب العلَّامة الألبانيُّ رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» (١/ ٣١):

---

(١) «فتح الباري بشرح صحيح البخاري» (١٣/ ٢٦).

(٢) وهو الحديث رقم (٤٠) (ص٣٣٧).

(٣) صحيح، أخرجه الترمذي (٢٨٦٩)، وصحَّحه الإمام الألباني في «الصحيحة» (٢٢٨٦).

«المستقبل للإسلام»، وذكر عددًا من الأحاديث التي تبيِّن ذلك، ثمَّ قال (١/ ٣٦): «هذا وممَّا يجب أن يُعلم بهذه المناسبة أنَّ قوله ﷺ: **«لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشرُّ منه حتى تلقوا ربكم»**، رواه البخاري في «الفتن» من حديث أنس مرفوعًا.

فهذا الحديث ينبغي أن يُفهم على ضَوْءِ الأحاديث المتقدمة وغيرها، مثل أحاديث المهدي، ونزول عيسى عليه السلام، فإنَّها تَدُلُّ على أنَّ هذا الحديث ليس على عمومه؛ بل هو من العامِّ المخصوص؛ فلا يجوز إفهام النَّاس أنه على عمومه، فيقعوا في اليأس الذي لا يصحُّ أن يتصف به المؤمن: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، أسأل اللَّه أن يجعلنا مؤمنين به حقًّا».

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»[1] (١٣-٢٦-٢٧): «وقد اسْتُشْكِلَ هذا الإطلاق مع أنَّ بعض الأزمنة تكون في الشرِّ دون التي قبلها، ولو لم يكن في ذلك إلا زمن عمر بن عبد العزيز وهو بعد زمن الحجاج بيسير، وقد اشتهر الخير الذي كان في زمن عمر بن عبدالعزيز، وقد حمله الحسن البصريُّ على الأكثر الأغلب، فَسُئِل عن وجود عمر بن عبدالعزيز بعد الحجاج؟ فقال: لابُدَّ للنَّاس من تنفيس[2]، وأجاب بعضهم: إنَّ المراد بالتفضيل: تفضيل مجموع العصر على مجموع العصر، فإنَّ عصر الحجاج كان فيه كثير من الصَّحابة من الأحياء، وفي عصر عمر ابن عبدالعزيز انقرضوا، والزَّمان الذي فيه الصحابة خير من الزَّمان الذي بعده؛ لقوله ﷺ: **«خير القرون قرني»**»[3].

ثمَّ قال: «ثم وجدت من عبداللَّه بن مسعود التصريح بالمراد، وهو أولى بالاتِّباع، فأخرج يعقوب ابن شيبة من طريق الحارث بن حصيرة، عن زيد بن وهب

---

(١) باختصار.

(٢) أثر الحسن هذا أخرجه الدينوري في «المجالسة» رقم (١٩٥٠).

(٣) لم يثبت لفظ **«خير القرون»** في السنَّة الصحيحة، إنَّما الثابت **«خير النَّاس»**، انظر (ص٥٥).

قال: سمعتُ عبدالله بن مسعود يقول: «لا يأتي عليكم يوم إلا وهو شر من اليوم الذي كان قَبله حتى تقوم الساعة، لستُ أعني رخاءً من العيش يصيبه، ولا مالًا يفيده، ولكن لا يأتي عليكم يومٌ إلا وهو أقل علمًا من اليوم الذي مضى قبله، فإذا ذهب العلماء استوى النَّاس؛ فلا يأمرون بالمعروف ولا يَنْهون عن المنكر، فعند ذلك يهلكون»[1].

ومن طريق أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن ابن مسعود إلى قوله: «شرٌّ منه».

قال: «فأصابتنا سنةٌ خَصْبٌ، فقال: ليس ذلك أعني، إنَّما أعني ذهاب العلماء».

ومن طريق الشَّعبي عن مسروق عنه قال: «لا يَأتي عليكم زمان إلا وهو أشرُّ مما كان قبله، أما أَني لا أعني أميرًا خيرًا من أمير، ولا عامًا خيرًا من عام، ولكن علماؤكم وفقهاؤكم يذهبون ثمَّ لا تجدون منهم خَلَفًا، ويجيء قوم يُفتُون برأيهم»، وفي لفظ عنه من هذا الوجه: «وما ذاك بكثرة الأمطار وقلَّتها، ولكن بذهاب العلماء، ثم يَحدثُ قومٌ يُفتون في الأُمور برأيهم، فيثْلُمونَ الإسلام ويهدمونه».

وقال: «واسْتَشْكَلُوا -أيضًا- زمان عيسى بن مريم بعد زمان الدَّجال، وأجاب الكرمانيُّ بأنَّ المراد: الزمان الذي يكون بعد عيسى، أو المراد جنس الزمان الذي فيه الأمراء، وإلا فمعلوم من الدين بالضرورة أنَّ زمان النبي المعصوم لا شرَّ فيه.

قلت: ويحتمل أن يكون المراد بالأزمنة ما قبل وجود العلامات العظام، كالدَّجال وما بعده، ويكون المراد بالأزمنة المتفاضلة في الشر من زمن الحجاج فيما بعده إلى زمن الدجال، وأمَّا زمن عيسى عليه السلام، فله حكم مستأنف -والله أعلم-، ويحتمل أنْ يكون المراد بالأزمنة المذكورة أزمنة الصَّحابة بناءً على أَنَّهم هم المخاطبون بذلك فيختصُّ بهم، فأمَّا من بعدهم فلم يُقصد في الخبر المذكور،

---

(١) حسن، أخرجه الدارمي (١٩٤)، وقد جوَّد ابن حجر إسناده في «فتح الباري» (١٣/ ٢٦-٢٧).

لكنَّ الصَّحابي فهم التعميم، فلذلك أجاب من شكا إليه الحجاج بذلك، وأمرهم بالصبر، وهم أو جلُّهم من التابعين، واستدلَّ ابن حبان في صحيحه بأنَّ حديث أنس ليس على عمومه بالأحاديث الواردة في المهدي، وأنه يملأ الأرضَ عدلًا بعد أن مُلِئَت جورًا». اهـ

* * *

الحديث الثَّاني والعشرون

هَدْمُ الإسلامِ

عن أَبي أُمامة الباهليِّ ﷺ، عن رسولِ اللَّه ﷺ قال: **«لَتُنْقَضَنَّ عُرى الإسلام عُرْوَةً عُرْوَةً، فكلما انْتَقَضَتْ عُروةٌ تَشَبَّثَ النَّاس بالتي تليها، وأَوَّلُهُنَّ نقضًا الحكم، وآخرهنَّ الصلاة»**[1].

يُخبرنا النبيُّ ﷺ في هذا الحديث عن نقض وهدم عُرى الإسلام، وأنَّ عُرى الإسلام كالسلسلة تتكون من حلقات متماسكة، وأنَّ هذه الحلقات تُنْقَضُ حَلْقة حَلْقَة، فقوله ﷺ: **«لتُنْقَضَنَّ عرى الإسلام عروةً عروةً»** النَّقْضُ: مِنْ نَقْضِ البناءِ وهو هدمه، و**«عُرى»** العرى جمعُ عُروة، وهي الحلقة، وعُرى الإسلام هي: أركانه، وواجباته، وسننه، ومستحبَّاتُه، وقوله ﷺ: **«فكلَّما انْتَقَضَتْ عُروةٌ تشبَّث النَّاس بالتي تليها»** أي: كلَّما هُدم شيء من عُرى الدين تمسَّك النَّاس بالذي بعده بقوَّة وحرص، وقوله ﷺ: **«وأولهنَّ نقضًا الحكم، وآخرهنَّ الصلاة»** أي: إنَّ أوَّل ما يُهدم من عُرى الدين هو الحكم بالإسلام وتطبيق الشريعة، وآخره نقضًا وتركًا الصلاة.

ومما يزيد هذا الأمر بيانًا ووضوحًا، ما ثبت عن أبي هريرة ﷺ أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: **«إنَّ للإسلام صُوًى[2] ومنارًا كمنار الطريق، منها أن تؤمنَ باللَّه ولا تشرك به شيئًا، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والأمر بالمعروف**

---

(١) صحيح، أخرجه أحمد (٢٢١٦٠)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٥١)، والطبراني في «الكبير» (٧٤٨٦)، والمنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٣٨٥)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٣٢١٤)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٧٤)، وصحَّحه الإمام الألباني في «صحيح الجامع» (٥٠٧٥).

(٢) الصُّوى: الأعلام المنصوبة من الحجارة في المفازَةَ المجهولة، يُستدلُّ بها على الطريق، واحدتُها صُوَّةٌ كَقُوَّة: أراد أن للإسلام طرائقَ وأعلامًا يُهتدى بها، كما في «النهاية» (٢/ ٦١).

والنَّهي عن المنكر، وأن تُسَلِّم على أهلك إذا دخلت عليهم، وأن تُسَلِّم على القوم إذا مررت بهم، فمن ترك من ذلك شيئًا؛ فقد ترك سهمًا من الإسلام، ومن تركهنَّ [كلهنَّ]؛ فقد ولَّى الإسلامَ ظَهْرَهُ»(١).

فما تزال عرى الإسلام تُنْقَض وتُدْرَسُ كما يُدْرَسُ وَشْيُ الثوب في كل زمان ومكان، ولكن من رحمة اللَّه بهذه الأمَّة أن يُهيِّئَ لها من يُجَدِّدُ لها دينها على كل رأس مئة سنة -تصفيةً وتربيةً، وعلمًا وعملًا-، فإنَّ التجديد لا يكون إلا بعد الدُّروس، ولا يكون إلا بعد انهِدامٍ، وذلك إلى أن يصل نقض عرى الإسلام ودروسه إلى نهايته، حتى لا يُعرفَ من الإسلام إلا الشَّهادتين.

فعن حذيفة بن اليمان مرفوعًا قال: **«يَدْرُسُ(٢) الإسلام كما يَدْرُسُ وشْيُ(٣) الثوب، حتى لا يُدرى ما صيام، ولا صلاة، ولا نُسُك، ولا صدقة، وَلَيُسْرى على كتاب اللَّه ﷻ في ليلة؛ فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من النَّاس: الشيخ الكبير، والعجوز، يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة (لا إله إلا اللَّه)؛ فنحن نقولها»**، قال صِلة بن زفر لحذيفة: ما تغني (لا إله إلا اللَّه)، وهم لا يدرون ما صلاة، ولا صيام، ولا نُسُك، ولا صدقة؟ فأعرَضَ عنه حذيفة، ثمَّ ردَّها عليه ثلاثًا، كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة، فقال: يا صلة! تنجيهم من النَّار ثلاثًا(٤).

«وهذا الحديث الصحيح يُستفاد منه أنَّ الجهل قد يبلغ ببعض النَّاس أنَّهم لا يعرفون من الإسلام إلا الشهادة، وهذا لا يعني أنهم يعرفون وجوب الصلاة وسائر الأركان، ثم هم لا يقومون بها، كَلَّا، ليس في الحديث شيء من ذلك، بل

---

(١) صحيح، أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه «الإيمان» بتحقيق الإمام الألباني (رقم٣)، وصحَّحه الإمام الألباني في «الصحيحة» (٣٣٣).

(٢) الدُّروس: الخفاء، من دَرَسَ الرسْمُ دُرُوسًا: إذا عفا وهلك.

(٣) وَشْيُ الثَّوب: نَقْشُه.

(٤) صحيح، أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩)، وصِحَّحه الإمام الألباني في «الصحيحة» (٨٧).

هم في ذلك ككثير من أهل البوادي، والمسلمين حديثًا في بلاد الكفر لا يعرفون من الإسلام إلا الشَّهادتين»[١].

«وفي هذا الحديث نبأٌ خطير، وهو أنه سوف يأتي يوم على الإسلام يُمحى أثرُه، وعلى القرآن فيُرفع، فلا يبقى منه ولا آية واحدة، وذلك لا يكون قطعًا إلا بعد أن يُسيطرَ الإسلام على الكُرَةِ الأرضيَّة جميعها، وتكون كلمته فيها هي العُليا؛ كما هو نصُّ قول اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ [التوبة: ٣٣]، وكما شرح رسول اللَّه ﷺ ذلك في أحاديث كثيرة . . .

وما رَفْعُ القرآن الكريم في آخر الزمان؛ إلا تمهيدٌ لإقامة الساعة على شرار الخلق الذين لا يعرفون شيئًا من الإسلام البتَّة، حتى ولا توحيده!

وفي الحديث إشارة إلى عظمة القرآن، وأنَّ وجودَه بين المسلمين هو السبب لبقاء دينهم ورسوخ بنيانه، وما ذلك إلا بتدارسه، وتدبُّره، وتفهُّمه، ولذلك تَعهَّدَ اللَّه -تبارك وتعالى- بحفظه إلى أن يأذن اللَّه برفعه»[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٣٦): «ومن علم أنَّ محمدًا رسول اللَّه فآمن بذلك، ولم يعلم كثيرًا مما جاء به؛ لم يعذِّبه اللَّه على ما لم يبلغه؛ فإنه إذا لم يعذبه على ترك الإيمان بعد البلوغ، فإنه لا يعذبه على بعض شرائطه إلا بعد البلوغ أولى وأحرى، وهذه سنَّة رسول اللَّه ﷺ المستفيضة عنه في أمثال ذلك».

* * *

---

(١) الألباني في «حكم تارك الصلاة» (ص٨٣).

(٢) الألباني في «الصحيحة» (١/ ١٧٣).

الحديث الثَّالث والعشرون

مُؤاخذةُ السَّلف بما لا يؤاخَذ عليه الخلف

عن أبي ذر ﷺ مرفوعًا، قال: «**إنَّكم اليوم في زمان كثيرٌ علماؤه، قليل خطباؤه، من تَرَكَ عُشر ما يعرف فقد هوى، ويأتي من بعد زمان كثير خطباؤه، قليل علماؤه، من استمسك بعشر ما يعرف؛ فقد نجا**»[1].

يُبيِّن النبيُّ ﷺ في هذا الحديث حال أوَّل الأمَّة وآخرها في العلم والعمل، فقوله ﷺ: «**إنَّكم اليوم في زمان كثير علماؤه قليل خطباؤه**» أي: إنَّ الأمَّة في زمن النَّبي ﷺ وأصحابه كان فيها كثيرٌ من العلماء، الذين هم علامة الخير في الأمَّة، وكان فيها قليلٌ من الخطباء، وقوله: «**من ترك عشر ما يعرف**» أي: مما أُمر به من دين اللَّه، «**فقد هوى**» أي: فقد هَلَكَ وخَسِر؛ وذلك لقيام الدين في النُّفوس، ولقيام دولته وانتصاره، وانتشاره في الأرض، فيستطيع المسلم أن يتمسك بكل عُرى الدين دونَ خوفٍ من عدوٍّ قريبٍ أو بعيدٍ، ومن ترك شيئًا مع الاستطاعة فهو آثم.

وقوله: «**ويأتي من بَعْدُ زمانٌ كثير خطباؤه قليل علماؤه**»، فإذا كان أكثر الخطباء جهلة -وهم الموجِّهُون، والمتكلِّمون في النَّاس- فإنَّهم يُفسدون أكثرَ مما يُصلحون، وقد بيَّن عبداللَّه بن مسعود ﷺ ثمرةَ فُشُوِّ الجهل وقلَّة العلم والعلماء في الأمَّة، فقال: «لا يأتي عليكم يوم إلا وهو شرٌّ من اليوم الذي كان قبله، حتى تقوم الساعة؛ لست أعني رخاءً من العيش يُصيبه ولا مالًا يُفيده، ولكن لا يأتي عليكم يوم إلا وهو أقلُّ علمًا من اليوم الذي مضى قبله، فإذا ذهب العلماء؛ استوى النَّاس، فلا يأمرون بالمعروف ولا ينهَوْن عن المنكر، فعند ذلك يهلَكون»[2].

---

(١) صحيح، أخرجه الترمذي (٢٢٦٧)، وأحمد في «المسند» (٢١٣٧٢)، والبخاري في «التاريخ» (٢٨١٩)، والهروي في «ذم الكلام» (١٠٠)، وصحَّحهُ الإمام الألباني في «الصحيحة» (٢٥١٠).

(٢) سبق تخريجه في الحديث (٢١) (ص١٨٣).

فزمانٌ قلَّ علماؤُهُ، لا أمر بمعروف فيه، ولا نهي عن منكر، يقلُّ خيره ويكثر شره، ويُدرس فيه الدين وتُنْقَضُ عُراه، «**مَنِ استمسك بعُشْر ما يعرف فقد نجا**»؛ وذلك لصعوبة العمل بأكثر أمور الدين، وإحياء السنن وإماتة البدع، في أناس سوءٍ كثير -غُثَائِيِّين- من جهة، وتسلط الكفار على المسلمين من جهة أخرى، والله أعلم.

* * *

الحديث الرَّابع والعِشرون

الغُثَائِيَّةُ: حُبُّ الدُّنيا وكَراهِيةُ المَوْتِ

عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يوشك أن تداعى عليكم الأمم؛ كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**»، فقال قائل: ومن قلَّةٍ نحن يومئذ؟ قال: «**بل أنتم يومئذٍ كثير؛ ولكنَّكم غُثاء كغُثاء السَّيل، ولينزعَنَّ اللَّهُ من صدورِ عدوكم المهابةَ منكم، وليقذفنَّ اللَّهُ في قلوبكم الوَهَن**»، قال قائل: يا رسول اللَّه! وما الوَهَن؟ قال: «**حبُّ الدُّنيا وكراهيةُ الموت**»[1].

يخبرُ النَّبيُّ ﷺ في هذا الحديث أنَّ الأممَ سَتَتَداعى على أُمَّته، ويُبيِّنُ سببَ ذلك، وهذا الحديث من المعجزات الظاهرة للنبي ﷺ فقد حَدَث ما أخبر به.

فقوله ﷺ: «**يوشك**» أي: يُسْرِعُ ويَقْرُب، وقوله: «**أنْ تداعى عليكم الأمم**»، أي: يدعو بعضُها بعضًا فتلبي وتستجيب، وشبَّهَ هذا التداعي بتداعي الأكلة إلى طعامهم، فقال: «**كما تداعى الأَكَلَةُ إلى قصعتها**»، والأَكَلَة: جمع آكل، والقصعة: وعاء كبير يُؤكل فيه ويُثرد، ويُشبع العشرة، فكأَنَّهم يتداعَوْن لِما هُيِّئَ ونضج من طعام، ولم يمنع من تناوله مانع، وتشبيه تداعي الأمم على أمَّة الإسلام بتداعي الأكلة إلى قصعتها؛ إشارة إلى أنَّ من أسباب تداعي الأمم على أمَّة الإسلام وأراضيها هو أنَّ بلاد الإسلام تكون منبعًا للخيرات والبركات الذي يَسيلُ لعابهم عليها، فقد وُجد فيها من المعادن والبترول ما تقوم عليه روح الصناعة الغربيَّة والشرقيَّة، بل روح الحياة البشريَّةِ قاطبة في هذا الزمان، والسبب الكبير الذي جَرَّأَ

---

(١) حسن، أخرجه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٢٢٣٩٧)، والبغوي في «شرح السنَّة» (٤٢٢٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٨/ ١٩٣)، والرُّوياني في «مسنده» (١/ ٤٢٧-٤٢٨)، وجوَّدَ إسناده الإمام الألباني في «الصحيحة» (٩٥٨).

الأممَ الكافرةَ على القدوم والتداعي لاحتلال بلاد الإسلام وأكل خيراتها؛ ليس قلَّة عدد المسلمين، فهم كُثُر يومها، فقال قائل -أي: من الصحابة-: ومن قلَّةٍ نحن يومئذ؟ لأنَّ القلَّة تُجَرِّئُ الأعداء وتطمعهم في البلاد والعباد، وقديمًا قالوا: «الذِّلَّةُ مع القلَّة»، فقال النَّبيُّ ﷺ: «**بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل**».

أمَّا عن كثرة عدد المسلمين فهذا أمرٌ معلومٌ في هذا الزمان لا يحتاج إلى دليل وبرهان، وَسِعَةُ بلادهم شرقًا وغربًا، وشمالًا وجنوبًا ظاهِرَةٌ لكلِّ ذي عينَيْن، والغُثاء الذي هو كغُثاء السيل: هو ما يظهر فوق السيل مما يحمله الزَّبدُ من الأوساخ وبقايا الأشياء الملقاة على الأرض، إذًا فالمشكلة ليست في قلَّة عدد المسلمين، ولكن المشكلة في صفة المسلمين يومئذٍ، وهي كونهم غثاء، عقائدهم خراب، وأخلاقهم فساد، ومناهجهم التَّعلق بالسَّراب، وقوله ﷺ: «**ولينزعنَّ اللَّه من صدور عدوكم المهابة منكم**»، أي: يخرج اللَّه من صدور عدوكم المهابة والإجلال والخوف والرعب منكم، وقوله: «**وليقذفنَّ اللَّه في قلوبكم الوهن**»، فقال قائل: يا رسول اللَّه! وما الوهن؟ قال: «**حبُّ الدنيا وكراهية الموت**»، فَمَنْ أحبَّ الدنيا وكره الموت؛ ضَعُفَ عملُه للدِّين وللآخرة وربما زالَ بالكليَّة، فهم للدنيا يتعلَّمون ويتفقَّهون، ويوالون ويعادون، ويتنافسون، وبها راضون، وعن الدين والموت والآخرة غافلون، فلا يصبرون، ولا يوقنون، ولا يتفقَّهون، ولا يجاهدون، فأضاعوا الدين والدنيا، فَلَبِسَتْهُمُ الفتنةُ.

* * *

الحديث الخامس والعشرون

فتنةُ تغيُّرِ المفاهيم

عن عبداللَّه بن مسعود رضي الله عنه، قال: «**كيف أنتم إذا لَبِسَتْكُم فتنةٌ، يَرْبُو فيها الصَّغيرُ، ويَهْرَمُ فيها الكبيرُ، إذا تُرِكَ منها شيءٌ قيل: تُرِكَت السُّنَّة**».

قيل: ومتى ذاك يا أبا عبدالرحمن؟ قال: «**إذا ذهبت عُلماؤكم، وكَثُرت جُهَّالكم، وكثرت قُرَّاؤكم، وقلَّت فُقهاؤكم، وكثُرت أُمراؤكم، وقلَّت أُمناؤكم، والتُمِسَت الدُّنيا بعمل الآخرة، وتُفُقِّهَ لغير الدين**»[1].

يخبرنا ابنُ مسعود في هذا الحديث عن فتنةٍ تعمُّ المسلمين وتَلْبِسُهم، ويطول زمانُها، فقال: «**كيف أنتم إذا لبستكم فتنة**» الفتنة: هي الابتلاء والاختبار، ثمَّ أُطلقت على كل مكروه، أو آيِلٍ إليه، كالشرك، والكفر، والإثم، والبدع، والاختلاف، والقتل، والتحريق، وغير ذلك من الأمور المكروهة[2]، وقوله: «**يربو فيها الصغير، ويهرم فيها الكبير**» أي: إنَّ زمانها يطول كثيرًا حتى إنَّهُ يكبر ويتربَّى فيها الصغير، ويهرم ويشيخ فيها الكبير، قوله: «**إذا تُرك منها شيء قيل: تُرِكت السنَّة**»، أي: تتغيَّر المفاهيم فيصبح الحق باطلًا والباطل حقًّا، والسنَّة بدعة والبدعة سنة، حتى إنَّهُ من أحيا السنَّة وعمل بها وترك البدعة ونهى عنها؛ أُنْكِرَ عليه، وقيل: تُرِكَتِ السنَّة، قيل: ومتى ذاك يا أبا عبدالرحمن؟ قال: «**إذا ذهبت علماؤكم**»، وذهابهم بموتهم، وعدم تفقُّه غيرهم، قوله: «**وكثرت جُهَّالُكُم**»،

---

(١) صحيح، أخرجه الدارمي (١٩١ و ١٩٢)، واللالكائي (١٢٣)، وابن أبي شيبة (١٩٠٠٣) بسند صحيح عن ابن مسعود، قال عنه الإمام الألباني في «قيام رمضان» (ص٤): «صحَّ عن ابن مسعود موقوفًا، وهو مرفوع إلى النبي ﷺ حكمًا».

(٢) انظر «لسان العرب» (١٠/ ١٧٨-١٨١)، و«النهاية» (٣/ ٤١٠-٤١٢).

وهذه نتيجة طبيعيَّة لذهاب العلماء، قوله: «**وكَثُرَتْ قُرَّاؤكم**» القُرَّاء هم: حفَّاظ القرآن ومجوِّدوه، وتكون هذه الصفة مذمومة إنْ كان هؤلاء القُرَّاء اتخذوا القرآن مزاميرَ دون تدبر لمعانيه وعملٍ بأحكامه، وتحليل حلاله، وتحريم حرامه كما فُصِّلَ ذلك في بعض الأحاديث.

قوله: «**وقلَّت فقهاؤكم**» الفقهاء: هم الذين يستنبطون الأَحكام من الدِّين للنَّوازل والمستَجِدَّات والمعضلات، قوله: «**وكثرت أمراؤكم**» وكثْرَة الأمراء دليل على تفرق المسلمين في دويلات كثيرة، والتفرق دليل على الاختلاف وذهاب القوَّة والضعف في الأمَّة.

قوله: «**وقلَّت أمناؤكم**» الأمناء: هم الذين يحفظون الأنفس والأموال والأعراض، وكل ما استؤمنوا عليه، وقد بيَّن النَّبيُّ ﷺ كيف تُرفع الأمانة من قلوبِ الرجال، وبيَّن أنَّ الأمناء يقلُّون في الأمَّة حتى يقالَ إنَّ في بني فلان رجلًا أمينًا، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: حدثنا رسول اللَّه ﷺ حديثين رأيتُ أحدَهُما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا أنَّ الأمانة نزلت في جَذْرِ قلوب الرجال، ثمَّ عَلِموا مِنَ القرآن، ثمَّ عَلِموا من السنَّةِ، وحدثنا عن رَفْعِها، قال: «**ينامُ الرجلُ النومة فتُقبضُ الأمانةُ مِنْ قلبِهِ فيظلُّ أثَرُها مِثْلَ أثر الوكْت، ثمَّ ينامُ النومةَ فتُقبضُ فيبقى أثرُها مِثْلَ المَجْلِ كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ على رِجلِكَ فَنَفِطَ[١]، فتراهُ مُنْتَبِرًا[٢] وليس فيه شيء، فيصبح النَّاس يتبايعون، فلا يكادُ أحدُهُم يُؤَدي الأمانة، فيُقال: إنَّ في بني فُلانٍ رَجُلًا أمينًا، ويُقال للرَّجل: ما أعْقَلهُ وما أظرفه وما أجلدَهُ، وما في قلبِهِ مثقالُ حَبَّة خردلٍ من إيمان، ولقد أتى عليَّ زمانٌ وما أُبالي أيَّكُمْ بايَعْتُ، لَئِن كان مُسلمًا رَدَّهُ عَلَيَّ الإسلامُ، وإن كان نصرانيًّا رَدَّهُ عَلَيَّ ساعيه[٣]، فأمَّا اليومَ فما كُنْتُ أبايعُ إلا فُلانًا وفُلانًا**»[٤].

---

(١) فَنَفِطَ: قَرِحَ.

(٢) منتبرًا: مُرتفعًا.

(٣) ساعيه: هو الوالي عليه.

«قال الفِرَبْرِيُّ: قال أبو جعفرٍ: حَدَّثْتُ أبا عبدالله فقال: سمعتُ أبا أحمد بن عاصم يقولُ: سمعتُ أبا عُبيدٍ يقولُ: قال الأصمعيُّ وأبو عَمرو وغيرُهُما: جَذْرُ قُلوبِ الرِّجالِ، الجَذْرُ: الأصلُ من كلِّ شيءٍ، والوَكتُ: أثَرُ الشيءِ اليَسيرُ منهُ، والمَجلُ: أثَرُ العَمَلِ في الكَف إذا غَلُظَ»[١].

وقوله: **«والْتُمِسَت الدنيا بعمل الآخرة»** أي: يعملون عمل الآخرة يريدون به الدنيا من مال، أو منصب، أو مكانة بين النَّاس، قوله: **«وتُفُقِّهَ لغير الدين»** أي: يتعلَّمون علوم الدنيا ويتخصَّصون بها، ويتركون التفقه للدِّين.

قوله: **«كيف أنتم إذا لبستكم فتنة»** فيه أنَّ هذه الفتنة تعمُّ كلَّ المسلمين، وتشمل كل مجالات الحياة الاجتماعيَّة، والسياسيَّة، والاقتصاديَّة، والعلميَّة، بحيث يصبح الدين الصحيح المصفَّى من الأهواء والشبهات والبدع غريبًا، وحملته قلَّة وغرباءُ بين النَّاس.

وبسبب تَغَيُّرِ المفاهيم وانقلاب الموازين؛ صُدِّق الكاذب، وكُذِّب الصادق، واؤتمن الخائن، وَخُوِّن الأمين، وآلت الأمورُ إلى السفهاء والفاسقين، فعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«سيأتي سنواتٌ خدَّاعات، يُصدَّق فيهنَّ الكاذب، ويُكَذَّب فيهنَّ الصادق، ويؤتمن الخائن، ويُخوَّن الأمين، وينطق فيها الرُّوَيْبِضَةُ»**، فقيل: وما الرُّوَيْبِضَةُ؟ قال: **«الرجل التَّافه يتكلَّم في أمْرِ العامَّة»**[٢].

وله شاهد عند أحمد (١٣٢٩٨)، عن أنس بن مالك مرفوعًا بلفظ: **«إنَّ أمام الدجَّال سنين خدَّاعة . . .»** الحديث مثله إلا أنه قال: **«الفُوَيْسِق يتكلَّم في أمر العامَّة»**، رجاله ثقات لولا عنعنة ابن إسحاق[٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٩٧)، ومسلم (١٤٣).

(٢) قاله البخاري إثر الحديث (٦٤٩٧).

(٣) حسن، أخرجه ابن ماجه (٤٠٣٦) بإسناد حسن كما في «الصحيحة» (١٨٨٧).

(٤) انظر «الصحيحة» (٤/ ٥٠٩).

الحديث السَّادس والعشرون

الفتن وذُلُّ المسلمين، والمخرج منهما: بالرُّجوع إلى الدِّين

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إذا تبايعتُم بالعينة، وأخذْتُم أذنابَ البقر؛ وَرَضِيْتُم بالزرع، وتركتُم الجهادَ، سَلَّطَ اللَّهُ عليكم ذلًّا لا ينزعه؛ حتى ترجعوا إلى دينكم»**(١).

يشير النبي ﷺ في هذا الحديث إلى أنَّ الحرصَ على الدنيا وجمعها من حِلِّها وغير حِلِّها، والركون إليها والرضا بها، وترك الجهاد في سبيل اللَّه، يورث ذلًّا على المسلمين؛ يُسَلِّطُهُ اللَّه عليهم، لا يرفعه عنهم حتى يرجعوا إلى دينهم علمًا وعملًا، فهذا الحديث يبيِّن داءً ودواءَهُ.

فذكر النبي ﷺ نوعَيْن من الأدواء على سبيل التمثيل، لا الحصر.

فقال ﷺ: **«إذا تبايعتم بالعِيْنَة»**.

وهذا هو **النوع الأول**: التَّحايل على الشرع من خلال بيع العِيْنَة، وصورته: أنَّ الرجل يشتري من التاجر بضاعة بعشرة آلاف نسيئة، أي: بالتقسيط، ثم يبيعها للتاجر بثمانية آلاف نقدًا، فيسجل عليه الوفاء بعشرة آلاف، وفي حقيقة الأمر يكون قد أخَذَ ثمانية آلاف نقدًا، وأرجعها عشرة آلاف بالتقسيط، أي: بزيادة ألفين، فهذه الزيادة ربا، وهي من الحِيَلِ على شرع اللَّه في صورة البيع، وليست مِنَ البيع المشروع، وعلَّتها: أنَّ السِّلعَ لا تكون مقصودة لذاتها لا عند البائع ولا المشتري، بل المراد عند البائع الزيادة بالأجل، وعند المشتري تحقيق السُّيولة الحاليَّة، فخرجت عن حدِّ التجارة أصلًا.

---

(١) صحيح، أخرجه أبو داود (٣٤٦٢)، وأحمد (٤٨٢٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٣١٦)، والطبراني في «الكبير» (١٣٥٨٣)، وصححه الإمام الألباني في «الصحيحة» (١١).

«ولكنَّ الحقيقة أنَّ المشتري الذي اشترى بعشرة آلاف نسيئة، ثمَّ باع بثمانية آلاف نقدًا؛ إنَّما يُريد من وراء ذلك أن يأخذ ثمانية آلاف، ولما كان يعلم أنَّ هذا البائع لا يُقرضه ثمانية آلاف مقابل ثمانية آلاف لوجه اللَّه -تعالى-، وإنَّما يُريد زيادة، احتالا جميعًا على استحلال هذه الزيادة باسم البيع»[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فهذا مع التواطُؤِ يبطل البيعَيْن؛ لأنَّها حيلة»[2].

النوع الثاني: المبالغة في طلب الدنيا والالتهاء بالسعي وراء الزرع والضرع عن دين اللَّه، ومن ذلك: الجهاد في سبيل اللَّه، والذي هو ذَرْوة سنام الإسلام، فقال -عليه الصلاة والسلام-: «**وأخذتم أذنابَ البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد**»، فماذا تكون النتيجة؟! «**سلَّط اللَّه عليكم ذلًّا**»، وهذا الذُّل قد تحقَّق في المسلمين مع غايةِ الأسف؛ فقد تسلَّط الكفار عليهم واحتلوا أكثر أراضيهم، وسرقوا خيراتِهم، ودنسوا بعض مقدساتهم، وأذلوا كثيرًا من شرفائهم، وهذا إنَّما حصل على المسلمين؛ لأنَّهم قد أخذوا بأسبابه، فالأحرى بهم أن يأخذوا بأسباب رفعه وعلاجه وهو: «**حتى ترجعوا إلى دينكم**»، فالعلاج إذًا يكون بالرجوع إلى الدين: كتابًا وسنَّة، وفهمهما على منهاج السلف الصالح رضي الله عنهم.

عَنْوَنَ العلامة الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصحيحة» (١/ ٤٠)، قال: «**التَّكالب على الدنيا يورِّث الذُّل**».

ثم قال: «ذكرت آنفًا بعضَ الأحاديث الواردة في الحضِّ على استثمار الأرض، مما لا يدع مجالًا للشك في أنَّ الإسلام شرعَ ذلك للمسلمين، وَرَغَّبَهُم فيه أَيَّما ترغيب.

والآن نورد بعض الأحاديث، التي قد يتبادر لبعض الأذهان الضعيفة، أو

---

(١) من كلام العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ مِن شريط مُفرَّغ.
(٢) نقلًا عن «الصحيحة» (١/ ٤٢).

القلوب المريضة، أَنَّها معارضة للأحاديث المتقدمة، وهي في الحقيقة غير منافية لها؛ إذا ما أُحسن فهمها، وخلت النفس من اتِّباع هواها!!

١٠- عن أبي أمامة الباهليِّ -وقد رأى سكة، وشيئًا من آلة الحرث- فقال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**لا يدخل هذا بيتَ قوم؛ إلا أدخله اللَّهُ الذلَّ**».

أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥/ ٤ - بشرح الفتح)، ورواه الطبراني في «الكبير» (٢٣/ ٨) من طريق أخرى عن أبي أمامة مرفوعًا بلفظ: «**ما من أهل بيتٍ يغدو عليهم فدان؛ إلا ذلُّوا**»، وقال الهيثمي في «المجمع» (٤/ ١٢٠): «**وفيه امرأتان لم أعرفهما**».

وقد وَفَّقَ العلماء بين هذا الحديث، والأحاديث المتقدمة آنفًا، بوجهين اثنين:

الأول: إنَّ المراد بالذُّلِّ، ما يلزمهم من حقوق الأرض التي تطالبهم بها الولاة، من خراج أو عُشْرٍ، فمن أدخل نفسه في ذلك، فقد عَرَّضَها للذل.

قال المناوي في «الفيض»: «ليس هذا ذمًّا للزراعة؛ فإنَّها محمودةٌ مثابٌ عليها؛ لكثرة أكل العوافي[1] منها، إذ لا تلازم بين ذل الدنيا وحرمان ثواب البعض».

ولهذا قال ابنُ التين: «هذا من إخباره ﷺ بالمغَيَّبات؛ لأنَّ المشاهد الآن أنَّ أكثر الظلم إنَّما هو على أَهلِ الحرثِ».

الثاني: إنَّه محمول على مَنْ شَغَله الحرثُ والزرعُ عن القيام بالواجبات؛ كالحرب ونحوه، وإلى هذا ذهب البخاري، حيث ترجم للحديث بقوله: «باب ما يُحْذَر من عواقب الاشتغال بآلة الزرع، أو مجاوزة الحد الذي أمر به».

فإنَّ من المعلوم أنَّ الغلوَّ في السعي وراء الكسب، يُلهي صاحِبَه عن الواجب،

---

(١) جمع عافية، قال في «النهاية» (٢/ ٢٣٠): «العافية والعافي: كل طالب رزق من إنسان، أو بهيمة، أو طائر».

ويحمله على التكالب على الدنيا، والإخلاد إلى الأرض، والإعراض عن الجهاد، كما هو مُشاهَد من الكثيرين من الأغنياء.

ويؤيِّدُ هذا الوجهَ قولهُ ﷺ:

١١- «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذنابَ البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سلَّط اللَّه عليكم ذلًّا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم**».

وهو حديث صحيح لمجموع طرقه، وقد وقفتُ على ثلاث منها؛ كلها عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا.

. . . فتأمَّلْ كيف بيَّن هذا الحديث ما أُجملَ في حديث أبي أُمامة المتقدِّم قبله؟!!

فذكر أنَّ تسليط الذُّل ليس هو لِمُجَرَّد الزرع والحرث، بل لما اقترن به من الإخلاد إليه، والانشغال به عن الجهاد في سبيل اللَّه، فهذا هو المراد بالحديث، وأمَّا الزرع الذي لم يقترن به شيءٌ من ذلك؛ فهو المراد بالأَحاديث المرغِّبة في الحرث، فلا تعارض بينها، ولا إشكال». اهـ باختصار.

وقال -أيضًا-: «والنَّاس يقرؤون هذا الحديث، ويسمعون كثيرًا قوله ﷺ: «**حتى ترجعوا إلى دينكم**»، فيظنون أنَّ الرجوعَ إلى الدين أمرٌ سهلٌ، أما أنا فأرى أنَّ الرجوعَ إلى الدين يحتاجُ إلى (هَزِّ أكتاف)[١]؛ لأنَّنا جميعًا نعلم أنَّ هذا الدين قد أُصيبَ بمحاولات كثيرة لتغيير حقائق كثيرة منه، وقد استطاع بعضُهم أن يصلَ إلى مثلِ ذلك التغيير، والتحريف، فبعض هذا التغيير معروف لدى كثير من النَّاس، وبعضه ليس كذلك، بل على العكس من ذلك عند جماهير النَّاس، فهناك مسائل -بعضها اعتقاديَّة، وبعضها فقهيَّة- يظنُّون أنها من الدِّين، وليست من الدين في شيء»[٢].

---

(١) مَثَلٌ معروفٌ في بلاد الشام، يُراد به الهمَّة العالية وبذل الجهد الكبير.

(٢) من كلام الشيخ الإمام الألباني مِن شريط مُفرَّغ.

فلقد خرجتْ في الإسلام فرقٌ عديدةٌ ومذاهب وأحزاب كثيرة، أخذت كلها في تحريف وتغيير أمور كثيرة من الدين، مخالفةً بها سبيل المؤمنين، وكل هذه الفرق تَدَّعي أنَّها على الحق، وأَنَّها على الدين الصحيح، على الرَّغمِ من وجود الاختلاف بينها في أصول الدين وفروعه.

فعندما قال رسول اللَّه ﷺ: **«حتى ترجعوا إلى دينكم»**، فإنَّ المسلم في زماننا هذا يتساءل: هل نرجع إلى ما عليه الخوارج، من تكفير لعامَّة المسلمين، وسفكِ دمائهم، والخروج على ولاة أمور المسلمين لأدنى شبهة؟!

أم نرجع إلى ما عليه الشيعة الشنيعة، من تكفيرٍ لأكثر أصحاب النبي ﷺ، وَسَبٍّ لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، والغلو في أهل بيت النبي ﷺ، ورفعهم فوق منزلة الرسل والملائكة، بل والألوهيَّة والربوبيَّة -أيضًا-؟!

أم نرجع إلى ما عليه القدريَّة والمعتزلة والجهميَّة، -مجوس هذه الأمَّة-؟!

أم نرجع إلى ما عليه المرجئة، الذين زعموا أنَّ إيمان أفجر النَّاس كإيمان جبريل عليه السلام؟!

أم نرجع إلى ما عليه الصوفيَّة، من عقيدة الاتحاد والحلول، التي هي مثل أو أقبح من عقيدة النصارى في عيسى -عليه الصلاة والسلام-، أم نرجع إلى غلوهم في النبي ﷺ، واعتمادهم على الكشف والوجد والذوق، والطرق المبتدعة، وإسقاطهم لمنهج أهل الحديث في التلقي، والاستدلال؟!

أم نرجع إلى ما عليه المذهبيون من التقيُّد بمذهب فقهيٍّ واحد، وردِّ أحاديث الرسول ﷺ وآثار الصحابة والتابعين إذا خالفته؟!!

أم نرجع إلى ما عليه جماعة التبليغ، ذات الأصول الصوفيَّة، والتي تبايع على أربع طرق منها، وهي: الجشتيَّة، والقادريَّة، والسهرورديَّة، والنقشبنديَّة[1]، وإلى

---

(١) انظر «القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ» (ص٨).

خروجهم المبتدع في دين اللَّه، ودعوتهم إلى اللَّه على غير بصيرة؟!

أم نرجع إلى ما عليه جماعة الإخوان المسلمين، ذات الأصول والمناهج الخارجيَّة، والمعتزلية، والصوفيَّة، والمذهبيَّة، وتفريق كلمةِ المسلمين؟!

أم نرجع إلى ما عليه حزبُ التحرير ذو الأصول الخارجيَّة والمعتزليَّة والسِّرِّيَّة المبتَدَعة، وتزهيد النَّاس بالعلم الشرعي، والتفقه بالدين، والالتزام به؟!

الجواب: من كلام النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، قال: «**إنَّها ستكون فتنة**»، فقالوا: فكيف لنا يا رسول اللَّه؟ وكيف نصنع؟ قال: «**ترجعون إلى أمركم الأوَّل**»[1]، وهو ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه.

* * *

(١) سيأتي تخريجه في الحديث السابع والعشرين (ص٢٠١).

الحديث السَّابع والعشرون

المخرجُ من الفتنة بالرُّجوع إلى الأمر الأوَّل

عن أبي واقد اللَّيثي رضي الله عنه قال: إنَّ رسول اللَّه ﷺ قال -ونحن جلوس على بساط-: «**إنَّها ستكون فتنة**[1]»، قالوا: وكيف نفعل يا رسول اللَّه؟ فردَّ يَدَهُ إلى البِساط فأمسك به فقال: «**تفعلون هكذا**»، وذكر لهم رسول اللَّه يومًا: «**إنَّها ستكون فتنة**»، فلم يسمعه كثير من النَّاس، فقال معاذ بن جبل: ألا تسمعون ما يقول رسول اللَّه ﷺ؟ فقالوا: ما قال؟ قال: «**إنَّها ستكون فتنة**»، فقالوا: فكيف لنا يا رسول اللَّه؟ وكيف نصنع؟ قال: «**ترجعون إلى أمركم الأوَّل**»[2].

يخبرنا أبو واقد اللَّيثي رضي الله عنه في هذا الحديث؛ أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال لهم وهم جلوس على بساط: «**إنَّها ستكون فتنة**»، قالوا: وكيف نفعل يا رسول اللَّه؟ فردَّ يَدَهُ إلى البساط فأمسك به، فقال: «**تفعلون هكذا**» أي: أمسك بالبساط، أي: أنَّ المخرج لأمَّته عندما تكون الفتنة أن تتمسَّك بالدِّين.

فلم يسمَعْه كثير من النَّاس، فقال معاذ بن جبل: ألا تسمعون ما يقول رسول اللَّه ﷺ؟ فقالوا: ما قال؟ قال: «**إنَّها ستكون فتنة**»، فقالوا: فكيف لنا يا رسول اللَّه؟ وكيف نصنع؟ قال: «**ترجعون إلى أمركم الأوَّل**»، فإنَّ التمسك بالدِّين لا يكون إلا بالرجوع إلى الأمر الأوَّل.

هذا الحديثُ يُرشدنا فيه النبيُّ ﷺ إلى المخرج من الفتن، والمشاكل، والقلاقل، والمضائق، والانحرافات، والتفرُّق، والبدع، والذُّل الذي يصيب

---

(١) انظر الحديث الخامس والعشرين (ص١٩٢).

(٢) صحيح؛ أخرجه الطبراني في «الكبير» (٣٣٠٧) و «الأوسط» (٨٦٧٩)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٢٣٣٧)، وصححه الإمام الألباني في «الصحيحة» (٣١٦٥).

الأمَّة، وهو أن يرجع آخر الأمَّة إلى ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه في أصولِ الدين وفروعِهِ، فهو أهلُ الأمرِ الأوَّل وأصحابهُ في هذه الأمَّة، وهم أهلُ القرنِ الأوَّلِ، وهم خيرُ هذه الأمَّة.

قال أبو العالية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عليكم بالأمر الأول الذي كانوا عليه قبل أن يتفرقوا»[١].

وهذا الحديث يشبه بمعناه ويزيده بيانًا ووضوحًا حديث الخلفاء الراشدين: **«فإنَّه من يَعِش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنَّتي وسنَّةِ الخلفاءِ الراشدين المهديين، عَضُّوا عليها بالنَّواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإنَّ كلَّ بدعة ضلالة»**[٢].

وحديث افتراق الأمَّة: **«وستفترق أمَّتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلُّها في النار إلا واحدة»**، قالوا: من هي يا رسول اللَّه؟ قال: **«ما أنا عليه وأصحابي»**[٣].

فبالجمع بين هذه الأحاديث يتبيَّن لنا أنَّ الفتنة هي:

البدع والتفرُّق والاختلاف الكثير، وأنَّ قوله: **«تفعلون هكذا»**، وقوله: **«ترجعون إلى أمركم الأوَّل»** معناه: الرجوع والتمسك بسنَّة الخلفاء الراشدين، ومنهاج الصحابة أجمعين، أي: التمسك بمنهاج السلف الصالح، إذًا فالدين الذي يجب علينا أن نرجع إليه، هو: ما كان عليه النَّبي ﷺ وأصحابه، حيث لا خارجيَّة، ولا شيعيَّة، ولا قدريَّة، ولا صوفيَّة، ولا مذهبيَّة، ولا حزبيَّة، ولمَّا خرجت أوائل هذه الفرق في زمن أصحاب النَّبي ﷺ، تبرؤوا منها، وعادوها، بل وقاتلوها.

ولكن لا بدَّ للرجوع إلى الدين بفهم السَّلف الصَّالح من منهجيَّة وآليَّة؛ «فإنِّي

---

(١) «المنتقى النفيس من تلبيس إبليس» (ص٣٢).

(٢) سبق تخريجه (ص٣٢).

(٣) سبق تخريجه (ص٤٤).

أرى أنَّ العمل الذي ينبغي على الجماعات الإسلاميَّة أن يتوجهوا إليه بِكُلِّيَّتِهِم، ينحصر في نقطتين، وضرورتين، ولا أعتقد أنَّه هناك مجالٌ للخلاص من هذا الضَّعف، والهوان، والذل، الذي عليه المسلمون.

أقول ما أقول وأخصُّ به المسلمين الثقات، المتمثلين في الشباب الواعي الذي عرف أولًا: مأساة المسلمين، واهْتَمَّ ثانيًا: بالبحث الصادق عن الخلاص، وبكل ما أوتيه من قوَّة، بينما الملايين من المسلمين، مسلمين بحكم الواقع الجغرافي، أو تذكرة النفوس[1]، فهؤلاء لا أعنيهم بالحديث.

أعود فأقول: إنَّ الخلاصَ على أيدي هؤلاء الشباب يتمثَّل في أمرين لا ثالث لهما: «**التَّصفية، والتَّربية**[2]»[3].

* * *

(١) المراد: «الجنسيَّة»، أو «شهادة الميلاد».

(٢) انظر كتاب «التصفية والتربية» لشيخنا علي الحلبي -حفظه اللَّه-.

(٣) من كلام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ مِن شريط مُفرَّغ.

الحديث الثامن والعشرون

التَّصْفِيَة

عن إبراهيم بن عبدالرحمن العذريِّ رَحِمَهُ اللهُ قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**يحمل هذا العلم من كل خَلَفٍ عُدولُه، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المُبطِلين، وتأويل الجاهلين**»(١).

هذا الحديث أصل لمنهاج تصفيةِ الدِّين مما دخل به مما ليس منه، وحِفْظِهِ من الضَّياع، والتَّغيير، والتبديل، والتحريف، قال -تعالى-: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩]، والذِّكر هو: الكتاب والسنَّة، قال رسول اللّه ﷺ: «**ألا إنِّي أوتيتُ القرآنَ ومثله معه**»(٢).

لا يزال أئمة السلف وعدول كل جيل من بعدهم، وهم أهل الحديث السَّلفيون، يُصفُّون الدين من كل دخيل ويُنَقُّونَه من كلِّ شائبة؛ ليبقى صافيًا نقيًّا كما نزل على رسول اللّه ﷺ، وَفَهِمَهُ أصحابه وطَبَّقُوه.

قال محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللهُ: «إنَّ هذا العلم دين؛ فانظروا عمَّن تأخذون دينكم»(٣).

قال صديق حسن خان في «الدين الخالص» (٣/ ٢٦١-٢٦٣) -شارحًا لهذا الحديث-: «يعني: علم الكتاب والسنَّة، يحمله من كل جماعة آتية بعد السَّلف،

---

(١) حسن، أخرجه ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (٢/ ١١٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٠٩)، والآجري في «الشريعة» (١ و ٢)، والتبريزي في «مشكاة المصابيح» (٢٤٨)، وابن عبدالبر في «التمهيد» (١/ ٥٩).

(٢) صحيح، أخرجه أبو داود (٤٦٠٤)، وصحَّحه الإمام الألباني في «المشكاة» (١٦٣).

(٣) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١/ ١٤ - في المقدمة).

أهلُ العدل منهم، الرَّاوون له.

«**ينفون عنه تحريف الغالين**»؛ أي: تغيير المتجاوزين عن الحدِّ في أمر الدين، والتحريف: تبديل الحق بالباطل بتغيير في اللفظ، أو في المعنى، و«**انتحال المبطلين**» أي: يدفعون كذب أهل الباطل، والانتحال أن يَدَّعي شيئًا لنفسه كذبًا؛ من الشعر، أو القول، وهو لغيره، وهو كناية عن الكذب.

و«**تأويل الجاهلين**»؛ أي: يذبُّون تأويلهم الذي أوَّلوه من غير علم وفهم للآيات والأحاديث، وصرفوه عن ظاهره.

والحديث دليل واضح على تعديل أهل الحديث على لسان رسول الأمَّة ونبيِّ الرحمة ﷺ، وهذه فضيلة وشَرَافة، لا يساويها شيءٌ من الفضائل، ولكن هذا الفضلَ مشروطٌ بالأوصافِ المذكورة في هذا الحديث.

وقد وجدت هذه الصفات في عصابة الحديث، وجماعة المحدثين -قديمًا وحديثًا-، ولله الحمد.

وما أَجْمَعَ هذا الحديث لأوصاف أهله واختصاصهم بها! فإنَّ تلكَ الصفات لا توجد -على وجه الكمال- إلا في أهل السنَّة المطهَّرة.

ويدخل في هذا الحديث؛ كلُّ من هو عالم به وبالكتاب، وفيه هذه الأوصاف، وكذا كلُّ مَنْ يَصْدُق عليه أنه غالٍ، أو مبطلٌ، أو جاهلٌ، فهو داخل في هؤلاء المنفيين.

فمن الغالين، الطائفة القائلة بوحدة الوجود، مستدلة بزعمها ببعض القرآن والحديث.

فهذا الاستدلال منهم بالكتاب والسنَّة تحريف لهما؛ لأنَّهما قاضيان على كفر من قال بهذه المقالة، دلالةً من النصِّ وإشارةً منهما.

ومنهم الطائفة الرافضة المدَّعية لحبِّ أهل البيت، وهم عن حبِّهم بمعزلٍ، وفتنتهم أشد الفتن الباقية في الإسلام.

ومنهم الخوارجُ الغالون في كتاب اللَّه، النَّافون للحديث والاحتجاج به، ومنهم المعتزلة، والجهميَّة، والقدريَّة، والمرجئة، والجبريَّة، ومن في معناهم من شُعَبِهم، ومن غيرهم.

وأمَّا المبطلون فهم فلاسفة الإسلام، وحكماء هذه الملَّة، الذين انتحلوا أديان أهل اليونان، ومسائِلَهم، ومقالاتِهم في كتبهم القديمة والجديدة، وتكلموا على بنائها في الأحكام الشرعيَّة، وأسسوا قواعد عقليَّة، وافتخروا بهذا الانتحال، وباهوا بذلك القيل والقال، وهم -في الحقيقة- أعداء الإسلام، ومُبطِلُو دين خير الأنام، وعلمهم هذا انتحالٌ لدين اليونان، وإبطال للملَّة المحمديَّة.

وأمَّا الجاهلون، فمنهم مقلدة المذاهب، جهلوا كتاب اللَّه وسنَّة رسوله ﷺ، واتخذوا مقالات الأئمَّة الكرام ديانة لهم، ومنهاجًا ينهجون إليه، وَشِرْعَةً يسلكونها.

فإذا وقفوا على آية محكمة، أو سنَّة قائمة، أو فريضة عادلة تُخالِفُ مذهبهم؛ صاروا يؤَوِّلونها على غير تأْويلها، ويصرفونها عن ظاهرها إلى ما تقرَّر عندهم من المذاهب والمشارب، وطفقوا يطعنون على من عمل بفحواها الظاهر، ومبناها الباهر، كأنَّ الدِّين -عندهم- هو ما جاء عن آبائهم وأسلافهم، دون ما جاء عن اللَّه في كتابه، أو عن رسول اللَّه ﷺ في سنَّته، مع أنَّ كتاب اللَّه العزيز سابقٌ على وجود إمامهم ومقالاته، وسنَّة رسوله ﷺ المطهَّرة، سابقة على المجتهدات والآراء المحدثات.

وهذا واضح بحمد اللَّه -تعالى-، لا يَشُكُّ فيه إلا جاحدٌ، يرى الشمس مظلمة، والليلة نيِّرة». اهـ

وقال العلَّامة الإمام المجدِّد محمد ناصر الدين الألباني -رحمه اللَّه تعالى-: «لا بُدَّ أن نبدأ بالتصفية والتربية، وأيُّ حركة لا تقوم على هذا الأساس لا فائدة منها إطلاقًا»[١].

(١) «حياة الألباني» لمحمد إبراهيم الشيباني (١/ ٣٨٨).

وقال في «السلسلة الضعيفة» (٢/المقدمة) مشيرًا إلى مشاركته في التصفية والتربية ومراده منهما: «هذا وإني لأرجو بواسطة هذه السلسلة وأُختها الأخرى «الأحاديث الصحيحة» أن أكون من المشاركين في القيام بواجب (التصفية والتربية) التي كنت تحدثت عنها في محاضرة[1] كنت ألقيتها في «المعهد الشرعي» في (عمان) سنة (١٣٩٣)هـ، كان موضوعها «التصفية والتربية»، ذهبتُ فيها إلى أَنَّه لا بدَّ اليوم من أجل استئناف الحياة الإسلاميَّة من القيام بهذين الواجبين «التصفية والتربية»، وأردتُ منها أمورًا:

(الأول): تصفيةُ العقيدة الإسلاميَّة مما هو غريب عنها: كالشرك، وجحد الصِّفات الإلهيَّة وتأويلها، وَرَدِّ الأحاديث الصحيحة؛ لتعلُّقها بالعقيدة ونحوها.

(الثاني): تصفية الفقه الإسلامي من الاجتهادات الخاطئة المخالفة للكتاب والسنَّة، وضربت على ذلك بعض الأمثلة[2].

(الثالث): تصفية كتب التفسير، والفقه، والرقائق وغيرها من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، والإسرائيليات المنكَرة، وهذا ما أقوم به في هذه السلسلة ونحوها، مثل: «ضعيف أبي داود» و«ضعيف الجامع الصغير» و«ضعيف الترغيب والترهيب»».

وبالتَّصفية يحصل التَّجديد.

* * *

---

(١) بعنوان: «التصفية والتربية وحاجة المسلمين إليها».

(٢) وانظر كتاب «التصفية والتربية» لشيخنا علي الحلبي -حفظه اللَّه-.

الحديث التَّاسع والعشرون

التَّجْدِيدُ

عن أبي هريرة ﷺ عن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إنَّ اللَّه يبعثُ لهذه الأمَّة على رأس كل مئة سنة من يُجدِّد لها دينها**»(١).

يخبرنا النَّبيُّ ﷺ في هذا الحديث أنَّ اللَّه لا يزالُ يحفظ دينَه، ويرعى أمَّة الإسلام إلى قيام السَّاعة، ومن ذلك أنَّه يبعث لها على رأس كل مئة سنة من يجدِّد لها دينها عندما يتعرض للدُّروس والغربة؛ حتى يظهر للناس واضحًا جليًّا، وتقوم به الحجة على النَّاس.

قال المناوي في «فيض القدير»: (٢/ ٣٥٧) في شرح هذا الحديث: «أي يُقيِّض لها، «**على رأس كل مئة سنة**» من الهجرة، أو غيرها، والمراد: الرأس تقريبًا، «**مَنْ**» أي: عالمًا، أو أكثر، أو طائفة من العلماء «**يجدد لها دينها**» [جدَّده: صيَّره جديدًا فتجدَّد] أي: يبيِّن السُّنَّة من البدعة ويُكثر العلم، وينصر أهله، ويكسر أهل البدعة ويذلهم، قالوا: ولا يكون إلا عالمًا بالعلوم الدينيَّة الظاهرة والباطنة، قال ابن كثير: قد ادَّعى كل قوم في إمامهم أنه المراد بهذا الحديث، والظاهر أنه يعمُّ جملةً من العلماء من كل طائفة، وكل صنف من مفسِّر، ومحدِّث، وفقيه، ونحوي ولغوي وغيرهم». اهـ

إذًا فالتجديد ليس اختراع أشياء جديدة في الدين، ولا تغييره، أو تبديله بما

---

(١) صحيح، أخرجه أبو داود (٤٢٩١)، والحاكم (٤/ ٥٢٢)، والبيهقي في «معرفة السنن والآثار» (ص٥٢)، والطبراني في «الأوسط» (٦٥٢٧)، ونقل السيوطي في «التنبئة فيما يبعثه اللَّه على رأس كل مئة» (ص١٩) اتِّفاقَ العلماء على تصحيحه فقال: «اتَّفق الحفاظ على أنه حديث صحيح»، وصحَّحه الإمام الألباني في «الصحيحة» (٥٩٩).

يُوافق الزمان، أو المكان أو الأهواء، إنَّما هو تنقيتُهُ من الأوساخ التي علِقَت به فشوهت صورتهُ النقيَّة الصافية المتلأْلِئة.

قال وحيد خان في «تجديد علوم الدين» (ص٩): «إنَّ تجديد الدين لا يعني: اختراع إضافة لدين اللَّه؛ وإنَّما يعني: تطهير الدين الإلهي من الغبار الذي يتراكم عليه، وتقديمه في صورته الأصلية النقية الناصعة».

أي: تصفيته مما دخل به مما ليس منه.

وقال العلقمي: «معنى التجديد: إحياء ما اندرسَ من العمل بالكتاب والسنَّة والأمر بمقتضاها»(١).

أي: تربية المسلمين على العمل بالكتاب والسنَّة؛ وحثهم على ذلك.

فالتجديد إذًا تصفيةٌ وتربيةٌ.

ولا يكون المجدِّدون إلا من أهل السُّنَّة والجماعة، الذين يُحيون ما كان عليه السَّلف من السُّنن، ويميتون البدع.

أمَّا أهل البدع الذين يزعمون، أو يَزْعُم فيهم أتباعهم أَنَّهم دعاة تجديد، فهم في الحقيقة دعاة تبديد؛ يبدِّدون الحق، ويُنَدِّدُون بأهله.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «فقد أخبر الصَّادق المصدوق أنَّه لا تزال طائفة ممتنعة من أمته على الحق، أعزاء لا يضرهم المخالف، ولا خلاف الخاذل، فأمَّا بقاء الإسلام غريبًا ذليلًا في الأرض؛ كلِّها قبل الساعة فلا يكون.

وقوله ﷺ: **«ثمَّ يعود غريبًا كما بدأ»**، أعظم ما تكون غربته؛ إذا ارتدَّ الداخلون فيه عنه، وقد قال -تعالى-: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]، فهؤلاء يُقيمونه إذا ارتدَّ عنه أولئك.

(١) «عون المعبود شرح سنن أبي داود» لشمس الحق العظيم آبادي (١١/ ٣٨٦).

وكذلك بدأ غريبًا، ولم يزل يقوى حتى انتشر، فهكذا يتغرَّب في كثير من الأمكنة والأزمنة، ثم يظهر حتى يُقيمه اللَّه ﷻ كما كان عمر بن عبدالعزيز لما وَلِيَ، قد تغرَّب من الإسلام على كثير من النَّاس؛ حتى كان منهم من لا يعرف تحريم الخمر، فأظهر اللَّه به في الإسلام ما كان غريبًا.

وفي «السنن»: «**إنَّ اللَّه يبعثُ لهذه الأمَّة في رأس كل مئة سنة من يجدِّدُ لها دينَها**»(١).

والتجديدُ إنَّما يكون بعد الدُّروس، وذاك هو غربة الإسلام، وهذا الحديث يفيد المسلم أنه لا يَغتَمَّ بقلَّة من يعرف حقيقة الإسلام، ولا يضيقَ صدره بذلك، ولا يكونَ في شكٍّ من دين الإسلام، كما كان الأمر حين بدأ، قال -تعالى-: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤]، إلى غير ذلك من الآيات والبراهين الدالَّة على صحَّة الإسلام»(٢).

ويكون التجديد على حين فَتْرة من العلماء، فعندما يذهب العلماء؛ تَحدث البدع والخرافات، ويُرفع العلم، ويفشو الجهل، وتشتد غربةُ الإسلام، فحينئذٍ تشتدُّ الحاجةُ إليه، فيبعث اللَّه العلماءَ لهذه الأمَّة ليُجدِّدوا لها دينها.

ولَعَلَّ من أهم هؤلاء المجدِّدين في حياة أمةِ الإسلام، وأكثرهم انتشارًا، وأعمقهم أثرًا، وأكثرهم نفعًا: الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز في القرن الأول، وإمام أهل السُّنَّة والجماعة أحمد بن حنبل في القرن الثالث، وشيخ الإسلام ابن تيمية في آخر القرن السابع وأول الثامن، وشيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب في القرن الثاني عشر، وشيخ الإسلام محمد ناصر الدين الألباني في آخر القرن الثالث عشر وأول القرن الرابع عشر؛ لِمَا قاموا به من جهود مبرورة وعظيمة جدًّا في نُصرةِ العقيدةِ، ورفعِ لواءِ السنَّةِ -فرحمهم اللَّه أجمعين-.

---

(١) مضى تخريجه (٢٠٨).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٨/ ٢٩٦-٢٩٨).

فـ«الحمد للَّه الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم، يَدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يُحيون بكتاب اللَّه ﷻ الموتى، ويُبَصِّرُون بنور اللَّه أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أَحْيَوْه! وكم من ضالٍّ تائه قد هَدَوْه! فما أحسن أثرهم على النَّاس! وما أقبح أثر النَّاس عليهم! ينفون عن كتاب اللَّه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عنان الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مُخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على اللَّه، وفي اللَّه، وفي كتاب اللَّه بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال النَّاس بما يُشَبِّهون عليهم، فنعوذ باللَّه من فتن المضلِّين»(١).

فبالتجديد يُعرف الحقُّ من الباطل، والسنَّة من البدعة، ويُعرف منهاج النبوة، ومنهاج السلف الصالح في الدعوة إلى اللَّه، وتُعرف الأولويَّات.

* * *

(١) هذه خطبة الإمام أحمد في كتاب «الرد على الجهميَّة» (المقدمة).

الحديث الثَّلاثون

الأولويَّات

التَّوحيد أوَّلًا

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لمَّا بعث النَّبي ﷺ معاذًا إلى نحو أهل اليمن، قال له: **«إنَّك تقدِمُ على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحِّدوا اللَّه -تعالى-، فإذا عرفوا ذلك، فأخبرهم أنَّ اللَّه فَرَضَ عليهم خمسَ صلواتٍ في يومهم وليلتهم، فإذا صلّوا، فأخبرهم أنَّ اللَّه افترض عليهم زكاة أموالهم، تُؤْخَذُ مِن غنيِّهم فتردُّ على فقيرهم، فإذا أقرُّوا بذلك فخذ منهم، وَتَوَقَّ كرائم أموال النَّاس»**[1].

يقول ابن عباس رضي الله عنه: لما بعث النبي ﷺ معاذَ بنَ جبل إلى أهل اليمن؛ ليدعوهم إلى عقيدة الإسلام، والعمل بشرعه، أخذ يعلِّمه منهاجه، ومنهاج الأنبياء جميعًا، في أولويَّات الدعوة الإسلامية، ووجوب البدء بالأهم فالأهم، فأخبره ابتداءً فقال له: **«إنَّكَ تَقْدِمُ على قومٍ من أهل الكتاب»**، وأهل الكتاب هم اليهود والنصارى، سُمُّوا بذلك؛ لأنَّهم أصحاب الكتب التوراة والإنجيل، والمراد هنا هم النصارى، وهذا يستلزم من الداعي إلى اللَّه، أن يَعرِف من يدعو، وما هم عليه، وما يحتاج إليه من علم في دعوته إياهم؛ حتى يسلك الطريق الصحيح في دعوته إيَّاهم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٩٥) و (١٤٩٦)، ومسلم (١٩)، وأبو داود (١٥٨٤)، والترمذي (٦٢٥)، والنسائي (٢٤٣٥)، وابن ماجه (١٧٨٣).

وأخبره أنَّ أولى أولويَّات الدعوة الإسلاميَّة أن يبدأ بدعوتهم إلى توحيد اللَّه ﷻ، فقال له: «**فليكن أوَّلَ ما تدعوهم إلى أن يوحدوا اللَّه -تعالى-**»، وفي رواية مسلم: «**إلى شهادة أن لا إله إلا اللَّه وأني رسول اللَّه**»، أي: لا معبود بحق إلا اللَّه، وهذا الشق الأول من التوحيد، والشق الثاني: «**وأنِّي رسول اللَّه**» أي: لا متبوع بحق إلا رسول اللَّه ﷺ؛ وذلك لأَنَّه لا يدخل أحد في دين الإسلام إلا بالتوحيد، ولا يدخل أحد الجنَّة إلا بالتوحيد، ولا يُقْبَلُ من أحدٍ عملٌ إلا بعد التوحيد، «**فإذا عرفوا ذلك**» أي: إذا قَبِلوا، وأذعنوا، وأطاعوا ذلك، «**فأخبرهم أن اللَّه فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم؛ فإذا صلوا، فأخبرهم أن اللَّه افترض عليهم زكاة أموالهم، تُؤخذ من غنيِّهِم، فَتُرَدُّ على فقيرهم؛ فإذا أقرُّوا بذلك فخذ منهم**»، أي: زكاة أموالهم، «**وتَوَق كَرائمَ أموال النَّاس**» أي: لا تأخذْ أحسنَ وأفضلَ أموالِهم وأنعامِهم، بل خذ أوسطها، وفي رواية مسلم: «**واتَّقِ دعوةَ المظلوم؛ فإنَّه ليس بينها وبين اللَّه حجاب**».

أي: لاتظلمِ النَّاس، ومن الظلم أنْ تأخذَ أحبَّ أموالهم إليهم، أو تأخذَ أكثر من المفروض عليهم، فَيدعُوا اللَّه عليك، فإنَّ دعوة المظلومِ مسموعةٌ ومجابةٌ ولاتردُّ.

ولَمَّا كان الإسلام فيه الأهم والمهم وما دونه؛ كان لا بد في الدعوة إليه من «البداءة بالأهم فالأهم؛ بأن يدعو أولًا إلى إصلاح العقيدة، بالأمْرِ بإخلاص العبادة للَّه، والنَّهي عن الشرك.

ثم الأمْرِ بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وفعل الواجبات، وترك المحرمات، كما هي طريقة الرسل جميعًا، كما قال -تعالى-: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، وقال -تعالى-: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ . . . وغير ذلك من الآيات».

وفي طريقته وسيرته ﷺ في الدعوة خيرُ قدوة، وأكمل منهج، حيثُ مكث ﷺ

سنوات يدعو النَّاس إلى التوحيد، وينهاهم عن الشرك، قبل أن يأمرهم بالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، وقبل أن ينهاهم عن الربا، والزنا، والسرقة، وقتل النفوس بغير حق»(١).

«هكذا كانت سنَّة النبي ﷺ عملًا وتعليمًا.

أمَّا فعلُه: فلا يحتاج إلى بحث؛ لأنَّ النبي ﷺ في العهد المكِّي إنَّما كان فعله ودعوته محصورة في الغالب في دعوة قومه إلى عبادة اللَّه لا شريك له.

أمَّا تعليمًا: ففي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه الوارد في «الصحيحين»: أنَّ النَّبيَّ ﷺ عندما أرسل معاذًا إلى اليمن قال له: «**ليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا اللَّه، فإنْ هم أطاعوك لذلك** . . .» إلخ الحديث، وهذا معلوم ومشهور إن شاء اللَّه -تعالى-.

إذًا؛ قد أمر النبي ﷺ أصحابه أن يبدؤوا بما بدأ به: وهو الدعوة إلى التوحيد»(٢)(٣).

و«لا أعني الكلام في بيان الأهم، فالمهم وما دونه على أن يقتصر الدعاة فقط على الدعوة إلى هذه الكلمة الطيبة وفهم معناها، بعد أن أتمَّ اللَّه عز وجل علينا النعمة بإكماله لدينه! بل لا بدَّ لهؤلاء الدعاة أن يحملوا الإسلام كلًّا لا يتجزَّأ، وأنا حين أقول هذا بعد ذلك البيان الذي خلاصته:

أن يهتمَّ الدعاةُ الإسلاميُّون حقًّا بأهمِّ ما جاء به الإسلام، وهو تفهيم المسلمين العقيدة الصحيحة النابعة من الكلمة الطيبة (لا إله إلا اللَّه)»(٤).

---

(١) مقدمة الشيخ صالح الفوزان لـ«منهج الأنبياء» (ص٩) بتصرف يسير.

(٢) «التوحيد أولًا يا دعاة الإسلام» للعلامة الإمام الألباني رحمه الله (ص١٠-١١) أصله شريط مفرَّغ في كُتَيِّب.

(٣) لا كـ(حسن البنا) -مؤسس جماعة الإخوان المسلمين-، الذي خالف هذا الأصل الأصيل، والمنهج النبوي الحكيم، -وهو جَعْلُ أَمْرِ الدعوة إلى التوحيد على رأس الأولويَّات-، وفي مقدِّمة المهمَّات، فقد زعم أنَّ التوحيد يفرِّق الأمَّة!

(٤) «التوحيد أولًا يا دعاة الإسلام» للعلامة الألباني (١٨-١٩).

ولمَّا يُصفَّى الإسلام ويُجدَّد، ويُعرف منهاج الأنبياء والسلف الصالح في الدعوة إلى اللَّه، وتُعرف الأولويات، يأتي دور تربية المسلمين على هذا الدين المصفَّى.

* * *

الحديث الحادي والثلاثون

التَّربية

عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النَّبي ﷺ قال: «**إنَّ الإسلامَ بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء**»، قيل: من هم يا رسول الله؟ قال: «**الذين يُصلحون إذا فسد النَّاس**»[١].

وفي رواية عن عمرو بن العاص رضي الله عنه: «**أُناس صالحون في أُناس سُوءٍ كثير، من يَعصيهم أكثر ممَّن يُطيعهم**»[٢].

يخبرنا النَّبيُّ ﷺ في هذا الحديث؛ أنَّ الإسلامَ بدأ غريبًا، فقال: «**إنَّ الإسلام بدأ غريبًا**»؛ وذلك عندما بدأ النبيُّ ﷺ يدعو إلى الإسلام في مكة، ثمَّ اتَّبعه على ذلك بعضُ الأفراد، فكانوا غرباء في عقائدهم، وأخلاقهم، وسلوكهم، وتصوراتهم، في مجتمع جاهليٍّ مليءٍ بالضلال والانحراف في العقائد، والأخلاق، والسلوك، والتَّصوُّر.

وقال: «**وسيعود غريبًا كما بدأ**»، أي: إنَّ الإسلام سيعودُ غريبًا في آخر الزمان، كما بدأ غريبًا في زمن النبي ﷺ، وغربة الإسلام الثانية، لا تكون بذهاب المسلمين أو قِلَّتِهِم؛ ولكن بذهاب أهل السُّنَّة وقِلَّتِهِم؛ حتى يُصبح حَمَلَةُ الإسلامِ الصحيح الذي عرفه الصحابة وطبقوه؛ غرباءَ بين أُناس سُوءٍ كثيرٍ، كَثُرَ فيهم الأهواء والبدع واتباع الشهوات؛ فَأضَلَّتهم وأفسدت عليهم دينَهم؛ وقوله:

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٥ و ١٤٦)، والترمذي (٢٦٢٩)، وأحمد (١٦٦٩٠)، وأبو عمرو الداني في «الفتن» (٢٢٨)، والآجري في «الغرباء» (١)، وهو مخرَّج في «الصحيحة» (١٢٧٣).

(٢) حسن، أخرجه أحمد (٦٦٥٠)، والآجري في «صفة الغرباء من المؤمنين» (٦ و ٥٢)، والطبراني في «الأوسط» (٨٩٨٦)، وجوَّد إسناده الإمام الألباني في «الصحيحة» (١٦١٩).

«**فطوبى للغرباء**»؛ «طوبى: اسمُ الجنَّة، وقيل: هي شجرةٌ فيها، وأصلُها: فُعْلى، من الطيِّب»(١)، والغرباء هم الذين يتمسَّكون بالإسلام الصحيح في زمن الغربة، وإنَّما اختصَّ الغرباء بِطُوبى؛ لعظيم صبرهم خاصَّةً في آخر الزمان؛ لأنَّ من يتمسَّك بالإسلام الصحيح في زمن غربة الإسلام في آخر الزمان؛ كَأَنَّه يقبض على الجمر من شدَّة الفتن، فعن أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**إنَّ من ورائكم أيام الصبر، الصَّبرُ فيهنَّ مثلُ قبضٍ على الجمر، للعامل فيهنَّ مثلُ أجرِ خمسين رجلًا يعملون مثلَ عمله**»، قالوا: يا رسول اللَّه، أجرُ خمسين منهم؟! قال: «**أجرُ خمسين منكم**»(٢).

فَسُئِلَ رسول اللَّه ﷺ: من هم؟ فقال: «**هم الذين يَصلحون**» في ذواتهم، فهم «**أناس صالحون**» و «**يُصلحون**» غيرَهم «**إذا فسد النَّاس**»، بحيث يكونون «**أُناس صالحون في أُناس سوء كثير**»، أي: يَفْسُدُ أكثر النَّاس، و «**من يعصيهم أكثر ممن يُطيعهم**».

قوله ﷺ: «**من يعصيهم**» فيه أنَّهم يدعون إلى الخير، ويأمرون بالمعروف، وينهَوْنَ عن المنكر، ويربُّونَ أنفسَهم وغيرَهم على الدين الصحيح، وقوله: «**أكثر ممن يُطيعهم**» أي: إنَّ الأغلبَ والأكثرَ فاسدون، والغُرباء الصالحون قلَّة، وفيه أنَّ الحق لا يُعْرف بالكثرة؛ حتى إنَّ مِنَ النبيِّين من يأتي وحدهُ يومَ القيامة ولم يتبعه أحد، قال النبي ﷺ: «**عُرِضَتْ عليَّ الأمم؛ فَرَأيتُ النبيَّ ومعه الرُّهَيْطُ، والنبيَّ ومعه الرجل والرجلان، والنبيَّ ليس معه أحد . . .**» (٣).

قال الآجري رحمه الله في «صفة الغرباء من المؤمنين» (ص٢٧): «وقوله ﷺ: «**سيعودُ غريبًا**» معناه -واللَّهُ أعلم- أنَّ الأهواءَ المضلَّة تكثر؛ فَيَضِل بها كثير من

---

(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢/ ١٢٥).

(٢) سيأتي تخريجه في الحديث الثاني والثلاثين (ص٢٢٢).

(٣) رواه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).

النَّاس، ويبقى أهلُ الحقِّ الذين هم على شريعةِ الإسلام غرباء في النَّاس، ألم تسمع قول النبي ﷺ: «**تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلُّها في النار إلا واحدة**»، فقيل: من هي النَّاجية؟ قال: «**ما أنا عليه اليومَ وأصحابي**» ». اهـ

وقال الحافظُ ابنُ رجب الحنبلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة» (ص٢٣-٢٩): «وأمَّا فتنة الشبهات والأهواء المضلَّة فبسببها تفرَّقَ أهلُ القبلةِ وصاروا شيعًا، وكفَّر بعضُهم بعضًا، وأصبحوا أعداءً، وفرقًا، وأحزابًا، بعد أن كانوا إخوانًا، قلوبهم على قلب رجل واحدٍ، فلم ينجُ من هذه الفرق إلا الفرقة الواحدة الناجية، وهم المذكورون في قوله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أُمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم ولا مَنْ خالفهم؛ حتى يأتي أمرُ اللَّه وهم على ذلك**»[١].

وهم في آخر الزمان؛ الغرباء المذكورون في هذه الأحاديث: الذين يُصلحون إذا فسد النَّاس، وهم الذين يُصلحون ما أفسد النَّاس من السنَّة، وهم الذين يفرون بدينهم من الفتن، وهم النزَّاع من القبائل؛ لأنَّهم قلُّوا، فلا يوجد في كل قبيلة منهم إلا الواحد والاثنان، وقد لا يوجد في بعض القبائل منهم أحد، كما كان الداخلون إلى الإسلام في أول الأمر كذلك، وبهذا فسَّر الأئمة هذا الحديث.

قال الأوزاعي في قوله ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعودُ غريبًا كما بدأ**»: «أما إنه ما يذهب الإسلام؛ ولكن يذهب أهلُ السنَّة؛ حتى ما يبقى في البلد منهم إلا رجلٌ واحدٌ، ولهذا المعنى يوجد في كلام السلف كثيرًا مدحُ السنَّة، ووصفها بالغربة، ووصف أهلها بالقلَّة، فكانَ الحَسنُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول لأصحابه: «يا أهلَ السنَّةِ! ترفقوا -رحمكم اللَّه- فإنَّكم من أقل النَّاس»[٢].

وقال يونس بن عبيد: «ليس شيءٌ أغرب من السنَّة، وأغربُ منها مَنْ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٩٢٠).

(٢) أخرجه اللالكائي في «السنَّة» (١٩).

يَعْرِفها»[١].

ورويَ عنه أنه قال: «أصبح من إذا عرفَ السنَّة فعرفها غريبًا، وأغرب منه من يعرفها»[٢].

وعن سفيان الثوري قال: «استوصوا بأهل السنَّة، فإنهم غرباء»[٣]، ومراد هؤلاء الأئمة بالسنَّة: طريقة النبي ﷺ التي كان عليها هو وأصحابه، السالمة من الشبهات والشهوات.

ولهذا كان الفضيل بن عياض يقول: «أهلُ السنَّةِ من عرف ما يدخل في بطنه من حلال»؛ وذلك لأنَّ أكل الحلال من أعظم خصائل السنَّة التي كان عليها النبيُّ ﷺ وأصحابُه ﷺ.

ثم صار في عُرف كثير من العلماء المتأخرين من أهل الحديث وغيرهم، السنَّة عبارة عمَّا سَلِم من الشبهات في الاعتقادات، خاصة في مسائل الإيمان باللَّه، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وكذلك في مسائل القدر، وفضائل الصحابة، وصَنَّفوا في هذا العلم باسم السنَّة؛ لأنَّ خَطَرَهُ عظيمٌ، والمخالف فيه على شفا هلكة.

وأمَّا السنَّة الكاملة؛ فهي الطريق السالمة من الشبهات والشهوات، كما قال الحسن، ويونس بن عبيد، وسفيان، والفضيل، وغيرهم؛ ولهذا وُصِفَ أهلها بالغربة في آخر الزمان لقلتهم وغربتهم فيه». اهـ

فالمسلم السُّنِّي السَّلَفي بين أهل البدع والأهواء والعوام: «غريب في دينه؛ لفساد أديانهم.

غريب في تمسكه بالسنَّة؛ لتمسكهم بالبدع.

---

(١) أخرجه اللالكائي في «السنَّة» (٢٣).
(٢) أخرجه أبو نعيم (٣/ ٢١).
(٣) أخرجه اللالكائي (٤٩).

غريب في اعتقاده؛ لفساد عقائدهم.

غريب في صلاته؛ لسوء صلاتهم.

غريب في طريقه؛ لضلال وفساد طرقهم.

غريب في نسبته؛ لمخالفة نِسَبهم.

غريب في معاشرته لهم؛ لأنَّه يعاشرهم على ما لا تهوى أنفسهم.

وبالجملة فهو غريبٌ في أمور دنياه، وآخرته، لا يجد من العامة مساعدًا ولا معينًا؛ فهو عالمٌ بين جُهَّال، صاحبُ سنَّة بين أهل بدع، داعٍ إلى اللَّهِ ورسولِهِ بين دعاة إلى الأهواء والبدع، آمرٌ بالمعروف، ناهٍ عن المنكر بين قومٍ المعروف لديهم منكر، والمنكر معروف»[1].

إنَّ الغرباءَ أناسٌ صالحون في أنفسهم، مصلحون مُربُّون لغيرهم، يُصلحون الدين بتصفيته وتجديده، من تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ثم يُصلحون النَّاس بتربيتهم على الدين المصَفَّى.

وقد أوردت في هذا الكتاب (ص٢٠٧) كلام الإمام العلامة الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ عن التصفية، ومراده منها، والآن أُورد باقي كلامه عن التربية ومراده منها[2]:

قال: «وأمَّا الواجب الآخر، فأريد به تربية الجيل الناشئ على هذا الإسلام المصفَّى من كلِّ ما ذكرنا، تربيةً إسلاميَّة صحيحة منذ نعومة أظفاره، دون أي تأثير بالتربية الغربية الكافرة.

ومما لا ريب فيه، أنَّ تحقُّقَ هذين الواجبين يتطلَّب جهودًا جبارة متعاونة من الجماعات الإسلاميَّة المخلصة، التي يهمها حقًّا إقامة المجتمع الإسلامي المنشود، كلٌّ في مجاله واختصاصه.

---

(١) «مدارج السالكين» (٤/ ٢٨) للإمام ابن القيم.

(٢) «الضعيفة» (٢/ المقدمة).

وأمَّا بقاؤنا راضين عن أوضاعنا، متفاخرين بكثرة عددنا، متواكلين على فضل ربنا، أو خروج المهدي، ونزول عيسى، صائحين بأنَّ الإسلام دستورُنا، جازمين بأنَّا سنقيم دولتنا، فذلك محالٌ، بل وضلال؛ لمخالفته لسنَّة اللَّه الكونيَّة والشرعيَّة -معًا-، قال -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وقال ﷺ: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذنابَ البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سلَّط اللَّه عليكم ذلًّا، لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم**»[١].

من أجل ذلك قال أحد[٢] الدعاة الإسلاميين اليوم: «أقيموا دولة الإسلام في قلوبكم تَقُمْ لكم في أرضكم»، وهذا الكلامُ جميلٌ جدًّا، ولكن أجمل منه العمل به: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]». اهـ

«فالاشتغال الآن بالعمل السياسي مشغلة! مع أننا لا ننكره، إلا أننا نؤمن بالتسلسل الشرعي المنطقي في آنٍ واحد، نبدأ بالعقيدة، ونثنِّي بالعبادة، ثم بالسلوك تصحيحًا وتربية، ثمَّ لا بدَّ أن يأتيَ يومٌ ندخل فيه مرحلة السياسة بمفهومها الشرعي؛ لأنَّ السياسة معناها: إدارةُ شؤونِ الأُمَّةِ . . »[٣].

* * *

(١) سبق تخريجه (ص: ١٩٥).

(٢) هو حسن الهضيبي المرشد العام الثاني لجماعة الإخوان المسلمين، وهذه الكلمة حُجَّة عليه وعلى أصحابه الذين لا يعملون بها!

(٣) «التوحيد أولًا يا دعاة الإسلام» (ص٢٨) للإمام الألباني.

الحديث الثَّاني والثَّلاثون

للعامل والمتمسِّك بمنهاج السَّلف الصَّالح -تصفيةً وتربيةً- (في أيام الصَّبرِ) أجرُ خمسين

عن أَبي أُميَّة الشعباني، قال: سألتُ أبا ثعلبة الخُشْنِيَّ، فقلت: يا أبا ثعلبة! كيف تقول في هذه الآية: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾؟ [المائدة: ١٠٥].

قال: أما والله لقد سألت عنها خبيرًا، سألتُ عنها رسول الله ﷺ فقال: «**بل ائتَمِرُوا بالمعروف، وتناهَوْا عن المنكر، حتى إذا رأيتم شُحًّا مُطاعًا، وهوًى متبعًا، ودنيا مؤثرة، وإعجاب كل ذي رأي برأيه؛ فعليك -يعني بنفسك-، ودع عنك العوام؛ فإنَّ من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهنَّ مثل قبضٍ على الجمر، للعامل فيهنَّ، مثل أجر خمسين رجلًا، يعملون مثلَ عمله**».

وزادني[١] غيره[٢]، قال: يا رسول الله! أجرُ خمسين منهم؟ قال: «**أجر خمسين منكم**»[٣].

وفي رواية عن عتبة بن غزوان رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ من ورائكم أيام الصبر، للمتمسك فيهنَّ يومئذٍ بما أنتم عليه، أجر خمسين منكم**»، قالوا: يا نبي الله! منَّا، أو منهم؟ قال: «**بل منكم**»[٤].

قول أبي أُميَّةَ الشعباني: سألتُ أبا ثعلبة الخشني، فقلت: يا أبا ثعلبة! كيف

---

(١) القائل: عبدالله بن المبارك؛ كما جاء عند الترمذي (٣٠٥٨).

(٢) غيره: غير عتبة، كما جاء عند الترمذي (٣٠٥٨).

(٣) حسن، أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨)، وحسنه، وابن ماجه (٤٠١٤)، والحاكم (٤/ ٤٢٢)، وصحَّحه ووافقه الذهبي.

(٤) صحيح، أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨)، وابن ماجه (٤٠١٤)، وابن نصر المَرْوَزي في «السنَّة» (ص٩)، والطبراني في «الكبير» (٢٨٩)، وصحَّحه الإمام الألباني في «الصحيحة» (٤٩٤).

تقول في هذه الآية: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾؟ أي: ما معناها؟ فأخبره أنه سأل عنها خبيرًا بمعناها؛ وذلك لأنَّه سأل عنها رسول اللَّه ﷺ، فقال له النبيُّ ﷺ: «**بل ائتمروا بالمعروف وتناهَوْا عن المنكر**»، أي: بل اؤمروا بالمعروف، والمعروف: هو كل ما عرَّفهُ الشارعُ وحَكَمَ بِحُسْنِهِ-، وانْهَوْا عن المنكر والمنكر هو: كل ما أنكره الشرع ومنعه من أنواع الكفر والفسوق والعصيان، وقوله ﷺ: «**حتى إذا رأيتم شُحًّا مطاعًا**» الشُحُّ: هو البخل والحرص، وهو أشد أنواع البخل وأضرُّها، وشحًا مطاعًا؛ أي: أطاعته نَفْسُك، وأَطاعَهُ غيرُك، فأصبح النَّاس لا يُؤدُّون الحقوق المالية والشرعيَّة.

قوله: «**وهوى متبعًا**»، أي: يتبعون أهواءهم، ولا يستجيبون للَّه ورسوله إذا دعاهم لما يُحييهم، وقوله: «**ودنيا مؤثرة**»، أي: يُقدمون ويختارون أمور الدنيا من مال، وعَرَض، وجاه، ومنصب على أمور الدين والآخرة، وقوله: «**وإعجاب كل ذي رأي برأيه**»، أي: يرى كلامَهُ ومذهبَهُ ومعتقدَهُ ورأيهُ المبتدَع حسنًا، وهو قبيح في نفس الأمر؛ بحيث يصير معجبًا به، فلا يرجع إلى الكتاب والسنَّة، وإجماع سلف الأمَّة، ولا يقتدي بطريقة الصحابة والتابعين وأتباعهم، ومن سار على نهجهم من الأئمَّة والعلماء، فإذا رأيت ذلك، «**فعليك -يعني بنفسك-**» أي: بإصلاحها وحفظها.

وقوله ﷺ: «**ودع عنك العوام**» أي: اترك أمر عامَّة النَّاس الخارجين عن منهاج الحق، منهاج الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، فإنَّ مَنْ هذه صفاتهم لا ينفع فيهم أمر بمعروف ولا نهي عن منكر؛ هذا بالإضافة إلى أنَّ أمرهم سَيَؤُول إلى الرُّوَيْبِضات.

وقوله ﷺ: «**فإنَّ من ورائكم أيام الصبر**» أي: إنَّ بعدكم أيامًا يعظم فيهن الصبر لكثرة الفتن، ويتضاعف أجره لمشقته، وليس لكم طريقٌ غيره.

وقوله: «**الصبر فيهن مثل قبض على الجمر**»، أي: إنَّ الصبر في هذه الأيام

يكون شاقًّا جدًّا، كمشقة الصبر على قبض الجمر الحار الملتهب باليد.

وقوله ﷺ: **«للعامل فيهنَّ مثل أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عمله»** أي: للعامل للإسلام في أيام الصبر؛ أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عمله في غير ذلك الزمان.

قوله -تعالى-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: ١٠٥] لا يدل على سقوط وجوب الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، فعن أبي عامر الأشعري، قال: كان رجل قَتَلَ منهم بأَوْطاس، فقال له النبي ﷺ: **«يا أبا عامر ألا غَيَّرْت[1]؟»** فتلا هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: ١٠٥]، فغضب رسول اللَّه ﷺ وقال: **«أين ذَهَبْتُم؟! إنَّما هي يا أيُّها الذين آمنوا لا يَضُرُّكم مَنْ ضَلَّ -من الكفار- إذا اهْتَدَيتُم»**[2].

وما زال كثير من النَّاس بعد ذلك يستدلُّون بهذه الآية على سقوط الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، ويضعونها في غير موضعها، فتصدَّى لهم بعد النبيِّ ﷺ ورثته من الأئمة والعلماء، وفي مقدمتهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

فلقد بيَّن أبو بكر الصديق رضي الله عنه خَطَأَ المستدلين بهذه الآية على سقوط وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حيثُ قال «**بعد أن حمد اللَّه وأثنى عليه: يا أيها النَّاس! إنَّكم تقرؤون هذه الآية، وتضعونها على غير مواضعها** ﴿عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: ١٠٥]، وإنَّا سمعنا النبيَّ ﷺ يقول: **«إنَّ النَّاس إذا رأَوْا الظالم فلم يأخذوا على يديه؛ أوشَكَ أن يعمَّهُم اللَّه بعقاب منه»**[3].

ولا يقف الأمر على نزول العذاب بهم إذا لم يأخذوا على يد الظالم؛ بل إنَّ اللَّه لا يستجيب دعاءَهم إذا دَعَوْهُ ليَكْشِفَ عنهم ما نزل بهم من عقاب؛ بسبب عدم

(١) ألا غَيَّرت: من التغيير، أي: ألا غيَّرت المنكر، ونهيت عنه، أي: لو أخذت الدية.

(٢) صحيح، أخرجه أحمد (١٧١٦٥)، وصحَّحه الإمام الألباني في «الصحيحة» (٢٥٦٠).

(٣) صحيح، أخرجه الترمذي (٢١٦٨)، وصحَّحه الإمام الألباني في «الصحيحة» (١٥٦٤).

أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، فعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: **«والذي نفسي بيده لتأمرنَّ بالمعروف ولتنهَوُنَّ عن المنكر، أو ليوشِكَنَّ اللَّهُ أن يبعث عليكم عقابًا منه ثمَّ تدعونه؛ فلا يستجيب لكم»**(١).

بل إنَّ وجوبَ الأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر يُؤْخَذُ من الآية نفسِها، فإنَّ اللَّهَ اشترط لعدم حصول الضرر: الاهتداء، ولا يكون المسلم مهتديًا إلا إذا فعل الواجبات، ومنها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا ما بيَّنه الأئمَّة والمفسرون.

قال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه في تفسير هذه الآية: «إذا أمرتم ونهيتم»(٢).

وقال سعيد بن المسيب: «إذا أمرتَ بالمعروف ونهيتَ عن المنكر، لا يضرُّك من ضَلَّ إذا اهتديت»(٣).

وقال الإمام عبداللَّه بن المبارك: «هذه الآية آكَدُ آيةٍ في وجوب الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر؛ لأنَّ معنى ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾: احفظوها والزموا صلاحها، بأن يعظَ بعضكم بعضًا، ويرغِّبه في الخيرات ويُنَزِّهَه عن القبائح والسيئات»(٤).

وقال الإمام النَّووي: «المذهب الصحيح عند المحققين في معنى الآية: إنكم إذا فعلتم ما كُلِّفْتُمْ به؛ فلا يضركم تقصير غيركم؛ مثل قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ١٥]، وإذا كان كذلك؛ فَمِمَّا كُلِّفَ به الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإذا فعله؛ ولم يمتثل المخاطب؛ فلا عتب بعد ذلك على الفاعل؛ لكونه أدى ما عليه؛ فإنما عليه الأمر والنَّهي، لا القَبول، واللَّه أعلم»(٥).

---

(١) حسن، أخرجه الترمذي (٢١٦٩)، وحسَّنه الإمام الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٣١٣).

(٢) «تفسير الطبري» (١١/١٤٨).

(٣) «تفسير الطبري» (١١/١٤٨).

(٤) «غرائب القرآن ورغائب الفرقان» (٧/ ٤٥).

(٥) «شرح النَّووي على صحيح مسلم» (٢/ ٢١٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والاهتداء إنما يتمُّ بأداء الواجب؛ فإذا قامَ المسلمُ بما يجب عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما قام بغيره من الواجبات؛ لم يضرَّه ضلال الضلال»[١].

ومما يؤيِّد هذا التفسير ويزيده وضوحًا قوله -تعالى-: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥]، فظاهر هذه الآية أنَّ المؤمنين يصيبهم الضرر بسبب ظلم وضلال غيرهم، فكيف يكون ذلك واللَّه -تعالى- يقول: ﴿لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾؟

فالجواب: إنَّ الفتنة والعقوبة تصيب الذين آمنوا ولم يظلموا مع الذين ظلموا، إذا لم ينكروا على الظالمين.

قال ابن عباس في تفسير قوله -تعالى-: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥]: «أمر اللَّه المؤمنين أن لا يُقِرُّوا المنكر بين أظهرهم، فَيَعُمَّهُم اللَّه بعقاب»[٢].

وقال الحافظ الكلبي الغرناطي: «أي لا تصيب الظالمين؛ بل تصيب معهم من لم يغير المنكر، ولم يَنْهَ عن الظلم، وإن كانَ لم يظلم»[٣].

إنَّ حديث أبي ثعلبة الخشني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لا يدلُّ على سقوط الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر؛ لأنَّه تحدَّث عن ظروف خاصَّة بزمن خاص.

فلقد «تحدَّث الرسول الكريم ﷺ في هذا الحديث الشريف؛ عن الأحوال الاستثنائيَّة التي يؤجر العامل فيها أجر خمسين رجلًا من الصحابة؛ وذلك لشدتها، ومن المعلوم أنَّ للظروف والأحوال الطارئة أحكامها ورخصها، ولا تثبت بها معارضة ما ثبت لعامة الأحوال والأحكام، وفي هذا الصَّدَدِ يقول الإمام أبو بكر

---

(١) «الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر» (ص١٧).

(٢) «تفسير الطبري» (١٣/ ٤٧٤).

(٣) كتاب «التسهيل» (٢/ ١١٦).

ابن العربي، بعد ذكر حديث أبي ثعلبة رضي الله عنه: «وذلك لعدم الاستطاعة على معارضة الخلق، والخوف على النفس، أو المال من القيام بالحق، وتلك رخصة من اللَّه عز وجل يسَّرها علينا، وفَضْلُهُ العميم أتانا»[١].

وهذه الرخصة التي نجدها في هذا الحديث الشريف لا تدلُّ على سقوط وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بإطلاق، حتى في الظروف الاستثنائيَّة؛ وذلك لأنَّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر درجات، فإذا تعذر على مسلم القيام به باليد واللسان؛ فعليه أن يقوم به بالقلب، وهذا لا يسقط في حال من الأحوال، وفي هذا يقول الإمام أبو بكر الجصَّاص: «وهذا لا دلالة فيه على سقوط فرض الأمر بالمعروف، إذا كانت الحال ما ذُكر؛ لأنَّ ذكر تلك الحال تُنَبِّئ عن تعذر تغيير المنكر باليد واللسان؛ لشيوع الفساد وغلبته على العامَّة، وفرض النهي عن المنكر في مثل هذه الحال؛ إنكاره بالقلب، كما قال عليه السلام: **«فليغيره بيده؛ فإنْ لم يستطع فبلسانه؛ فإنْ لم يستطع فبقلبه»**[٢].

فكذلك إذا صارت الحال إلى ما ذكر؛ كان فرض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقلب؛ للتَّقِيَّة، ولتعذُّر تغييره، وقد يجوز إخفاء الإيمان وترك إظهاره تَقِيَّةً بعد أن يكون مطمئن القلب بالإيمان، قال -تعالى-: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [النحل: ١٠٦]، فهذه منزلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٣].

فخلاصة الكلام: أنه ليس في الآية: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾، ولا في حديث أبي ثعلبة رضي الله عنه ما يدل على ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ بل يجب على كل مسلم أن يقوم به على قدر استطاعته»[٤]. اهـ

(١) «أحكام القرآن» (٢/ ٧١٠).
(٢) سيأتي تخريجه (ص٢٤٢).
(٣) «أحكام القرآن» (٢/ ٤٨٧).
(٤) «شبهات حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (ص ١٨-١٩) للشيخ فضل إلهي.

إنَّ قول النبي ﷺ: «**فعليك -يعني نفسك- ودع عنك العوام**»، -في أيام الصبر-، لا يستلزم البعد عن المسلمين، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد واللسان بالكليَّة، ولا يستلزم عدم السعي لتكوين مجتمع رباني، واستئناف حياة إسلاميَّة؛ بدليل قول النبي ﷺ: «**للمتمسك فيهنَّ يومئذٍ بما أنتم عليه**»، وقوله: «**للعامل فيهن**».

فالفرقة الناجية والطائفة المنصورة -الغرباء- يتمسكون بما كان عليه الصحابة، أي: يتمسَّكون في أيام الصبر بمنهاج السلف الصالح ﷺ، ويعملون من خلاله على تكوين المجتمع الرباني، واستئناف حياة إسلاميَّة، وخلافة راشدة على منهاج النبوة.

ويدخل تحت الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر باليد واللسان، الدعوة إلى اللَّه، والتعليم والتدريس، وتصنيف الكتب في التوحيد، والحديث، والفقه، والمنهج، وغير ذلك من وسائلَ تختلفُ من زمان إلى زمان، ومن مكان إلى مكان، وَذَبُّ كلِّ دخيل عن الدين، فلا تزال الفرقة الناجية عدول كل جيل، ينفون عن الدين «**تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين**»[1]، -وهذه هي التصفية-، ثمَّ يُربُّون المسلمين على الدين الصحيح، -وهذا في كلِّ الأزمان والبلدان، ولا يُستثنى من ذلك أيام الصبر-، كلٌّ بِحَسْبِ عِلْمه، واختصاصه، وقدرته، إلى أن تنقشع وتنكشف غربة الإسلام الثانية على يد هؤلاء الغرباء المجدِّدون الصابرون؛ كما انقشعت وانكشفت غربة الإسلام الأولى على يد النَّبي محمد ﷺ وأصحابه الكرام.

وقول النبي ﷺ: «**فإنَّ من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهنَّ مثل قبض على الجمر، للعامل فيهنَّ مثل أجر خمسين رجلًا يعملون مثل عمله**»، قال: يا رسول اللَّه! أجر خمسين منهم؟! قال: «**أجر خمسين منكم**».

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٠٤).

لا يدل على مضاعفة أجر اللاحقين على السابقين مطلقًا؛ بل يكون ذلك في بعض أعمالٍ وأبوابٍ وفروعٍ من الإسلام فقط.

«قال: أجر خمسين منكم»، قال في «فتح الودود»(١): هذا في الأعمال التي يشق فعلها في تلك الأيام لا مطلقًا، وقد جاءَ: **«لو أنفق أحدُكم مثلَ أُحد ذهبًا؛ ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»**(٢)؛ ولأنَّ الصحابي أفضل من غيره مطلقًا»(٣).

قال الإمام النَّووي في «شرح صحيح مسلم» (٨/ ٣٠٩-٣١٠) في شرح حديث النبي ﷺ: **«لا تسبُّوا أصحابي، لا تسبُّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده! لو أن أحدكم أنفق مثل أُحُدٍ ذهبًا، ما أدرك مُدَّ أحدِهم ولا نَصِيفَهُ»**(٤).

قال: «قال أهل اللغة: النَّصيف النِّصف . . . ومعناه: لو أنفق أحدكم مثل أُحُدٍ ذهبًا، ما بلغ ثوابه في ذلك ثواب نفقة أحدِ أصحابي مُدًّا، ولا نصف مُدٍّ، قال القاضي: ويؤيد هذا ما قدمناه في أول باب فضائل الصحابة عن الجمهور من تفضيل الصحابة كلِّهم على جميع من بعدهم، وسبب تفضيل نفقتهم: أنَّها كانت في وقت الضرورة، وضيق الحال بخلاف غيرهم؛ ولأنَّ إنفاقهم كان في نصرته ﷺ، وحمايته، وذلك معدوم بعده، وكذا جهادهم، وسائر طاعتهم، وقد قال اللَّه -تعالى-: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً﴾ [الحديد: ١٠] الآية، هذا كله مع ما كان في أنفسهم من الشفقة، والتودُّد، والخشوع، والتَّواضع، والإيثار، والجهاد في اللَّه حقَّ جهاده، وفضيلة الصُّحبة ولو لحظة لا يوازيها عمل، ولا تُنال درجَتُها بشيء، والفضائل لا تُؤخَذ بقياس، ذلك فضل اللَّه يؤتيه من يشاء».

وقال أبو بكر ابن العربي رحمه الله: «تذاكرتُ بالمسجد الأقصى مع شيخنا

---

(١) محمود خطاب السبكي في «فتح الودود في شرح سنن أبي داود» (١١/ ٣٣٢-٣٣٣).
(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٣) «عون المعبود شرح سنن أبي داود» (١١/ ٣٣٢-٣٣٣) للعظيم آبادي.
(٤) أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أبي بكر الفهري الطَّرطُوشِي، حديث أبي ثعلبة المرفوع (وذكره)، وتفاوضنا: كيف يكون أجرُ من يأتي من هذه الأمة أضعافَ أجر الصحابة؛ مع أنهم قد أسسوا الإسلام، وعضدوا الدين، وأقاموا المنار، وافتتحوا الأمصار، ومهَّدوا الملَّة، وقد قال ﷺ في الصَّحيح: «**لو أَنفق أحدكم كل يوم مثل أُحد ذهبًا؛ ما بلغ مُدَّ أحدهم أو نصيفه**»(١).

فتراجعنا القول، وتحصَّل ما أوضحناه في «شرح الصحيح»، وخلاصته:

أنَّ الصحابة كانت لهم أعمال كثيرة، لا يلحقهم فيها أحد، ولا يدانيهم فيها بشر، وأعمال سواها من فروع الدين يساويهم فيها في الأجر؛ من أخلصَ إخلاصهم، وخلَّصها من شوائب البدع، والرياء بعدهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بابٌ عظيم هو ابتداء الدين والإسلام، وهو -أيضًا- انتهاؤه، وقد كان قليلًا في ابتداء الإسلام، صعب المرام؛ لغلبة الكفار على الحق، وفي آخر الزمان يعود كذلك، لوعد الصادق بفساد الزمان، وظهور الفتن، وغلبة الباطل، واستيلاء التبديل والتغيير على الحق من الخلق، وركوب من يأتي سَنَنَ من مضى من أهل الكتاب؛ كما قال النبي ﷺ: «**لتركبنَّ سَنَنَ من كان قبلكم شبرًا بشبرٍ، وذراعًا بذراعٍ؛ حتى لو دخلوا جُحْرَ ضَبٍّ لدخلتموه**»(٢)، وقال ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا، وسيعودُ غريبًا كما بدأ**»(٣).

فلا بدَّ -واللَّه تعالى أعلم- بحكم هذا الوعد الصادق أن يرجع الإسلام إلى واحد، كما بدأ من واحد، ويضعف الأمْرُ بالمعروف والنهي عن المنكر؛ حتى إذا قام به قائم، مع احتواشه بالمخاوف، وباع نفسه من اللَّه -تعالى- في الدعاء إليه؛ كان له من الأجر أضعاف ما كان لمن كان متمكنًا منه، معانًا عليه بكثرة الدعاة إلى اللَّه -تعالى-، حتى ينقطع ذلك انقطاعًا باتًّا؛ لضعف اليقين، وقلَّة الدين، كما قال ﷺ: «**لا تقوم**

---

(١) سبق تخريجه (ص٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٥٦)، ومسلم (٢٦٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٣) سبق تخريجه (ص٢٢١).

الساعة؛ حتى لا يقال في الأرض اللَّهُ، اللَّهُ[١]»[٢]. اهـ باختصار.

وكلَّما مضى الزمان وانقضى؛ قلَّ الخير وزاد الشر، وقلَّ المعين وزاد المخذِّلونَ وضَعُفَ اليقينُ.

لذلك قال النبيُّ ﷺ: «**طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى سبع مرات لمن لم يَرَنِي وآمن بي**»[٣].

فظهر أن المفاضلة في حديث الباب في باب من الإسلام، بينما فضل الصحابة وأجرهِم على من بعدهم في جميع الأبواب.

هذا بالإضافة إلى أنَّ السَّلف يُؤاخذ بما لا يؤاخذ عليه الخلف، كما في قوله ﷺ: «**إنكم اليوم في زمان كثير علماؤه، قليل خطباؤه، من تَرَكَ عُشْر ما يَعرِف فقد هوى، ويأتي مِنْ بعدُ زمانٌ كثير خطباؤه، قليل علماؤه، من استمسك بِعُشْر ما يعرف فقد نجا**»[٤].

فخلاصة الكلام أنَّ تفضيل الصَّحابة تفضيلٌ مطلقٌ عامٌّ على كل النَّاس، أمَّا تفضيل العامل والمتمسِّك بما كان عليه الصحابة في أيام الصبر بالأجر بحيث يكون له مثل أجر خمسين من الصحابة، فهذا تفضيل خاصٌّ في أيام الصبر، نِسْبِيٌّ على ما يشقُّ فعله ويعظم صبره في تلك الأيام، لا في كلِّ الأزمان والأعمال.

ووجهٌ آخر وهو أنَّ للعاملِ في أيام الصَّبر أجر خمسين مِن الصحابة، وذلك إذا تمسَّك بما كان عليه الصحابة؛ فكأن الفضل رجع إليهم في النهاية، فَهُمُ الذين سنُّوا السُّنن الحسنةِ، واقتُدِيَ بهم فيها، فلهم أجرها وأجر مَن عمل بها إلى يوم القيامة، والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) «نفح الطيب مِنْ غصن الأندلس الرطيب» (٢/ ٣٧-٣٨) للمَقَّري.

(٣) حسن، أخرجه أحمد (٢٢٢١٤)، وجوَّد إسناده الإمام الألباني في «الصحيحة» (١٢٤١).

(٤) صحيح، أخرجه أحمد (٢١٣٧٢)، والترمذي (٢٢٦٧)، والهروي في «ذم الكلام» (١/ ١٤-١٥) من حديث أبي ذر مرفوعًا، وصحَّحه الإمام الألباني في «الصحيحة» (٢٥١٠).

الحديث الثَّالث والثَّلاثون

إخْوانُ النَّبيِّ ﷺ

عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ أتى المقبرة، فقال: «**السلام عليكم دارَ قوم مؤمنين، وإنَّا إن شاء اللَّه بكم لاحقون، وَدِدْتُ أنَّا قد رأينا إخواننا**»، قالوا: أوَلَسْنا إخوانك يا رسولَ اللَّه؟! قال: «**أنتم أصحابي، وإخوانُنَا الذين لم يأتوا بعد**»، فقالوا: كيف تَعرفُ من لم يأتِ بَعْدُ من أُمَّتِك يا رسول اللَّه؟! فقال: «**أرأيت لو أنَّ رجلًا له خيلٌ غُرٌّ محجَّلةٌ بين ظَهْرَيْ خيلٍ دُهم بُهم، ألا يعرفُ خَيْلَه؟**»، قالوا: بلى يا رسول اللَّه! قال: «**فإنَّهم يأتون غُرًّا محجَّلين من الوضوء، وأنا فَرَطُكُمْ على الحوض، ألا لَيُذادَنَّ رجالٌ عن حَوْضِي؛ كما يُذادُ البعيرُ الضالُّ، فأُناديهِم: ألا هَلُمَّ! فيُقال: إنهم قد بدَّلوا بعدَك، فأقولُ: سُحقًا سُحقًا**»[1].

يخبرنا أبو هريرة رضي الله عنه في هذا الحديث، أنَّ النبيَّ ﷺ أتى المقبرة، فسلَّم على أهلها فقال: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء اللَّه بكم لاحقون**» أي: بالموت، فإذا مات الحيُّ لحق بالأموات، ونزل بدارهم، فكأنَّ النبي ﷺ علم أنه سيموت قريبًا، وأنه لن يَرَى في حياته إخوانه الذين يأتون بعده ﷺ ويؤمنون به، ويتبعون سُنته، فحَصَلَتْ في قلبه رأفةٌ، ورحمةٌ، وشوقٌ لهم -بأبي هو وأمي- ﷺ، فقال: «**وَدِدْتُ أنَّا قد رأينا إخواننا**» أي: تمنيت، وأحببت، لو أنَّا رأينا إخواننا، في حياتنا، وقبل مماتنا، فقال له الصحابة: أَوَلَسْنا إخوانك يا رسول اللَّه؟! فقال: «**أنتم أصحابي**»، الصحبة: هي المعاشرة، وهذا ليس نفيًا لأُخُوَّتِهم، بل هم إخوته ﷺ وأصحابه، والذين يأتون بعده ويؤمنون به إخوة ليسوا بصحابة.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٤٩)، والنسائي (١٥٠)، وابن ماجه (٤٣٠٦)، ومالك (٥٧)، وأحمد (٧٩٩٣)، والبيهقي (٤/٧٨).

قال الإمام النَّووي في «شرح صحيح مسلم» (٢/ ١٣١): «قال الإمام الباجي: قولهﷺ: «**بل أنتم أصحابي**» ليس نفيًا لأُخوَّتهم، ولكن ذكر مرتبتهم الزَّائدة بالصُّحبة، فهؤلاء أُخوة صحابة، والذين لم يأتوا أُخوة ليسوا بصحابة، كما قال -تعالى-: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] والمعنى: أنتم أخصُّ من إخواني، فأنتم إخواني وأصحابي، «**وإخواننا الذين لم يَأْتوا بعد**»، أي: من يأتي بعد زمن النبي ﷺ ولم يره، ويؤمن به ويتبعه فهؤلاء إخوة النبي ﷺ في الإيمان، لكنهم ليسوا بأصحابه، فسألوا النبي ﷺ: كيف تعرف من لم يأتِ بعدُ من أمتك يا رسول اللَّه؟! أي: كيف تعرفهم، ولم ترهم؟ فقال النبي ﷺ: «**أرأيت**» أي: أخبرني «**لو أنَّ رجلًا له خيلٌ غُرٌّ محجَّلةٌ**» الغرَّة: بياض في جبهة الفرس، والتَّحجِيل: بياض في يديها ورجليها.

وقوله ﷺ: «**بين ظَهْرَي خيلٍ دُهم بُهم**»، أي: بينهما، وأمَّا الدُّهم: فجمع أدهم، وهو الأسود، وأمَّا البُهم: فهو الأسود -أيضًا-، وقيل: هو الذي لا يخالط لونه لونًا سواه، سواء أكان أسود، أو أبيض، أو غيره، بل يكون لونه لونًا واحدًا خالصًا.

فسألهم ﷺ: «**ألا يعرفُ خيلَه؟**» قالوا: بلى يا رسول اللَّه!

قال: «**فإنَّهم**» أي: أمته ﷺ «**يأتون غُرًّا محجَّلين من الوضوء**» أي: يكون في أماكن وضوئهم بياض ونور، وسُمِّيَ النورُ الذي يكون على مواضع الوضوء يوم القيامة غرَّة وتحجيلًا؛ تشبيهًا بغرَّة وتحجيل الفرس، واستُعمل بعد ذلك في الجمال والشُّهرة وطيب الذِّكر.

وقوله ﷺ: «**وأنا فَرَطُكُم على الحوض**» أي: وأنا أتقدمكم على الحوض، يُقال: فَرَط إذا تقدَّم، وسَبَقَ القوم لِيَرْتادَ لهم الماء، ويُهَيِّئ لهم الدِّلاء والأَرْشِيَة، والحوض هو: حوض النبي ﷺ الذي يُعطاه يوم القيامة طوله مسيرة شهر، أو كما بين عَدن إلى عمَّان، وعرضه كطوله بل وأوسع من ذلك، وسيأتي الكلام عنه قريبًا.

وقوله ﷺ: «**ألا لَيُذادَنَّ رجالٌ عن حوضي، كما يُذادُ البعيرُ الضَّالُّ**»؛ الذَّوْدُ هو: الطَّرْدُ، والمعنى: ألا ليُطْرَدَنَّ ولَيُمْنَعَنَّ رجالٌ عن الوصول إلى حوضي والشرب منه، كما يَطْرُدُ ويُبْعِدُ الرَّجُلُ بعيرَ غيرِه الضائِعَةَ الغريبةَ عن حوضِه الذي أعدَّهُ لإبله.

وقوله ﷺ: «**فأُنادِيهم: ألا هَلُمَّ**» أي: تعالوا.

وقوله ﷺ: «**فيقال**[١]: إنهم قد بدلوا بعدَك» أي: ارتدُّوا، أو نافقوا، أو ابتدعُوا بعدك.

وقوله ﷺ: «**فأقولُ: سُحقًا سُحقًا**» أي: بُعدًا بُعدًا، والمكان السَّحيق البعيد، ونُصِبَ على تقدير ألزَمَهُم اللَّه سحقًا، أو سَحَقَهُم سَحقًا[٢].

فيتبيَّن لنا من هذا الحديث، أنَّ الذين يَستحِقُّون رأفةَ النبي ﷺ، ومحبتَه، ورحمتَه، وأُخُوَّتَه، وشوقَه؛ هم الذين يتبعون سنَّتَه ﷺ وسنَّةَ خلفائِهِ الراشدين؛ لأنَّها سنَّةٌ واحدةٌ، ويكونون على ما كان عليه النبيُّ ﷺ وأصحابه، ولم يبدلوا، ولم يغيروا، ولم يحدثوا، ولم يبتدعوا في دين اللَّه ﷻ وصبروا على ذلك.

أمَّا الذين بدَّلوا، وأحدثوا، ورجعوا القهقرى، وابتدعوا، في دين اللَّه ﷻ فَهُم يستحقون بُغْضَ النبيِّ ﷺ لهم وطردِهِ إياهم عن حوضه، وقوله لهم: سُحْقًا سُحْقًا.

صفة الحوض

عن عبداللَّه بن عمرو بن العاص ﵄ قال: قال النبيُّ ﷺ: «**حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللَّبن، وريحه أطيب من المسك، وكِيزانُه[٣] كنجوم السماء،**

---

(١) القائل مَلَكٌ كما عند مسلم -أيضًا- برقم (٢٤٧).

(٢) قاله النَّووي في «شرح صحيح مسلم» (٢/ ١٣٢).

(٣) كِيزانُه: مفردها: كوز وهو من الأواني.

من شرب منه ؛ فلا يظمأُ أبدًا»[1] .

وفي رواية : «**حوضي مسيرةَ شهرٍ ، وزواياه سواءٌ ، وماؤه أبيض من الوَرِق**[2]»[3] .

وعن أبي أمامة رضي الله عنه أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال : «**إنَّ اللَّه وعدني أنْ يُدخِل الجنَّة من أُمَّتي سبعين ألفًا بغير حساب**» .

فقال يزيد بن الأخنس : واللَّه ما أُولئك في أُمَّتك إلا كالذُّبابِ الأصْهَب[4] في الذباب !

فقال رسول اللَّه ﷺ : «**قد وعَدني سبعين ألفًا ، مع كلِّ ألفٍ سبعونَ ألفًا ، وزادني ثلاث حَثَيات**» .

قال : فما سَعَةُ حوضِكَ يا نبيَّ اللَّه ؟ !

قال : «**كما بين (عَدَنٍ) إلى (عَمَّانَ) ، وأوْسَعُ ، وأوْسَعُ**» ، يشيرُ بيده .

قال : «**فيه مَثْعَبانِ**[5] **من ذهبٍ وفضَّةٍ**» .

قال : فما ماءُ حوضك يا نبيَّ اللَّه ؟ !

قال : «**أشدُّ بياضًا مِن اللَّبن ، وأحلى [مذاقةً] من العسل ، وأطيبُ رائحةً من المسك ، مَنْ شرب منه شَرْبةً ؛ لم يَظْمَأْ بعدها أبدًا ، ولَمْ يسوَدَّ وَجْهُهُ أبدًا**»[6] .

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧٩) .

(٢) الوَرِق : الفضة .

(٣) أخرجه مسلم (٢٢٩٢) .

(٤) الذي يَعْلُو لونه صُهْبَة ، وهي الشُّقْرَة .

(٥) المثْعَب : هو مسيل الماء ، وفي رواية : «**يَغُتُّ فيه مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الجنَّة**» ، أخرجه مسلم (٢٣٠١) ، أي : يدفُقانِ فيه الماء دفقًا دائمًا متتابعًا كما في «النهاية» (٢/ ٢٨٨) .

(٦) صحيح ، أخرجه أحمد (٢٢١٥٦) ، وصحَّحه الإمام الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦١٤) .

في الذين يُصَدُّون، ويُذادُون ويُخْتَلَجُونَ عن الحوض

عن أنس بن مالك ﵁ أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لَيَرِدَنَّ عليَّ الحوضَ رجالٌ مِمَّن صاحَبَني، حتى إذا رأيتُهم ورُفِعوا إليَّ، اخْتُلِجُوا[1] دُوني، فلأَقولَنَّ: أي رَبِّ! أُصَيْحابي، أُصَيْحَابي، فليُقالَنَّ لي: إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[2].

وعن عبدالله ﵁ قال: قال النبيُّ ﷺ: «أنا فَرَطُكُمْ على الحوض، فلَيُرْفَعَنَّ إليَّ رجالٌ منكم؛ حتى إذا أهويتُ لأُناولَهم؛ اختُلِجُوا دوني، فأقول: أيْ ربِّ! أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك»[3].

وفي رواية أبي سعيد الخدري ﵁: «إنَّك لا تدري ما بدلوا بعدك، فأقول: سُحقًا سُحقًا لمن بدَّل بعدي»[4].

وقال ﷺ: «أنا على حوضي أنتظر من يَرِدُ عَلَيَّ، فيُؤخذ بناس من دوني، فأقول: أُمَّتي، فيقول: لا تدري مَشَوْا على القَهْقَرَى».

قال ابنُ أبي مُلَيْكَة: «اللَّهم إنَّا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو أن نُفْتَنَ»[5].

لا حُجَّة في هذه الأحاديث للرافضة الذين كفَّروا أصحابَ النبي ﷺ إلا عليًّا، وأبا ذر، والمقداد، وسلمان، وعمار بن ياسر، وحذيفة[6].

فإنَّ قوله ﷺ: «فأقول: أي رب! أصحابي»؛ لا يدلُّ على أنَّ الذين يُختلَجون عن حوضه، كلُّ أصحابِهِ أو جُلُّهم؛ لأنَّه لو قال عن اثنينِ، أو ثلاثةٍ، أو خمسةٍ، أو ستةٍ، أو عشَرةٍ، أو عِشْرينَ، «أي رب! أصحابي» لكان صوابًا؛ لأنَّ الجمع يبدأ من

---

(١) أي: اقتطعوا دوني.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٨٢)، ومسلم (٢٣٠٤).

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٤٩).

(٤) أخرجه البخاري (٧٠٥٠، ٧٠٥١).

(٥) أخرجه البخاري (٧٠٤٨).

(٦) انظر «تأويل مختلف الحديث» (ص٣٤٠) لابن قتيبة.

اثنين، ويؤكِّدُ هذا ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**يَرِدُ عليَّ يوم القيامة رَهْطٌ من أصحَابي، فَيُجْلَوْنَ عن الحوض فأقول: يا رَبِّ أصحابي، فيقولُ: إنَّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنَّهم ارتَدُّوا على أدبارِهِمُ القهْقرى**»(١).

ففي هذا الحديث قال: «**رَهْطٌ من أصحابي**»، ثمَّ قال: «**يا رَبِّ أصحابي**»؛ فذكر الكلَّ يريدُ البعضَ، ومعلومٌ أن الرَّهط قِلَّة من المجموع.

هذا ومما ينبغي أن يُعْلم أَنَّ صُحْبَةَ النبيِّ ﷺ تنقسم إلى قسمين:

صُحْبَةٌ عامَّةٌ تَشْمَلُ كلَّ من لَقِيَ النبيَّ ﷺ وأظهر الإسلام، فهذه يدخل فيها المنافق والفاسق والمرتاب، فعندما طلب عمر بن الخطاب رضي الله عنه من النبيِّ ﷺ أن يأْذن له في قتل عبداللَّه بن أُبَي المنافق؛ لمَّا قال: لَئِن رجعنا إلى المدينة ليُخْرِجَنَّ الأَعزُّ منها الأذل؛ نهاه النبيُّ ﷺ وقال له: «**دَعْهُ، لا يَتَحَدَّثَ النَّاس أنَّ محمدًا يقتلُ أصحابَه**»(٢).

وصحبة خاصَّة لمن آمن به ﷺ ومات على الإسلام.

وقد جاء في رواية عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**تَرِدُ عليَّ أُمَّتي الحوضَ وأنا أذودُ النَّاس عنه؛ كما يَذُودُ الرجل إبلَ الرجلِ عن إبلِهِ**»، قالوا: يا نبيَّ اللَّه! أتعرفنا؟ قال: «**نعم، لكم سِيمَا**(٣) **ليست لأحد غيرِكُم، تَرِدُونَ عليَّ غُرًّا مُحَجَّلِين من آثار الوضوء، وَلَيُصَدَّنَّ عني طائفةٌ منكم، فلا يَصِلُون، فأقولُ: يارَبِّ! هؤلاء مِنْ أصحابي، فيُجيبُني ملك، فيقولُ: وهل تدري ما أحدثوا بعدك؟**»(٤).

فأنت ترى في هذا الحديث قوله، «**ولَيُصَدَّنَّ عني طائفةٌ منكم**»، فلم يقل النبيُّ ﷺ ولَيُصَدَّنَّ عني جميعكم، أو أكثركم، وقال: «**فأقول: يارَبِّ! هؤلاء مِنْ**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤) من حديث جابر بن عبداللَّه رضي الله عنه.

(٣) السِّيما: العَلامَة.

(٤) أخرجه مسلم (٢٤٧).

أصحابي»، قال «**مِنْ أصحابي**»، وحرف «**مِنْ**»، يفيد التبعيض.

«ولو كان أرادهم جميعًا إلا من ذُكِرُوا لقال: «لَتَرِدُنَّ عليَّ الحوضَ، ثمَّ لَتُخْتَلَجُنَّ دوني».

ألا ترى أنَّ القائل إذا قال: «أتاني اليوم أقوامٌ من بني تميم، وأقوام من أهل الكوفة»، فإنَّما يُريد قليلًا من كثير؟ ولو أراد أنَّهم أتوه إلا نفرًا يسيرًا قال: «أتاني بنو تميم، وأتاني أهل الكوفة»، ولم يَجُزْ أن يقول: «قوم»؛ لأنَّ القوم هم الذين تخلَّفوا.

ويَدُلُّك -أيضًا- قوله: «يا رب، أُصيحابي» بالتصغير، وإنَّما يريد بذلك تقليل العدد، كما تقول: «مَرَرْتُ بأُبيَّات متفرقة»، و«مررت بجُميْعة».

ونحن نعلم أنه قد كان يشهد مع رسول اللَّه ﷺ المشاهد، ويحضر معه المغازي، المنافق؛ لطلب المغنم، والرقيق الدين، والمرتاب، والشَّاك.

وقد ارتدَّ بعده أقوام؛ منهم عُيَيْنَة بن حصن، ارتدَّ ولحق بِطُلَيْحَة بن خويلد، حين تَنَبَّأَ وآمن به، فلما هُزم طُليحة؛ هرب، فأسره خالد بن الوليد، وبعث به إلى أبي بكر رضي الله عنه في وثاق، فقدم به المدينة، فجعل غلمان المدينة ينسخونه بالجريد، ويضربونه، ويقولون: «أيْ عدوَّ اللَّه! كفرت باللَّه بعد إيمانك؟».

فيقولُ عدوُّ اللَّه: واللَّه ما كنتُ آمنت.

فلما كلَّمه أبو بكر رضي الله عنه؛ رجع إلى الإسلام، فقبل منه، وكتب له أمانًا، ولم يزل بعد ذلك رقيقَ الدِّينِ حتى مات.

وهو الذي كان أَغَارَ على لِقَاحِ[1] رسول اللَّه ﷺ بالغابة، فقال له الحارث بن عوف: ما جزيت محمدًا ﷺ أَسْمَنْتَ[2] في بلاده، ثم غزوتَهُ؟ فقال: هو ما تَرى.

---

(١) لِقَاحُ رسول اللَّه؛ أي: إبله.

(٢) أَسْمَنْتَ: أي أَسْمَنْتَ ماشيتك بالرعي في بلاده.

وفيه قال رسول اللَّه ﷺ: «**هذا الأحمق المطاع**».

ولِعُيَيْنَةَ بن حصن أشباه ارتدوا حين ارتدَّتِ العرب، فمنهم من رجع وحسُن إسلامُه، ومنهم من ثبت على النفاق، وقد قال اللَّه -تبارك وتعالى-: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ﴾ [التوبة: ١٠١]، فهؤلاء هم الذين يُخْتَلَجُونَ دونه.

وأما جميع أصحابه -إلا الستَّة الذين ذُكِرُوا- فكيف يُخْتَلَجُونَ؟

وقد تقدَّم قول اللَّه -تبارك وتعالى- فيهم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ﴾ [الفتح: ٢٩] إلى آخر السورة.

وقوله -تعالى-: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨][(١)].

قال أبو محمد: وحدثني زيد بن أخزم الطائي، قال: نا أبو داود، قال: نا قرَّة ابن خالد، عن قتادة، قال: قلت لسعيد بن المسيِّب: كم كانوا في بيعة الرضوان؟ قال: خمس عشرة مئة.

قال: قلت: فإنَّ جابر بن عبداللَّه قال: كانوا أَربع عشرة مئة، قال: أوهم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، هو الذي حدثني أنهم كانوا خمس عشرة مئة[(٢)].

فكيف يجوز أن يَرضى اللَّه ﷻ عن أقوام، ويحمدهم، ويضرب لهم مثلًا في التوراة والإنجيل، وهو يعلم أنهم يَرتدُّون على أعقابهم بعد رسول اللَّه ﷺ إلا أنْ يقولوا: إنَّه لم يَعلم، وهذا هو شرُّ الكافرين»[(٣)].

فالذين يُختلَجون عن حوض النبي ﷺ هم المنافقون، فقد اعتبرهم النبي ﷺ

(١) وقد قال النبيُّ ﷺ: «**لا يدخل النار إن شاء اللَّه من أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها**»، أخرجه مسلم (٢٤٩٦) من حديث حفصة رضي الله عنها.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥).

(٣) «تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة (ص٣٤١-٣٤٢).

من أصحابه، «**لا يُقالَ أنَّ محمدًا يقتل أصحابه**»[١]، والأعراب ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾ . . . [التوبة: ٩٧]، والمرتدون، وأهل الارتياب، والشكوك، والأهواء، والبدع.

فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أنَّ النبيَّ ﷺ قال لِكعبِ بنِ عُجْرَةَ: «**أعاذكَ اللَّه من إمارَةِ السُّفهاءِ**».

قال: وما إمارةُ السُّفَهاء؟ قال: «**أُمَراءُ يكونونَ بَعْدي، لا يَهْتَدون بِهَدْيي، ولا يَسْتَنُّون بِسُنَّتي، فَمَنْ صَدَّقَهم بِكَذِبِهِم، وأعانَهم على ظُلْمِهِم، فأولئك ليسوا منِّي، ولسْتُ منهم، ولا يَرِدُونَ عليَّ حوضي، ومن لم يصدقهم بكذبهم، ولم يُعنهم على ظُلمهم؛ فأولئك منِّي وأنا منهم، وسَيَرِدُون عليَّ حوضي.**

يا كعب بن عجرة! الصِّيامُ جُنَّةٌ، والصَّدَقَةُ تطفِئُ الخطيئَةَ، والصَّلاةُ قُرْبانٌ، أو قال: برهان.

يا كعب بن عجرة! النَّاس غادِيانِ؛ فَمُبْتَاعٌ نفسَه فمُعْتِقُها، وبائعٌ نَفْسَه فمُوبِقُها»[٢].

وعن محمد بن عبدالرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه، عن جده مرفوعًا: «**صنفان من أمتي لا يَرِدان عليَّ الحوضَ: القدريَّةُ، والمرجئةُ**»[٣].

وقال الإمام النَّووي في «شرح صحيح مسلم» (٢/ ١٣٠): «قال الإمام الحافظ أبو عمر بن عبدالبر: كُلُّ من أحدث في الدين؛ فهو من المطْرُودِينَ عن الحوض، كالخوارج، والروافض، وسائر أصحاب الأهواء، قال: وكذلك الظَّلَمَةُ المسرفونَ في الجوْر وطمس الحق، والمعلنون بالكبائر، قال: وكُلُّ هؤلاء يُخاف عليهم أن يكونوا ممن عُنوا بهذا الخبر -واللَّه أعلم-».

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٣٧).

(٢) صحيح، أخرجه أحمد (١٤٤٤١)، وصحَّحه الإمام الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٢٤٢).

(٣) حسن، أخرجه ابن أبي عاصم في «السنَّة» (٩٤٩)، وجوَّد إسناده الإمام الألباني في «الصحيحة» (٢٧٤٨).

وقال الإمام ابن حجر العسقلاني في «الفتح» (١٣/ ٦-٧): «وحاصل ما حُمِل عليه حال المذكورين أنهم إن كانوا ممن ارتد عن الإسلام؛ فلا إشكال في تبري النبي ﷺ منهم، وإبعادهم، وإن كانوا ممن لم يرتد؛ لكن أحدث معصية كبيرة من أعمال البدن، أو بدعة من اعتقاد القلب، فقد أجاب بعضهم بأنه يحتمل أن يكون أعرض عنهم، ولم يشفع لهم؛ اتباعًا لأمر اللَّه فيهم؛ حتى يُعاقبَهم على جناياتهم، ولا مانع من دخولهم في عموم شفاعته لأهل الكبائر من أمته، فيخرجون عند إخراج الموحدين من النار، واللَّه أعلم».

* * *

الحديث الرَّابع والثَّلاثون

الأمرُ بالمعروف والنَّهيُ عن المنكر

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «**من رأى منكم منكرًا فليغيِّرهُ بيده، فإنْ لم يستطع فبلسانه، فإنْ لم يستطع فبقلبه، وذلك أَضعف الإيمان**»[1].

في هذا الحديث يأمر النبي ﷺ المسلمين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وَيُبَيِّنُ مَرَاتِبَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ودرجاته؛ حتى يتدرَّجَ فيها الآمر والنَّاهي على حَسْبِ وُسْعِهِ، وَوَفْقَ قُدْرَتِه، فيقول: «**من رأى منكم منكرًا**»، أي: مَنْ رأى وعلم وتحقَّق مِنْ شيء أنه منكر؛ «**فليغيره بيده**»، وهذه أعلى مراتب الإنكار؛ وذلك بأن يغيِّره بالقوة إلى معروف، فإن لم يستطع تغيير المنكر بالقوة؛ يأتي إلى المرتبة الثانية؛ لقوله ﷺ: «**فإن لم يستطع فبلسانه**»، فإن لم يستطع أن يغيِّر المنكر بالكلام؛ يأتي إلى المرتبة الثالثة والأخيرة، وهي الإنكار بالقلب، وذلك بأن يكره المنكر بقلبه ويبغضه، لقوله ﷺ: «**فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان**».

لقد مدح اللَّه -تعالى- هذه الأمَّة؛ لقيامها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وشَرَطَهُ لحصول الخيريَّة، قال -تعالى-: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ يَعظم الخير، وينتشر الإسلام، ويُمحى الكفر، ويَنْدَثِرُ الشَّر، ويُكْسَر أهل الكفر والنفاق، والمعاصي، والبدع، والشر، والفساد.

---

(١) أخرجه مسلم (٤٩)، وأبو داود (١١٤٠)، والترمذي (٢١٧٢)، وابن ماجه (١٢٧٥).

ولولا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ «لتعطلت النبوَّة، واضمَحلَّت الديانة، وعمَّت الفترة، وفَشَت الضلالة، وشاعَت الجهالة، واستَشْرى الفساد، واتَّسَعَ الخرق، وَخَرِبَتِ البلاد، وهلك العباد، ولم يشعروا بالهلاك إلا يومَ التناد»(١).

إنَّ تَرْكَ الأمر بالمعروف والنهيِ عن المنكر سببٌ لنزول العذاب، وعمومِ العقاب على النَّاس في الدنيا قبل الآخرة، قال النبي ﷺ: «**ما من قوم يُعمل فيهم بالمعاصي، هم أعزُّ ممَّن يعمَلُها، ثم لا يغيِّرون ذلك؛ إلا عمهم اللَّه بعقاب منه**»(٢).

شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

١- أن يكون الآمر بالمعروف والنَّاهي عن المنكر عالمًا بالمعروف والمنكر.

٢- أن يتحقَّق فيمن يُنْكِرُ عليه أنه تارك للمعروف، أو فاعل للمنكر، ولا يَأْخذ النَّاس بالتهمة، أو الظن.

٣- أن لا يُؤدي إنكار المنكر إلى منكر أكبر منه(٣).

٤- اختلف فيه العلماء، وهو أن يكون الآمر والنَّاهي، فاعلًا لما أَمَرَ به، تاركًا

(١) «إحياء علوم الدين» (٢/ ٣٠٦).

(٢) حسن، أخرجه أبو داود (٤٣٣٩)، وابن ماجه (٤٠٠٩) من حديث جرير ﵁.

(٣) قرَّر الإمام ابن القيم -رحمه اللَّه تعالى- في كتابه «إعلام الموقعين» (٤/ ٣٣٩-٣٤٠) أنَّ إنكار المنكر أربعُ درجات:

الأولى: أن يزول ويخلفه ضده.

الثانية: أن يقلَّ وإن لم يَزل بجملته.

الثالثة: أن يخلفه ما هو مثله.

الرابعة: أن يخلفه ما هو شرٌّ منه.

قال: «فالدرجتان الأُولَيان مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرَّمة».

وقال: «فإذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون بالشطرنج؛ كان إنكارك عليهم من عدم الفقه والبصيرة؛ إلا إذا نقلتهم منه إلى ما هو أحبَّ إلى اللَّه ورسوله؛ كَرَمْيِ النشاب، وسباق الخيل، ونحو ذلك، وإذا رأيت الفسَّاق قد اجتمعوا على لهو، ولعب، أو سماع مُكاء وتصدية؛ فإن نقلتهم عنه إلى طاعة اللَّه فهو المراد، وإلا كان=

لما نَهَى عنه، والصحيح أنه لا يشترط؛ لأنه مأمور بفعل المعروف، وترك المنكر، والأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، فلو ترك الأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، لكونه لا يفعل المأمور ولا يترك المحظور؛ لأَضَاف ذنبًا إلى ذنبه[1].

* * *

= تركهم على ذلك خيرًا من أن تفرغهم لما هو أعظم من ذلك، فكان ما هم فيه شاغلًا لهم عن ذلك، وكما إذا كان الرجل مشتغلًا بكتب المجون ونحوها، وخِفتَ من نقله عنها انتقالهُ إلى كتب البدع والضلال والسحر؛ فدعه وكتبه الأولى، وهذا باب واسع، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدَّس اللَّه روحه ونوَّر ضريحه- يقول: مررتُ أنا وبعض أصحابي في زمن التَّتار بقوم منهم، يشربون الخمر؛ فأنكر عليهم من كان معي، فأنكرتُ عليه، وقلت له: إنَّما حرَّم اللَّه الخمر؛ لأنَّها تصدُّ عن ذكر اللَّه، وعن الصلاة، وهؤلاء يصدهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال فدعهم».

(١) انظر «شرح رياض الصالحين» لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (١/ ٦٩٦/ ٧٠٣).

الحديث الخامس والثّلاثون

الجهادُ في سبيل اللّه

عن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال رسول اللّه ﷺ: **«لا تزال طائفةٌ من أُمَّتي يُقاتِلون على الحقِّ، ظاهرين على من ناوأهم، حتى يُقاتِلَ آخرُهم المسيحَ الدجَّال»**(١).

يخبرنا النبي ﷺ في هذا الحديث أنه لا تزال جماعة من المسلمين يجاهدون في سبيل اللّه عز وجل منتصرين على عدوهم؛ حتى يُقَاتِلَ آخرُ هذه الطائفة بقيادة المهديِّ، الدَّجَّالَ، فينزل عيسى بن مريم فيُعَاوِنُهم، فَيَقْتُلُ عيسى بن مريم الدجَّال ببلدة لُدٍّ في فلسطين، كما هو معروف قُبَيْل قيام الساعة.

ففي هذا الحديث بشارةٌ عظيمة لهذه الأمَّة بوجود طائفة مستمرة مجاهدة في سبيل اللّه عز وجل جيلًا بعد جيل إلى يوم قيام الساعة، رافعةً راية جهاد الدفع دفعًا للأعداء، وحفاظًا على بيضة الأمَّة من جهة، وراية جهاد الطلب؛ طلبًا للعدو في أرضه، وقتال أئمة الكفر، وإزالة العقبات أمام الدعوة إلى الإسلام، وتبليغه لسائر الأمم من جهة ثانية، وقد عَظَّمَ النبيُّ ﷺ أمر هذه الطائفة، فبشَّر بها وذكرها في أحاديث كثيرة متتالية، وذلك للمهام والأمور العظام التي تقوم بها في هذه الطائفة، التي منها الجهاد في سبيل اللّه.

شُرِعَ «الجهاد إعلاءً لكلمة اللّه، وتمكينًا لهدايته في الأرض، وتركيزًا للدين الحق، ومِنْ ثَمَّ كان أفضلَ من تطوُّع الحج، والعمرة، وأفضلَ من تطوع الصلاة، والصوم»(٢).

---

(١) صحيح، أخرجه أبو داود (٢٤٨٤)، وأحمد (١٩٩٢٠)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة» (١٦٨و١٦٩)، والحاكم (٤/ ٤٥)، وصحَّحه الإمام الألباني في «الصحيحة» (١٩٥٩).

(٢) «فقه السنَّة» (٣/ ٨٤).

فعن أبي هريرة ﷺ قال: قيل يا رسول الله! ما يَعْدِلُ الجهاد في سبيل الله ﷻ؟ قال: **«لا تستطيعونه»**، فأعاد عليه مرتين، أو ثلاثًا، كل ذلك يقول: لا تستطيعونه، وقال في الثالثة: **«مَثَلُ المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت(١) بآيات الله، لا يَفْتُر من صلاة، ولا صيام، حتى يَرْجِعَ المجاهد في سبيل الله»**(٢).

لذلك كان الجهاد في سبيل الله -تعالى- من أهم شعائر الإسلام، وذروة سنامه، فعن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«رأسُ الأمرِ الإسلامُ، وعمودُهُ الصلاةُ، وذروةُ سنامِهِ الجهادُ»**(٣).

والجهاد ماضٍ في هذه الأمة إلى يوم القيامة(٤)، قال أبو جعفر الطَّحاوي في عقيدته المشهورة: **«والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين، بَرِّهم وفاجِرِهم، إلى قيام الساعة لا يبطلهما شيء، ولا ينقصهما»**(٥).

مراتب الجهاد(٦):

الجهاد أربع مراتب: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين.

فجهاد النفس أربع مراتب -أيضًا-:

إحداها: أن يجاهدها على تعلُّم الهدى، ودين الحق الذي لا فلاح لها،

---

(١) القانت: المطيع.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٧٨).

(٣) صحيح، أخرجه الترمذي (٢٦١٦)، وصحَّحه الإمام الألباني في «الإرواء» (٤١٣).

(٤) ورد في سنن أبي داود (٢٥٣٢): **«والجهادُ ماضٍ منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخرُ أمتي الدجال، لا يُبطله جَوْرُ جائر، ولا عدل عادل»**، ولكنه ضعيف، فقد ضعفه الإمام الألباني في «ضعيف الجامع» (٢٥٣٢)، ويُغني عنه حديث الباب: **«لا تزال طائفةٌ من أمتي يقاتلون على الحق»**.

(٥) «شرح العقيدة الطحاويَّة» (ص٣٨٧).

(٦) هذا الفصل من كتاب «زاد المعاد» (٣/ ٩) للإمام ابن قيم الجوزيَّة.

ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به، ومتى فاتها عِلمُه؛ شَقِيَتْ في الدَّارين.

الثانية: أن يُجاهدها على العمل به بعد علمه، وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضُرَّها؛ لم يَنفعها.

الثالثة: أن يُجاهدها على الدعوة إليه، وتعليمه من لا يعلمه، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل اللَّه من الهُدى والبيِّنات، ولا ينفعُهُ علمه ولا يُنْجِيهِ من عذاب اللَّه.

الرابعة: أن يجاهدها على الصبر على مشاق الدعوة إلى اللَّه، وأذى الخلق، ويتحمَّل ذلك كلَّه للَّه، فإذا استكمل المراتب الأربع؛ صار من الربانيِّين، فإنَّ السَّلف مجمعون على أنَّ العالِمَ لا يستحق أن يُسَمَّى ربانيًّا حتى يَعرف الحق، ويَعمل به، ويُعَلِّمه، فمن عَلِمَ وعَمِلَ وعَلَّمَ؛ فذاك يُدعى عظيمًا في مَلَكوت السموات.

وأمَّا جهادُ الشيطان فمرتبتان:

إحداهما: جهاده على دفع ما يُلْقِي إلى العبد من الشبهات، والشكوك القادحة في الإيمان.

الثانية: جهاده على دفع ما يُلْقِي إليه من الإرادات الفاسدة والشهوات، فالجهاد الأول يكون بعده اليقين، والثاني يكون بعده الصبر، قال -تعالى-: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، فأخبر أنَّ إمامة الدين، إنَّما تُنال بالصبر واليقين، فالصبر يدفع الشهوات والإرادات الفاسدة، واليقين يدفع الشكوك، والشبهات.

وأمَّا جهاد الكفار والمنافقين، فأربع مراتب: بالقلب، واللسان، والمال، والنفس، وجهاد الكفار أخصُّ باليد، وجهاد المنافقين أخصُّ باللسان.

وأمَّا جهاد أرباب الظلم، والبدع، والمنكرات، فثلاث مراتب:

الأولى: باليد إذا قدر، فإن عجز انتقل إلى اللسان، فإن عجز جاهد بقلبه.

فهذه ثلاث عَشْرة مرتبة من الجهاد، و«**من مات، ولم يغزُ، ولم يُحدِّث نفسه بالغزو، مات على شعبة مِنَ النفاق**»(١).

ولا يتم الجهاد إلا بالهجرة، ولا الهجرة والجهاد إلا بالإيمان، والراجون رحمة اللَّه هم الذين قاموا بهذه الثلاثة، قال -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:٢١٨].

وكما أنَّ الإيمان فرض على كل واحد، ففرض عليه هجرتان في كل وقت: هجرة إلى اللَّه ﷻ بالتوحيد، والإخلاص، والإنابة، والتوكل، والخوف، والرجاء، والمحبة، والتوبة، وهجرة إلى رسوله بالمتابعة، والانقياد لأمره، والتصديق بخبره، وتقديم أمره وخبره على أمر غيره وخبره:

«**فمن كانت هجرته إلى اللَّه ورسوله؛ فهجرته إلى اللَّه ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها، أو امرأة يتزوجها، فهجرته إلى ما هاجر إليه**»(٢).

وفُرِضَ عليه جهاد نفسه في ذات اللَّه، وجهاد شيطانه، فهذا كله فرض عين لا ينوب فيه أحد عن أحد.

وأما جهاد الكفار والمنافقين، فقد يُكْتَفَى فيه بِبَعْضِ الأُمَّة إذا حصل منهم مقصود الجهاد.

وأكمل الخلق عند اللَّه من كَمَّلَ مراتب الجهاد كلها، والخلق متفاوتون في منازلهم عند اللَّه، تفاوتهم في مراتب الجهاد؛ ولهذا كان أكملُ الخلق وأكرمهم على اللَّه خاتمَ أنبيائِهِ وَرُسُلِه، فإنَّه كمَّل مراتبَ الجهاد، وجاهد في اللَّه حقَّ جهاده، وشرع في الجهاد من حيث بُعِثَ إلى أن توفَّاهُ اللَّه ﷻ. اهـ

فالجهاد مراتب، وكلُّ مرتبةٍ تسمَّى جهادًا، لكن لفظ الجهاد إذا أُطلق فإنَّهُ

(١) أخرجه مسلم (١٩١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريجه في الحديث الأول (ص٢٦).

يُحْمَلُ على جهاد الكفار بخاصَّة، وهذا الذي أُفَصِّلُ فيه:

«ينقسمُ الجهاد إلى قسمين:

الأولُ: جهاد الفتح والطلب -وهو فرض كفاية-، ويجب أن تتوفَّر فيه الشروط الشرعيَّة الآتية:

أ- الإمام.

ب- التمكُّن والقدرة -المستلْزِمة لِوُجودِ الدِّيار-.

جـ- الرَّاية.

الثاني: جهادُ الدَّفع، وهو فرضٌ عينيٌّ على جميع أهل البلد الذي يَدْهَمُهُ العَدُوُّ الصَّائل -على وَفْقِ ما آلَتْ إليه حال الذين دُوهِمُوا من المسلمين؛ قوةً وحَسْبَ ما هم فيه؛ قدرة-.

فإذا عجزوا؛ أمدهم من هو مجاوِرٌ لهم من إخوانهم المسلمين الأقرب فالأقرب -فرضًا كفائيًّا-.

وهكذا.

ولا بد للجهاد الشرعي فتحًا وطلبًا، من الإعداد الشرعي؛ وهو نوعان:

أولًا: الإعداد التربويُّ الإيمانيُّ، بحيث تكون الأمة قد أقامت حقيقة العبودية لرب العالمين ﷻ علمًا، وعملًا، واعتقادًا- وَرَبَّت أنفسها على كتاب اللَّه تعالى-، وزكتها على سنة نبيها ﷺ ونصرت دينَ اللَّه وشرعَهُ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠] وقال رسول اللَّه ﷺ «**المجاهد من جاهد نفسه في طاعة اللَّه**»(١).

---

(١) صحيح، أخرجه الترمذي (١٦٢١)، وأحمد (٢٣٩٥٨) عن فَضالَة بن عُبَيْدٍ، وهو مخرَّج في «الصحيحة» (٥٤٩).

ثانيًا: الإعداد المادي؛ وهو توفيرُ العَدَدِ و العُدَدِ، لمقاومة أعداء اللَّه وقتالهم، قال -تعالى- : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]»[١] . اهـ

والجهاد له أهدافُه وغاياتُه، وفقهه وعلماؤه، وأهله وجنوده، وأراضيه وميادينه، وأحكامه وضوابطه المنضبطة بفهم العلماء الربانيِّين، واستنباطاتهم، وتقريراتهم التي بها تنال الأمَّةُ النَّصرَ، والعزَّ، والفلاح في الدنيا، والأجر والثواب والرفعة في الآخرة.

وقد أشار النبيُّ ﷺ إلى أنَّ الشام ستكون ساحةَ الحروبِ والملاحم الكبرى الفاصلة في حياة الأمَّة الإسلاميَّة، وأنَّها أصل دار المؤمنين، وأن أهلها هم المنتصرون الظاهرون في نهاية كل حرب وقتال إلى قيام الساعة.

فعن سلمة بن نُفَيْل الكِنْدي رضي الله عنه قال: كنتُ جالسًا عند رسول اللَّه ﷺ فقال رجل: يا رسول اللَّه! أذال[٢] النَّاس الخيلَ، ووضعوا السلاح، وقالوا: لا جهاد! قد وضعت الحرب أوزارها، فأقبل رسول اللَّه ﷺ بوجهه، وقال: «**كذبوا؛ الآن جاء القتال، ولا يزال من أمتي أمَّة يقاتلون على الحق، ويزيغ[٣] اللَّه لهم قلوب أقوام، ويرزقهم منهم، حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي وعد اللَّه، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وهو يُوْحَى إليَّ: أني مقبوض غير ملَبَّث[٤]، وأنتم تتبعوني أفنادًا[٥] يضرب بعضكم رقاب بعض، وعُقْرُ دار المؤمنين الشام**»[٦].

---

(١) «مجمل مسائل الإيمان والكفر العمليَّة في أصول العقيدة السلفيَّة» (ص٥٧-٥٩)، إعداد مركز الإمام الألباني، بتصرف وزيادة.

(٢) أذال؛ أي: أهان، وقيل: أراد أنهم وضعوا أداة الحرب عنها وأرسلوها.

(٣) يزيغ؛ أي: يميل.

(٤) اللُّبث: المكث، والإقامة، والبقاء.

(٥) أفنادًا: أي جماعات متفرقة.

(٦) صحيح، أخرجه النسائي (٣٥٦١) من حديث سَلَمَة بن نُفَيل الكِنْدي رضي الله عنه، وصحَّحه الإمام الألباني في «الصحيحة» (١٩٣٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «والنبي ﷺ ميَّزَ أهلَ الشام بالقيام بأمر اللَّه دائمًا إلى آخر الدهر، وبأَنَّ الطائفة المنصورة فيهم إلى آخر الدهر؛ فهو إخبار عن أمر دائم مستمر فيهم مع الكثرة والقوَّة، وهذا الوصف ليس لغير أهل الشام في أرض الإسلام، فإنَّ الحجاز التي هي أصل الإيمان نقص في آخر الزمان منها: العلم، والإيمان، والنصر، والجهاد، وكذلك اليمن، والعراق، والمشرق، وأمَّا الشام؛ فلم يزل فيها العلم والإيمان، ومن يقاتل عليه منصورًا مُؤَيَّدًا في كل وقت»(١).

كما وستكون الشامُ عاصمةَ ملكِ أمَّةِ الإسلام عندما يحكمُ المسلمون الأرضَ في آخر الزمان، وستكون القاعدة التي تنطلق منها الجيوش الإسلاميَّة التي تفتح جميع أقطار الأرض، وذلك عندما يملك المهدي، وعيسى بن مريم، ويحكمون بالإسلام، وينشرون العدل في الدنيا، بعد أن ملئت ظلمًا وجورًا.

وكذلك سيكون جهاد الدجال الأكبر الأعور، وقتله في الشام على يد نبي اللَّه عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وهلاك تلك الأمَّة الكافرة المفسدة في الأرض -يأجوج ومأجوج- سيكون في الشام بفضل اللَّه -تعالى- نصرًا لنبيِّه عيسى بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولتلك الطائفة المؤمنة الصالحة معه.

فهذه البشارة بنصر الطائفة المنصورة، وظهورها، وتمكينها في الأرض، بشارة عامَّة إلى آخر الزمان، ولا ينافي هذا الوعد بالنصر والتمكين لهذه الطائفة ما حدث للمسلمين أثناء زحف التتار على العراق، ثم الشام، وما حصل من الحملات الصليبيَّة على الشام، ومصر، وما وقع بالمسلمين في الأندلس، وما جرى ويجري للمسلمين من بعد سقوط الدولة العثمانيَّة على أيدي النصارى واليهود، وخاصَّة في فلسطين المحتلة مِنْ قتل وتقتيل، وتنكيل، واستضعاف،

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٤٤٩).

وتشريد، وإبعاد، وإذلال، إذ إنَّ الضعف والذل يحصل للمسلمين إذا أخذوا بأسبابه، ووقعوا في الشرك، والبدع، وركنوا إلى الدنيا، وتركوا الجهاد في سبيل اللَّه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال رسول اللَّه ﷺ: **«إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد؛ سلَّط اللَّه عليكم ذُلًا لا ينزعه، حتى ترجعوا إلى دينكم»**(١).

ولكن تسلُّط الكفار على المسلمين وإذلالهم، وإنْ حصل في زمان معيَّن؛ أو مكان معيَّن، فإنَّه لا يمكن أن يستمر ويدوم إلى الأبد، وهذا مقتضى ما وعد اللَّه ورسوله هذه الأمَّة بالظهور والنصر والرفعة والسناء، فما إنْ يظهر الكفار على المسلمين في فترة معيَّنة أو مكان معيَّن، فسرعان ما تقوم الطائفة المنصورة بتصفية الدين من كل دخيل، ودعوة النَّاس للرجوع إلى الدين الصحيح، والعمل بسنَّة سيِّد المرسلين، وتوحيد قلوب الأمَّة وصفوفها؛ لمجاهدة أعدائها، ومحاربتهم، ورفع الذل الذي نزل بالمسلمين، وما إنْ يرجع المسلمون إلى دينهم الصحيح حتى ينصرهم اللَّه على عدوهم، ويرفع عنهم الذل الذي سُلِّط عليهم، وهذا ما حصل مع المسلمين في زمن التتار والصليبيين لما رجعوا إلى دينهم، وأخذوا بأسباب النصر، نصرهم اللَّه، وهزموا جحافل التتار، وكسروا جيوش الصليبيين على أرض الشام، وسوف يُقاتَلُ أَعْدَى أعداءِ اللَّه -اليهود- ويُهزمون ويُقتَّلون على أرض الشام -بإذن اللَّه تعالى-، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: **«لا تقوم الساعةُ، حتى يقاتلَ المسلمونَ اليهودَ، فَيَقْتُلُهم المسلمون، حتى يَخْتَبِئَ اليهوديُّ وراء الحجر أو الشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم! يا عبداللَّه! هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود»**(٢).

فالطائفة المنصورة ظاهرة ومنصورة في كل زمان ومكان، وإن بدا خلاف ذلك

---

(١) سبق تخريجه (ص١٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٢٦)، ومسلم (٢٩٢٢).

لبعض النَّاس، وأُشْكِلَ على المتعجلين حال المسلمين في زمان، أو مكان مُعَيَّن، إذ إنَّ مِنْ سنَّة اللَّه -تعالى- مداولة الأيام بين النَّاس، قال -تعالى-: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، هذا بالإضافة إلى أنَّ النصر والظهور يشمل عدَّةَ معانٍ:

أولًا: وضوح وبيان المعتقد والمنهج، وعدم الاستتار.

ثانيًا: الثبات على الحق، والدين، والاستقامة عليه.

ثالثًا: الغلبة والقهر، والظفر على الأعداء.

ولا يعني استمرار الجهاد، والقتال في الأمَّة استمراره على كل حال، وفي كل زمان مطلقًا، حتى لو تخلَّفت أسبابُه وعُدَدُه وأعدادُه، وضوابطه وشروطه، وكان حال المسلمين ضعيفًا، معنويًّا وماديًّا، والزمان زمان فتنة، إذلو حصل القتال مع هذا الحال لتخلف النصر يقينًا لعدم القتال الشرعي الذي أمر اللَّه ورسوله به، قال -تعالى-: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١]، وقال: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠]. وقد كان النبي ﷺ يَنْهَى أصحابَهُ عن القتال في مكة، ويَحُثُّهُم على الصبر والثبات وعدم الاستعجال(١)، وطلب النصر في ذلك الوقت، إذ لو حصل القتالُ وقتئذٍ لاستُئْصِلَ المسلمون عن آخرهم لضعفهم، وَقِلَّتهم في مكة، ولِمَا يَحصل من الشر والفساد، وخسران الدنيا والآخرة، وَلَمَّا ازداد المؤمنون، وكَثروا، وأصبح لهم مِنَ القوَّة ما يستطيعون أن يواجهوا به عدوهم بعد الهجرة في المدينة، أمرهم النبيُّ ﷺ بالجهاد في سبيل اللَّه، فنصرهم اللَّه على عدوهم، واستخلفهم ومكَّن لهم في الأرض.

---

(١) انظر (ص١٥٢).

وقد قام ورثةُ الأنبياءِ في هذه الأمَّة -العلماء الربانيون- المتبصرون بنور الإيمان، والعلم، بإرشاد الأمَّة، ونصحها في الجهاد في سبيل الله وحَثِّهم على الاستمرار بالقيام به، وتحريضِهم عليه، وَأمَّا إنْ كان هناك ثَمَّةَ عقبات وموانعُ تَحُولُ دون القيام به على وجهه الشرعي داخلية، أو خارجيَّة، وكان الزمان زمان فتنة، أَخَّرُوا الجهاد وتركوه، وقاموا على تهيئةِ أسبابهِ، وإزالةِ العقباتِ من أمامهِ، وتذليلِها.

من فقه الجهاد: ترك الجهاد في زمن الفتنة

من العلماء الذين قاموا بهذا الأمر، وفَقِهُوهُ وطَبَّقُوهُ وبيَّنوه للأمَّة؛ شيخ الإسلام العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللَّهُ، قال السُّبكي في «معيد النعم» (٤٥-٤٦):

«طلب الملكُ المظفرُ سيفُ الدينِ نظر شيخِ الإسلامِ، سلطانَ العلماء؛ عز الدين بن عبدالسلام، بحضرة الملك الظاهر بيبرس، والملك المنصور قلاوون، وغيرهما من الأمراء، وحادَثَهُ في الخروج إلى لقاء العدو من التتار، لَمَّا داهموا البلاد ووصلوا إلى عين جالوت، فقال له: اخرُج! وأَنَا أضمن لك على اللَّه النصر، فقال: إنَّ المال في خزائني قليل! وأُريد الاقتراض من التجَّار، فقال: إذا أَحْضَرْتَ أنت وجميع العسكر كل ما في بيوتكم وعلى نسائكم من الحلي الحرام، وضربته على السكة، وأنفقته على الجيش، وقصر عن القيام بكلفتكم، أنا أسأل لكم اللَّه -تعالى- في إظهار كنز من الكنوز يكفيكم ويفضلُ عنكم، **وأمَّا أنَّكم تأخذون أموال المسلمين، وتَخرجون إلى لقاء العدو، وعليكم المحرماتُ من الأطرزة المزركشة، والمناطق المحرمة، وتطلبون من اللَّه -تعالى- النصرة؛ فهذا لا سبيل إليه**، فوافَقُوه وأخرجوا من عندهم، ففرقَه وكفَى، وخرجوا وانتصروا».

ومنهم شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ، فلمَّا غزا التتار بلاد الشام خرج المسلمون لقتالهم، وكان فيهم شركٌ، وبدعٌ، ومعاصٍ، وفسادٌ، فأخذ ابن تيمية

رَحِمَهُ اللَّهُ يُصحح عقائدهم، ويدعوهم إلى التوحيد، وطاعة الرسول ﷺ كما قال في «الاستغاثة في الردِّ على البكري» (٢/ ٦٣١-٦٣٣) قال:

«وكان بعض الأكابر من الشيوخ العارفين، من أصحابنا يقول: هذا أعظم ما بيَّنته لنا؛ لعلمه بأنَّ هذا أصل الدين، وكان هذا وأمثاله في ناحية أخرى يدعون الأموات، ويسألونهم، ويستجيرون بهم، ويتضرعون إليهم، وربما كان ما يفعلونه بالأموات أعظم؛ لأنَّهم إنَّما يقصدون الميت في ضرورة نزلت بهم، فيدعونه دعاء المضطر؛ راجين قضاء حاجاتهم بدعائه أو الدعاء به، أو الدعاء عند قبره، بخلاف عبادتهم للَّه، ودعائهم إيَّاه؛ فإنَّهم يفعلونه في كثير من الأوقات على وجه العادة والتكلف، حتى إنَّ العدو الخارج عن شريعة الإسلام لمَّا قَدِم الشام خرجوا يستغيثون بالموتى عند القبور التي يرجون عندها كشف ضرهم، وقال بعض الشعراء:

يا خائفين من التتر ... لوذوا بقبر أبي عمر

أو قال:

عوذوا بقبر أبي عمر ... ينجيكم من الضرر».

حتميَّة هزيمة الجيش
الذي فيه شرك ومخالفات ولو كان فيه صالحون

قال: «فقلت لهم: هؤلاء الذين تستغيثون بهم لو كانوا معكم في القتال لانهزموا، كما انهزم من انهزم من المسلمين يوم أحد؛ فإنه كان قد مضى أنَّ العسكر ينكسر لأسباب اقتضت ذلك، ولحكمة كانت للَّه عَزَّ وَجَلَّ في ذلك».

الذين تركوا الجهاد بسبب الشرك والبدع والمعاصي

قال: «ولهذا كان أهل المعرفة بالدين والمكاشفة لم يقاتلوا في تلك المرة؛ لعدم القتال الشرعي الذي أمر اللَّه به ورسوله، وَلِما يحصل في ذلك من الشر والفساد، وانتفاء النصرة المطلوبة في القتال، فلا يكون فيه ثواب الدنيا، ولا ثواب الآخرة لمن عرف هذا وهذا، وإن كان كثير من المقاتلين الذين اعتقدوا هذا قتالًا شرعيًّا أُجروا على نياتهم».

الاهتمام بالإصلاح وتأجيل الجهاد

قال: «فلمَّا كان بعد ذلك جَعَلْنا نَأْمُرُ النَّاس بإخلاص الدين للَّه، والاستغاثة به، وأنهم لا يستغيثون إلا إياه، لا يستغيثون بملك مقرَّب، ولا نبي مرسل، كما قال -تعالى- يوم بدر: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٩] . . .».

بعد الرجوع إلى الدِّين الصحيح شرعوا في الجهاد فنصرهم اللَّه

قال: «فلمَّا أصلحَ النَّاس أمورَهم، وَصَدَقُوا في الاستغاثة بربهم؛ نصرهم على عدوهم نصرًا عزيزًا، لم يتقدَّم نظيره، ولم تُهْزَمِ التتار مثل هذه الهزيمة قبل ذلك أصلًا، لِما صح من تحقيق توحيده، وطاعة رسوله، ما لم يكن قبل ذلك، فإنَّ اللَّه ينصر رسله والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد»(١). اهـ

أقول: دلَّ هذا على أنَّ من يَدْعُونَ النَّاس إلى التوحيد، وإصلاح العقيدة والعبادة والأخلاق في زمن الفتنة وغَلَبَةِ الكفَّار وتعدِّيهم على المسلمين، وَيُرْجِئُونَ الجهاد في سبيل اللَّه إلى أن يعود المسلمون إلى الدين الصحيح، ليسوا بجبناء، ولا عملاء، ولا مثبطين، بل هم الذين يَعلَمون حقائق الأمور، ويدركون مآلات

(١) انظر «السبيل إلى العزِّ والتمكين» (ص٢٢-٢٣) لعبد المالك الجزائري -حفظه اللَّه-.

الأفعال، ويتبعون منهج النَّبي ﷺ وسبيل المؤمنين، وهم الذين أدركوا أنَّه لا تبديل لسنَّة اللَّه، ولا تمكين في الأرض إلا إذا تمكن الدين الصحيح مِنْ نفوس أصحابه، مصداقًا لقوله -تعالى-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١].

ومن العلماء الربانيين الذين قرَّروا هذه المسألةَ في عصرنا الحاضر شيخ الإسلام محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ، في معرض إجابته على هذا السائل:

«السائل: فضيلة الشيخ! نودُّ وأنت تعرف الآن الشباب الإسلامي، وما يعانونه في كل مكان في سبيل العودة إلى تحقيق الكيان الإسلامي، فثَمَّةَ عَرَاقِيلُ كثيرة تعترض العودة الرشيدة، أو الخطوات الرشيدة مما قد تصطنعه الأنظمة الجائرة، أو ينتج عن أخطاء الشباب الإسلامي كالتطرف في التدين، أو التفريط . . .، فما هي في رأيك الخطوات الرشيدة التي تنصح المسلمين بالعمل بها للوصول إلى تحقيق ما ينشدونه»؟

أخذ الشيخ يصف حالَ الأمَّة الإسلاميَّة، من حيث إحاطة الدول الكافرة القويَّة بِعَدَدِهَا وعُدَدِها بها، ومن حيث حُكَّامها الذين لا يحكمون بما أنزل اللَّه إلا في بعض النَّواحي، وصعوبة العمل الإسلامي الجماعي، والسياسي، وأكد أنَّه لا خلاص للأمَّة من هذا الذل والهوان الذي أصابها إلا بالعمل **بالتصفية والتربية**، وبيَّنَ مرادَهُ منهما، وأنَّه لا علاج لما أصاب المسلمين اليوم إلا بالإسلام، كما كان هو العلاج بالأمس، وبيَّن أنَّ الخلاف بين الجماعات الإسلاميَّة التي تسعى للإصلاح، وإعادة الحياة الإسلاميَّة أشد الاختلاف حول نقطة البدء بالإصلاح، وَخَطَّأَ من يشتغلون بالسياسة قبل تصفية وتصحيح عقائدهم الفاسدة، وتقويم سلوكهم وَفْقَ الشريعة، ومن يُجَمِّعُونَ ويُكَتِّلُونَ النَّاس حولهم على مفاهيمَ عامَّةٍ وغير واضحة، فبالتالي لا يكون للإسلام أثر في منطلق حياتهم، وإن نادوا بأن لا حكم إلا للَّه، فإنَّ فاقد الشيء لا يُعطيه، وبيَّن تناقضهم في دعوتهم للحكام بأن

يَحكموا بما أنزل اللّه، وعدم حُكْمِهِم أنفسهم بما أنزل اللّه، وتعجَّب الشيخ ممَّن يزعمون أنَّ السلفيين يُضَيِّعون عمرَهم في التوحيد، وبيَّن أنَّ دعوة التوحيد كانت دعوة الأنبياء والرسل، وضرب لذلك مثلًا بنوح عليه السلام الذي مكث ألف سنة إلا خمسين عامًا، يدعو قومه للتوحيد لا لشيء آخر.

وذكر أنَّ من فضائل السُّنَّة أَنَّها توضِّحُ مشاكلَ قد تعترض الأمَّة فتَضَعُ لها العلاج مُسبقًا، بعد أن تُنَبِّهَهم على مرضهم وعلَّتهم، وضرب لذلك مثلًا بحديث: «**ستتداعى عليكم الأمم، كما تتداعى الأكلة على قصعتها . . .**»، وحديث: «**إذا تبايعتم بالعينة، وأخذتم أذناب البقر . . .**»، وبيَّن أنَّ هذه الأحاديث تصف الداء والدواء للأمَّة.

فالداء هو حبُّ الدنيا وكراهية الموت، والاحتيال على شرع اللّه، واستحلال حرماته، مما يؤدي إلى ترك الجهاد، فتكون العاقبة والمصير أن يسلِّط اللّه على المسلمين ذلًّا، لا ينزعه عنهم؛ حتى -وهذا هو الدواء- يرجعوا إلى دينهم، ولَخَّص الشيخُ أمراضَ المسلمين بأمرين:

الأول: ترك الجهاد بسبب التكالب على الدنيا.

الثاني: الاحتيال على ما هو معلوم تحريمه من السنَّة، وضرب الشيخ للاحتيال على الشرع بعض الأمثلة، مما تقوم به بعض الفرق والمذاهب والمفتين، وذكر أنَّ الخلاف قائمٌ بين المسلمين في الأصول والفروع معًا قديمًا وحديثًا، مما أدى إلى تفرق الأمَّة وَتَمَزُّقِها.

ثمَّ قال: «ونتساءل الآن: ما هو الحل؟

الحلُّ واردٌ في ختام حديث الرسول ﷺ الذي أوردته، وهو: «**حتى ترجعوا إلى دينكم**»، الحل يتمثَّل في العودة الصحيحة إلى الإسلام، الإسلام بالمفهوم الصحيح الذي كان عليه رسول اللّه ﷺ وصحابته، وتحديدًا للإجابة عن السؤال الوارد في بداية هذا الرد؛ أعود فأقول: لا بدَّ أن نبدأ بالتصفية والتربية، وإنَّ أيَّ

حركة لا تقوم على هذا الأساس، لا فائدة منها إطلاقًا.

ولِكَي نُدلِّلَ على صحة ما نذهب إليه في هذا المنهج نعود إلى كتاب اللَّه الكريم، ففيه آية واحدة تدلُّ على خطأ كل من لا يتفق معنا على أنَّ البداية تكون بالتصفية ومن ثمَّ التربية.

يقول -تعالى-: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد:٧]، هذه هي الآية المقصودة، وهي التي أجمع المفسرون على أنَّ معنى نصر اللَّه إنَّما هو العمل بأحكامه، ومن ذلك -أيضًا-: الإيمان بالغيب الذي جعله ﷻ الشرط الأول للمؤمنين ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البقرة:٣]، فإذا كان نصر اللَّه لا يتحقَّق إلا بإقامة أحكامه، فكيف يمكننا أن ندخل في الجهاد عمليًّا ونحن لم ننصر اللَّه وَفْقَ ما اتَّفق عليه المفسرون؟!

كيف ندخل الجهاد وعقيدتنا خَرابٌ يَبابٌ؟ كيف نجاهد وأخلاقنا تتماشى مع الفساد؟!! لا بدَّ إذًا قبل الشروع بالجهاد؛ من تصحيح العقيدة، وتربية النفس، وأنا أعلم أنَّ الأمر لن يَسلم من المعارضة لمنهجنا في التصفية والتربية، فَثَمَّةَ من سَيَقُول: إنَّ القيام بالتصفية والتربية، أمر يحتاج إلى سنين طويلة، ولكني أقول: ليس هذا هو الهام في الأمر، بل الهام أن نُنَفِّذَ ما يَأْمُرُنا به دينُنَا وربُّنَا العظيم.

المُهِمُّ أن نبدأ بمعرفة ديننا أولًا، ولا يَهُمُّ بعد ذلك أن يَطول الطريق أو يقصر، إنَّني أتوجه بكلامي إلى رجال الدعوة المسلمين، وإلى العلماء والموجهين، وأدعوهم إلى أن يكونوا على علم تام بالإسلام الصحيح، وعلى محاربة لكل غفلة أو تغافل، ولكل خلاف أو تنازع.

﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ﴾ [الأنفال:٤٦]، وحين نقضي على هذا التنازع، وعلى هذه الغفلة، ونُحِلُّ محلها الصحوة، والائتلاف، والاتفاق، نَتَّجِهُ إلى تحقيق القوة الماديَّة ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ [الأنفال:٦٠]، فتحقيق القوَّة الماديَّة أمر بديهي، إذ لا بدَّ من

بناء المصانع، ومصانع الأسلحة وغيرها، ولكن لا بدَّ قبل كل شيء من العودة الصحيحة إلى الدين، كما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه في العقيدة، وفي العبادة، وفي السلوك، وفي كل ما يتعلَّق بأمور الشريعة، ولا تكاد تجد أحدًا في المسلمين يقوم بهذا سوى السلفيين، فهم الذين يَضَعون النُقَط على الحروف، وهم وحدهم ينصرون اللَّه بما أمرهم به من تصفية وتربية، تُوجِدُ الإنسان المسلم الصحيح، وهم وحدهم الذين يمثلون الفرقة النَّاجية من النار من الفرق الثلاث والسبعين التي سئل عنها الرسول، وقال: **«هي في النار»**!

ولهذا أعود فأقول: ليس من طريق للخلاص سوى الكتاب والسنَّة، وسوى التَّصفية والتَّربية في سبيلهما، وهذا يستدعي المعرفة بعلم الحديث، وتمييز الصحيح من الضعيف كي لا نبني أحكامًا خاطئة كتلك التي وقع بها المسلمون بكثرة؛ بسبب اعتمادهم على الأحاديث الضعيفة، ومن ذلك مثلًا: ما تقع به بعض الدول الإسلاميَّة؛ حيث تطبِّق قانونًا إسلاميًا -كما تسمِّيه-، ولكنه ليس مدعومًا بالسنَّة المحمديَّة، فتقع في بعض الأخطاء القانونيَّة والجزائيَّة، ومن ذلك أنَّ عقوبة المسلم تكون القتل حين يقتل ذميًّا ينضوي في لواء هذه الدولة المسلمة، إذا كان القتل عمدًا، وكَكَوْن دِيَةِ القتيل الذميِّ هي دِيَةُ المسلم نفسُها، إنْ قَتَلَهُ المسلم خطأً، وهذا خلاف ما جرى في عهد الرسول ﷺ، فكيف بعد هذا يُمْكِنُ أن نُقيم الدولة ونحن في ظل هذا التخبُّط، وهذه الأخطاء، وهذا البعد عن الدين؟!

هذا على صعيد العلم، فإذا انتقلنا إلى التَّربية وجدنا أخطاء قاتلة؛ فأخلاق المسلمين في التربية خراب يباب، ولا بدَّ من التَّصفية والتَّربية، والعودة الصحيحة إلى الإسلام، وكم يُعجبني في هذا المقام قول أحد الدعاة[1] الإسلاميين من غير السَّلفيين! ولكن أصحابه لا يعملون بهذا القول، يقول: «أَقِيمُوا دولة الإسلام في

---

(١) سبق ذِكره والتعليق عليه (ص٢٢١).

قلوبكم تَقُمْ دَوْلَتُهُ في أرضكم».

إنَّ أكثر الدعاة المسلمين يخطِئُون حين يُغْفِلُونَ مَبْدَأَنَا هذا، وحين يقولون: إنَّ الوقت ليس وقت التصفية والتربية، وإنما هو وقت التكتُّل والتجمُّع، إذ كيف يتحقَّق التكتُّل والخلاف قائم في الأصول وفي الفروع، إنَّه الضعف والتخلُّف الذي استشرى في المسلمين، ودواؤه الوحيد يتلخَّص فيما أسلفت؛ في العودة السليمة إلى الإسلام الصحيح، أو في تطبيق منهجنا في التصفية والتربية»[1].

ومنهم شيخ الإسلام عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث قال: «وفي وقتنا هذا ضَعُفَ أمرُ الجهاد لَمَّا تغيَّر المسلمون وتفرَّقوا وصارت القوة والسلاح بيد عدونا، وصار المسلمون الآن -إلا من شاء اللَّه- لا يهتَمُّون إلا بمناصبهم وشهواتهم العاجلةِ، وحظِّهم العاجل، ولا حول ولا قوة إلا باللَّه، فلم يبقَ في هذه العصور إلا الدعوة إلى اللَّه عَزَّوَجَلَّ والتوجيه إليه.

وقد انتشر الإسلام بالدعوة في هذه العصور في أماكن كثيرة في إفريقيا، شرقها، وغربها، ووسطها، وفي أوربا، وفي أمريكا، وفي اليابان، وفي كوريا، وفي غير ذلك من أنحاء آسيا، وكل هذا بسبب الدعوة إلى اللَّه بعضها على أيدي التُّجار، وبعضها على أيدي من قام بالدعوة وسافر لأجلها وتخصص لها.

وبهذا يَعْلَمُ طالب العلم، ومن آتاه اللَّه بصيرةً أنَّ الدعوةَ إلى اللَّه عَزَّوَجَلَّ من أهمِّ المهمَّات، وأن واجبها اليوم عظيمٌ؛ لأن الجهاد اليومَ مفقودٌ في غالب المعمورة، والنَّاس في أشدِّ الحاجة إلى الدعاة والمرشدين على ضوء الكتاب والسُّنَّة.

فالواجب على أهل العلم أينما كانوا أن يُبَلِّغُوا دعوةَ اللَّه وأن يصبروا على ذلك، وأن تكون دعوتهم نابعة من كتاب اللَّه وسنة رسوله الصحيحة -عليه الصلاة والسلام- وعلى طريق الرسول وأصحابه ومنهج السَّلف الصَّالح رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وأهمُّ ذلك وأعظمه الدعوة إلى توحيد اللَّه وتخليص القلوب من الشرك والخرافات والبدع؛

---

(١) «حياة الألباني، وآثاره العلميَّة، وثناء العلماء عليه» محمد بن إبراهيم الشيباني (١/ ٣٧٧-٣٩١) باختصار.

لأنَّ النَّاس ابْتُلوا بالبدع والخرافات إلا من رحم اللَّه، فيجب على الداعيةِ أنْ يهتمَّ بتنقية العقيدة، وتَخلِيصها مِمَّا شَابَهَا من خرافات، وبدع، وشركيَّات، كما يقوم بنشر الإسلام بجميع أحكامه، وأخلاقه، والطريق إلى ذلك هو تفقيه النَّاس في القرآن والسنة»[1].

ومنهم فقيه الزمان محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث قال: «إنَّه في عصرنا الحاضر يتعذَّر القيام بالجهاد في سبيل اللَّه بالسيف ونحوه؛ لضعف المسلمين ماديًّا ومعنويًّا، وعدم إتيانهم بأسباب النصر الحقيقيَّة، ولأجل دخولهم في المواثيق والعهود الدوليَّة، فلم يبقَ إلا الجهاد بالدعوة إلى اللَّه على بصيرة[2]»[3].

* * *

(١) «مجموع فتاوى ابن باز» (٣/ ١٢٢-١٢٣)، وانظر «مجموع فتاوى محمد بن إبراهيم» (٦/ ٢٠٢-٢٠٣) فقد قرَّر ذلك من قبل.

(٢) «مجموع فتاواه» (١٨/ ٣٨٨).

(٣) وانظر «السياسة التي يريدها السَّلفيون، ومعه السِّياسة في القرآن» (٥٥-٦٧) لشيخنا مشهور حسن -حفظه اللَّه-.

الحديث السَّادس والثَّلاثون

أهمُّ أماكن الفرقة النَّاجية والطَّائفة المنصورة

أولًا: في المسجدين: مكة والمدينة

عن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الإسلامَ بدأَ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، وهو يأرِزُ بين المسجدين؛ كما تأرِزُ الحيَّةُ في جُحرها**»[1].

قوله ﷺ: «**إنَّ الإسلام بدأ غريبًا**»، أي: في النَّبي ﷺ وأصحابه، في عقيدته وعبادته وأخلاقه وسلوكه؛ وذلك عندما بَدَؤُوا بالدعوة إليه، في مجتمع جاهليٍّ، أَلِفَ الجهل والشرك والفساد، ثمَّ انتشر الإسلامُ، وظهر، وانتصر، وزالت غربتُه وذِلَّتُهُ، وقوله ﷺ: «**وسيعود غريبًا كما بدأ**» أي: يُصيبه بعد ذلك النَّقص والإخلال؛ حتى يصبحَ الإسلامُ الصحيح غريبًا، في مجتمع غُثائيٍّ، في آحاد قليلة من النَّاس كما بدأ بآحاد قليلة في زمن النَّبي ﷺ، وقوله ﷺ: «**وهو يأرِزُ بين المسجدين**» أي: يَنْضَمُّ ويَجْتَمِعُ في مسجد الكعبة ومسجد المدينة، وقوله ﷺ: «**كما تأرِزُ الحيَّة في جُحرها**»: هذا مثلٌ ضَرَبَهُ النبيُّ ﷺ لعودة الإسلام إلى مركزه الأول وانتشاره منه.

ثمَّ بفضل اللَّه -تعالى- تزول عنه الغربةُ الثانيةُ، على أيدي الغرباء الذين اتبعوا سنَّةَ النَّبي ﷺ وسنة أصحابه، الذين رُفِعَت غربة الإسلام الأولى على أيديهم؛ فيعود للإسلام انتشاره، وظهوره، وانتصاره، في آخر الزمان، حتى يبلغ ما بلغ

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٧٦)، ومسلم (١٤٦)، وابن مَندَهْ في «الإيمان» (٤٢١)، والبزار في «زوائده» (١١٨٢)، وابن حبان (٣٧١٩)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٥٢٠).

الليل والنهار، ويدخل في كل بيت مَدَرٍ وَوَبَرٍ على وجه الأرض -بإذن اللَّه تعالى-.

فعن جابر بن عبد اللَّه، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**غِلَظُ القلوب والجفاء في المشرق، والإيمان في أهل الحجاز**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن الإيمان ليأرِزُ إلى المدينة، كما تأْرِزُ الحيَّةُ إلى جُحْرِها**»(٢).

والمراد بالمسجدين: مسجد الكعبة في مكة، ومسجد النَّبي ﷺ في المدينة، قال الإمام النَّووي رحمه الله في شرحه للحديث: «معناه أنَّ الإيمان أولًا وآخرًا، بهذه الصِّفة؛ لأنَّه في أول الإسلام كان كل من خلص إيمانه، وصحَّ إسلامه؛ أتى المدينة إما مهاجرًا، أو مستوطنًا، وإما مُتَشَوِّقًا إلى رؤية رسول اللَّه ﷺ، ومتعلِّمًا منه ومتقرِّبًا، ثم بعده هكذا في زمن الخلفاء كذلك، ولأخذ سيرة العدل منهم، والاقتداء بجمهور الصَّحابة -رضوان اللَّه عليهم- فيها، ثم من بعدهم من العلماء الذين كانوا سُرج الوقت، وأئمة الهدى؛ لأخذ السنن المنتشرة بها عنهم، فكان كل ثابت الإيمان منشرح الصدر به يرحل إليها»(٣).

ثم بعد ذلك في كل زمان للحج والعمرة والصلاة بمسجد الكعبة والمسجد النبوي الشريف، وأخذ العلم والسنة، وزيارة قبر النَّبي ﷺ، وصحابته الكرام -رضي اللَّه عنهم أجمعين-.

و«ظاهر الحديث العموم، وأنَّ الإسلام، بدأ في آحاد من النَّاس وقلَّة، ثم انتشر وظهر، ثم سَيَلْحَقُهُ النَّقص والإخلال؛ حتى لا يبقى إلا في آحاد وقلَّة كما بدأ»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٧٦)، ومسلم (١٤٧).

(٣) «شرح النَّووي على صحيح مسلم» (١/ ٣٥٥).

(٤) «شرح النَّووي على صحيح مسلم» (١/ ٣٥٤).

«والبَدْءُ كان في المدينة، وكانوا في غربة، وهذا ما وقع التَّصريح به في حديث جابر في رواية البيهقي في «الدلائل»(١)، فإنه لما ذكر: «**يوشك أهل العراق أن لا يجبى إليهم درهم ولا قفيز...**»، قال في آخره ورفعه: «**والذي نفسي بيده ليعودن الأمر كما بدأ، ليعود كل إيمان إلى المدينة كما بدأ منها؛ حتى يكون كل إيمان بالمدينة**» »(٢).

وليس المراد ذهاب الإسلام بالكلية، إنَّما المراد ذهاب أهل السنة كما قال الأوزاعي(٣) رضي الله عنه.

وقد وردت أحاديثُ كثيرةٌ تبيِّنُ فضائلَ مكةَ والمدينةِ وَمَسْجِدَيْهما، والصلاة بهما، والترغيب بِسُكْنى المدينة، والصَّبر على لأْوائها .

فعن عبدالله بن عدي بن الحمراء رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله ﷺ وهو واقفٌ على الحَزْوَرَة(٤)، فقال: «**والله إنَّكِ لخيرُ أرض الله، وأحبُّ أرضِ الله إلى الله، ولولا أنِّي أُخْرِجْتُ منك ما خرجت**»(٥).

وعن هانئ مرفوعًا: «**فَضَّلَ الله قريشًا بسبع خصال:**

١- فضلهم بأَنَّهم عبدوا الله عشر سنين، لا يعبده إلا قرشي.

٢- وفضلهم بأَنَّه نصرهم يوم الفيل وهم مشركون.

٣- وفضلهم بأَنَّه نزلت فيهم سورة من القرآن لم يدخل فيهم غيرهم: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾ [قريش: ١] .

---

(١) (٦/ ٣٣٠) بسند صحيح.
(٢) «العراق في أحاديث وآثار الفتن» (١/ ٤٥٦).
(٣) تقدَّم ذكره (ص٢١٨).
(٤) الحَزْوَرَة: اسم موضع بمكة.
(٥) صحيح، أخرجه الترمذي (٣٩٢٥)، وابن ماجه (٣١٠٨)، وصححه الإمام الألباني في «المشكاة» (٢/ ٨٣٢).

٤- وفضلهم بأنَّ فيهم النبوَّة .

٥- والخلافة .

٦- والحجابة[١] .

٧- والسِّقاية[٢]»[٣] .

وعن عبدالله بن زيد بن عاصم، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ إبراهيم حرَّم[٤] مكة، ودعا لأَهلها، وإنِّي حَرَّمْتُ المدينة، كما حَرَّمَ إبراهيم مكَّة، وإنِّي دعوت في صاعها، ومُدِّها، بِمِثْلَيْ ما دعا به إبراهيمُ لأهل مكَّة**»[٥] .

وعن عبدالله بن الزبير قال: قال رسول الله ﷺ: «**صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد، إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مئة صلاة في مسجدي**»[٦] .

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تُشَدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى**»[٧] .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**لا يصبر على لأْوَاءِ المدينة وشِدَّتِها أحد من أُمَّتي، إلا كنت له شفيعًا يوم القيامة، أو شهيدًا**»[٨] .

---

(١) الحجابة: أي: حجابة الكعبة، وهي سِدانَتُها، وتولي حفظها، وهم الذين معهم مِفتاحُها.

(٢) السقاية: هي ما كانت قريشٌ تسْقيه الحُجاج من الزَّبيب المنبوذ في الماء، وكان يَليها العباس بن عبدالمطلب في الجاهليَّةِ والإسلام.

(٣) حسن، أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١٠٠٤)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٩١٧٣)، وحسَّنه الإمام الألباني في «الصحيحة» (١٩٤٤).

(٤) الحرم: هو ما حُرِّمَ صيده ونباته.

(٥) أخرجه البخاري (٢١٢٩)، ومسلم (١٣٦٠).

(٦) صحيح، أخرجه الترمذي (٣٢٥)، والنسائي (٢٨٩٧)، وابن ماجه (١٤٠٦)، وصحَّحه الإمام الألباني في «الإرواء» (٩٧١) و (١١٢٩).

(٧) أخرجه البخاري (١١٩٧)، ومسلم (١٣٩٧).

(٨) أخرجه مسلم (١٣٧٨).

وقد رغَّب النبي ﷺ في البقاء بالمدينة عند فتح الأمصار، وخروج أقوام منها إلى تلك الأمصار، فقال: «**والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون**»[1].

* * *

(١) أخرجه البخاري (١٨٧٥)، ومسلم (١٣٨١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الحديث السَّابع والثَّلاثون

ثانيًا: في الشَّام

عن معاوية رضي الله عنه قال: سمعتُ النَّبيَّ ﷺ يقول: **«لا يزال من أُمَّتي أُمَّة قائمة بأمر اللَّه، لا يَضُرُّهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر اللَّه، وهم على ذلك»**.

قال عمير -أحد رواة الحديث-: قال مالك بن يخامر: قال معاذ: «هم بالشَّام»، قال معاوية: هذا مالك يزعم أنَّه سمع معاذ بن جبل يقول: **«هم بالشام»**[1].

يقول معاوية رضي الله عنه في هذا الحديث أنَّه سمع النبي ﷺ يقول: **«لا يزال من أُمَّتي أمَّة»**، **«أمتي»** هنا هي: أمَّةُ الاستجابة، و**«أمَّة»** أي: طائفة وجماعة، وقوله ﷺ: **«قائمة بأمر اللَّه»**، أي: قائمة بدينه، تعلُّمًا وتعليمًا، وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر، وجهادًا في سبيله، وقوله ﷺ: **«لا يضرهم من خذلهم»** أي: لا يُوقِفُهُم أو يُغَيِّرُ مسارهم من لم يؤازرهم وينصرهم مِنْ إخوانهم المسلمين، وقوله ﷺ: **«ولا من خالفهم»** أي: من غير المسلمين؛ وقوله ﷺ: **«حتى يأتي أمر اللَّه وهم على ذلك»**، أي: حتى تأتي الريح التي تقبض روح كل مؤمن قُبَيْلَ قيام الساعة، وهم ثابتون على القيام بأمر اللَّه.

هذا الحديث سمعه معاوية رضي الله عنه من النَّبي ﷺ ولكنه لم يعرف عن مكان تلك الأمة القائمة بأمر اللَّه؛ فاحتاج إلى أن يُسنِدَ لمن يعرف.

فقال: قال عمير -وهو أحد رواة الحديث-: قال مالك بن يخامر: قال معاذ: «هم بالشام» أي: تلك الأمَّة القائمة بأمر اللَّه بالشام.

ولفظ «هم بالشام» إنَّما أصحاب «الصحيحين»، كما قال الشيخ الألباني -رحمه

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٩٢٠)، والترمذي (٢٢٢٩)، وأحمد (١٦٩٣٢)، وأبو يعلى (٧٣٨٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٥/ ١٥٩).

اللَّه تعالى- «أخرجاه عن معاذ موقوفًا عليه، وقد جاء مرفوعًا عن أبي أُمامة وغيره، بأسانيد فيها ضعف، كما بينته في «تخريج فضائل الشام» لأبي الحسن الرَّبَعي، ويشهد لها الحديث الآتي في صحيح مسلم، على ما شرحه شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه اللَّه تعالى-»(١).

وهو قوله- ﷺ-: **«لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحقِّ حتى تقوم الساعة»**(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قال أحمد بن حنبل: أهل المغرب هم أهل الشام: وهو كما قال لوجهين:

أحدهما: أنَّ في سائر الحديث بيان أنهم أهل الشام.

الثاني: أنَّ لغةَ النبي ﷺ، وأهل مدينته في (أهل الغرب) هم أهل الشام»(٣).

ومن الأحاديث التي تدل على أنَّ الأمة القائمة بأمر اللَّه، والطائفة المنصورة، والفرقة النَّاجية بالشَّام إلى قيام السَّاعة:

١- حديث سلمة بن نُفيل رضي الله عنه بلفظ: **«الآن جاء القتال؛ لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على النَّاس، يرفع اللَّه قلوب أقوام فيقاتلون، ويرزقهم اللَّه عز وجل وهم على ذلك، ألا إنَّ عُقر دار المؤمنين بالشام، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة»**(٤).

٢- وحديث قرة رضي الله عنه بلفظ: **«إذا فسد أهل الشام، فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خالفهم، حتى تقوم الساعة»**(٥).

---

(١) «تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق للرَّبَعي، ومعه مناقب الشام وأهله» (ص٧٩).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٢٥) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٣) «مناقب الشام وأهله» (ص٧٩-٨٠) بتخريج الإمام الألباني رحمه الله.

(٤) سبق تخريجه (ص٢٥٠).

(٥) صحيح، أخرجه الترمذي (٢١٩٢)، وصححه الإمام الألباني في «الصحيحة» (٤٠٣).

٣- وحديث جابر بن عبد اللَّه ﷺ بلفظ: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق إلى يوم القيامة، قال: فينزل عيسى بن مريم، فيقول أميرهم: تعالَ صلِّ لنا، فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمير، تكْرِمَةَ اللَّه ﷻ لهذه الأمَّة**»[١].

ومعلوم أن أمير هذه الطائفة الذي يقول لعيسى -عليه الصلاة والسلام- تعال صَلِّ لنا هو محمد بن عبد اللَّه المهدي؛ سيكون ملكه في الشام، ونزول عيسى بن مريم -عليه الصلاة والسلام- ومكثه وإقامته؛ سيكون في الشام.

٤- وحديث أبي أمامة ﷺ: «**صفوة اللَّه من أرضه الشام، وفيها صفوته من خلقه وعباده، وَلَتَدْخُلَنَّ الجنة من أمتي ثُلَّةٌ، لا حساب عليهم ولا عذاب**»[٢].

٥- وحديث عبداللَّه بن عمرو بن العاص ﷺ قال: قال رسول اللَّه ﷺ «**إنِّي رأيتُ كَأَنَّ عمودَ الكتاب انْتُزِعَ من تحتِ وسادتي؛ فَأَتبعته بصري، فإذا هو نور ساطع، عُمِدَ به إلى الشَّام، ألا وإنَّ الإيمانَ إذا وقعت الفتنُ بالشَّام**»[٣].

مناقب الشَّام وأهله[٤]

ثَبَتَ للشام وأهله مناقب بالكتاب، والسنة، وآثار العلماء:

بَرَكَةُ الشَّام

وهذه المناقب أمور:

إحداها: البركة فيه، ثَبَتَ ذلك بخمس آيات من كتاب اللَّه تعالى:

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٦).

(٢) صحيح، أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٧٩٦)، وصحَّحه الإمام الألباني في «الصحيحة» (١٩٠٩).

(٣) صحيح، أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٨٥٥٤)، وصحَّحه الإمام الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٩٢).

(٤) هذا الفصل من كتاب «مناقب الشام وأهله» (٧٣-٨٧) لشيخ الإسلام ابن تيمية بتخريج الإمام الألباني وقد نقلت منه بعض تعليقات الإمام الألباني كما هي، بتصرف واختصار يسيرين.

١- قوله -تعالى- في قصة موسى: ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدۡ أَخَذۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف١٢٩- ١٣٠].

نَجاةُ موسى وغرقُ فرعون

﴿قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيۡهِمُ ٱلرِّجۡزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَۖ لَئِن كَشَفۡتَ عَنَّا ٱلرِّجۡزَ لَنُؤۡمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرۡسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلرِّجۡزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمۡ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۖ وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ﴾ [الأعراف: ١٣١- ١٣٧].

ومعلوم أنَّ بني اسرائيل إنَّما أُورِثوا مشارق الأرض -الشام- ومغاربها بعد أن أُغرق فرعون في اليمِّ.

الإسراء

٢- وقوله تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١]، وصوله أرض الشام.

نجاة إبراهيم ولوط

٣- وقوله -تعالى- في قصة إبراهيم: ﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ۝٧٠ وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٠- ٧١].

ومعلوم أن إبراهيم إنما نجاه اللَّه ولوطًا إلى أرض الشام من أرض الجزيرة والعراق.

مملكة سليمان

٤- وقوله -تعالى-: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَاۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١].

وإنَّما كانت تجري إلى أرض الشام التي فيها مملكة سليمان.

مسيرة ملكة سبأ للشَّام

٥- وقوله -تعالى- في قصة سبأ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَۖ سِيرُواْ فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ﴾ [سبأ: ١٨].

وهو ما كان بين اليمن -مساكن سبأ-، وبين قرى الشام، من العمارة القديمة كما ذكره العلماء.

فهذه خمسة نصوص، حيث ذكر اللَّه أرض الشام في هجرة إبراهيم إليها، ومسرى الرسول إليها، وانتقال بني إسرائيل إليها، ومملكة سليمان بها، ومسيرة سبأ إليها، وصفها بأنها الأرض التي باركنا فيها.

وأيضًا ففيها الطور الذي كلم اللَّه عليه موسى[1]، والذي أقسم اللَّه به في سورة الطور[2]، وفي: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين: ١-٢]، وفيها المسجد

(١) إشارة إلى قوله -تعالى-: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢].
(٢) [الطور: ١].

الأقصى، وفيها مبعث أنبياء بني إسرائيل، وإليها هجرة إبراهيم، وإليها معراج ومسرى نبينا، ومنها معراجه، وبها ملكه، وعمود دينه وكتابه والطائفة المنصورة من أُمته، وإليها المحشر والمعاد.

كما أنَّ من مكة المبدأ، فمكَّة أمُّ القرى.

والشَّام إليها يحشر النَّاس، كما في قوله: ﴿لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ﴾ [الحشر: ٢].

نبَّه على الحشر الثاني، فمكة مبدأ، وإيلياء معاد في الخلق، وكذلك بدأ الأمر، فإنَّه أسرى بالرسول من مكة إلى إيلياء، ومبعثه ومخرج دينه من مكة، وكمال دينه وظهوره و تمامه؛ حتى يملكه المهدي بالشام.

فمكة هي الأول، والشام هي الآخِرُ في الخلق والأمر، في الكلمات الكونيَّة والدينيَّة.

ومن ذلك أنَّ بها الطَّائفة المنصورة إلى قيام الساعة، التي ثبت فيها الحديث في الصحاح من حديث معاوية وغيره: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة**»(١).

وفيهما(٢) عن معاذ بن جبل، قال: «**وهم بالشام**»، وفي «تاريخ البخاري» مرفوعًا قال: «**وهم بدمشق**»، وفي «صحيح مسلم» عن النَّبي ﷺ أنَّه قال: «**لا يزال أهل الغرب ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة**»(٣).

وقال أحمد بن حنبل: أهل المغرب هم أهل الشام، وهو كما قال لوجهين:

أحدهما: أنَّ في سائر الحديث بيان أَنَّهم أهل الشام.

---

(١) انظر «صحيح الجامع الصغير» (٧٢٨٧ - ٧٢٩٦).

(٢) يعني «الصحيحين»، أخرجاه عن معاذ موقوفًا عليه، وقد جاء مرفوعًا عن أبي أُمامة وغيره بأسانيد فيها ضعف كما بينته في «تخريج فضائل الشام» لأبي الحسن الرَّبَعي، ويشهد لها الحديث الآتي في «صحيح مسلم» على ما شرحه شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) أخرجه برقم (١٩٢٥) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

الثاني: أنَّ لغة النَّبي ﷺ وأهل مدينته في (أهل الغرب) هم أهل الشام، ومن يَغْرُبُ عنهم، كما أنَّ لغتهم في (أهل المشرق) هم أهل نجد والعراق، فإنَّ المغرب والمشرق من الأمور النسبيَّة.

فأخبر أنَّ أهل الغرب لا يزالون ظاهرين، وأمَّا أهل الشرق فقد يظهرون تارة، ويُغلَبون أخرى، وهكذا هو الواقع، فإنَّ الجيشَ الشَّامِيَّ مازال منصورًا.

وكان أهل المدينة يُسَمُّون الأوزاعي[1]: إمام أهل المغرب، ويُسَمُّونَ الثوري[2] شرقيًّا، ومن أهل الشرق.

ومن ذلك أَنَّها خيرَةُ اللَّه في الأرض، وأنَّ أهلها خيرَةُ اللَّه وخيرَةُ أَهل الأرض، واستدلَّ أَبو داود في «سننه» على ذلك بحديث كثير (مثل):

حديث عبداللَّه بن حوالة الأزدي عن النَّبي ﷺ قال: **«ستجنَّدون أجنادًا؛ جندًا بالشام، وجندًا باليمن، وجندًا بالعراق»**، فقال الحوالي: يا رسول اللَّه! اختر لي؟ قال: **«عليك بالشام؛ فإنَّها خيرَةُ اللَّه من أرضه، يجتبي إليها حزبه من عباده، فَمَنْ أَبَى فليلحق بيمنه، وليسقَ من غُدره، فإنَّ اللَّه قد تكفَّل لي بالشام وأهله»**[3].

وكان الحوالي (راوي الحديث) يقول: مَنْ تكفَّل اللَّه به، فلا ضيعة عليه، ففي هذا الحديث مناقب المهاجرة [إلى الشام].

وحديث عبداللَّه بن عمرو، عن النَّبي ﷺ قال: **«سيكون هجرة بعد هجرة، فخيار أهل الأرض ألزمهم مهاجر إبراهيم، ويبقى في الأرض شرار أهلها، تلفظهم**

---

(١) هو إمام الديار الشاميَّة في الفقه والزهد، وكانت الفتيا بالشام والأندلس تدور على فتواه الزمن الطويل، ولد في بعلبك (٨٨)، ووفاته في بيروت (١٥٧هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) هو أمير المؤمنين في الحديث وسيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى، كان آية في الحفظ، رفض قبول القضاء، ولد في الكوفة سنة (٩٧) توفي في البصرة سنة (١٦١) رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٣) حديث صحيح، أخرجه أحمد والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ٣٥)، وأبو الحسن الرَّبَعي في «فضائل الشام ودمشق» من طرق خمسة عن عبداللَّه بن حوالة مرفوعًا بعضها صحيح الإسناد.

أرضوهم، وتقذرهم نفس الرحمن، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير[١]، **تبيت معهم حيث كانوا، وتقيل معهم حيث قالوا»**.

فقد أخبر أنَّ خِيارَ أهل الأرض مِنْ ألزمهم مهاجر إبراهيم، بخلاف من يأتي إليه، ثم يذهب عنه، ومهاجر إبراهيم هي الشام.

وبيان أنَّ هذه الهجرة التي لهم بعد هجرة أصحاب رسول اللَّه ﷺ إلى المدينة؛ لأنَّ الهجرة إلى حيث يكون الرسول وآثاره، وقد جعل مهاجر إبراهيم تعدل مهاجر نبينا ﷺ، فإنَّ الهجرة إلى مهاجره انقطعت بفتح مكة[٢].

ومن ذلك أنَّ اللَّه تكفَّل بالشام وأهله، كما في حديث الحوالي.

ومن ذلك أنَّ ملائكةَ الرحمن باسطةٌ أجنحتها على الشام، كما صحَّ من حديث زيد بن ثابت[٣].

ومن ذلك أنَّ عمود الكتاب والإسلام بالشام، كما قال النَّبي ﷺ: **«رأيت كأنَّ عمود الكتاب أُخذ من تحت رأسي، فأتبعته بصري فذُهب به إلى الشام»**[٤].

ومن ذلك أنَّها عقر دار المؤمنين، كما قال النبي ﷺ: **«وعقر دار المؤمنين بالشام»**[٥]. اهـ

---

(١) إلى هنا ينتهي حديث ابن عمر، وهو حديث حسن، أخرجه أبو داود في أول الجهاد (٢٤٨٢) . . . وأمَّا بقيَّة الحديث: **«تبيت معهم . . .»** فهو تتمة حديث آخر من رواية أبي هريرة مرفوعًا بلفظ: **«يُحشر النَّاس على ثلاثة طرائق راغبين راهبين: واثنان على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، وتَحْشُرُ بقيتهم النار، فتَقِيل معهم حيث قالوا، وتَبِيتُ معهم حيث باتوا، وتُصبح معهم حيث أصبحوا، وتُمسي معهم حيث أمسوا»**، رواه البخاري (٦٥٢٢)، ومسلم (٢٨٦١).

(٢) أشار بذلك إلى حديث: **«لا هجرة بعد الفتح»** عند البخاري (٢٧٨٣) وغيره.

(٣) قال: كنَّا عند رسول اللَّه ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع، فقال رسول اللَّه ﷺ: **«طوبى للشام»**، فقلنا: لأي ذلك يا رسول اللَّه؟ قال: **«لأنَّ ملائكة الرحمة باسطة أجنحتها عليها»**، أخرجه أحمد (٢١٦٠٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٧/ ١٥٢/ ١)، والترمذي وحسَّنه، وأبو الحسن الرَّبَعي، تقدَّم برقم واحد من «فضائل الشام»، والحاكم وصحَّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وهو كما قال.

(٤) صحيح، أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء»، وأبو الحسن الرَّبَعي رقم (٣) بإسناد صحيح.

(٥) صحيح، أخرجه أحمد (١٦٠٠٦) من حديث سلَمة بن نُفَيل رضي الله عنه.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -أيضًا- : «والنَّبي ﷺ مَيَّز أهل الشام بالقيام بأمر اللَّه دائمًا إلى آخر الدهر، وبأنَّ الطائفة المنصورة فيهم إلى آخر الدهر؛ فهو إخبار عن أمر دائم مستمر فيهم مع الكثرة والقوة، وهذا الوصف ليس لغير أهل الشام من أرض الإسلام، فإنَّ الحجاز التي هي أصل الإيمان نقص في آخر الزمان منها: العلم، والإيمان، والنصر، والجهاد، وكذلك اليمن، والعراق، والمشرق، وأمَّا الشام؛ فلم يزل فيها العلم والإيمان، ومن يقاتل عليه منصورًا مؤيدًا في كل وقت»(١).

وأَهَمُّ مناقب الشام على الإطلاق هو وجود المسجد الأقصى المبارك فيها، فهو من المساجد الثلاثة فقط التي تُشَدُّ إليها الرحال كما قال النَّبيُّ ﷺ: **«لا تُشَدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى»**(٢)، وهو من المساجد التي ضوعف فيها أجر الصلاة والمغفرة.

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: تذاكرنا ونحن عند رسول اللَّه ﷺ أيهما أفضل؛ أمسجد رسول اللَّه ﷺ، أم بيت المقدس؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: **«صلاةٌ في مسجدي أفضل من أربع صلوات فيه، ولنعم المُصلى هو، وليوشكنَّ لأن يكون للرجل مثل شَطَنِ**(٣) **فرسه من الأرض حيث يرى منه بيت المقدس خيرٌ له من الدنيا جميعًا، أو قال: خير له من الدنيا وما فيها»**(٤).

«والحديث أصحُّ ما ورد في ثواب الصلاة في المسجد الأقصى، فكان ما في هذا الحديث يدلُّ على أنَّ الصلاة في مسجد النَّبي ﷺ كأربع صلوات في المسجد

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٤٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (١١٩٧)، ومسلم (١٣٩٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) الشَّطَن: الحبل الطويل يُسْتَقَى به من البئر، أو تُشَدُّ به الدابة، والجمع أشْطان.

(٤) صحيح، أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦٩٨٣)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٢٤٨)، والحاكم في «المستدرك» (٨٥٥٣)، وصحَّحه الإمام الألباني في «الصحيحة» (٢٩٠٢)، وقال عَقِبَه (٦/ ٩٥٤): «وأصح ما جاء في فضل الصلاة فيه حديث أبي ذر قال: تذاكرنا ونحن عند رسول اللَّه ﷺ، وذكره . . .».

الأقصى، يعني أنَّ الصلاة في المسجد الأقصى كمئتي صلاة وخمسين في الثواب»[١].

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص عن رسول الله ﷺ: **«أنَّ سليمان بن داود ﷺ لَمَّا بنى بيت المقدس (وفي رواية: لَمَّا فرغ من بناء مسجد بيت المقدس) سأل الله ﷻ خلالًا ثلاثة: سأل الله ﷻ حُكمًا يصادف حُكمه فأُوتيه، وسأل الله ﷻ مُلكًا لا ينبغي لأحد من بعده فأُوتيه، وسأل الله ﷻ حين فرغ من بناء المسجد، أن لا يَأْتيه أحدٌ لا تَنْهَزُهُ[٢] إلا الصلاة فيه، أن يُخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه»**[٣]، وفي رواية: فقال النبي ﷺ: **«أمَّا اثنتان فقد أعطيهما، وأرجو أن يكون قد أعطي الثالثة»**[٤].

ومما يجدر التنبيه إليه في هذا المقام، أن المسجد الأقصى، لا يسمى حرمًا، إنَّما الحرم الذي بمكة والمدينة خاصَّة، وأمَّا وجٌّ الذي بالطائف ففيه نزاع بين العلماء، فلا يسمى المسجد الأقصى حرمًا، ولا المسجد الإبراهيمي، وحرم بِير الرَّام -اللَّذَيْن في مدينة الخليل- ولا غيرهم[٥] كما شاع وذاع عند عامَّة النَّاس، بل وعند بعض خواصهم[٦].

---

(١) «إسعاد الأخصَّا بذكر صحيح فضائل الشام والمسجد الأقصى» (ص٤١) لشيخنا أبي عبدالرحمن هشام العارف -حفظه الله-، وسُمِّيَ الكتاب بعد ذلك بـ«إتحاف الأنام بفضائل المسجد الأقصى والشام».

(٢) تَنْهَزُهُ: تدفعه.

(٣) صحيح؛ أخرجه النسائي (٦٩٣)، وصحَّحه الإمام الألباني في «صحيح سنن النسائي».

(٤) صحيح، أخرجه ابن ماجه (١٤٠٨)، وصحَّحه الإمام الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١١٧٨).

(٥) ففي دمشق يُسمِّي النَّاس مسجد السَّيدة زينب حرم السَّيدة زينب، ومثله في القاهرة، ومسجد الحسين بالقاهرة يُسمَّى حرم الحسين، والمسجد الإدريسي بالمغرب يُسمَّى الحرم الإدريسي، والأوثان والقبور التي اتخذها الشيعة مساجد وسَمَّوْها حُرُمًا.

(٦) انظر «الحضرة الأنسيَّة في الرحلة القدسيَّة» (١/ ٢٨٩، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٩١) والعناوين من عمل المحقق محمد يوسف، و«تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (ص٤٥٤)، وانظر «مجموع فتاوى محمد بن إبراهيم» (٦/ ١٤٢) و«السَّلفيون وقضيَّة فلسطين» (٢٢١)، و«معجم المناهي اللفظيَّة» (٢٠٩)، و«مجلة الأصالة» (٥٤/ ٥٠-٥٤).

فكثير من النَّاس في فلسطين وغيرها، يقولون عن المسجد الأقصى: الحرم، أو الحرم الشريف، أو ثالث الحرمين الشريفين، أو حرم القدس، ويقولون عن المسجد الإبراهيمي في الخليل: الحرم الإبراهيمي، أو حرم الخليل، فهذا شرعًا لا يجوز، بل هو بدعة في الدين لا أصل لها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وليس ببيت المقدس مكان يُسمَّى حرمًا، ولا بتربة الخليل، ولا بغير ذلك من البقاع إلا ثلاثة أماكن، أحدها: هو حرم باتفاق المسلمين، وهو -حرم مكَّة- شرَّفها اللَّه -تعالى-، والثاني: حرم عند جمهور العلماء، وهو حرم النَّبي ﷺ من عير إلى ثور بريد في بريد، فإنَّ هذا حرم عند جمهور العلماء كمالك، والشافعي، وأحمد، وفيه أحاديث صحيحة مستفيضة عن النَّبي ﷺ، والثالث: «وجٌّ»، وهو وادٍ بالطائف، فإنَّ هذا روي فيه حديث رواه أحمد في «المسند» وليس في الصحاح، وهذا حرم عند الشافعي لاعتقاده صحَّة الحديث، وليس حرمًا عند أكثر العلماء، وأحمد ضعَّف الحديث المروي فيه، فلم يأخذ به، وأمَّا ما سوى هذه الأماكن فليس حرمًا عند أحد من علماء المسلمين، فإنَّ الحرم ما حُرِّمَ صيده ونباته، ولم يُحَرَّم صيدُ مكانٍ ونباتُهُ خارجًا عن هذه الأماكن الثلاثة»[١].

وقال: « . . . والأقصى اسم للمسجد كله، ولا يسمى هو ولا غيره حرمًا، وإنَّما الحرم بمكة والمدينة خاصَّة، وفي وادي وجٍّ بالطائف نزاع بين العلماء»[٢].

وهذه الطائفة التي ذكرها النبي ﷺ في حديث الباب، وهو قوله ﷺ: **«لا يزال من أمتي أمَّة قائمة بأمر اللَّه، لا يضُرُّهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر اللَّه، وهم على ذلك»**، وقوله في الحديث الخامس والثلاثين: **«لا تزال طائفةٌ من أُمَّتي يُقاتِلون على الحقِّ، ظاهرين على من ناوأهم، حتى يُقاتِل آخرهم الدَّجَّال»**،

(١) «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ١٤-١٥).
(٢) «اقتضاء الصراط المستقيم» (ص٤٣٤).

وفي لفظ: «**لا تزال طائفةٌ من أُمَّتي ظاهرينَ على الحقِّ، لا يضرُّهم من خذَلهم، حتى يأتيَ أمرُ اللَّهِ وهُمْ كذلك**»[١]، هي أهل الحديث بإجماع أهل العلم المعتَبَرِين.

وقد قام الشيخ ربيع المدخلي -حفظه اللَّه- بجمع أقوال أهل العلم والإيمان التي فسَّروا بها الطَّائفة المنصورة الواردة في أقوال النبي ﷺ بأنَّها أهل الحديث في كتابه البديع: «أهل الحديث هم الطَّائفة المنصورة النَّاجية» (ص٩١-١٤٢)، وهأنا أنقلها بطولها مع تخريجات الشيخ ربيع وتعليقاته لعظيم فائدتها ونَفَاسَتِهَا[٢].

سياقُ أقوالِ أَئِمَّةِ الإسلام في أهلِ الحديثِ ومدحُهم وثناؤُهم العاطرُ عليهِم، وذمُّهُم لمن يطعنُ فيهِم، أو ينتقِصُهُم

فمنهم الأئمة الأجلاء الكبار، أهل العلم والعبادة، والورع، والزهد، والمكانة العظيمة عند اللَّه -إن شاء اللَّه-، وعند الأمَّة الإسلاميَّة[٣].

١- الإمام **عبداللَّه بن المبارك**، الثقةُ الثَّبْتُ الجواد المجاهد، الذي حاز خصال الخير، (ت ١٨١هـ).

[ذكر ابن المبارك حديثَ النَّبي ﷺ: «**لا تزال طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من ناوَأَهم؛ حتى تقوم السَّاعة**»، وقال: «هم عندي أصحابُ الحديث»].

٢- والإمام الجليل **يزيد بن هارون** أبو خالد الواسطيُّ، الثِّقة المتقن العابد، (ت ٢٠٦هـ)، [قال: «إن لم يكونوا أصحابَ الحديث فلا أدري مَنْ هم»].

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٢٠) من حديث ثوبان رضي الله عنه.

(٢) وانظر: «مكانة أهل الحديث ومآثرهم وآثارهم الحميدة في الدِّين» للشيخ ربيع المدخلي -أيضًا-.

(٣) وقد أضفتُ إليهم أسماءَ عددٍ من الأئمةِ والعلماءِ السَّالفين ممن فات الشيخ ربيعًا -حفظه اللَّه- ذِكْرُهُم، وذكرتُ أقوالَهم في أهلِ الحديثِ ومدحَهم وثناءَهم العاطرَ عليهِم، وعددًا من الأئمة والعلماء المعاصرين مع ذكر أقوالِهم في أهل الحديث (زيادة من عندي) ورمزتُ لهم بحرف (ز)، ورتبتهم حسب تواريخ وفياتهم.

٣- الإمام الجليل **علي بن عبدالله بن جعفر المديني** الثِّقة الثَّبت، أَعلَمُ أهل عصره بالحديث وعِلَلِهِ، (ت ٢٣٤هـ)، [قال: «هم أصحاب الحديث»].

٤- ومنهم إمام أهل السنة، الصابر المجاهد الثِّقة الحافظ الحجة الإمام، **أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني**، (ت ٢٤١هـ)، [قال: «إن لم يكونوا أصحاب الحديث فلا أدري من هم؟!»].

٥- ومنهم جبل الحفظ وإمام الدنيا، الثقة أمير المؤمنين في الحديث، **محمد ابن إسماعيل البخاري**، (ت ٢٥٦هـ)، [قال: «يعني أصحابَ الحديث»].

٦- ومنهم الإمام الثِّقة الحافظ **أبو جعفر أحمد بن سنان الواسطي**، (ت ٢٥٩هـ)، [قال: **«هم أهل العلم وأصحاب الآثار»**].

٧- الإمام الجليل الثِّقة الحافظ أحد الأئمة **محمد بن عيسى بن سَوْرَة السلمي الترمذي** صاحب «الجامع»، (ت ٢٧٩هـ)[1]، [قال: قال محمد بن إسماعيل -أي: البخاري-: قال علي بن المديني: «هم أصحاب الحديث»].

كلُّهم فَسَّروا قولَ النَّبيِّ ﷺ في الحديث المتواتر: «**لا تزال طائفةٌ من أُمَّتي، ظاهرين على الحق، لا يضرُّهم من خذلهم، ولا من ناوَأهم**» وفي رواية: «**خالفهم حتى تقوم الساعة**»، وفي لفظ: «**حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**»: بأنَّ المراد بهذه الطَّائِفة هم أهل الحديث، [كما رأيت].

وقد ورد في بعض طرق هذا الحديث: «**لا تزال طائفةٌ من أُمَّتي يقاتلون على الحق؛ حتى تقومَ السَّاعة**»، ولم يخالِفْهُم في ذلك أحدٌ من أئمَّة الإسلام والفقه والحديث، ولا يخالفهم إلا من لا يُعْتَدُّ بقوله من أهل البدع.

---

(١) من ١-٦: انظر: «شرف أصحاب الحديث» (ص ٢٦-٢٧)، وانظر قول الإمام أحمد في: «علوم الحديث» للحاكم (ص٢)، وقول الترمذي، وعلي بن المديني، والبخاري أيضًا في: «سنن الترمذي» (٤/ ٥٠٤)، [رقم (٢٢٢٩)، وقد رأيت من باب التقريب والتيسير على القراء الكرام أنْ أذكر أقوالهم في مواضعها كما ترى، وجعلتها بين معقوفتين].

وقد تابعهم على قولهم أئمَّة الحديث، والفقه، والتوحيد، والسُّنة، على امتدادِ التاريخ إلى يومنا هذا.

٨- ومنهم الإمام الجليل الفقيه المحدِّث المفسر الثِّقة، **محمد بن جرير الطبري**، (ت ٣١٠هـ)[١].

٩- ومنهم الحافظ **أبو بكر عمرو بن أبي عاصم الضَّحَّاك بن مخلد الشيباني**، (ت ٢٨٧هـ)، في كتابه «كتاب السُّنة»[٢].

ذكر أحاديثَ افتراق الأمَّة إلى ثلاثٍ وسبعين فرقة، مكتفيًا بذلك عن أحاديث: «**لا تزال طائفة من أُمَّتي على الحق**»؛ لوحدة موضوع هذه الأحاديث وتلك؛ فموضوع الأحاديث، الفرقة النَّاجية المنصورة.

ساقَ الإمام المذكور تحت عنوان: (باب: فيما أخبر به النبي ﷺ أنَّ أمَّته ستفترقُ على اثنتين وسبعين فرقة، وذَمُّهُ الفرق كلَّها إلا واحدة، وذِكْرُ قوله عليه السلام: «**إنَّ قومًا سيركبون سُنَنَ من كان قبلهم**»)، ثم رواه من حديث:

أ - عوف بن مالك الأشجعي.

ب - وأنس بن مالك.

ج - ومن حديث معاوية.

د - ومن حديث أبي هريرة.

هـ- ومن حديث أبي أمامة.

و - ومن حديث ابن مسعود.

ولو كان يرى فَرْقًا ومغايرةً بين طائفتين مختلفتين؛ لما اكتفى بذكر هذه الأحاديث، ولساق أحاديث: «**لا تزال طائفةٌ ...**» إلخ؛ إظهارًا للفرق بين طائفتين

---

(١) «فتح المجيد» (ص٢٨٣).

(٢) (١/ ٣٢-٣٦).

متغايرتين، لكن هذا ماكان يخطر على باله، لا هو ولا غيره؛ لوحدة الموضوع عند كل العلماء.

١٠- ومنهم الإمام **أبو بكر محمد بن الحسين الآجري**، (ت ٣٦٠هـ)، في كتابه «الشريعة»[١].

عقد بابًا بعنوان: (باب: افتراق الأمم في دينهم وعلى كم تفترق هذه الأمة)، ثم روى حديث الافتراق إلى ثلاث وسبعين فرقة:

أ- من حديث أبي هريرة.

ب- ومن حديث عبدالله بن عمرو.

ج- ومن حديث أنس بن مالك.

د- ومن حديث معاوية بن أبي سفيان؛ كلهم ﷺ، من طرق إلى النبي ﷺ.

ولم يذكر أحاديث: «**لا تزال طائفةٌ من أمَّتي على الحق**»؛ بناءً على أنَّ هذه الأحاديث وتلك تدل على فرقة واحدة.

١١- ومنهم الإمام **أبو عبدالله عبيدالله بن محمد بن بطة العكبري** في كتابه القيم «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (ت ٣٨٧هـ)، عنوان الكتاب يُنْبِئُكَ أنَّه لم يخطر بباله أن هناك فَرْقًا بين الفرقة النَّاجية والطَّائفة المنصورة.

ثم إنَّه أورد حديثَ قيس بن سعد بن أبي وقاص؛ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تزال طائفةٌ من أمَّتي ظاهرةً على الدين، عزيزةً إلى يوم القيامة**»[٢]، وقبله حديث أبي هريرة: «**لا يزال لهذا الأمر، أو على هذا الأمر عصابةٌ من النَّاس، لا يضرُّهم خلافُ من خالفهم، حتى يأتي أمر اللَّه**»[٣].

أورد هذين الحديثين تحت عنوان: (باب: ذكر الأخبار والآثار التي دعتنا إلى

---

(١) (ص ١٤-١٨).

(٢) انظر: من ص (١٩٠ - ٢٠٠) من «الإبانة».

(٣) انظر: من ص (١٩٠ - ٢٠٠) من «الإبانة».

جمع هذا الكتاب وتأليفه)، وصدَّر هذا الباب بقول حذيفة ﷺ: «إن الضَّلالة حقَّ الضَّلالة أن تعرفَ ما كُنْتَ تُنْكِر، وتُنْكِر ما كنت تعرف، وإياك والتَّلوُّن في الدين؛ فإن دين اللَّه واحد»[1]، وساق آثارًا في هذا المعنى.

ثم ساق حديث أنس بن مالك ﷺ؛ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يأتي على النَّاس زمانٌ، الصابرُ منهم على دينه كالقابض على الجمر**»[2]، وحديث ابن مسعود: «**بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا؛ فطوبى للغرباء**»[3] الحديث.

ثم عَلَّق على ذلك بقوله: «جَعَلَنا اللَّه وإياكم بكتاب اللَّه عاملين، وبسنَّة نبينا ﷺ متمسِّكين، وللأئمَّة الخلفاء الراشدين المهديين مُتَّبعين، ولآثار سلفنا وعلمائنا مُقْتَفِين، وبهدي شيوخِنا الصالحين -رحمة اللَّه عليهم أجمعين- مهتدين؛ فإن اللَّه -جلَّ ثناؤه وتقدَّست أسماؤه- جَعَلَ في كلِّ زمان فترةً من الرسل، ودروسًا للأثر، ثم هو -تعالى- بلطفه بعباده ورفقه بأهل عنايته، ومن سبقت له الرحمة في كتابه، لا يُخلي كل زمان من بقايا من أهل العلم، وَحَمَلَةِ الحجَّة، يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويذودونهم عن الردى، يصبرون منهم على الأذى، ويُحْيُون بكتاب اللَّه الموتى، ويُبَصِّرون بعون اللَّه أهلَ العمى، وبسنة رسول اللَّه أهل الجهالة والغباء»[4].

ثم ساق حديث إبراهيم بن عبدالرحمن العذري: «**يَحْمِل هذا العلم من كل خلف عدولُه؛ ينفون عنه تحريف الغالين، وانتِحالَ المبطلين، وتأويل الجاهلين**»[5].

ثم ساق حديث أبي هريرة وقيس بن سعد السابِقَين: «**لا تزال عصابة**».

---

(١) انظر: من ص (١٩٠ - ٢٠٠) من «الإبانة».
(٢) انظر: من ص (١٩٠ - ٢٠٠) من «الإبانة».
(٣) انظر: من ص (١٩٠ - ٢٠٠) من «الإبانة».
(٤) «الإبانة» (١/ ١٩٧).
(٥) «الإبانة» (١/ ١٩٨).

وفي الثاني: «طائفة».

ثم ساق حديثًا عن الحسن رفعه: «من جاءه الموتُ وهو يطلب العلم يُحْيي به الإسلام؛ لم يكن بينه وبين الأنبياء في الجنَّة إلا درجة»[١]، وأثرًا عن وهب بن منبه؛ قال: «الفقيه العفيف الزاهد المتمسك بالسنة أولئك أتباع الأنبياء في كل زمان»[٢].

في هذا الجوِّ العلمي، ساق حديث أبي هريرة وقيس بن سعد الذي يبدد الجهل، ويقاوم تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وفي جوٍّ إحياء الإسلام والسنة والعلم النبوي.

ثم قال في موضع آخر من كتابه: «باب: افتراق الأمم في دينهم، وعلى كم تفترق هذه الأمة، وإخبار النبي ﷺ لنا بذلك».

ثم قال: «قد ذكرت في أول هذا الكتاب ما قَصَّهُ اللَّه ﷻ علينا في كتابه من اختلاف الأمم، وتفرق أهل الكتاب، وتحذيره إيانا من ذلك، وأنا أذكر الآن ما جاءت به السنة، وما أعلمنا به نبينا ﷺ من كون ذلك؛ ليكونَ العاقلُ على حذر من مسامحة هواه، ومتابعة بعض الفرق المذمومة، وكي يتمسك بشريعة الفرقة النَّاجية، فيعضَّ عليها بنواجذه، ويلزم المواظبة على الالتجاء والافتقار إلى مولاه الكريم في توفيقه وتسديده ومعونته وكفايته».

ثم ساق أحاديث افتراق الأمَّة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، عن جماعة من الصحابة؛ منهم: عبداللَّه بن عمرو، ومعاوية بن أبي سفيان، وأنس بن مالك، -رضي اللَّه عنهم أجمعين-.

ولا ترى لكلامه في الموضعين أيَّ أثرٍ للتفريق بين ما اتفق علماء الأمة على أنَّه شيء واحد وطائفة واحدة[٣].

---

(١) «الإبانة» (١/ ٢٠٠).

(٢) «الإبانة» (١/ ٢٠١).

(٣) «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية» (١/ ٣٦٦).

١٢- ومنهم الإمام الحافظ **أبو القاسم هبة اللَّه بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي** (ت ٤١٨هـ)، قال بعد أن تحدث عن ذمِّ البدع وأهلها في كتابه «شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة»(١): «فهلمَّ الآن إلى تديُّن المتبعين، وسيرة المتمسكين، وسبيل المتقدمين(٢) بكتاب اللَّه وسنته (والمنادين) بشرائعه وحكمته، الذين قالوا: ﴿ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣]، وتنكَّبوا سبيلَ المكذِّبين بصفات اللَّه وتوحيد رب العالمين، فاتخذوا كتاب اللَّه إمامًا، وآياته فرقانًا، ونصبوا الحق بين أعينهم عَيَانًا، وسنن رسول اللَّه جُنة وسلاحًا، واتخذوا طرقها منهاجًا، وجعلوها برهانًا؛ فلُقُّوا الحكمة، وَوُقُوا من شر الهوى والبدعة؛ لامتثالهم أمر اللَّه في اتباع الرسول، وتركهم الجدال بالباطل؛ ليدحضوا به الحق».

ثم ذكر الآيات والأحاديث الحاثَّة على طاعة اللَّه ورسوله، واتِّباع كتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه ﷺ، ثمَّ قال: «فلم نجد في كتاب اللَّه وسنة رسوله وآثار صحابته؛ إلا الحثَّ على الاتباع، وذمَّ التكلف والاختراع؛ فمن اقتصر على هذه الآثار؛ كان من المتبعين، وكان أَوْلاهم بهذا الاسم، وأحقَّهم بهذا الوسم، وأخصَّهم بهذا الرَّسم (أصحاب الحديث)؛ لاختصاصهم برسول اللَّه، واتِّباعهم لقوله، وطول ملازمتهم له، وتحملهم علمه، وحفظهم أنفاسه وأفعاله، فأخذوا الإسلام عنه مباشرةً، وشرائعه مشاهدة، وأحكامه معاينة، من غير واسطة ولا سفير بينهم وبينه واصلة، فجاولوها عيانًا، وحفظوا عنه شفاهًا، وتَلَقَّفوه مِنْ فِيه رطبًا، وتلقَّنوه من لسانه عذبًا، واعتقدوا جميع ذلك حقًّا، وأخلصوا بذلك من قلوبهم يقينًا . . .

فهذا دينٌ أخذوا أَوَّلَهُ عن رسول اللَّه ﷺ مشافهةً، لم يَشُبْهُ لَبس ولا شُبهة، ثم نقلها العدول عن العدول من غير تحامل ولا ميل، ثم الكافَّة عن الكافَّة، والصَّافة

(١) (١/ ٢٠ - ٢٥).

(٢) كذا قال! ولعله: «المقتدين».

عن الصَّافة، والجماعة عن الجماعة . . .

فهؤلاء الذين تعهدت بنقلهم الشريعة، وانحفظت بهم أصول السنة، فوجبت لهم بذلك المنَّة على جميع الأمة، والدعوة لهم من اللَّه بالمغفرة؛ فهم حَمَلَةُ علمه، ونَقَلَةُ دينه، وسَفَرَتُهُ بينه وبين أمته، وأُمناؤه في تبليغ الوحي عنه، فَحَريٌّ أن يكونوا أَوْلى النَّاس به في حياته ووفاته . . .

ثم كل من اعتقد مذهبًا؛ فإلى صاحب مقالته التي أحدثها يَنْتَسب، وإلى رأيه يستند؛ إلا أصحاب الحديث؛ فإنَّ صاحب مقالتهم رسول اللَّه؛ فهم إليه ينتسِبون، وإلى علمه يستندون، وبه يستدلُّون . . . وعلى أعداء سنَّته بقربهم منه يَصُولُون؛ فمن يوازيهم في شرف الذِّكر، ويباهيهم في ساحة الفخر وعلوِّ الاسم . . . فهي الطَّائفة المنصورة، والفرقة النَّاجية، والعصبة الهادية، والجماعة العادلة، المتمسِّكة بالسَّنة، التي لا تريد برسول اللَّه بديلًا، ولا عن سنته تحويلًا، ولا يثنيهم عنها تقلب الأعصار والزمان، ولا يلويهم عن سمتها تغير الحدثان، ولا يصرفهم عن سمتها ابتداعُ مَنْ كادَ الإسلام؛ ليصُدَّ عن سبيل اللَّه يبغيها عِوَجًا، ويصرف عن طرقها جدلًا ولجاجًا، ظنًّا منه كاذبًا وتخمينًا باطلًا أن يطفئ نور اللَّه، واللَّه متمُّ نوره ولو كره الكافرون، واغتاظ بهم الجاحدون؛ فإنَّهم السَّواد الأعظم، والجمهور الأضخم؛ فيهم العلم والحكم، والعقل والحلم، والخلافة والسِّيادة، والملك والسِّياسة، وهم أصحاب الجمعات والمشاهد، والجماعات والمساجد، والمناسك والأعياد، والحج والجهاد، وباذلي المعروف للصادر والوارد، وحماةِ الثغور والقناطر، الذين جاهدوا في اللَّه حقَّ جهاده، واتَّبعوا رسوله على منهاجه، الذين أذكَارهم في الزهد مشهورة، وأنفاسهم على الأوقات محفوظة، وآثارهم على الزمان متبوعة، ومواعظهم للخلق زاجرة، وإلى طرق الآخرة داعية . . .». اهـ

ففي مدح هذا الإمام وثنائه العاطر عليهم ما يؤكِّد أَنَّهم فرقة واحدة:

فهي الطَّائفة المنصورة، والفرقة النَّاجية، والعصبة الهادية، والجماعة العادلة . . . إلخ.

١٣- ومنهم الإمام الحافظ قوام السُّنَّة **أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل** (ت ٥٣٥هـ) في كتابه «الحجَّة في بيان المحجَّة»[١].

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**ذكر أهل الحديث، وأَنَّهم الفرقة الظَّاهرة على الحق إلى أن تقوم الساعة**»، ثمَّ ساق حديث: «**لا تزال طائفةٌ من أمَّتي يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة**»، ومن حديث قيس بن نُشْبَة، وذكر تفسير البخاري بأنَّهم أهل الحديث، وقول أحمد بن سنان بأنَّهم أهل العلم أصحاب الآثار.

اقتصر على أحاديث «**لا تزال**»؛ مكتفيًا به عن أحاديث الافتراق على ثلاث وسبعين فرقة؛ لأنَّ الموضوع واحد عنده.

١٤- ومنهم الحافظ **أبو عبد اللَّه محمد بن عبداللَّه الحاكم النَّيْسابوري** (ت ٤٠٥هـ).

قال في كتابه «معرفة علوم الحديث»[٢]: «حدَّثنا أبو العباس محمد بن يعقوب: ثنا إبراهيم بن مرزوق البصري بمصر: ثنا وهب بن جرير: ثنا شعبة عن معاوية بن قرة؛ قال: سمعت أبي يحدث عن النَّبيِّ ﷺ؛ قال: «**لا يزال ناسٌ من أمَّتي منصورين، لا يضرُّهم من خذلهم حتى تقوم السَّاعة**».

سمعتُ أبا عبداللَّه محمد بن علي بن عبدالحميد الآدمي بمكَّة يقول: سمعت موسى بن هارون يقول: سمعت أحمد بن حنبل يقول وسُئِلَ عن معنى هذا الحديث، فقال: «إن لم يكن هذه الطائفة المنصورة أصحابَ الحديث؛ فلا أدري من هم؟».

---

(١) (٢٤٦/١/١).

(٢) (ص ٢-٤) بتصرف.

قال أبو عبداللَّه : وفي مثل هذا قيل: «من أَمَّرَ السنَّة على نفسه قولًا وفعلًا؛ نطق بالحق».

فلقد أحسن أحمد بن حنبل في تفسير هذا الخبر، أَنَّ الطَّائفة المنصورة التي يُرفع الخذلان عنهم إلى قيام الساعة هم أصحاب الحديث، ومن أحقُّ بهذا التأويل من قوم سلكوا محجَّة الصالحين، واتَّبعوا آثار السَّلف من الماضين، ودَمَغُوا أهل البدع من المخالفين بسنن رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وعلى آله أجمعين-؛ مِن قوم آثروا قَطْعَ المفاوز والقفار على التنعم في الدِّمَنِ والأوطار، وتنعَّموا بالبؤس في الأسفار مع مساكنة العلم والأخبار؟!

وساق إسناده إلى حفص بن غَيَّاث أنه قيل له: ألا تنظر إلى أصحاب الحديث وما هم فيه؟ قال: «هم خير أهل الدنيا».

وإلى أبي بكر بن عياش: أنه قال: «إني لأرجو أن يكون أصحاب الحديث خير النَّاس . . .».

ثم قال الحاكم: «ولقد صَدَقا جميعًا أن أصحابَ الحديث خير النَّاس، وكيف لا يكونون كذلك وقد نبذوا الدُّنيا بأسرها وراءهم، وجعلوا غذاءهم الكتابة، وَسَمَرَهُمُ المعارضة، واسْتِرْوَاحَهم المذاكرة، وخلوقهم المداد . . . فعقولهم بلذاذة السنَّة غامرة، وقلوبهم بالرِّضاء في الأحوال عامرة، تَعَلُّمُ السُّنن سرورُهم، ومجالس العلم حُبُورُهم، وأهل السنَّة قاطبة إخوانهم، وأهل الإلحاد والبدع بأسرها أعداؤهم.

سمعت أبا الحسين محمد بن أحمد الحنظلي ببغداد يقول: سمعت أبا إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي يقول: «كنت أنا وأحمد بن الحسن الترمذي عند أبي عبداللَّه أحمد بن محمد بن حنبل، فقال له أحمد بن الحسن: يا أبا عبداللَّه! ذكروا لابن أبي قتيلة بمكة أصحاب الحديث، فقال: أصحاب الحديث قوم سوء، فقام أبو عبداللَّه وهو ينفض ثوبه، فقال: زنديق! زنديق! زنديق! ودخل البيت».

سمعت أبا علي الحسين بن علي الحافظ يقول: سمعت جعفر بن محمد بن سِنَان الواسطي يقول: سمعت أحمد بن سِنَان القطَّان يقول: «ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يُبْغِضُ أهل الحديث، وإذا ابتدع الرجل؛ نُزِعَ حلاوة الحديث من قلبه ...».

قال أبو عبد اللَّه: «وعلى هذا عهدنا في أسفارنا وأوطاننا كل من ينتسب إلى نوع من الإلحاد والبدع، لا ينظر إلى الطائفة المنصورة إلَّا بعين الحقارة، ويسميها الحشوية».

فأنت ترى الحاكم اقتصر على وصف أهل الحديث بالطائفة المنصورة، وكرَّر ذلك، ونقل ذلك عن أحمد بن حنبل، ونقل عن حفص بن غياث، وأبي بكر بن عياش أنهم خير النَّاس.

ونُقل عن أحمد أنه وصف مَنْ يشتمهم بالزندقة، وذكر واقع أهل الإلحاد والبدع من أنهم يبغضون أهل الحديث.

١٥- ومنهم الإمام القاضي **الحسن بن عبدالرحمن الرَّامَهُرْمُزي** (ت ٣٦٠هـ) في كتابه «المحدث الفاصل»[١]: ذكر أن الطائفة المنصورة هم أهل الحديث، واكتفى بذلك.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «اعترضت طائفة ممن يشنأ الحديث ويبغض أهله، فقالوا بتنقُّص أصحاب الحديث والإزراء بهم، وأسرفوا في ذمِّهم والتقوُّل عليهم، وقد شرَّف اللَّه الحديث، وفضَّل أهله، وأعلى منزلته، وحكَّمه في كل نِحلة، وقدَّمه على كل علم، ورفع مِنْ ذِكْرِ مَنْ حَملَه وعُني به؛ فهم بيضة الدين، ومنار الحُجة، وكيف لا يستوجبون الفضيلة، ولا يستحقُّون الرتبة الرفيعة، وهم الذين حفظوا على الأمة هذا الدين، وأخبروا عن أنباء التنزيل، وأثبتوا ناسخه ومنسوخه ومحكمه

---

(١) (ص ١٥٩ - ١٦٠).

ومتشابهه، وما عظَّمه اللّه ﷻ به من شأن الرسول ﷺ، فنقلوا شرائعه، ودوَّنوا مشاهده، وصنَّفوا أعلامه ودلائله، وحقَّقوا مناقب عَتْرَتِهِ ومآثر آبائه وعشيرته، وجاؤوا بسير الأنبياء، ومقامات الأولياء، وأخبار الشهداء والصدِّيقين، وعبَّروا عن جميع فعل النبي ﷺ؛ في سفره وحضره، وظَعنه وإقامته، وسائر أحواله؛ من منام ويقظة، وإشارة وتصريح، وصمت ونطق، ونهوض وقعود، ومأكل ومشرب وملبس ومركب، وما كان سبيله في حال الرضا والسخط، والإنكار والقبول، حتى القَلامةِ من ظُفْرِهِ ما كان يصنع بها، والنخامة من فيه أين وجهتها، وما كان يقوله عند كل فعل يحدثه، ويفعله عند كل موقف ومشهد يشهده؛ تعظيمًا له ﷺ، ومعرفة بأقدار ما ذكر عنه وأسند إليه؟!

فمن عرف للإسلام حقه وأوجب للرسول حرمته أكبر أن يحتقر من عظَّم اللّه شأنه، وأعلى مكانه، وأظهر حجته، وأبان فضيلته، ولم يرتقِ بطعنه إلى حزب الرسول وأتباع الوحي وأوعية الدين ونقلة الأحكام والقرآن، الذين ذكرهم اللّه ﷻ في التنزيل، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ [التوبة: ١٠٠].

فإنك إن أردت التوصلَ إلى معرفة هذا القرن؛ لم يذكرهم لك إلا راوٍ للحديث متحقق به، أو داخل في حيِّز أهله، ومن سوى ذلك؛ فربك بهم أعلم».

وقال في موضع آخر: «باب: فضل الطالب لسنة رسول اللّه ﷺ، والراغب فيها، والمستن بها»[(١)].

ثم ساق حديثًا من طرق إلى أبي سعيد في فضل من يطلب الحديث، وحديثًا عن جابر في فضل طلب العلم.

ثم روى بإسناده إلى الثوري أنه قال: «ما من شيء أخوف عندي من الحديث، ولا شيء أفضل منه لمن أراد به ما عند اللّه».

---

(١) المرجع السابق (ص١٧٥-١٨٠).

ثم روى عن الأعمش بإسناده: أنه كان يقول: «لا أعلم للَّهِ قومًا أفضل من قوم يطلبون هذا الحديث، ويحبون هذه السنة، واللَّه؛ لأنتم أقلُّ من الذهب».

ثم روى بإسناده إلى عمران بن حُصين أنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لا تزال طائفةٌ من أمَّتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة»**.

ثم قال: «قال يزيد بن هارون: إن لم يكونوا أصحاب الحديث؛ فلا أدري من هم؟».

وبإسناده إلى عمر بن حفص بن غياث، قال: «قلت لأبي: يا أبتِ! أما ترى أصحاب الحديث كيف تغيروا؟ فقال: يا بنيَّ! هم على ماهم فيه خيار القبائل».

وبإسناده إلى الزهري: أنه قال: «لا يطلب الحديث من الرجال إلا ذكرانُها، ولا يَزْهدُ فيه إلا إناثُها».

وبإسناده إلى محمد بن المنكدر، قال: «ما كنا ندعو الرواية إلا رواية الشعر، كنا نقول للذي يَرْوي الحديث: عالم».

ترى كيف يحترم هذا الإمام أهل الحديث، وكيف يعتبرهم الطائفة المنصورة وينقل فضائلهم ومنازلهم عند العلماء الذين سبقوه؟!

١٦- ومنهم الإمام الفقيه الحافظ **أبو حاتم محمد بن حبان** (ت ٣٥٤هـ) في مقدمة «صحيحه».

انظر: «الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان» (١/ ٢٠-٢٣) بعد أن حمد اللَّه وأثنى عليه بما هو أهله، قال: «ثم اختار طائفة لصفوته، وهداهم للزوم طاعته، من اتباع سبل الأبرار في لزوم السنن والآثار، فزيَّن قلوبهم بالإيمان، وأنطق ألسنتهم بالبيان، من كشف أعلام دينه، واتباع سنن نبيه، بالدؤوب في الرحل والأسفار، وفراق الأهل والأوطار، في جمع السنن ورفض الأهواء، والتفقُّه فيها بترك الآراء، فتجرد القوم للحديث وطلبوه، ورحلوا فيه وكتبوه، وسألوا عنه وأحكموه، وذاكروا به ونشروه، وتفقهوا فيه وأصَّلوه، وفرَّعوا عليه وبذلوه، وبيَّنوا المرسل من

المتصل، والموقوف من المنفصل، والنَّاسخ من المنسوخ، والمحكم من المفسوخ، والمفسر من المجمل، والمستعمل من المهمل، والمختصر من المتقصِّي، والملزوق من المتفصِّي، والعموم من الخصوص، والدليل من المنصوص، والمباح من المزجور، والغريب من المشهور، والفرض من الإرشاد، والحتم من الإيعاد، والعدول من المجروحين، والضعفاء من المتروكين، وكيفية المعمول من المجهول، وما حُرِّف عن المخزول، وقُلِبَ عن المنحول، من مخايل التدليس، وما فيه من التلبيس، حتى حفظ اللَّه بهم الدين على المسلمين، وصانه من ثلب القادحين، جعلهم عند التنازع أئمة الهدى، وفي النوازل مصابيح الدجى؛ فهم ورثة الأنبياء ومَأْنسُ الأصفياء».

ثم بعد الشهادة لرسول اللَّه ﷺ بالرسالة والبلاغ المبين والجهاد وآثار ذلك، قال: «وإنَّ في لزوم سنة رسول اللَّه ﷺ تمام السلامة، وجماع الكرامة، لا تطفأ سُرُجُها، ولا تدحض حُججُها، من لزمها؛ عصم، ومن خالفها؛ ندم؛ إذ هي الحصن الحصين، من تمسك به؛ ساد، ومن رام خلافه؛ باد، فالمتعلِّقون به أهل السَّعادة في الآجل، والمغبوطون بين الأنام في العاجل».

ثم قال: «وصف الفرقة الناجية من بين الفرق التي تفترق عليها أمة المصطفى ﷺ».

ثم ذكر حديث العرباض بن سارية، وفيه: **«فإنه من يعش منكم؛ فسيرى اختلافًا كثيرًا؛ فعليكم بسنَّتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين؛ فتمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»**[1].

ثم قال: «**في قوله ﷺ: «فعليكم بسنتي»**؛ عند ذكره الاختلاف الذي يكون في

---

(١) (١/١٠٥).

أمته : بيان واضح أن من واظب على السنن وقال بها ولم يعرج على غيرها من الآراء من الفرقة الناجية في القيامة ، جعلنا اللَّه منهم بمنِّه»[١] .

ثم قال : «كتاب العلم : ذكر إثبات النُّصرة لأصحاب الحديث إلى قيام الساعة» .

ثمَّ أورد حديث معاوية بن قرة عن أبيه ، قال : «**لا تزال طائفةٌ من أمَّتي منصورين ، لا يضرهم خُذْلان من خذلهم ، حتى تقوم السَّاعة**»[٢] . اهـ كلام الإمام ابن حبان .

١٧- ومنهم الإمام الكبير **أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي** ، (ت ٤٦٣ هـ) ؛ فقد ألَّف كتابًا سمَّاه «شرف أصحاب الحديث» .

قال في مقدمته بعد أن ذكر أقوال العلماء في الكلام المذموم والرأي الفاسد : «فلو أن صاحب الرأي المذموم شغل نفسه بما ينفعه من العلوم ، وطلب سنن رسول رب العالمين ، واقتفى آثار الفقهاء المحدثين ؛ لوجد في ذلك ما يغنيه عما سواه ، واكتفى بالأثر عن رأيه الذي رآه ؛ لأن الحديث يشتمل على معرفة أصول التوحيد ، وبيان ماجاء من الوعد والوعيد ، وصفات رب العالمين تعالى عن مقالات الملحدين ، والإخبار عن صفة الجنة والنار من صنوف العجائب وعظيم الآيات ، وذكر الملائكة المقربين ، ونعت الصافِّين والمسبحين . . . » .

إلى أن يقول : «وقد جعل اللَّه أهله أركان الشريعة ، وهدم بهم كل بدعة شنيعة ؛ فهم أمناء اللَّه في خليقته ، والواسطة بين النبي وأمته ، والمجتهدون في حفظ مِلَّته ؛ أنوارهم زاهرة ، وفضائلهم سائرة ، وآياتهم باهرة ، ومذاهبهم ظاهرة ، وحججهم قاهرة ، وكل فئة تتحيز إلى هوى ترجع إليه ، وتستحسن رأيًا تعكف عليه سوى أصحاب الحديث ؛ فإن الكتاب عدتهم ، والسنة حجتهم ، والرسول فئتهم ، وإليه نسبتهم ، لا يُعَرِّجون على الأهواء ، ولا يلتفتون إلى الآراء ، يُقْبَلُ منهم ما رَوَوْا عن

(١) المصدر السابق .
(٢) (١/ ١٥١) .

الرسول، وهم المأمونون عليه العدول، حفظة الدين وخزنته، وأوعية العلم وحملته.

إذا اخْتُلِفَ في الحديث؛ كان إليهم الرجوع؛ فما حكموا به؛ فهو المقبول المسموع، منهم كل عالم فقيه، وإمام رفيع نبيه، وزاهد في قبيلته، مخصوص بفضيلته، وقارئ متقن، وخطيب محسن، وهم الجمهور العظيم، وسبيلهم المستقيم، وكل مبتدع باعتقادهم يتظاهر، وعلى الإفصاح بغير مذهبهم لا يتجاسر، من كادهم؛ قصمه اللَّه، ومن عاندهم؛ خذله اللَّه، ولا يضرهم من خذلهم، ولا يفلح من اعتزلهم، المحتاط لدينه إلى إرشادهم فقير، وبصر الناظر إليهم بالشر حسير، وإنَّ اللَّه على نصرهم لقدير».

ثمَّ ساق إسناده إلى علي بن المديني؛ قال في حديث النبي ﷺ: **«لا تزال طائفةٌ من أمَّتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم»**؛ قال -أي ابن المديني-: «هم أهل الحديث، والذين يتعاهدون مذاهب الرسول، ويذُبُّون عن العلم، ولولا هم لم نجد عند المعتزلة والرافضة والجهمية وأهل الإرجاء والرأي شيئًا من السنن».

«فقد جعل ربُّ العالمين الطائفة المنصورة حُرَّاس الدين، وصرف عنهم كيد المعاندين؛ لتمسكهم بالشرع المتين، واقتفائِهم آثار الصحابة والتابعين؛ فشأنهم حفظ الآثار، وقطع المفاوز والقفار، والركوب في البراري والبحار، في اقتباس ما شرع الرسول المصطفى، لا يعرجون عنه إلى رأي ولا هوى، قبلوا شريعته قولًا وفعلًا، وحرسوا سنته حفظًا ونقلًا، حتى بيَّنوا بذلك أصلها، وكانوا أحق النَّاس بها وأهلها؛ فكم من مُلحد يروم أن يخلط في الشريعة ما ليس منها، واللَّه -تعالى- يذب بأصحاب الحديث عنها؛ فهم الحفَّاظ لأركانها، والقوَّامون بأمرها وشأنها، إذا صدف عن الدفاع عنها؛ فهم دونها يناضلون: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]»[1]. اهـ

(١) (ص ٤٨-٥٨).

فقل لي بربك: على أي حزب سياسي، أو على أي صوفي جهمي، أو رافضي باطني، أو على أي متعصب مذهبي تنطبق هذه الصفات الجميلة الوضاءة؟!

ألا إن أهل الحديث سابقًا وحاضرًا ولاحقًا هم أحق بها وأهلها، وهم الذين يتولَّون أهل الحديث، وينافحون عنهم، ويذبون عن أعراضهم، ويسلكون مناهجهم؛ فهم الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة، وعلى ذلك شهادة الأئمة العدول.

ومن حذا حذوهم وسلك منهجهم؛ فهو تابع لهم ومنهم، والمرء مع من أحب، ومن نابذهم وطعن فيهم وسعى في خذلانهم؛ فليس منهم، ولو ادَّعى ما ادَّعى.

ثمَّ ذكر الخطيب -رحمه اللَّه تعالى- الأبواب التي تدل على شرف أصحاب الحديث وفضلهم، وقد لخصتها في رسالتي: «مكانة أهل الحديث»[١]، ولخصها شيخنا الألباني في كتابه النافع «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (المجلد الأول/ حديث ٢٧٠) تحت عنوان: «من هي الطائفة الظاهرة المنصورة؟»، وسأنقل تلخيصه في هذا المبحث في موضعه المناسب[٢].

١٨- ومنهم الإمام **أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي**، (ت ٤٩٠ هـ).

قال في كتابه «الحجة على تارك المحجة»[٣]: «باب: فضيلة أهل الحديث، وأنهم الآمرون بالمعروف والنَّاهون عن المنكر».

ثمَّ ساق أثرًا عن إبراهيم بن موسى: أن أهل الحديث هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر؛ يقولون: قال رسول اللَّه ﷺ: افعلوا كذا، قال رسول اللَّه ﷺ: لا تفعلوا.

---

(١) انظر: (ص ٤٨ - ٥٨).

(٢) تحت رقم (٤٩).

(٣) (١/ ٣٢٥ - ٣٤٨).

وساق قولًا للإمام أحمد أن أهل الحديث هم الأبدال(١)، فإن لم يكونوا هم أصحاب الحديث؛ فلا أدري من هم؟

وساق حديث أبي هريرة: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ...**» الحديث، ثم قال عَقِبَهُ: «قال الخطيب: وهذه شهادة من رسول الله ﷺ أنهم أعلام الدين، وأئمة المسلمين؛ لحفظهم الشريعة من الانتحال، وردِّ تأويل الأبله الجاهل، وأنهم يجب الرجوع إليهم، والمعوَّل في أمر الدين عليهم».

قال: «وذكر ابن المبارك حديث النبي ﷺ: «**لا تزال طائفةٌ من أُمَّتي ظاهرين على الحق**» الحديث، قال ابن المبارك: «هم عندي أهل الحديث».

ثم ذكر حديث الطائفة المنصورة من طريق معاوية رضي الله عنه، ونقل قول علي بن المديني من طريق البخاري أنهم أصحاب الحديث، وأطال النفس في فضل الحديث وآثاره في حياة أهله، واعتراف بعض أهل البدع أن أهل الحق هم أهل الحديث، وأورد بعض الأشعار في مدح الحديث وأهله.

١٩- ومنهم الحافظ الإمام **جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي البغدادي (ت٥٩٧هـ)** (٢).

قال في «تلبيس إبليس»(٣): «. . . عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يزال ناسٌ من أُمَّتي ظاهرين حتى يأتِيَهُمْ أمرُ اللَّه وهم ظاهرون**»(٤).

. . . وعن ثوبان قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تزال طائفة من أُمَّتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتيَ أمرُ اللَّه وهم كذلك**»(٥).

(١) وأحاديث الأبدال كلها ضعيفة أو موضوعة، لا تقوم بها الحجة، ومفهوم الإمام رحمه الله للأبدال ليس كمفهوم غلاة الصوفية الخرافيين؛ فتنبَّه!

(٢) (ز).

(٣) (ص٣١).

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٤٠)، ومسلم (١٩٢١).

(٥) أخرجه مسلم (١٩٢٠).

. . . قال محمد بن إسماعيل، قال علي بن المديني: «هم أصحاب الحديث»».

٢٠- ومنهم الإمام **النَّووي** (ت٦٧٦هـ)[١] قال: في «شرح صحيح مسلم» (٧/ ٦٨-٦٩): «وأمَّا هذه الطائفة، فقال البخاري: «هم أهل العلم»، وقال أحمد بن حنبل: «إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم».

قال القاضي عياض: إنَّما أراد أحمدُ أهلَ السنَّة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث».

٢١- ومنهم شيخ الإسلام **أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية**، (ت ٧٢٨هـ).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة «العقيدة الواسطية»[٢] بعد أن حمد اللَّه وأثنى عليه وصلى على النبي -صلى اللَّه عليه وآله وأصحابه-؛ قال: «أما بعد؛ فهذا اعتقاد الفرقة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة، أهل السنة والجماعة».

ثمَّ قال في آخر هذا الكتاب «الواسطيَّة»[٣]: «فصل . . ثمَّ من طريقة أهل السنة والجماعة اتِّباع آثار رسول اللَّه ﷺ باطنًا وظاهرًا، واتباع سبيل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، واتِّباع وصية رسول اللَّه ﷺ؛ حيث قال: «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن كل بدعة ضلالة**»، ويعلمون أن أصدق الكلام كلام اللَّه، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، ويؤثرون كلام اللَّه على غيره من كلام أصناف النَّاس، ويُقدِّمون هدي محمد ﷺ على هدي كل أحد؛ ولهذا سُمُّوا أهل الكتاب والسنة، وسُمُّوا أهل الجماعة؛ لأن الجماعة هي الإجماع، وضدها الفرقة، وإن كان لفظ الجماعة قد صار اسمًا لنفس القوم المجتمعين، والإجماع هو الأصل الثالث الذي يُعتمد عليه في العلم والدين، وهم يَزِنُونَ بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه النَّاس من أقوال

---

(١) (ز).

(٢) (ص ١٣-١٤) مع شرح الشيخ محمد خليل هراس.

(٣) (ص ١٥٣-١٥٧) مع شرح الشيخ محمد خليل هراس.

وأعمال باطنة أو ظاهرة، مما له تعلق بالدين».

إلى أن قال: «ثم هم مع هذه الأصول يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، على ما توجبه الشريعة، ويرون إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء، أبرارًا كانوا أو فجارًا، ويحافظون على الجماعات، ويدينون بالنصيحة للأمة، ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا (وشبك بين أصابعه)**»، وقوله ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد : إذا اشتكى منه عضوٌ؛ تداعى له سائر الجسد بالحمَّى والسهر**»، ويأمرون بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضا بمُرِّ القضاء، ويدعون إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا**»، ويندبون إلى أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، ويأمرون ببر الوالدين، وصِلَة الأرحام، وحسن الجوار، والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل، والرفق بالمملوك، وينهون عن الفخر والخُيَلاء والبغي والاستطالة على الخَلْق بحق أو بغير حق، ويأمرون بمعالي الأخلاق، وينهون عن سفسافها .

وكل ما يقولونه من هذا وغيره؛ فإنما هم فيه متبعون للكتاب والسنة، وطريقتهم هي دين الإسلام الذي بعث اللَّه به محمدًا ﷺ، لكن لما أخبر النبي ﷺ أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة، وفي حديث عنه أنه قال: «**هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»؛ صار المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب هم أهل السنة والجماعة.

وفيهم الصديقون والشهداء والصالحون، ومنهم أعلام الهدى ومصابيح الدُّجى، أولو المناقب المأثورة والفضائل المذكورة، وفيهم الأبدال، وفيهم أئمة الدين الذين أجمع المسلمون على هدايتهم، وهم الطائفة المنصورة، الذين قال فيهم النبي ﷺ: «**لا تزال طائفةٌ من أمَّتي على الحق، لا يضرُّهم من خالفهم ولا من**

خذلهم، حتى تقوم السَّاعة».

نسأل اللَّه أن يجعلنا منهم، وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذْ هدانا، وأن يهب لنا من لَدُنْهُ رحمة؛ إنه هو الوهاب».

انظر إلى شيخ الإسلام كيف يُضْفِي عليهم هذه الصفات الجميلة، وكتب هذا الكتاب في بيان اعتقادهم الصحيح، وبيان ضلال من يخالفهم من الفرق الضالَّة.

وانظر كيف اعتبرهم الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر والمجاهدين في سبيل اللَّه، ومنهم الصديقون والشهداء والصالحون والأبدال، وأكد في أول الكتاب وآخره أنهم هم الطائفة الناجية المنصورة أهل السنة والجماعة.

فأين هذا الكلام من كلام من يريد أن يجرِّدَهم من أجلِّ هذه الصفات وأكملها؟!

٢٢- ومنهم الإمام شمس الدين **محمد بن أبي بكر المشهور بابن قيم الجوزية**، (ت٧٥١هـ).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»، وهي النونية المشهورة بـ «نونية ابن القيم»، وهي في الانتصار لأهل الحديث، ويكفي تسميتها بهذا الاسم في الدلالة على أنه يسمي أهل الحديث بالطائفة المنصورة.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فصل في عداوتهم في تلقيبهم[1] أهل القرآن والحديث بالمجسمة، وبيان أنهم أَولَى بكلِّ لقب خبيث:

كَمْ ذا مُشَبِّهَةٌ مُجَسِّمَةٌ نَوا ... بِتَةٌ مَسَبَّةُ جاهِلٍ فَتَّانِ
أَسْماءُ سمَّيْتُمْ بها أَهْلَ الحَديـ ... ـثِ وناصِري القُرْآن والإيمانِ
سَمَّيْتُمُوهُم أَنْتُمُ وشُيوخُكُم ... بَهْتًا بِها مِنْ غَيْرِ مَا سُلْطانِ
وَجَعَلْتُموها سُبَّةً لِتُنَفِّروا ... عَنْهُم كَفِعْلِ الساحِرِ الشَّيْطانِ

(١) يعني: الجهمية والمعتزلة وسائر معطلة الصفات الإلهية.

ما ذَنْبُهُم واللَّهِ إلَّا أنَّهُم أَخَذوا بِوَحْيِ اللَّهِ والفُرْقانِ
وأَبَوْا بِأَنْ يَتَحَيَّزوا لِمَقَالَةٍ غَيْرِ الحَديثِ ومُقْتَضى القُرْآنِ
وأَبَوْا يَدينُوا بِالَّذي دِنْتُم بِهِ مِنْ هذِهِ الآراءِ والهَذَيانِ»[1]

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فَلَقَدْ رَأَيْنا مِنْ فَريقٍ مِنْهُمُ أَمْرًا تُهَدُّ لَهُ قُوَى الإيمانِ
مِنْ سَبِّهِمْ أَهْلَ الحَديثِ ودِينُهُم أخْذُ الحَديثِ وتَرْكُ قَوْلِ فُلانِ
يَا أُمَّةً غَضِبَ الإلهُ عَلَيْهِمُ أَلأَجْلِ هذا تَشْتُمُوا بِهَوانِ؟!
تَبًّا لَكُم إذْ تَشْتُمونَ زَوامِلَ الـ إسْلامِ حِزْبَ اللَّهِ والقُرْآنِ
وسَبَبْتُمُوهُم ثُمَّ لَسْتُم كُفْأَهُم فَرَأَوْا مَسَبَّتَكُم مِنَ النُقْصانِ»

إلى أن يقول:

«فأَبَوْا إجابَتَكُم ولَمْ يَتَحَيَّزُوا إلَّا إلى الآثارِ والقُرْآنِ
وإلى أُولي الفُرْقانِ مِنْ أَهْلِ الحديـ ـثِ خُلاصَةِ الإنْسانِ والأكْوانِ
قَوْمٌ أَقامَهُمُ الإلهُ لِحِفْظِ هـ ـذا الدينِ مِنْ ذِي بِدْعَةٍ شَيْطانِ
وأَقامَهُم حَرَسًا مِنَ التَّبْديلِ والتَّـ ـحْريفِ والتَّتْميمِ والنُّقْصانِ
يزكٌ[2] على الإسْلام بَلْ حِصْنٌ لَه يَأْوي إليهِ عَسَاكِرُ الفُرْقَانِ
فَهُمُ المَحَكُّ فَمَنْ يُرى مُتَنَقِّصًا لَهُمُ فَزِنْديقٌ خَبِيثٌ جَانِ»

إلى أن يقول:

«قَوْمٌ هُمُ بِاللَّهِ ثُمَّ رَسولِهِ أَوْلى وأَقْرَبُ مِنْكَ لِلإيمانِ
شَتَّانَ بَيْنَ التَّاركينَ نُصُوصَهُ حَقًّا لأجْلِ زُبالَةِ الأذْهانِ
والتَّارِكينَ لأجْلِها آراءَ مَنْ آراؤُهُمْ ضَرْبٌ مِنَ الهَذَيانِ»

---

(١) (٢/ ٨١) مع شرح ابن عيسى.
(٢) شهب.

إلى أن يقول:

«وأَتَوْا إلى رَوْضَاتِها وتَيَمَّمُوا مِنْ أَرْضِ مَكَّةَ مَطْلَع القُرْآنِ
قَوْمٌ إذا مَا ناجِذُ النَّصِّ بَدَا طَاروا لَهُ بِالجَمْعِ والوُحْدانِ
وإِذا بَدَا عَلَمُ الهدَى اسْتَبَقُوا لَهُ كَتَسابُقِ الفُرْسانِ يَوْمَ رِهانِ
وإذا هُمُ سَمِعوا بِمُبْتَدعٍ هَذى صاحُوا بهِ طُرًّا بِكُلِّ مَكَانِ
وَرِثوا رَسولَ اللَّهِ لكِنْ غَيْرُهُم قَدْ رَاحَ بِالنُّقْصانِ والحِرمانِ
وإذا اسْتَهانَ سِواهُمُ بِالنَّصِّ لَمْ يَرْفَعْ بِهِ رَأْسًا مِنَ الخُسْرَانِ
عَضُّوا عَلَيْهِ بِالنَّواجِذِ رَغْبَةً فِيهِ ولَيْسَ لَدَيْهِم بِمُهَانِ
لَيْسُوا كَمَنْ نَبَذَ الكِتابَ حَقيقَةً وتِلاوَةً قَصْدًا بِتَرْكِ فُلانِ»[١]

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في الكلام على حديث موضوع في كلام حمار النبي ﷺ بعد أن ذكر كلام ابن حبان وابن الجوزي بأنه موضوع وأنه لا أصل له؛ قال: «قلت: هذه الأحاديث وأمثالها هي التي جَرَّأت الزنادقة والملاحدة على الطعن في الإسلام والقدح في الدين؛ فالجناية على الإسلام بالوضَّاعين والكذَّابين تضاهي الجناية عليه من الزنادقة والطاعنين، واللَّه ﷻ يؤيِّد من ينافح عن رسوله تأييدًا خاصًّا، ويفتح له في معرفة نقد الحق من الباطل فتحًا بيِّنًا، وذلك من تمام حفظه لدينه؛ فإنه لا يزال من عباده طائفة قائمة بنصره إلى أن يأتي أمر اللَّه؛ جعلنا اللَّه منهم»[٢].

فترى الإمام ابن القيم لا يذكر أهل الحديث ولا يصفهم إلا بوصف الطائفة المنصورة والفرقة الناجية.

٢٣- ومنهم **شمس الدين أبو عبداللَّه محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي**، (ت ٧٦٣هـ).

---

(١) «النونية» (٢/ ٩٢-٩٤) مع شرح ابن عيسى.

(٢) (ل ٩) من مخطوطة تسمَّى بـ«فوائد في الكلام عن حديث الغمامة والعزلة والضب والغزالة وغيرها»، راجع: «فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية» (ص١٠٠).

قال في كتابه: «الآداب الشرعية»[١]: «فصل: أهل الحديث هم الطائفة الناجية القائمون على الحق[٢].

ونصَّ أحمد رضي الله عنه على أن أصحاب الحديث هم الطائفة في قوله عليه السلام: **«لا تزال طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحق»**.

ونصَّ -أيضًا- على أنهم الفرقة الناجية في الحديث الآخر، وكذا قال يزيد بن هارون.

ونصَّ أحمد رضي الله عنه على أن للَّهِ -تعالى- أبدالًا في الأرض، قيل: من هم؟ قال: «إن لم يكونوا أصحاب الحديث؛ فلا أعرف للَّه أبدالًا».

وقال -أيضًا- عنهم: «إن لم يكونوا هؤلاء النَّاس؛ فلا أدري من النَّاس؟».

ونقلَ نُعَيْمُ بنُ طَرِيفٍ عنه: أنه قال في قول النبي ﷺ: **«لا يزال اللَّه -تعالى- يغرس غرسًا يَشْغَلُهُم في طاعته»**؛ قال: «هم أصحاب الحديث».

وروى البويطي عن الشافعي رضي الله عنه؛ قال: «عليكم بأصحاب الحديث؛ فإنهم أكثر النَّاس صوابًا». اهـ

٢٤- ومنهم الحافظ **إسماعيل بن شهاب الدين أبي حفص عمر بن كثير**، (ت ٧٧٤هـ).

ذكر في كتابه «النهاية»[٣] أحاديث **«ستفترق أمَّتي إلى ثلاث وسبعين فرقة؛ كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة»** من حديث جملة من الصحابة.

ثمَّ قال: «وفي الحديث الآخر: **«لا تزال طائفةٌ من أمَّتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر اللَّه وهم كذلك»**.

---

(١) (١/ ٢١١).

(٢) هذا العنوان لا أدري أهو من المؤلف أو من المحقق؛ فإذا كان من المحقق؛ فقد أخذه من كلام المؤلف.

(٣) (١/ ١٧-٢٠).

وفي «صحيح البخاري»: «**وهم بالشام**».

قال عبداللَّه بن المبارك وغير واحد من الأئمة: «**وهم أهل الحديث**».

٢٥- ومنهم الإمام الحافظ **أبو الفرج زين الدين عبدالرحمن بن أحمد ابن رجب**، (ت ٧٩٥هـ).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «**كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة**»[1]:

«**وأما فتنة الشبهات والأهواء المضلة؛ فبسببها تَفَرَّق أهل القبلة، وصاروا شيعًا، وكَفَّر بعضهم بعضًا، وأصبحوا أعداءً وفرقًا وأحزابًا بعد أن كانوا إخوانًا قلوبهم على قلب رجل واحد، فلم ينج من هذه كلها إلا الفرقة الواحدة الناجية.**

وهم المذكورون في قوله ﷺ: «**لا تزال طائفةٌ من أمَّتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر اللَّه وهم على ذلك**».

وهم في آخر الزمان، الغرباء المذكورون في هذه الأحاديث، الذين يَصلحون إذا فسد النَّاس.

وهم الذين يُصلحون ما أفسد النَّاس من السنة.

وهم الذين يَفِرُّون بدينهم من الفتن.

وهم النُّزَّاع من القبائل؛ لأنهم قَلُّوا فلا يوجد في كل قبيلة منهم إلا الواحد والاثنان، وقد لا يوجد في بعض القبائل منهم أحد؛ كما كان الداخلون في الإسلام في أول الأمر كذلك.

وبهذا فسر الأئمة هذا الحديث.

قال الأوزاعي في قوله ﷺ: «**بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ**»: أَمَا إنَّه ما يذهب الإسلام، ولكن يذهب أهل السنة، حتى ما يبقى في البلد منهم إلا رجل واحد».

---

(١) (ص ٢٣-٢٩).

ولهذا المعنى يوجد في كلام السلف كثيرًا مدح السنة ووصفها بالغربة ووصف أهلها بالقلة».

فلم يُفَرِّق ابن رجب بين الناجية والمنصورة، واعتبرهما فرقة واحدة.

٢٦- ومنهم الإمام **ابن أبي العز علي بن علي الدمشقي** شارح «العقيدة الطحاوية»، (ت ٧٩٢هـ).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في مقدمة «شرح الطحاوية»(١): «وقد بلَّغ الرسول ﷺ البلاغ المبين، وأوضح الحجة للمُستبصرين، وسلك سبيله خير القرون، ثم خلف من بعدهم خلف اتَّبعوا أهواءهم وافترقوا، فأقام اللَّه لهذه الأمة من يحفظ عليها أصول دينها؛ كما أخبر الصادق ﷺ بقوله: «**لا تزال طائفةٌ من أمَّتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم**»، وممن قام بهذا الحق من علماء المسلمين الإمام أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، -تغمده اللَّه برحمته-».

فأشار إلى حديث افتراق الأمة، وصرح بحديث: «**لا تزال طائفة...**»، ونزلهما على جماعة واحدة قامت بحفظ أصول الدين، ولا شك أنه يقصد بذلك أهل الحديث؛ كالإمام أحمد وابنه، والبخاري، ومسلم، وابن خزيمة، وابن بطة، واللالكائي، والخطيب، والمقادسة، وابن تيمية، وابن القيم وأمثالهم من أئمة الحديث والمنهج السَّلفي، ومنهم الإمام الطحاوي، -رحمهم اللَّه جميعًا-، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيرًا.

٢٧- ومنهم الحافظ **أحمد بن علي بن حجر العسقلاني**، (ت ٨٥٢هـ).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في كتاب «فتح الباري»(٢) في شرح حديث المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**لا تزال طائفةٌ ...**» الحديث مُعَلِّقًا على قول الإمام البخاري: «وهم أهل العلم»:

---

(١) (ص ٦٩).

(٢) (١٣/ ٢٩٣-٢٩٥).

«هو من كلام المصنف، وأخرج الترمذي حديث الباب، ثم قال: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: سمعت علي بن المديني يقول: «هم أصحاب الحديث».

وذكر في كتاب «خلق أفعال العباد» عقب حديث أبي سعيد في قوله -تعالى-: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

هم الطائفة المذكورة في حديث «**لا تزال طائفةٌ من أمَّتي**».

ثمَّ ساقه وقال: وجاء نحوه عن أبي هريرة ومعاوية وجابر وسلمة بن نفيل وقرة ابن إياس.

وأخرج الحاكم في «علوم الحديث» بسند صحيح عن أحمد: «إن لم يكونوا أهل الحديث؛ فلا أدري من هم؟» ومن طريق يزيد بن هارون مثله».

انتهى المقصود من كلام الحافظ، وله شرح للمفردات وتوجيهات لا تخرج عن هذا الإطار؛ أي: عن أنهم طائفة واحدة، ولم يُشِرْ إلى التفريق بين الناجية والمنصورة.

٢٨- ومنهم العلامة **بدر الدين محمود بن أحمد العيني**، (ت ٨٥٥هـ).

قال في كتابه «عمدة القاري شرح صحيح البخاري»[١] على قول البخاري: «باب: قول النبي ﷺ: «**لا تزال طائفةٌ** ...»: أي: هذا الباب في بيان قول النبي ﷺ إلى آخره.

وروى مسلم مثل هذه الترجمة عن ثوبان؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفةٌ من أمَّتي ظاهرين على الحقِّ، لا يضرُّهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**»، ورُوِيَ -أيضًا- مثله عن المغيرة بن شعبة وجابر بن سمرة قولِهِ: «وهم أهل العلم»: من كلام البخاري.

(١) (٢٥/٤٨).

وقال الترمذي: سمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: سمعت علي بن المديني يقول: «هم أصحاب الحديث».

ثم شرح حديث المغيرة، ولم يُشِرْ إلى التفريق بين الناجية والمنصورة، ومع أنه من أئمة الأحناف؛ فقد سار في شرح الحديث على طريقة أهل الحديث؛ -فجزاه اللَّه خيرًا-.

٢٩- ومنهم الإمام **محمد بن أحمد السَّفاريني**، (ت ١١٨٨هـ)، في كتابه «لوامع الأنوار البهية شرح الدرة المضية»[١].

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «منظومته»:

«سَمَّيْتُها بِالدُّرَّةِ المُضِيَّه — في عَقْدِ أَهْلِ الفِرْقَةِ المَرْضِيَّه
على اعْتِقادِ ذِي السَّدادِ الحَنْبَلي — إمامِ أهلِ الحَقِّ ذِي القَدْرِ العَلِي
خَيْرُ المَلا فَرْدُ العُلا الرَّباني — رَبُّ الحجَا ماحي الدُّجى الشيباني
فَإِنَّهُ إِمامُ أَهْلِ الأَثَرِ — فَمَنْ نَحَا مَنْحاهُ فَهُوَ الأَثَرِي»

ثم قال السفاريني في شرحه للبيت الأخير:

«(فإنه)؛ أي: الإمام أحمد رضي الله عنه (إمام)؛ أي: قدوة، (أهل)؛ أي: أصحاب (الأثر)؛ يعني: الذين إنما يأخذون عقيدتهم من المأثور عن اللَّه -جلَّ شأنه- في كتابه، أو في سنة النَّبيِّ ﷺ، أو ما ثبت وصحَّ عن السلف الصالح من الصحابة الكرام والتابعين الفخام؛ دون زِبَالاتِ أهل الأهواء والبدع ونخالات أصحاب الآراء».

إلى أن يقول: «(الأثري)؛ أي: المنسوب إلى العقيدة الأثريَّة والفرقة السَّلفية المرضيَّة، ويعرف -أيضًا- بمذهب السَّلف، وهو مذهب سلف الأمَّة، وجميع الأئمَّة المعتبرين المقلَّدين في أحكام الدين».

---
(١) (١/ ٦٠-٦١).

ثم قال: «فإن قلت: إذا كان مذهب السَّلف هو ما عليه الأئمة جميعًا تبعًا للتابعين، والصحابة الكرام -رضوان اللَّه عليهم أجمعين-، وهو الذي كان عليه سيد المرسلين وخاتم النبيين؛ فكيف يُنْسَبُ هذا المذهب للإمام أحمد دون من تقدَّمه من أئمة الدين؟

قلت (السَّفاريني): الأمر كما ذكرت، والحق كما استخبرت، وهذه المقالة هي الشريعة الغرَّاء، ومقالة أهل الفرقة الناجية بلا محالة، ولا يرتاب ذو لُبٍّ لبيبٍ ورأي صحيح مصيب أنها هي التي كان عليها النبي الحبيب ﷺ، وأصحابه أهل الإصابة والتصويب، والتابعون لهم بإحسان من أهل التفضل والتبويب».

ثم ذكر ظهور البدع واستِفْحَالَهَا، وموقف الإمام أحمد منها، ودحرها بالثبات والحجج والبراهين، حتى قمعها وأهلها.

إلى أن قال: «فلمَّا انتصر الإمام أحمد رضي الله عنه للسنة السنية، والفرقة الناجية المرضية، وقمع أهل البدع، وزَيَّف مقالتهم، وأدحض بدعتهم، وأظهر ضلالهم؛ صار هو عَلَمَ الأمة وإمامها، وصاحبها وخليلها ومِقدامها»[1].

وقال رحمه الله: «المقدمة في ترجيح مذهب السَّلف على غيره من سائر المذاهب، وقد قدَّمنا ما يفيد أن مذهب السَّلف هو ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه -رضوان اللَّه عليهم- ومَن بعدهم من أئمة الدين والديانة والمعرفة والصيانة والسنَّة والإمامة، وإنما نسب لإمامنا أحمد رضي الله عنه؛ لأنه انتهى إليه من السنة ونصوص رسول اللَّه ﷺ أكثر مما انتهى إلى غيره، وابْتُلِيَ بالمحنة والرد على أهل البدع أكثر من غيره، فصار إمامًا في السنة أظهر من غيره، ولهذا قال بعض شيوخ المغاربة: المذهب لمالك والشافعي وغيرهما من الأئمة، والظهور للإمام أحمد بن حنبل، فالذي عليه أحمد عليه جميع الأئمة، وإن زاد بعضهم على بعض في العلم والبيان وإظهار الحق ودفع الباطل».

---

(١) «لوامع الأنوار» (١/ ٦٧-٧٦).

ثم قال:

«اعْلَمْ هُدِيتَ أَنَّهُ جَاءَ الخَبَر عَن النَبِيِّ المُقْتَفَى خَيْرِ البَشَر
بِأَنَّ ذِي الأَمَّةِ سَوْفَ تَفْتَرِقْ بِضْعًا وسَبْعِيَن اعْتِقادًا والمُحِقّ
ما كانَ في نَهْجِ النَبِيِّ المُصْطَفى وصَحْبِهِ مِنْ غَيْر زَيْغ وجَفَا
ولَيْسَ هذا النَّصُّ جَزْمًا يُعْتَبَرْ في فِرْقَةٍ إِلَّا عَلَى أَهْلِ الأَثَرْ»

ثم شرح هذه الأبيات، وذكر حديث افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة؛ كلها في النار إلا واحدة، ورد على من زعم أنَّ الأشعريَّة والماتريديَّة يدخلون في هذه الفرقة، وأكَّد قوله بما في البيت الأخير.

وقال في شرح (الجفاء) في البيت الثالث: «ويصح أن يقرأ بالخاء المعجمة، ويكون معناه: من غير ميل ولا كتم ولا ستر، والخافية ضد العلانية»[1].

وعلى كل حال؛ فهذا الإمام لا يرى تفرقة بين الطائفة المنصورة والناجية، ومعاني النصر للفرقة الناجية واضحة في كلامه.

٣٠- ومنهم **شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني**، (ت ٩٢٣هـ).

قال رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري»[2] وهو يعلِّقُ على قول البخاري بعد الترجمة: «وهم أهل العلم»: «ولأبي ذر: «وهم من أهل العلم»، وروى البخاري عن علي بن المديني: «هم أصحاب الحديث»، ذكره الترمذي»، ولم يفرق، ولم يشرْ إلى التفرقة، ونهج منهج المحدثين في تفسير الحديث.

٣١- ومنهم أبو الحسن محمد بن عبدالهادي الحنفي المعروف بالسِّندي (ت ١١٣٨هـ).

قال رَحِمَهُ اللهُ في «حاشيته على سنن ابن ماجه»[3]: «قوله: **«لا تزال طائفةٌ»**:

---

(١) «لوامع الأنوار» (١/ ٧٤-٧٦).
(٢) (١٠/ ٣٢٤).
(٣) (١/ ٧).

الجماعة من النَّاس، والتنكير للتقليل أو للتعظيم؛ لعظم قدرهم، ووفور فضلهم، ويحتمل التكثير -أيضًا-؛ فإنهم وإن قلُّوا؛ فهم الكثيرون؛ فإن الواحد لا يساويه الألف، بل هم النَّاس كلهم، قوله: «**منصورين**»؛ أي: بالحجج والبراهين، أو السيوف والأسنة؛ فعلى الأول هم أهل العلم، وعلى الثاني هم الغزاة، وإلى الأول مال المصنف، فذكر الحديث في هذا الباب؛ فإنه المنقول عن كثير من أهل العلم:

قال أحمد في هذه الطائفة: «إن لم يكونوا أهل الحديث؛ فلا أدري من هم» أخرجه الحاكم في «علوم الحديث».

قال عياض: «وإنَّما أراد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث».

وقال البخاري في «صحيحه»: «هم أهل العلم».

قال السيوطي بعد نقله: أي المجتهدون؛ لأنَّ المقلِّد لا يُسمى عالمًا»، وما أشار إليه من موقف السيوطي لعله يريد به ما ذكره في كتابه في «الرد على من أُخْلِدَ»؛ فقد قال مستدِلًا على وجوب الاجتهاد: «سبحان اللَّه مصرف الأمور والأقدار على كل عنيد جبار، والحمد للَّه الذي أقام في الأعصار قائمًا للَّه بالحجة من العلماء الأخيار، ولا إله إلا الذي ضمن حفظ شريعة نبيه المختار بطائفة من أمته موعودين بالنصر والإظهار، واللَّه أكبر من أن يدخل وعده خلف أو إقصار».

وقد نقل الاحتجاج بالحديث على قضية تعيُّن الاجتهاد في عدد من المواطن عن الحنابلة والمالكية وغيرهم. انظر على سبيل المثال (ص٩٧، ١٠٧).

٣٢- ومنهم شيخ الإسلام **محمد بن عبدالوهاب** رَحِمَهُ اللَّهُ، (ت ١٢٠٦هـ).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في «كتاب التوحيد»[1] في المسائل المستخرجة من حديث ثوبان:

---

(١) (ص ٢٨٣، ٢٨٤) مع «فتح المجيد».

«لا تزال طائفةٌ ...» الحديث:

(. . . التاسعة: البشارة بأنَّ الحقَّ لا يزول بالكلية كما زال فيما مضى، بل لا تزال عليه طائفة.

العاشرة: الآية العظمى أنهم مع قلّتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم.

الحادية عشرة: أنَّ ذلك الشرط إلى قيام الساعة.

الثانية عشرة: ما فيهن من الآيات العظيمة، فذكر عددًا من الآيات، ثم قال: «وإخباره ببقاء الطائفة المنصورة»).

٣٣- ومنهم الشيخ الإمام **عبدالله ابن شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب** -رحمهم اللَّه-، (ت ١٢٤٢هـ).

قال في كتاب «جواب أهل السنَّة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيديَّة»[(١)]: «والجواب أن يقال: المجيب[(٢)] إنما ذكر كلامًا عامًّا في أن أهل السنَّة والجماعة هم الذين اقتفوا ما عليه رسول اللَّه ﷺ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان، ومعلوم أن أهل الحديث هم أعظم طوائف الأمة بحثًا ومعرفة بسنة رسول اللَّه ﷺ؛ وذلك لأنهم اشتغلوا بذلك، وأفنوا أعمارهم في طلب ذلك ومعرفته، واعتنوا بضبط ذلك وجمعه وتنقيته، حتى بيَّنوا صحيح ذلك من ضعيفه من كذبه، ولا ينازع في ذلك إلى عدوٌّ للَّه ولرسوله ﷺ ولعباده المؤمنين.

الوجه الثاني: أن ظاهر كلام المجيب وكلامه يبين أن لم يخُصَّ بذلك طائفة معيَّنين، بل كل من سلك هذه الطريقة؛ فهو منهم مِن جميع الطوائف، وهو داخل في قوله: وهم أهل السنة والحديث من هذه الأمة».

---

(١) «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» (٤/ ١٢٤-١٢٥).

(٢) لم يذكر الشيخ عبداللَّه بن محمد رَحِمَهُ اللَّهُ اسم المجيب، ويستفاد من كلامه في هذا الكتاب أن أحد معاندي الزيدية اعترض على أهل السنة في مسائل عقدية، فردَّ عليه أحد علماء السنة، ثم نصره الشيخ عبداللَّه وأيَّده بهذا الكتاب القيم.

ثم ذكر وجهًا ثالثًا يتعلق بالقدر.

ثم قال: «الوجه الرابع: أن الاصطلاح لا حجة فيه عند أهل العلم وغيرهم؛ فإذا سمى أحدٌ طائفةً من النَّاس بأنهم أهل السنة والجماعة؛ لم يمنع من ذلك؛ إلا إذا كانوا مخالفين لما عليه جماعة أهل السنة والجماعة؛ كأهل البدع الذين يسمون أنفسهم بذلك، مع مباينتهم لطريقته ﷺ وأصحابه والتابعين لهم بإحسان.

الوجه الخامس: أنَّ كثيرًا من علماء السنة ذكروا أن أهل الحديث هم الفرقة الناجية التي قال فيها رسول اللَّه ﷺ: «**لا تزال طائفةٌ من أمَّتي قائمة على الحق، لا يضرُّهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى تقوم السَّاعة**»؛ كما ثبت في «الصحيحين» وغيرهما.

وذكر البخاري عن علي بن المديني أنهم أهل الحديث، وكذلك قال أحمد بن حنبل: «إن لم يكونوا أهل الحديث؛ فلا أدري من هم؟»».

٣٤- ومنهم الإمام العلامة **عبداللَّه بن عبدالرحمن بابطين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، (ت ١٢٨٢هـ).

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه «الانتصار لحزب اللَّه الموحدين»[1]: «وقال في «الهدي» (يعني: «زاد المعاد» لابن القيم) في فوائد غزوة الطائف: ومنها أنه لا يجوز إبقاء مواضع الشرك والطواغيت بعد القدرة على هدمها وإبطالها يومًا واحدًا؛ فإنها شعائر الكفر والشرك، وهي أعظم أنواع المنكرات . . . وغلب الشرك على أكثر النفوس لظهور الجهل وخفاء العلم، فصار المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، والسنة بدعة والبدعة سنة، ونشأ في ذلك الصغير، وهرم عليه الكبير، وطُمِست الأعلام، واشتدت غربة الإسلام، وقل العلماء، وغلبت السفهاء، ولكن لا تزال طائفة من العصابة المحمدية بالحق قائمين، ولأهل الشرك والبدع مجاهدين، إلى

---

(١) (ص ٦٨-٦٩)، وانظر: «زاد المعاد» (٣/ ٥٠٦-٥٠٧).

أن يرث اللَّه الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين».

فلم يفرق الإمام ابن القيم بين الطائفة المنصورة وبين الفرقة الناجية، أو يذكرها تارة باسم الناجية وتارة باسم المنصورة، وكذلك الشيخ عبداللَّه بابطين؛ فإنه لا يمكن أن يعد مُفَرِّقًا بينهما؛ لأنه هو وغيره لا يعرفون هذا التفريق.

٣٥- ومنهم الإمام العلامة الشيخ **سليمان بن عبداللَّه بن محمد بن عبدالوهاب** رَحِمَهُ اللهُ، (ت ١٢٣٣هـ).

قال رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»[١]: «قوله: «**ولا تزال طائفةٌ من أمَّتي على الحق منصورة، لا يضرُّهم من خذلهم، ولا من خالفهم**».

قال يزيد بن هارون وأحمد بن حنبل: «إن لم يكونوا أهل الحديث؛ فلا أدري من هم؟».

وكذلك قال: إنهم أهل الحديث: عبداللَّه بن المبارك، وعلي بن المديني، وأحمد بن سنان، والبخاري، وغيرهم.

وقال في رواية: هم العرب، واستدل برواية من روى: «**هم أهل الغرب**»، وفسَّر الغرب بالدَّلو العظيمة؛ لأن العرب هم الذين يستقون بها.

قلت: ولا تعارض بين القولين؛ إذ يمتنع أن تكون الطائفة المنصورة لا تعرف الحديث، ولا سنن رسول اللَّه ﷺ، بل لا يكون منصورًا على الحق إلا من عمل بكتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ، وهم أهل الحديث من العرب وغيرهم.

فإن قيل: فَلِمَ خصَّهُ بالعرب؟ قيل: المراد التمثيل لا الحصر؛ أي: أنَّ العرب إن استقاموا على العمل بكتاب اللَّه وسنة رسوله ﷺ، فهم الطائفة المنصورة حال استقامتهم».

---

(١) (ص ٣٧٩).

٣٦- ومنهم الإمام العلامة الشيخ **عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ**، (ت ١٢٨٥هـ).

قال رَحِمَهُ اللهُ: «**قوله: «ولا تزال طائفةٌ من أمَّتي على الحقِّ منصورة، لا يضرُّهم من خذلهم ولا من خالفهم»**:

قال يزيد بن هارون وأحمد بن حنبل: «إن لم يكونوا أهل الحديث؛ فلا أدري من هم؟».

قال ابن المبارك وعلي بن المديني وأحمد بن سنان والبخاري وغيرهم: إنهم أهل الحديث، وعن علي بن المديني رواية: هم العرب، واستدل برواية من روى: «**هم أهل الغرب**»، وفسَّر الغرب بالدَّلو العظيمة؛ لأن العرب هم الذين يستقون بها».

ثم حكى كلام النَّووي، ثم قال: «قال القرطبي: وفيه دليل على أن الإجماع حجة؛ لأن الأُمَّة إذا اجتمعت؛ دخل فيهم الطائفة المنصورة».

قلت: واحتجَّ الإمام أحمد على أن الاجتهاد لا ينقطع ما دامت هذه الطائفة موجودة.

٣٧- ومنهم أبو الطيب السيد **صديق بن حسن خان القنوجي**، (ت ١٣٠٧هـ).

قال رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «السراج الوهاج في كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج»[1]: «باب قوله ﷺ: «**لا تزال طائفةٌ من أمَّتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ...**»: وأما هذه الطائفة؛ فقال البخاري: هم أهل العلم، وقال أحمد بن حنبل: «إن لم يكونوا أهل الحديث؛ فلا أدري من هم؟» قال عياض: إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث».

ثم نقل كلام النَّووي السابق، ثم قال: «والحديث يشمل بعمومه ملوك

---

(١) (١١٧/٢ - نشر المكتبة الأثرية).

الإسلام الظاهرين على أهل الكفر -أيضًا- إن شاء اللَّه».

وقال في كتابه «الحطَّة في ذكر الصحاح الستَّة»[١]: «بسم اللَّه الرحمن الرحيم، فحمدًا للَّه الذي جعل أهل الحديث أهل النبي ﷺ خالصة من دون النَّاس في أعين البصراء، بل صحبهُ الذين صحبوا أنفاسه القدسية طول الآناء، وإن لم يصحبوا نفسه الزكية كصحبة الرُّحَماء؛ فيا لهم من كرام أخلصهم اللَّه بخالصةٍ ذكرى الدار، واصطفاهم لنصرة دينه وحفظ شريعته وتحمُّل علوم نبيه المختار، وناهيك بها من علياء . . .».

٣٨- ومنهم المحدث العلامة **أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي**، (ت ١٣٢٩هـ)، في كتابه «عون المعبود شرح سنن أبي داود»[٢].

قال في شرح حديث: «**لا تزال طائفةٌ ...**» الحديث: «قال النَّووي: وأما هذه الطائفة؛ فقال البخاري: هم أهل العلم، وقال أحمد بن حنبل: «إن لم يكونوا أهل الحديث؛ فلا أدري من هم؟» قال القاضي عياض: إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ومن يعتقد مذهب أهل الحديث، ثم ذكر كلام النَّووي السابق ذكره».

٣٩- ومنهم العلامة الداعية الكبير الشيخ **أحمد بن إبراهيم بن عيسى** (ت ١٣٢٩هـ) شارح «النونية» للإمام ابن القيم.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ في مقدمة «شرح النونية»: «وبعد؛ فإن المنظومة المشهورة في الطريقة السنية والعقيدة الحنفية المسماة بـ«الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»: لم ينسجْ ناسجٌ على منوالها، ولم تسمحِ الدُّهورُ بشكلها وأمثالها».

ثم قام رَحِمَهُ ٱللَّهُ بشرحها؛ مؤيدًا المصنف في عقائدها ومراميها ومقاصدها، ومؤيدًا ما فيها من حملات على أهل البدع، ومدح وثناء على أهل الحديث في

---

(١) (ص ١١- نشر دار الكتب العلمية بيروت).

(٢) (٧/ ١٦٢-١٦٣).

مواطن عديدة:

منها أن ابن القيم قال: «فصل في بيان عدوانهم في تلقيبهم أهل القرآن والحديث مجسمة، وبيان أنهم أولى بكل لقب خبيث:

كَمْ ذَا مُشَبِّهَةٌ مُجَسِّمَةٌ نَوَا ... بِتَةٌ مَسَبَّةُ جَاهِلٍ فَتَّانِ
أَسْماءُ سَمَّيْتُمْ بِها أَهْلَ الحَد ... يثِ وناصِري القُرآنِ والإيمانِ»[1]

وساق أبياتًا.

فشرح ابن عيسى تلكم الأبيات، ثم قال: «وقد قال الإمام أبو حاتم محمد بن إدريس الحنظلي الرازي: علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر، وعلامة الجهمية أن يسموا أهل السنة مشبهة ونابتة، وعلامة القَدَرِيَّةِ أن يسموا أهل السنة مجبرة، وعلامة الزنادقة أن يسموا أهل الأثر حشوية . . . » انتهى نقله عن الذهبي في «كتاب العلو».

وتسليمه بقول الإمام ابن القيم: «فصل في أن أهل الحديث هم أنصار رسول اللَّه ﷺ وخاصته، ولا يبغض الأنصار رجل يؤمن باللَّه واليوم الآخر:

يا مُبْغِضًا أَهْلَ الحَديثِ وشاتِمًا ... أَبْشِرْ بِعَقْدِ وِلايَةِ الشَّيْطانِ
أَوَ مَا عَلِمْتَ بأَنَّهُم أَنْصارُ دِيـ ... ـنِ اللَّـهِ والإيمانِ والقُرآنِ
أَوَ مَا عَلِمْتَ بأَنَّ أَنْصارَ الرَّسو ... لِ هُم بِلا شَكٍّ وَلا نُكْرانِ»[2]

فهو مؤيِّدٌ للإمام ابن القيم في أن أهل الحديث هم الفرقة الناجية والطائفة المنصورة.

٤٠- ومنهم العلامة **أبو المعالي محمود شكري الآلوسي**، (ت ١٣٤٢هـ).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «غاية الأماني»[3]: «الثاني: أنه ورد في الحديث المتفق على صحته: «**لتَتَّبِعُنَّ سُنَنَ من كان قبلكم حَذْوَ القُذَّةِ بالقُذَّة، حتى لو دخلوا جُحْرَ**

---

(١) (٢/ ٨١-٨٢).

(٢) «شرح النونية» لابن عيسى (٢/ ٤٢٥).

(٣) (١/ ١٩).

ضبٍّ؛ لدخلتموه»: أخبر ﷺ أنه سيكون في أمته من يَحْذُو حَذْوَ الأمم السابقة، وهم جاهلية الكِتَابِيِّين وغيرهم؛ كما فُسِّر في الحديث، ولا شكَّ أنَّ ما أخبر به ﷺ كائن لا محالة؛ فإنه الصادق المصدوق، وما ينطق عن الهوى، ومن اليقين أن من استمسك بهديه واتبع ما ثبت من سنته غير مقصودين بالحديث؛ كما ثبت في حديث الفرق أنهم الفرقة الناجية، وهم من كان على ما عليه النبي ﷺ وأصحابه؛ كما هو الوارد».

وقال في موضع آخر: «وقد ذكرنا غير مرة حقيقة حالهم (يعني: أهل السنة والجماعة)، وأن الفرقة الناجية هم التابعون لِمَا كان عليه رسول اللَّه ﷺ وأصحابه الكرام»(١).

وقال -أيضًا-: «وفي دمشق وسائر بلاد الشام -أيضًا- جماعة من أكابر علماء هذا العصر وفضلائه قد نصروا واختاروا أقواله (يعني: ابن تيمية)، وردوا على المخالفين له من الجهلة والغلاة، وأثنوا عليه، ووثَّقوه، ورجَّحُوه على كثير من الأئمة في كثير من الفنون، وصبروا على ما رأوه من كيد الخصوم وتحاملهم، ومخاصمتهم للباطل، وهم أحق النَّاس بذلك؛ لأن الشيخ -قَدَّسَ اللَّه روحه الزَّكيَّة- منهم، وكان من جيرانهم، ومن بلادهم ظهرت أنوار السنة النبوية، وفي الحديث الصحيح ما يُشْعِرُ بأنَّهم هم المؤيدون للسنة، وهو قوله ﷺ: **«لا تزال طائفةٌ من أمَّتي ظاهرين على الحق، وهم في الغرب»**.

قال بعض شراح الحديث: المراد بهم: أهل الشام؛ فإنهم أكثر النَّاس اشتغالًا بالحديث وأعناهم بحفظ السنة.

قال العلامة الحافظ ابن كثير في كتابه «البداية والنهاية» في الحديث الصحيح: **«لا تزال طائفةٌ من أمَّتي ظاهرين على الحق، لا يضرُّهم من خذلهم ولا خالفهم، حتى يأتي أمر اللَّه وهم كذلك»**: وفي «صحيح البخاري»: «وهم

(١) «غاية الأماني» (٢/ ٦٣).

بالشام».

وقد قال كثير من علماء السَّلف: إنهم علماء الحديث»(١).

وقد ذَكَرهم -أيضًا- في موضع آخر باسم أهل السنة والجماعة؛ قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم أن أهل السنة والجماعة هم أهل الإسلام والتوحيد، المتمسكون بالسنن الثابتة عن رسول اللَّه ﷺ في العقائد والنحل والعبادات الباطنة والظاهرة، الذين لم يشوبوه ببدع أهل الأهواء وأهل الكلام في أبواب العلم والاعتقادات، ولم يَخرجوا عنها في باب العمل والإرادات؛ كما عليه جُهَّال أهل الطرائق والعبادات؛ فإن السنة في الأصل تقع على ما كان عليه رسول اللَّه ﷺ وما سنَّهُ أو أمر به من أصول الدين وفروعه، حتى الهدي والسمت . . .»(٢).

ثم استمر يفصل بما مرجعه إلى كلامه السابق.

فترى الرجل يذكر أهل الحديث تارة باسم الفرقة الناجية، وتارة باسم الطائفة المنصورة، وتارة باسم أهل الحديث.

٤١- ومنهم المحدث العلامة **أبو العُلى محمد بن عبدالرحمن المباركفوري**، (ت ١٣٥٣هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه «**تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي**»(٣).

قال في شرح حديث معاوية بن قرة عن أبيه مرفوعًا: «**لا تزال طائفةٌ ...**» الحديث إلى أن ذكر قول الترمذي: قال محمد بن إسماعيل عن علي بن المديني: هم أصحاب الحديث.

«وقال البخاري في «صحيحه»: هم أهل العلم، وقال الحافظ في «الفتح»: وأخرج الحاكم في «علوم الحديث» بسند صحيح عن أحمد: «**إن لم يكونوا أصحاب الحديث؛ فلا أدري من هم؟**» ومن طريق يزيد بن هارون مثله . . .». اهـ

---

(١) «غاية الأماني» (٢/ ١٤٩).
(٢) «غاية الأماني» (١/ ٤٢٨).
(٣) (٦/ ٤٣٤).

ثم نقل كلام القاضي عياض وكلام النَّووي -رحمهما اللَّه-.

٤٢- ومنهم علامة القصيم الشيخ **عبدالرحمن بن ناصر السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٣٧٦هـ)، ابن قَيِّم عصره، وكان قد اعتنى بـ«نونية الإمام ابن القيم» المسماة بـ«الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»، فبسطها على طريقة ابن هشام لتبسيط ونثر «ألفية ابن مالك» في كتاب سماه «توضيح الكافية الشافية»، ثم شرحها شرحًا وافيًا، ثم لخَّص هذا الشرح في كتابه «الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين».

قال رَحِمَهُ اللَّهُ في «توضيح الكافية الشافية»[1]: «أما بعد؛ فهذا توضيح لمعاني «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة النَّاجية» لشمس الدين بن القيم -قدَّس اللَّه روحه-؛ لكون هذا الكتاب عديم النظير في استيفائه لأصول الدين، والردِّ على الجهمية والمعطلة والملحدين بالنقول الصحيحة، والأصول السَّلفية والقواعد والعقول الصَّريحة، وفيه من الفوائد وما تصح وتكمل به العقائد ما لا يوجد في كتاب سواه . . .».

ونقل العنوان الآتي عن ابن القيم: «فصل في بيان أن أهل الحديث هم أنصار رسول اللَّه ﷺ وخاصته ولا يُبْغِضُ الأنصارَ رجل يؤمن باللَّه واليوم الآخر».

فقال الشيخ ابن سعدي بعد العنوان السابق: ثَبَتَ في «الصحيح» أن النبي ﷺ قال عن الأنصار: **«لا يبغضهم إلا منافق»**، وذلك بأسباب إيمانهم ومسابقتهم ونصرتهم التامة لرسول اللَّه ﷺ وذبِّهم عنه مَنْ يُريده بسوء.

كذلك أهل السنة والجماعة وأهل الحديث؛ لانتسابهم لسنته دون المقالات كلها والمذاهب وغيرها؛ لأن الإنسان لا يُنْسب لشيء؛ إلا لاتصاله به؛ بخلاف غيرهم؛ فإنهم تباينت نسبهم؛ كالجهمية والكلابية والأشعرية ونحوهم، وإما إلى

---

(١) (ص ٣).

المقالات؛ كالقدرية».

٤٣- ومنهم العلامةُ الفَذُّ الشيخ **حافظ بن أحمد الحكمي** رَحِمَهُ اللَّهُ، (ت ١٣٧٧هـ)، ألَّف كتابًا سمَّاه «أعلام السنَّة المنشورة لاعتقاد الطَّائفة النَّاجية المنصورة»؛ قال في هذا الكتاب[1]:

«سؤال: من هي الطائفة التي عناها النبي ﷺ بقوله: «**لا تزال طائفةٌ من أمتي** ...» الحديث؟

جواب: هذه الطائفة هي الفرقة الناجية من الثلاث وسبعين فرقة؛ كما استثناها النبي ﷺ من تلك الفرق بقوله: «**كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة**»، وفي رواية: «**هم من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»، نسأل اللَّه أن يجعلنا منهم». اهـ

٤٤- ومنهم العلامة **محمد تقي الدين الهلالي المغربي** (ت ١٤٠٧هـ)[2]، حيث قال في: «الحسام الماحق لكل مشرك ومنافق» (ص: ١٤): «ومع ذلك كله لا نيأس من وجود طائفة قائمة بنصرة الحق ثابتة عليه مبلغة له، منصورة به لا يضرها من خالفها ولا من عاداها إلى يوم القيامة، لأن النبي ﷺ بشرنا بذلك لما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن المغيرة بن شعبة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تزال طائفةٌ من أمتي ظاهرة حتى يأتيهم أمر اللَّه وهم ظاهرون**».

قال يزيد بن هارون وأحمد بن حنبل: «إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم؟ وقال ابن المبارك و علي بن المديني وأحمد بن سنان والبخاري وغيرهم: «إنهم أهل الحديث».

٤٥- ومنهم **الشمس السَّلفي الأفغاني** (ت١٤٢٠هـ)[3] رَحِمَهُ اللَّهُ قال في كتابه

---

(١) (ص١٩٤).
(٢) (ز).
(٣) (ز).

«عداء الماترديَّة للعقيدة السَّلفيَّة -الماترديَّة-» (٢/ ٤١٠-٤١١): «وأمَّا (السَّلف) باعتبار العقيدة دون اعتبار الزمن فهم الصحابة والتابعون لهم وأتباعهم والأئمَّة المجتهدون من الفقهاء والمحدثين والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين.

فيكون لفظ (السَّلف) يفيد معنى (أهل السنَّة المحضة)، و(الطائفة المنصورة)، و(الفرقة النَّاجية)، و(أصحاب الحديث)، و(أهل الحديث)، ونحو ذلك من الألقاب بشهادة أئمَّة الإسلام: أمثال ابن المبارك، ويزيد بن هارون، وعلي بن المديني، وأحمد بن حنبل، والبخاري، وغيرهم».

٤٦- ومنهم العلامة **محمد أمان الجامي** (ت ١٤١٦هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ قال في «الصفات الإلهيَّة» (ص٦٤-٦٥): «ويتضح ممَّا تقدَّم أن مدلول السَّلفيَّة أصبح اصطلاحًا معروفًا يطلق على طريقة الرعيل الأوَّل، ومن يقتدون بهم في تلقي العلم، وطريقة فهمه وبطبيعة الدعوة إليه، فلم يعد إذًا محصورًا في دور تاريخي معين، بل يجب أن يُفهم على أنه مدلول مستمر استمرار الحياة، وضرورة انحصار الفرقة الناجية في علماء الحديث والسنة، وهم أصحاب هذا المنهج، وهي لا تزال باقية إلى يوم القيامة أخذًا من قوله ﷺ: «**لاتزال طائفةٌ من أمَّتي منصورين على الحق، لا يضرهم من خالفهم، ولا من خذلهم**».

٤٧- ومنهم العلامة المحدث الشيخ **حمَّاد بن محمد الأنصاري** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٤١٨هـ)، عضو هيئة التدريس في الجامعة الإسلامية، يرى أن الفرقة الناجية هي الطائفة المنصورة وهي أهل الحديث.

٤٨- ومنهم علامة العصر، وعَلَمه الشامخ العالم العامل صاحب العقل الخصب والذراع الرحب والباع الواسع في العلم والأدب والأخلاق الإسلامية السمحة، شيخنا، مفتي الديار السعودية، بل العالم الإسلامي، سماحة الشيخ **عبد العزيز بن عبدالله بن باز** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٤٢٠هـ)؛ فلقد سألته: هل يرى أن هناك فرقًا بين الطائفة المنصورة والفرقة الناجية؟ فقال: لا أرى فرقًا، بل هي فرقة

واحدة.

٤٩- ومنهم محدث هذا العصر الشيخ **محمد ناصر الدين الألباني** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت ١٤٢٠هـ).

قال في كتابه «سلسلة الأحاديث الصحيحة»: «من هي الطائفة الظاهرة المنصورة؟»

«لا تزال طائفةٌ من أمَّتي ظاهرين على الحق حتى تقوم السَّاعة».

ثم نقل كلام يزيد بن هارون عن طريق الرَّامَهُرْمُزي: «إن لم يكونوا أصحاب الحديث؛ فلا أدري من هم».

ثم ذكر أن الحديث ثابت مستفيض عن عدد من الصحابة.

ثم نقل عن عدد من الأئمة - منهم عبدالله بن المبارك، وابن المديني، وأحمد ابن حنبل، وأحمد بن سنان، والبخاري: أنَّ الطائفة المنصورة هم أهل الحديث.

ثم قال: «وقد يستغرب بعض النَّاس تفسير هؤلاء الأئمة للطائفة الظاهرة والفرقة الناجية بأنهم أهل الحديث، ولا غرابة في ذلك إذا تذكرنا ما يأتي:

أولًا: أنَّ أهل الحديث هم بحُكْمِ اختصاصهم في دراسة السنة وما يتعلق من معرفة تراجم الرواة وعلل الحديث وطرقه، أعلم النَّاس قاطبة بسنة نبيهم ﷺ وهديه وأخلاقه وغزواته وما يتصل به ﷺ.

ثانيًا: أنَّ الأمة قد انقسمت إلى فرق ومذاهب لم تكن في القرن الأول، ولكل مذهب أصوله وفروعه وأحاديثه التي يستدل بها ويعتمد عليها، وأن المتمَذْهِب بواحد منها يتعصب له، ويتمسك بكل ما فيه؛ دون أن يلتفت إلى المذاهب الأخرى، وينظر لعله يجد فيها من الأحاديث ما لا يجده في مذهبه الذي قلَّده؛ فإن من الثابت لدى أهل العلم أن في كل مذهب من السنة والأحاديث ما لا يوجد في المذهب الآخر؛ فالمتمسك بالمذهب الواحد يضل ولا بد عن قسم عظيم من السنة المحفوظة لدى المذاهب الأخرى.

وليس على هذا أهل الحديث؛ فإنهم يأخذون بكل حديث صح إسناده في أي مذهب كان، ومن أي طائفة كان راوية، ما دام أنه مسلم ثقة، حتى لو كان شيعيًّا أو خارجيًّا أو قدريًّا، فضلًا عن أن يكون حنفيًّا، أو مالكيًّا، أو غير ذلك.

وقد صرَّح بهذا الإمام الشافعي ﵁ حين خاطب الإمام أحمد بقوله: «أنتم أعلم بالحديث مني، فإذا جاءكم الحديث صحيحًا؛ فأخبرني به حتى أذهب إليه، سواء كان حجازيًّا أم كوفيًّا أم مصريًّا».

فأهل الحديث -حشرنا اللَّه معهم- لا يتعصَّبون لقول شخص معين، مهما علا وسما، حاشا محمدًا ﷺ؛ بخلاف غيرهم ممن لا ينتمي إلى الحديث والعمل به؛ فإنهم يتعصبون لأقوال أئمتهم -وقد نهوهم عن ذلك- كما يتعصب أهل الحديث لأقوال نبيهم!

فلا عجب بعد هذا البيان أن يكون أهل الحديث هم الطائفة الظاهرة والفرقة الناجية، بل والأمة الوسط الشهداء على الخلق.

ويعجبني بهذا الصدد قول الخطيب البغدادي في مقدمة كتابه «شرف أصحاب الحديث»؛ انتصارًا لهم وردًّا على من خالفهم:

«ولو أنَّ صاحب الرأي المذموم شُغِلَ بما ينفعه من العلوم، وطلب سنن رسول رب العالمين، واقتفى آثار الفقهاء والمحدثين؛ لوجد في ذلك ما يغنيه عن سواه، واكتفى بالأثر عن رأيه الذي يراه؛ لأن الحديث يشتمل . . .» إلى آخر ما نقلناه عن الخطيب سابقًا.

قال الألباني: «ثم ساق الخطيب ﵀ الأبواب التي تدل على شرف أصحاب الحديث وفضلهم، لا بأس من ذكر بعضها وإن طال المقام؛ لتتم الفائدة، لكني اقتصر على أهمها وأمسِّها بالموضوع:

١- قوله ﷺ: **«نضَّر اللَّه امرأً سمع منَّا حديثًا فبلَّغه»**.

٢- وصية النبي ﷺ بإكرام أصحاب الحديث.

٣- قول النبي ﷺ: «**يحمل هذا العلم من كل خلف عدُولُهُ**».

٤- كون أصحاب الحديث خلفاء الرسول ﷺ في التبليغ عنه.

٥- وصف الرسول ﷺ إيمان أصحاب الحديث.

٦- كون أصحاب الحديث أولى بالرسول ﷺ؛ لدوام صلاتهم عليه.

٧- بشارة النبي ﷺ أصحابه بكون طلبة الحديث بعده واتصال الإسناد بينهم وبينه.

٨- البيان أن الأسانيد هي الطريق إلى معرفة أحكام الشريعة.

٩- كون أصحاب الحديث أمناء الرسول ﷺ؛ لحفظهم السنن وتبيينهم لها.

١٠- كون أصحاب الحديث حماة الدين؛ بذبِّهم عن السنن.

١١- كون أصحاب الحديث ورثة الرسول ﷺ ما خلفه من السنة وأنواع الحكمة.

١٢- كونهم الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر.

١٣- كونهم خيار النَّاس.

١٤- من قال: إن الأبدال والأولياء أصحاب الحديث.

١٥- من قال: لولا أهل الحديث لانْدَرَسَ الإسلام.

١٦- كون أهل الحديث أَوْلَى النَّاس بالنجاة في الآخرة، وأسبق الخلق إلى الجنة.

١٧- اجتماع صلاح الدنيا والآخرة في سماع الحديث وكتبه.

١٨- ثبوت حجة صاحب الحديث.

١٩- الاستدلال على أهل السنة بحبهم أصحاب الحديث.

٢٠- الاستدلال على المبتدعة ببغض الحديث وأهله.

٢١- من جمع بين مدح أصحاب الحديث، وذم أهل الرأي والكلام الخبيث.

٢٢- من قال: طلب الحديث من أفضل العبادات.

٢٣- من قال: رواية الحديث أفضل من التسبيح.

٢٤- من قال: الحديث أفضل من صلاة النافلة.

٢٥- من تمنى رواية الحديث من الخلفاء، ورأى أن المحدثين أفضل العلماء.

هذه هي أهم أبواب الكتاب وفصوله.

وأختم هذه الكلمة بشهادة عظيمة لأهل الحديث من عالم من كبار علماء الحنفيَّة في الهند، ألا وهو أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي (١٢٦٤ - ١٣٠٤هـ):

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن نظر بنظر الإنصاف، وغاص في بحار الفقه والأصول متجنّبًا الاعتساف؛ يعلم علمًا يقينًا أن أكثر المسائل الفرعية والأصلية التي اختلف العلماء فيها؛ فمذهب المحدِّثين فيها أقوى من مذاهب غيرهم، وإني كلما أسير في شعب الاختلاف؛ أجد قول المحدثين فيها قريبًا من الإنصاف؛ فللَّه دَرُّهُم، وعليه شكرهم (كذا!)، كيف لا وهم ورثة النبي ﷺ حقًّا، ونُوَّاب شرعه صِدقًا، حشرنا اللَّه في زُمرتهم، وأماتنا على حُبِّهم وسيرتهم».

٥٠- ومنهم عالم القصيم في العصر الحاضر الشيخ **محمد بن صالح العثيمين** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٤٢١هـ)؛ إذْ سئل عن افتراق أمة النبي بعد وفاته؟ فأجاب بقوله: «أخبر النبي ﷺ فيما صح عنه أن اليهود افترقوا على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وأن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة، وهذه الفرق كلها في النار؛ إلا واحدة، وهي: من كان على مثل ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، وهذه الفرقة الناجية التي نجت في الدنيا من البدع وتنجو في الآخرة من النار، وهي الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة، التي لا تزال ظاهرة قائمة

بأمر اللَّه ﷻ».

وسُئِلَ رَحِمَهُ اللَّهُ عن أبرز خصائص الفرقة الناجية، وهل النَّقصُ من هذه الخصائص يخرج الإنسان منها؟

فأجاب: «أبرز الخصائص للفرقة النَّاجية هي التمسُّك بما كان عليه النَّبي ﷺ في العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملة . . . »[(١)].

ثم شرع يفصلها -جزاه اللَّه خيرًا-.

٥١- ومنهم الإمام العلامة محدث الديار اليمنيَّة **مقبل بن هادي الوادعي** رَحِمَهُ اللَّهُ (ت١٤٢٢هـ)، بوَّب في «الصحيح المسند من دلائل النبوَّة» (ص٣٤٠-٣٤٢): «إخباره ﷺ بالطائفة المنصورة وبقائها إلى آخر الزمان، ثمَّ ذكر عددًا من روايات الطائفة المنصورة، ثمَّ قال: قال الإمام الترمذي رَحِمَهُ اللَّهُ (٦/ ٤٣٣): حدثنا محمود ابن غيلان، أخبرنا أبو داود، أخبرنا شعبة عن معاوية بن قرَّة عن أبيه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم السَّاعة**».

قال محمد بن إسماعيل [البخاري]: قال علي بن المديني: هم أصحاب الحديث.

٥٢- ومنهم فضيلة الشيخ العلامة **صالح بن فوزان بن عبداللَّه الفوزان** -حفظه اللَّه-، قال في «شرح العقيدة الواسطية -شرح مجموعة من العلماء-» (ص١٢٤٤): «وفي أهل السنَّة العلماء الأعلام المتَّصفون بكل وصفٍ حميدٍ علمًا وعملًا (وفيهم الأبدال)، وهم: الأولياء والعبَّاد، سُمُّوا بذلك، قيل: لأنَّهم كلما مات منهم أحد أبدل بآخر، وفي رواية عن أحمد أنهم أصحاب الحديث (وفيهم أئمَّة الدين) أي: في أهل السنَّة العلماء المقتدى بهم، كالأئمَّة الأربعة وغيرهم

---

(١) «المجموع الثمين» (ص ٥٣-٥٤).

(وهم الطائفة المنصورة) أي: وأهل السنَّة هم الطائفة المذكورة في الحديث: **«لا تزال طائفةٌ من أُمَّتي . . .»** الحديث، رواه البخاري ومسلم».

ولأهل العلم في فضل الحديث وأهله أقوال كثيرة منثورة ومنظومة؛ فمن أشعارهم ما يأتي:

قال الإمام **أحمد بن محمد بن إبراهيم أبو طاهر السِّلفي**[1] (ت ٥٧٦هـ):

إنَّ عِلْمَ الحَديثِ عِلْمُ رِجالٍ ... تَرَكوا الابتِداعَ للاتِّباعِ
فَإذا جَنَّ لَيْلُهُم كَتَبوهُ ... وإذا أَصْبَحوا غَدَوْا للسَّماعِ

وقال معتزًّا بانتسابه لأهل الحديث:

أَنا مِنْ أَهْلِ الحَديـ ... ـثِ وَهُمُ خَيْرُ فِئَة
جُزْتُ تِسْعينَ وأَرْجو ... أَنْ أَجُوزَنَّ المِئَة

وقال يمدح رجال الحديث:

أَهْلُ الحَديثِ هُمُ الرِّجالُ البُزَّلُ ... ومِنَ المعالي في المعالي نُزَّلُ
هَلْ يَسْتَوي السَّمْكُ الذي تَحْتَ الثَّرى ... أَبَدًا مُقيمٌ والسِّماكُ الأعْزَلُ

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

يا قاصِدًا عِلْمَ الحَديث يَذُمُّهُ ... إذْ ضَلَّ عَنْ طُرُقِ الهِدايَةِ وَهْمُهُ
إنَّ العُلومَ -كَمَا عَلِمْتَ- كَثيرَةٌ ... وأَجَلُّها فِقْهُ الحَديثِ وعِلْمُهُ
مَنْ كان طالِبَهُ وفيهِ تَيَقُّظٌ ... فأَتَمُّ سَهْمٍ في المَعالي سَهْمُهُ
لَولا الحَديثُ وأَهْلُهُ لَمْ يَسْتَقِم ... دِينُ النَّبِيِّ وشَذَّ عَنَّا حُكْمُهُ
وإذا اسْتَرابَ بِقَولِنا مُتَحَذْلِقٌ ... ما كَانَ فَهْمٌ في البَسيطَةِ فَهْمَهُ

ومما قيل في أهل الحديث:

أَهْلُ الحَديثِ هُمُ أَهْلُ النَّبِيِّ وإنْ ... لَمْ يَصْحَبُوا نَفْسَهُ أَنْفَاسَهُ صَحِبُوا

---

(١) انظر كتاب: «أبو طاهر السِّلفي»، تأليف الدكتور حسن عبد الحميد الصالح، (ص١٧٩-١٨١).

ومن ذلك:

دِيْنُ النَّبيِّ مُحَمَّدٍ أَخْبارُ ... نِعْمَ المَطِيَّةُ للفَتَى آثارُ
لا تَرْغَبَنَّ عَنِ الحَديثِ وأَهْلِهِ ... فالرَّأْيُ لَيْلٌ والحديثُ نَهارُ
ولَرُبَّما جَهِلَ الفَتَى سُبُلَ الهُدَى ... والشَّمْسُ بازِغَةٌ لَها أَنْوارُ

ومنها ما أنشد السيد **المرتضى الحسيني**(١) لنفسه في «أماليه الشيخونية»:

عَلَيْكَ بِأَصْحابِ الحَديثِ فَإِنَّهُم ... خِيَارُ عِبادِ اللَّهِ في كُلِّ مَحْفَلِ
ولا تَعْدُوَنْ عَيْناكَ عَنْهُم فَإِنَّهُم ... نُجومُ الهُدى في أَعْيُنِ المُتَأَمِّلِ
لَقَدْ شَرَقَتْ شَمْسُ الهُدى في وجوهِهِمْ ... وقَدْرُهُمُ في النَّاس لا زَالَ يَعْتَلي
جَهَابِذَةٌ شُمٌّ سُراتٌ فَمَن أَتى ... إلى حَيِّهِم يومًا فَبِالنُّورِ يَمْتَلي
فَلِلَّهِ مَحْياهُمْ مَعًا ومَمَاتُهُم ... لَقَد ظَفِروا إِدْراكَ مَجْدٍ مُؤَثَّلِ
وقالَ الإمامُ الشَافِعِيُّ مَقالَةً ... غَدَتْ مِنهُم فَخْرًا لِكُلِّ مُحَصِّلِ
أَرَى المَرْءَ مِنْ أَهْلِ الحَديثِ كَأَنَّهُ ... رَأَى المرْءَ مِنْ صَحْبِ النَّبِيِّ المُفَضَّل
عَلَيْهِ صَلاةُ اللَّهِ ما ذَرَّ شارِقٌ ... وآلٍ لَهُ والصَّحْبِ أَهْلِ التَّفَضُّلِ(٢)

ومنها ما قال **محمد بن محمد المديني**:

أَحَقُّ أُناسٍ يُسْتَضَاءُ بِهَدْيِهِم ... أَئمَّةُ أَصْحابِ الحَديثِ الأفاضِلِ
خلائِفُ أَصْحابِ الحديثِ ذَو الحِمى ... لَهُم رُتَبٌ عُليَا وأَسْنى الفَضائِلِ
فَلَولاهُمُ لَمْ يَعْرِفِ الشَّرْعَ عَالِمٌ ... ولَمْ تَكُ فَتْوَى في فُنُونِ المَسائلِ
وهَلْ نَشَرَ الآثارَ قَوْمٌ سِواهُمُ ... نَعَمْ(٣) حَفِظوها نَاقِلًا بَعدَ نَاقِلِ
فَدَيتُهُم مِنْ عُصْبَةٍ عَلَمِ الهُدى ... لَقَد أَحْرَزوا فَضْلًا عَلَى كُلِّ فاضِلِ

---

(١) محمد مرتضى الحسيني البلجرامي: صوفي، محدِّث، من آثاره: «برنامج إجازة أمالي الحنفي» و«مجالس الشيخونية» و«تخريج أحاديث خير الأنام»، توفي (١٢٠٥هـ).

(٢) «مقدمة تحفة الأحوذي» (ص ١٧-١٨).

(٣) قال محقق «تحفة الأحوذي»: «كذا في الأصل، والظاهر: فهم . . .» إلخ.

هُمُ القَوْمُ لا يَشْقى لَعَمرِي جَلِيسُهُم ... فَمَنْ فاتَهُم يَحْظى بِغَيْرِ الفَضائلِ[١]

ومنها ما قال أبو محمد هبة اللَّه بن الحسن الشيرازي :

عَلَيْكَ بِأَصْحابِ الحَديثِ فَإِنَّهُم ... عَلَى مَنْهَجٍ لِلدِّينِ ما زَالَ مُعْلَمَا
وَمَا النُّورُ إلَّا في الحَديثِ وأَهْلِهِ ... إذا ما دَجَى الَّليْلُ البَهيمُ وأَظْلَما
وأَعْلى البَرايَا مَنْ إلى السُّنَنِ اعتزى ... وأَعْمى البَرايا مَنْ إلى البِدَعِ انْتَمَى
ومَنْ تَرَكَ الآثارَ ضُلِّلَ سَعْيُهُ ... وهَلْ يَتْرُكُ الآثارَ مَنْ كانَ مُسْلِمَا[٢]

ومنها ما قال أبو بكر بن أبي داود السِّجِسْتاني :

تَمَسَّكْ بِحَبْلِ اللَّهِ واتَّبِعِ الهُدَى ... ولا تَكُ بِدْعِيًّا لِعلَّكَ تُفْلِحُ
ولُذْ بكِتابِ اللَّهِ والسُّنَنِ الَّتي ... أَتتْ عَنْ رَسولِ اللَّهِ تَنْجُو وتَرْبَحُ
ودَعْ عَنْكَ آراءَ الرِّجالِ وقَوْلَهُم ... فَقَوْلُ رسولِ اللَّهِ أَزْكَى وأَشْرَحُ
ولا تَكُ في قَوْمٍ تَلَهَّوْا بِدينِهِم ... فَتَطْعَنُ في أَهْلِ الحَديثِ وتَقْدَحُ
إذا ما اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يا صاحِ هذِه ... فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ تَبيتُ وتُصْبِحُ[٣]

وللَّه دَرُّ أبي بكر حميد القرطبي ؛ فلقد أحسن وأجاد، حيث قال :

نُورُ الحَديثِ مُبينٌ فَادْنُ واقْتَبِسِ ... واحْدُ الرِّكَابَ لَهُ نَحْوَ الرِّضَا النَّدُسِ
واطْلُبْهُ بِالصِّينِ فَهْوَ العِلْمُ إنْ رُفعت ... أَعْلامُهُ بِرُباهَا يَا بْنَ أَنْدَلُسِ
فَلَا تُضِعْ في سِوَى تَقْييدِ شَارِدِهِ ... عُمْرًا يَفُوتُكَ بَيْنَ اللَّحْظِ والنَّفَسِ
وخَلِّ سَمْعَكَ عَنْ بَلْوى أخي جَدَلٍ ... شُغْلُ اللَّبِيْبِ بِها ضَرْبٌ مِنَ الهَوسِ
ما إنْ سَمَتْ بأَبي بَكْرٍ ولا عُمَرٍ ... ولا أَتَتْ عَنْ أَبي هِرٍّ ولا أَنَسِ
إلَّا هَوًى وخُصوماتٍ مُلَفَّقَةً ... لَيْسَتْ بِرَطْبٍ إذا عُدَّتْ ولا يَبسِ
فَلَا يَغُرَّكَ مِنْ أرْبابِها هَذرٌ ... أَجْدَى وَجَدُّكَ مِنْها نَغْمَةُ الجَرَسِ

(١) «مقدمة تحفة الأحوذي» (ص ١٨).
(٢) «مقدمة تحفة الأحوذي» (ص ٢٠).
(٣) «مقدمة تحفة الأحوذي» (ص٢٠).

أَعـزْهـم أُذُنًـا صـمًّـا إذا نَـطَـقـوا   وكُنْ إذا سألوا تُعْزى إلى خَرَسِ
مَا العِلْمُ إلَّا كِتابُ اللَّهِ أو أَثَرٌ   يَجْلُو بِنُورِ هُدَاهُ كُلَّ مُلْتَبِسِ
نُورٌ لِمُقْتَبِسٍ خَيْرٌ لِمُلْتَمِسٍ   حِمًى لِمُحْتَرِسٍ نُعْمى لِمُبْتَئِسِ
فَاعْكِفْ بِبَابِهِما عَلَى طِلابِهِما   تَمْحُو العَمَى بِهِما عَنْ كُلِّ مُلْتَمِسِ
وَرِدْ بِقَلْبِكَ عَذْبًا مِنْ حِياضِهِما   تَغْسِلْ بماءِ الهُدَى مَا فِيهِ مِنْ دَنَسِ
واقْفُ النَّبِيَّ وأَتْبَاعَ النَّبِيِّ يَكُنْ   مِنْ هَدْيِهِم أَبدًا تَدْنُو إلى قَبَسِ
والزَمْ مَجالِسَهُم واحْفَظْ مُجَالِسَهُم   وانْدِبْ مَدَارِسَهُم بالأَرْبَعِ الدرسِ
واسْلُكْ طَرِيقَهُمُ والْزَمْ فَرِيقَهُمُ   تَسْكُنْ رَفِيقَهُمُ في حَضْرَةِ القُدُسِ
تِلْكَ السَعادَةُ إنْ تُلْمِمْ بِساحَتِها   فَحُطَّ رَحْلَكَ قَدْ عُوفِيتَ مِنْ تَعسِ(١)

ومنها ما قال السيد العلامة **محمد بن إسماعيل الأمير اليماني** رَحِمَهُ اللَّهُ :

سَلامٌ عَلَى أَهْلِ الحَدِيثِ فَإِنَّنِي   نَشَأْتُ عَلَى حُبِّ الأحاديثِ مِنْ مَهْدِي
هُمُ بَذَلوا في حِفْظِ سُنَّةِ أَحْمَدٍ   وتَنْقِيحِها مِنْ جَهْدِهِم غَايَةَ الجَهْدِ
وأَعْنِي بِهِم أَسْلافَ سُنَّةِ أَحْمَدٍ   أُولئكَ في بَيْتِ القَصِيدِ هُمُ قَصْدي
أولئكَ أَمْثالُ البُخاري وَمُسْلِمٍ   وأَحْمَدَ أَهْلِ الجدِّ في العِلْمِ والجدِّ
بُحورٌ أُحاشيهم عَن الجَزْرِ إِنَّما   لَهُم مَدَدٌ يأتي مِنَ اللَّهِ بِالمدِّ
رَوَوْا وارْتَوَوْا مِنْ بَحْرِ عِلْمِ مُحَمَّدٍ   ولَيْسَ لَهُمْ تِلْكَ المَذاهِبُ مِنْ وِرْدِ
كَفاهُمْ كِتابُ اللَّهِ والسُّنَّةُ الَّتي   كَفَتْهُ قَبْلَهُم صَحْبَ الرَّسول ذَوي المَجْدِ
أَأَنْتُم أَهْدَى أَمْ صَحابَةُ أَحْمَدٍ   وأَهْلُ الكِسَا هَيْهاتَ ما الشَّوْكُ كَالوَرْدِ
أُولئكَ أَهْدَى في الطَّرِيقَةِ مِنْكُمُ   نعمْ قُدْوَتي حتَّى أُوَسَّدَ في لَحْدِي(٢)

وقال أبو العباس العزفي :

أَهْلُ الحَديثِ عِصابَةُ الحَقِّ   فَازوا بِدَعْوَةِ سَيِّدِ الخَلْقِ

---

(١) «مقدمة تحفة الأحوذي» (ص٢٠-٢١).
(٢) «مقدمة تحفة الأحوذي» (ص ١٨-١٩).

فَـوُجـوهُـهُـمْ زُهْـرٌ مُـنَـضَّـرَةٌ لألاؤهـا كـتـألُّـقِ الـبَـرْقِ
يـا لَـيْـتَـنـي مَـعَـهُـم فَـيُـدْرِكَـنـي مـا أَدْرَكـوهُ بِـهـا مِـنَ الـسَّـبْـقِ

وقال العلامة الشيخ **حافظ بن أحمد الحكمي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قصيدة طويلة ذكر فيها التجديد والمجدِّدين ثم ذكر أهل الحديث فقال:

وأُولي الصِّحَاح الغُرِّ والسُّنَنِ الحِسانِ وغَـيْـرُهُـم مِـنْ مُـسْـنِـدي الأنـبـاءِ
الحافِظونَ عَلى الخَلائقِ دينَهُم والـرَّافِـعـونَ لَـهُ أَعَـزَّ لِـواءِ
هُم ناصِرو دِين الهُدى بإِحاطَةٍ وحِـمـايَـةٍ وولايـةٍ وبَـراءِ
وَهُمُ الرُّجُومُ لِكُلِّ صَاحبِ بِدْعةٍ مِـنْ كُـلِّ دَجَّـالٍ وَذِي إغـواءِ
مِثْلَ الرُّجُومُ مِنَ النُّجومِ لِكُلِّ مُسْـ ـتَرِقٍ كَمَا قَدْ صَحَّ في الأنباءِ
سُـنِّـيـةٌ أَثَـرِيَّـةٌ نَـبَـوِيَّـةٌ لَـيْـسـوا أُولـي زيـغٍ ولا أَهْـواءِ
عَمِلوا بِما عَلِموا وقَاموا جُهْدَهُمْ لِـلَّـهِ بِـالـشُّـكْـرانِ لِـلـنَّـعْـمـاءِ
ما أطْلَقَتْ مِنْ بِدْعَةٍ إعْصارها إلَّا ابْـتَـداهـا الـقَـوْمُ بـالإطْـفـاءِ
في كُلِّ جيلٍ أَوْ مَكَانٍ أَوْ زَمَا نٍ هُـمْ شجي بحناجرِ الأعداءِ[1]

* * *

---

(١) هذه القصيدة مخطوطة توجد لدى الشيخ محمد بن أحمد الحكمي أخي الشيخ حافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الحديث الثَّامن والثَّلاثون

ثالثًا: في اليَمَنِ

عن عبداللَّه بن حوالة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«سَتُجَنَّدُونَ أجنادًا، جُندًا بالشام، وجُندًا بالعراق، وجُندًا باليمن»**، فقلت: خِرْ لي يا رسول اللَّه! قال: **«عليكم بالشام، فمن أبى فَلْيَلْحَق بيمنه، ولْيَسْتَقِ من غدره، فإنَّ اللَّه عز وجل تكفَّل لي بالشام وأهلها»**[1].

قال ربيعة: فسمعتُ أبا إدريس الخولاني يحدِّث بهذا الحديث ويقول: ومن تكفَّل اللَّه به؛ فلا ضَيْعَةَ عليه.

يخبرنا النبي ﷺ في هذا الحديث أنَّ المسلمين سَيُفَرَّقون جنودًا ودولًا كثيرة؛ بعد أنْ كانوا جندًا واحدًا تضمهم دولة واحدة، فقال ﷺ: **«ستجنَّدون أجنادًا»**، وأخبر عن أهمِّ هذه الأجناد، فقال: **«جندًا بالشام، وجندًا بالعراق، وجندًا باليمن»**، فطلب راوي الحديث، وهو عبداللَّه بن حوالة رضي الله عنه من رسول اللَّه ﷺ لَمَّا سمع منه هذا الحديث أن يختار له بلدًا من تلك البلاد؛ ليهاجر إليها، ويسكن فيها إذا صار الأمر إلى ما ذكر.

فقال النَّبي ﷺ: **«عليكم بالشام»**، أي: اذهبوا إليها، واسكنوا فيها، وَخُصُّوها عن غيرها، وقوله ﷺ: **«فمن أبى»** أي: امتنع عن ذلك لسبب ما؛ **«فليلحق بيمنه، ولْيَسْتَقِ من غدره»**، أي: ليذهب إلى اليمن، ويقيم فيه، ويشرب من مائه، ويستقرَّ فيه، ولا يتوسَّع فيه.

---

(١) صحيح، أخرجه أبو داود (٢٤٨٣)، وابن حبان (٧٣٠٦)، والحاكم (٤/ ٥١٠)، والطَّحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ٣٥)، وصحَّحه الإمام الألباني وبيَّن طرقه في «تخريج أحاديث الشام ودمشق» (١٣-١٤).

وقوله ﷺ: «**فإنَّ اللَّه ﷻ تكفَّلَ لي بالشام، وأهلها**» أي: تكفَّل أن يرعاها ويحفظها وأهلها، ولذلك كان أبو إدريس الخولاني يحدث بهذا الحديث، ويقول: ومن تكفَّل اللَّه به؛ فلا ضيعة عليه.

ويُمكن أن يُستفاد من هذا الحديث أنَّ الحياةَ في الشَّام أصعبُ من الحياة في غيرها، وأن المهاجِرَ إلى الشام قد تعترضه صعوبات حياتيَّة، سياسيَّة، أو اقتصاديَّة، أو اجتماعيَّة، أو غيرها، فلا يتمكَّن من الاستقرار فيها.

وإنَّ الحياةَ في اليمن أسهلُ وأيسرُ منها في الشام أو غيرها، وهذا أمر معلوم ومشاهد.

وقد وردت أحاديث كثيرة في **فضل اليمن وأهله، وأنَّ الإيمان والفقه والحكمة يمانيَّة**:

فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: دعا رسول اللَّه ﷺ فقال: «**اللَّهم بارك لنا في صاعنا ومُدِّنا، وبارك لنا في مَكَّتِنَا ومدينتنا، وبارك لنا في شامنا ويمننا**»، فقال رجل من القوم: يا نبيَّ اللَّه! وعراقنا؟ فقال: «**إنَّ بها قرن الشيطان، وتهيج الفتن، وإنَّ الجفاء بالمشرق**»(١).

وعن أبي مسعود رضي الله عنه، قال: أشار النبي ﷺ بيده نحو اليمن، فقال: «**ألا إنَّ الإيمان هَاهُنا، وإنَّ القسوة وغِلَظ القلوب في الفدَّادين عند أُصول أذناب الإبل، حيث يطلُع قرنا الشيطان في ربيعة ومُضَر**»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**جاء أهل اليمن، هم أرقُّ أفئدة، الإيمان يَمانٍ، والفقه يمانٍ، والحكمة يمانيَّة**»(٣).

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٥٥٣)، وصحَّحه الإمام الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٢٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣١٢٦)، ومسلم (٥١).

(٣) أخرجه البخاري (٤٣٨٨)، ومسلم (٥٢).

وعنه أيضًا رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**جاء أهل اليمن، هُمْ أرقُّ أفئدة، وأضعف قلوبًا، الإيمان يمانٍ، والحكمة يمانيَّة، والسَّكِينَةُ في أهل الغنم، والفخر والخُيَلاء في الفدَّادين، أهل الوبَرِ، قِبَلَ مَطْلِع الشمس**»(١).

وعنه أيضًا رضي الله عنه قال رَسول اللَّه ﷺ: «**أتاكم أهل اليمن، هم أَلْيَن قلوبًا، وأرقُّ أفئدة، الإيمان يمانٍ، والحكمة يمانيَّة، رأس الكفر قِبَلَ المشرق**»(٢).

قال الشيخ مقبل بن هادي الوادعي اليمني في «تحفة المجيب على أسئلة الحاضر والغريب» (٤١٧-٤١٨): «فإنَّا نحمد اللَّه ﷻ الذي هدانا لسنَّةِ رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم- ونحمد اللَّه ﷻ معشَرَ اليمنيين خصوصًا، فإنَّ النبيَّ -صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم- يقول كما في «الصحيحين» من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**الإيمانُ يَمانٍ والحِكْمَةُ يَمَانيَّةٌ والفقهُ يمانٍ**»، وهذا الحديث هو لأهله، ليس للحزبيِّن الديمقراطيين وليس للبعثيين وليس للاشتراكيين وليس للقبوريين، نعم لمن تحقَّقَ فيه الإيمان.

أهل اليمنِ، الرسول -صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم- أخبر عنهم بأنَّهم: «**أرقُّ أفئدةً وأليَنُ قلوبًا**»، ودعا لهم، فقد روى البخاري في «صحيحه» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم-: «**اللَّهمَّ بارك لنا في شامِنَا وفي يَمَنِنَا**» -ثلاثًا-، قالوا: وفي نجدنا، قال: قال: «**هناك الزَّلازلُ والفِتَنُ، وبِهَا يَطْلُعُ قَرْنُ الشَّيطان**».

وخصِّيصَةٌ -أيضًا- لأهل اليمن لا يشاركهم أحد غيرهم، روى الإمام مسلم في «صحيحه» من طريق سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة عن ثوبان -رضي اللَّه تعالى عنه- قال: قال رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم-:

---

(١) أخرجه مسلم (٥٢/ ٨٦).

(٢) أخرجه مسلم (٥٢/ ٩٠).

«إنِّي لَبِعُقْرِ حوضي أذُودُ النَّاس لأهلِ اليمنِ، أضرِبُ بِعَصايَ حتَّى يَرْفَضَّ[١] **عليهم»**[٢]، ومعنى الحديث: أن النَّاس يَزْدَحِمُونَ على الحوض لشدَّةِ العَطَشِ؛ ولِهَوْلِ ذلكم اليوم، ولِدُنوِّ الشمسِ قَدْرَ ميل، فيخرجُ النبيُّ -صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم- بعصاه ويقرعُ النَّاس حتى لا يُزاحموا أهل اليمن، وإنَّها لخصِّيصَةٌ يجب أن نحمد اللَّه ﷻ عليها.

أيضًا: **«الفقه يَمانٍ»** فقد خرج من اليمن الفقهاءُ والمحدثون -ونعني بالفقهاء والمحدثين: أهلَ السنة-، فعبدالرزاق الصنعاني، وهشام بن يوسف الأبنائي صنعانيٌّ -أيضًا-، وهمام بن منبه، ووهب بن منبه، وأبو حُمَّة محمد بن يوسف الزبيدي، وأبو قرة موسى بن طارق اللحجي -يقال له: لحجي ويقال له: زبيدي-، ومحمد بن أبي عمر العدني وغير واحد من الحضرميين، أئمَّة خرجوا من اليمن مصداقًا لقول النبي -صلى اللَّه عليه وعلى آله وسلم-: **«الإيمانُ يَمَانٍ، والحِكْمَةُ يَمَانيَّةٌ، والفقهُ يمانٍ»**، فنحمد اللَّه ﷻ على ذلك»[٣]. اهـ

* * *

---

(١) يَرْفَضَّ؛ أي: يسيل.

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٠١).

(٣) وانظر تعليق الشيخ مقبل بن هادي الوادعي في حاشية كتابه «رياض الجنَّة في الرد على أعداء السنَّة» (ص٢٦).

الحديث التَّاسع والثَّلاثون

رجوع الأُمَّةِ إلى الدِّينِ

عن أنس ﵁ قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«مَثَلُ أُمَّتي مَثَلُ المَطَر، لا يُدْرَى أوله خير أم آخره»**[1].

يخبرنا النَّبي ﷺ في هذا الحديث عن أُمَّتِهِ، فقال: **«مثل أُمَّتي»** أي: أمَّة الاستجابة، **«مثل المطر»** أي: في الخير والنفع والثمرة، فالمطر أوله استبشار وخير ونماء، وآخره كمال وتمام، وأوَّله خير من آخره، وأوله وآخره خير من وسطه، وإنَّ هذه الأمَّة يكون خيرها أولها، ثمَّ آخرها؛ ويُؤَيِّدُ هذا المعنى حديث الأمراء، فأول الأمر نبوَّة، ثم خلافة على منهاج النبوة، وهذا كلُّه خير، ثم يحصل النقص والشر، فيكون نظام الحكم ملكًا عاضًا، أي: وراثيًا ثمَّ جبريًا، يسوق النَّاس بالنَّار والحديد، وهذا فيه من الشر ما فيه، ثم يحصل الخير فتكون خلافة على منهاج النبوة، فبهذا يتبيَّن معنى قوله ﷺ: **«لا يُدرى أوله خير أم آخره»**.

ومعلوم أنَّ أول هذه الأمة خير من باقيها مطلقًا، لقوله ﷺ: **«خير أمتي قرني»**، بل هم خير النَّاس بعد الأنبياء مطلقًا، لقوله ﷺ: **«خير النَّاس قرني»**، أمَّا قوله ﷺ: **«لا يُدْرَى أوله خير أم آخره»**؛ لا يريد أنه قد يكون آخر هذه الأمَّة خير من أولها، أو أنَّ أولها وآخرها يتساوون في الخيريَّة، إنَّما يريد بيان حصول الخيريَّة لآخرها قريبًا مما حصل لأولها.

«وإنَّما قال: **«مثل أمتي مثل المطر، لا يُدرى أوله خير أم آخره»**، على

---

(١) صحيح، أخرجه الترمذي (٢٨٦٩)، وأحمد (١٢٤٦١)، وابن حبان (٧٢٢٦)، والطيالسي (٢/ ١٩٧)، وأبو يعلى في «مسنده» (٣٧١٧)، والبزار في «المسند» (١٤١٢)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٦٨)، وصححه الإمام الألباني في «الصحيحة» (٢٢٨٦).

التقريب، لهم من صحابته، كما يقال: ما أدري، أَوَجْهُ هذا الثوب أحسن أم مؤخره؟ ووجهه أفضل، إلا أنك أَرَدْتَ التقريب منه»(١).

وحصول الخيريَّة لأوَّل هذه الأمَّة وآخرها لا يكون إلا بحصول شرطها وهو: الإيمان والعقيدة الصحيحة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لقوله -تعالى-: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، فبالإيمان تنتفع النفس، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ يتعدَّى النفع إلى الغير «والمعنى: أنَّهم خير الأمم، وأنفع النَّاس للناس»(٢).

فمقياس الخيريَّة في الإسلام هو التقوى، والعمل الصالح، لا خيريَّة أجسام، أو صور، أو أموال، أو زمان، لقوله -تعالى-: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقوله ﷺ: «**إنَّ اللَّه لا ينظر إلى صوركم، وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم، وأعمالكم**»(٣).

فهذا الحديث فيه بشرى عظيمة للمسلمين، وهي: إنَّ المستقبل للإسلام، ولكن بفهم السلف الصالح.

* * *

---

(١) «تأويل مختلف الحديث» (ص١٨١) لابن قتيبة.

(٢) «تفسير القرآن العظيم» (١/ ٥١٣) لابن كثير.

(٣) رواه مسلم (٢٥٦٤/ ٣٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

الحديث الأربعون

المستقبل للإسلام بفهم السَّلف الصَّالح

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«تكون النبوَّة فيكم ما شاء اللَّه أن تكون، ثمَّ يرفعها اللَّه إذا شاء أن يرفعها، ثمَّ تكون خلافة على منهاج النبوَّة، فتكون ما شاء اللَّه أن تكون، ثمَّ يرفعها اللَّه إذا شاء أن يرفعها، ثمَّ تكون مُلْكًا عاضًّا، فيكون ما شاء اللَّه أن يكون، ثمَّ يرفعها اللَّه إذا شاء أن يرفعها، ثمَّ تكون مُلْكًا جبريًّا، فتكون ما شاء اللَّه أن تكون، ثمَّ يرفعها اللَّه إذا شاء أن يرفعها، ثمَّ تكون خلافة راشدة على منهاج النبوَّة، ثمَّ سكت»**(١).

يخبرنا النَّبي ﷺ في هذا الحديث الذي يُسمَّى: (حديث الأمراء)، عن صفة الحكم في أُمَّته، من أولها إلى آخرها، فقال: **«تكون النُّبوة فيكم»**، أي: نبوته ﷺ، **«ما شاء اللَّه أن تكون، ثمَّ يرفعها اللَّه إذا شاء أن يرفعها»**، وقد كان رفعها بموته ﷺ.

وقوله ﷺ: **«ثمَّ تكون خلافة»** أي: بعد النُّبوة يقوم فيها خلفاء للنبي ﷺ بولاية أمر المسلمين، ورعاية شؤونهم، وقوله ﷺ: **«على منهاج النبوة»**، أي: على طريقة وسنَّة النبوَّة، فلم يُحْدِثُوا في الحكم والدين شيئًا، وهم: أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب -رضي اللَّه عنهم أجمعين-، وسمَّاهم النبيُّ ﷺ خلفاء راشدين، كما في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه؛ لأنَّهم رشدوا واهتدوا، وقوله ﷺ: **«فتكون ما شاء اللَّه أن تكون، ثمَّ يرفعها اللَّه إذا شاء أن يرفعها»**، وقد رُفعت بسبب خروج الخوارج على عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما وقتلهما، وحدوث الفتنة، ثمَّ آلت الخلافة إلى معاوية رضي الله عنه، وأصبحت

---

(١) حسن، أخرجه أحمد (١٨٤٠٦)، واللفظ له، والطيالسي (٤٣٨)، والبزار كما في «كشف الأستار» (١٥٨٨)، والطبراني في «الكبير» (١١١٣٨)، وحسَّنه الإمام الألباني في «الصحيحة» (٥).

مُلْكًا عاضًا، أي: وراثيًا يأخذه الولد عن أبيه، أو الأخ عن أخيه، من غير شورى بين أهل الحل والعقد من المسلمين، يتكادمون عليه تكادم الحمير كما جاء في حديث ابن عباس، وقوله ﷺ: «**ثمَّ تكون مُلْكًا عاضًا، فيكون ما شاء اللَّه أن يكون، ثمَّ يرفعها إذا شاء أن يرفعها**»، وقد رُفعت بسقوط الخلافة على يد مصطفى كمال أتاتورك.

«**ثمَّ يكون مُلْكًا جبريًّا**»، أي: قهريًّا يسوق النَّاس بالحديد والنار، يملأ الدنيا ظلمًا وجورًا؛ وهذا لأنهم لا يحكمون بشريعة الإسلام، وقوله ﷺ: «**فتكون ما شاء اللَّه أن تكون، ثمَّ يرفعها اللَّه إذا شاء أن يرفعها**».

وقوله ﷺ: «**ثمَّ تكون خلافة راشدة على منهاج النبوة**»، فقال حذيفة عن النبي ﷺ «**ثمَّ سكت**»، أي: عن الكلام وبيان ما يكون من حال هذه الخلافة أو ما بعدها، ونحن نعلم من هذه الخلافة خليفةٌ يُحثي المال حَثْيًا، ولا يَعُدُّهُ عَدًّا، -وهو محمد بن عبداللَّه المهدي المنتظر-، ثم ينزل عيسى حكمًا عدلًا، يحكم أُمَّةَ الإسلام بالقرآن والسنَّة.

فلقد استمرت نبوة نبينا محمد ﷺ في مكة ثلاث عَشْرة سنة، وفي المدينة، عشر سنين، فكانت ثلاثًا وعشرين سنة، ثم توفي النبي ﷺ.

ثم كان بعده خلفاء كُثُر، كما قال النبي ﷺ: «**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي؛ خلفه نبي، وإنَّه لا نبيَّ بعدي، وستكون خلفاء فَتَكْثُر**» قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «**فُوْا ببيعة الأول فالأول، وأعطوهم حقهم، فإنَّ اللَّه سائلُهم عمَّا استرعاهم**»[(١)].

قوله ﷺ: «**تسوسهم الأنبياء**» «**أي: يَتَوَلَّوْنَ أمورَهم، كما تفعل الأمراء والولاة بالرعيَّة.**»

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

والسياسة [هي]: القيام على الشيء بما يصلحه»[١].

وأول هؤلاء الخلفاء هم الخلفاء الراشدون الأربع، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي -رضي اللَّه عنهم أجمعين-، وقد كانت خلافتهم ثلاثين سنة، فعن سفينة قال: قال النبي ﷺ: **«خلافة النبوة ثلاثون سنة، ثم يؤتي اللَّه الملك، أو ملكه من يشاء»**[٢].

ثم كان الملكُ العاضُ الوراثيُّ الذي استمر من بداية ملك دولة بني أميَّة سنة ٤٠هـ، مرورًا بالدولة العباسيَّة، إلى آخر زمن الدولة العثمانيَّة حين أُلْغِيَتِ الخلافة الإسلاميَّة، والدولة الإسلاميَّة على يد مصطفى كمال أتاتورك سنة ١٣٤٢هـ الموافق ١٩٢٤م، بكيدٍ ومكرٍ وإيعازٍ مِنَ الصهيونيَّة والماسونيَّة العالميَّة ودول الكفر.

ثمَّ الملك الجبري إلى يومنا هذا، فالأمر القادم هو الخلافة الراشدة التي تكون على منهاج النبوَّة، ذكر النَّبي ﷺ الخلافة التي تكون بعده، خلافة أصحابه -الخلفاء الراشدين-، أنها تكونُ على منهاج النبوَّة، وقال عن الخلافة الأخيرة أنها ستكون خلافةً راشدةً على منهاج النبوَّة.

فتبيَّن لنا من ذلك الآتي:

أنَّ الذي سَيُعيد الخلافة الأخيرة على منهاج النبوَّة هم أهل السنَّة والجماعة، السلفيون، وإليك بيان ذلك:

أ- أنَّ الذي حقَّق منهاج النبوَّة في الخلافة الأولى هم أصحاب النَّبي ﷺ، الخلفاء الراشدون، وهم أئمة السلف الصالح.

ب- والذي سَيُعِيد الخلافة الأخيرة على منهاج النبوَّة، وهو منهاج النبيِّ ﷺ

---

(١) «شرح النَّووي على صحيح مسلم» (٦/ ٤٣٤).

(٢) صحيح، أخرجه أبو داود (٤٦٤٦)، وصحَّحه الإمام الألباني في «الصحيحة» (٤٥٩).

وأصحابه -منهاج السلف الصالح- هم السلفيون؛ وذلك لأنهم حملةُ منهاج السلف الصالح، منهاج النبوَّة، منهاج الصحابة، والدعاة إليه، والذابين عنه، والمعتقدين صِحَّتَه وصوابه.

جـ- فلا يُعقل أن تأتي فرقة تُكفِّر الصحابة، أو تسبهم أو تسُب بعضهم، أو تنتقصهم وتخالف سبيلهم وتُخطِّئه، ثمَّ تُطَبِّق منهاجهم -منهاج النبوة- وتتبعه إذا مُكِّنَت، فإنَّ فاقد الشيء لا يعطيه.

هل خلافة النبوَّة في آخر الزمان تعود قبل ظهور المهدي ونزول عيسى أم لا؟

لم يصح في ذلك دليل يمكن الاتكاء والاعتماد عليه للقطع بعودة الخلافة الراشدة على منهاج النبوَّة قبل ظهور المهدي أو نفيها، ومعلوم أن ذلك من أمور الغيب التي تحتاج إلى وحي، لكن لا يجوز لأحد من المسلمين أن يعتقد أن قيام دولة الإسلام بعد الملك الجبري مرتبطٌ بظهور المهدي، فيتواكل عليه، ويترك السعي والعمل لإقامة الدولة المسلمة وتطبيق حكم اللَّه في الأرض.

قال الإمام الألباني في «الصحيحة» (٤/ ٤٢-٤٣)، تحت الحديث رقم (١٥٢٩)، حول هذا الموضوع: «واعلم يا أخي المسلم أن كثيرًا من المسلمين اليوم قد انحرفوا عن الصواب في هذا الموضوع، فمنهم من استقرَّ في نفسه أنَّ دولة الإسلام لن تقومَ إلا بخروج المهدي! وهذه خرافة وضلالة ألقاها الشيطان في قلوب كثير من العامَّة، وبخاصَّة الصوفيَّة منهم، وليس في شيء من أحاديث المهدي ما يُشعر بذلك مطلقًا، بل هي كلها لا تخرج عن أن النبيَّ ﷺ بشَّر المسلمين برجل من أهل بيته، ووصفه بصفات بارزة، أهمها أنه يحكم بالإسلام، وينشر العدل بين الأنام، فهو في الحقيقة من المجددين الذين يبعثهم اللَّه في رأس كل مئة سنة كما صحَّ عنه ﷺ، فكما أنَّ ذلك لا يستلزم ترك السعي وراء طلب العلم والعمل

به لتجديد الدين، فكذلك خروج المهدي لا يستلزم التواكل عليه، وترك الاستعداد، والعمل لإقامة حكم اللَّه في الأرض، بل العكس هو الصواب، فإنَّ المهدي لن يكون أعظم سعيًا من نبينا محمد ﷺ الذي ظلَّ ثلاثةً وعشرين عامًا وهو يعمل لتوطيد دعائم الإسلام، وإقامة دولته، فماذا عسى أن يفعل المهدي لو خرج اليوم فوجد المسلمين شيعًا وأحزابًا، وعلماءَهم -إلا القليل منهم- اتخذهم النَّاس رؤوسًا! لما استطاع أن يُقيم دولة الإسلام إلا بعد أن يُوحد كلمتهم ويجمعهم في صف واحد، وتحت راية واحدة، وهذا بلا شك يحتاج إلى زمن مديد، اللَّه أعلم به، فالشرع والعقل معًا يقتضيان أن يقوم بهذا الواجب المخلصون من المسلمين، حتى إذا خرج المهدي، لم يكن بحاجة إلا أن يقودهم إلى النصر، وإن لم يخرج، فقد قاموا هم بواجبهم، واللَّه يقول: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ١٠٥].

ومنهم -وفيهم بعض الخاصَّة- من علم أن ما حكيناه عن العامَّة أنه خرافة، ولكنه توهَّم أَنَّها لازمة لعقيدة خروج المهدي، فبادر إلى إنكارها، على حدِّ قول مَنْ قال: «وداوني بالتي كانت هي الداء»! وما مَثَلُهُم إلا كمثل المعتزلة الذين أنكروا القدر لَمَّا رَأَوْا أنَّ طائفةً من المسلمين استلزموا منه الجبر!! فهم بذلك أبطلوا ما يجب اعتقاده، وما استطاعوا أن يقضوا على الجبر!

وطائفة منهم رأوا أن عقيدةَ المهدي قد استُغِلَّت عبر التاريخ الإسلامي استغلالًا سَيِّئًا، فادَّعاها كثيرٌ من المغرضين، أو من المهبولين، وجَرَتْ من جرَّاء ذلك فتن مظلمة، كان من آخرها فتنة مهدي (جهيمان) السعودي في الحرم المكي، فرأوْا أن قطع دابر هذه الفتن إنما يكون بإنكار هذه العقيدة الصحيحة! وإلى ذلك يشير الشيخ الغزالي عقب كلامه السابق!

وما مثل هؤلاء إلا كمثل من ينكر عقيدة نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان التي تواتر ذكرها في الأحاديث الصحيحة؛ لأن بعض الدجاجلة ادَّعاها، مثل

ميرزا غلام أحمد القادياني، وقد أنكرها بعضهم فعلًا صراحة، كالشيخ شَلْتُوت، وأكاد أقطع أنَّ كلَّ من أنكر عقيدة المهدي ينكرها -أيضًا-، وبعضهم يظهر ذلك من فلتات لسانه، وإن كان لا يبين.

وما مثل هؤلاء المنكرين جميعًا عندي إلا كما لو أنكر رجل ألوهيَّة اللَّه ﷻ بدعوى أنه ادَّعاها بعض الفراعنة! فهل من مدَّكر!». اهـ

وقال مشايخنا في «فتاوى مركز الإمام الألباني» فتوى رقم (٩٦) مجيبين على هذا السؤال:

هل خلافة النبوَّة في آخر الزمان تعود قبل ظهور المهدي ونزول عيسى أم لا؟

«الجواب: إنَّ ظهور مُصلح إسلامي وخليفة سلفي اسمه يواطئ اسم رسول اللَّه ﷺ ثابت في أحاديث متواترة تواترًا معنويًّا، وكذلك نزول عيسى بن مريم عليه السلام حكَمًا عدلًا متبعًا لشريعة الإسلام وداعيًا إلى دين نبيِّنا محمد -عليه الصلاة والسلام- كذلك.

وأمَّا رجوع الخلافة الراشدة على منهاج النبوَّة فثابت -أيضًا- في حديث صحيح أخرجه الإمام أحمد، وأبو داود، والطيالسي بإسناد حسن وله شاهدٌ من حديث ابن عباس أخرجه الطبراني.

والذي ينظر بعين الإنصاف والتأمُّل لِما ورد في ذلك كله يستخلص نتيجة مؤكدة أن خلافة النبوَّة في آخر الزمان تعود -بإذن اللَّه- قبل ظهور المهدي ونزول عيسى عليه السلام، وذلك للوجوه الآتية:

أولًا: أنَّ المهدي عليه السلام يملأ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا وظلمًا، ومعلوم بداهةً أنَّ الأرض لم تملأ ظلمًا وجورًا دفعة واحدة وإنما بالتدرُّج، ولذلك مِلْؤُها عدلًا لن يحدث دفعة واحدة، فلابُدَّ أن يتم ذلك بالتدرُّج، فيلزم وجود مصلحين مهديين قبل المهدي يوطِّئونَ للمهدي حكمه.

ثانيًا: أنَّ المهدي عليه السلام ليس بأكرم على اللَّه من رسولنا محمد رسول اللَّه ﷺ، بل هو من أُمَّته وأتباعه، فرسول اللَّه ﷺ -نفسُه- لم يحصل له ذلك، بل بقي ثلاثًا وعشرين سنة حتى تمَّ له فتح جزيرة العرب، فمن باب أولى أن يقع ذلك للمهدي الذي يملأ الأرض، فلابُدَّ أن يسبق المهدي خلفاءُ صالحون يكون هو خاتمهم.

ثالثًا: ورد في الحديث الصحيح قوله ﷺ: «**يكون خليفة من خلفائكم في آخر الزمان، يَحْثُو المال ولا يعدُّه**»(١).

ومعلوم أن الضمير يعود على أقرب مذكور، فالضمير يعود على (الخلفاء) في آخر الزمان مما يدل بمفهومه أنَّ المهديَّ يُسْبَقُ بخلافة على منهاج النبوة، واللَّه أعلم.

رابعًا: ورد معنى ذلك في بعض الأحاديث التي لا تصح، لكن هذا المعنى المشترك بينهما يدل على أنَّ له أصلًا.

منها حديث: «**يكون اختلاف عند موت خليفة**»(٢).

ومنها: «**يَقْتَتِل عند كنزكم هذا ثلاثة كلهم أولاد خليفة**»(٣)، وهذه الأحاديث وردت في الفترة التي تسبق ظهور المهدي، مما يدلُّ على وجود خلفاء وخلافة قبل ظهور المهدي ونزول المسيح عليه السلام.

خامسًا: إشاعة أنَّ الخلافة لا تقوم إلا بظهور المهدي ونزول عيسى يشيع في الأمَّة ظاهرة التواكل، والعجز، والكسل، نعوذ باللَّه من ذلك كله، -واللَّه أعلم-».

قال الحافظ أبو الحسن محمد بن الحسين الآبري السَّجْزِيُّ في كتابه «مناقب

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩١٤) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه بلفظ: «**من خلفائكم خليفة يَحْثُو المال حَثْيًا، ولا يعدُّهُ عَدَدًا**».

(٢) ضعيف، أخرجه أبو داود (٤٢٨٦) بسند ضعيف، وهو مخرَّج في «الموسوعة في أحاديث المهدي الضعيفة والموضوعة» (ص٣٢٤-٣٣٥) للدكتور عبدالعليم البستوي.

(٣) ضعيف، أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٤) بسند ضعيف، وهو مخرَّج في «الضعيفة» (٨٥).

الشافعي»: «وقد تواترت الأخبار، واستفاضت عن رسول اللَّه ﷺ بذكر المهدي، وأنَّه من أهل بيته، وأنَّه يملك سبع سنين، وأنَّه يملأ الأرض عدلًا، وأنَّ عيسى عليه السلام يخرج فيساعده على قَتْلِ الدجَّال، وأنَّه يَؤُمُّ هذه الأمَّة، ويُصلي عيسى خلفه في طول من قصته وأمره»[١].

أهمُّ ما وردَ في سيرةِ الخليفةِ
محمد بن عبد اللَّه المهدي، والمسيح عيسى بن مريم إلى آخر الدهر

أولًا: عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: **«المهدي من عِتْرَتي من ولد فاطمة»**[٢].

ثانيًا: عن علي رضي الله عنه مرفوعًا: **«المهدي منَّا أهل البيت، يصلحه اللَّه في ليلة»**[٣].

قال ابن كثير: «أي: يتوب عليه، ويوفقه، ويُلهمه، ويرشده، بعد أن لم يكن كذلك»[٤].

ثالثًا: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النَّبيُّ ﷺ: **«المهديُّ مِنِّي، أجلى الجبهةِ، أَقْنى الأنف، يملأُ الأرضَ قِسطًا وعدلًا، كما مُلِئَت جورًا وظُلْمًا، يَملك سَبْع سِنين»**[٥].

رابعًا: عن جابر بن عبداللَّه رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«يكون في آخر أمتي خليفة يَحْثِي المال حَثْيًا، ولا يَعُدُّهُ عَدًّا»**[٦].

---

(١) وقد نقل كلامه هذا عدد من الأئمة والعلماء، وارتضوه، انظر «المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة» (١/ ٤٠-٤٦) للدكتور عبد العليم عبد العظيم البستوي.

(٢) صحيح، أخرجه أبو داود (٤٢٨٤)، وصحَّحه الإمام الألباني في «صحيح الجامع» (٦٧٣٤).

(٣) صحيح، أخرجه أحمد (٦٤٥)، وصحَّحه الإمام الألباني في «الصحيحة» (٢٣٧١).

(٤) «الفتن والملاحم» (١/ ٣١).

(٥) حسن، أخرجه أبو داود (٤٢٨٥)، وحسَّنه الإمام الألباني في «المشكاة» (٥٤٥٤).

(٦) أخرجه مسلم (٢٩١٣).

«والحثو هو الحَفْنُ باليدين، وهذا الحثو الذي يفعله هذا الخليفة يكون لكثرة الأموال، والغنائم، والفتوحات، مع سخاء نفسه»(١).

خامسًا: عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «**مِنَّا الذي يصلي عيسى بن مريم خَلْفَه**»(٢).

سادسًا: عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ينزل عيسى بن مريم، فيقول أميرهم المهديُّ: تعال صلِّ بنا، فيقول: لا، إنَّ بعضَهُم أميرُ بعض، تكْرِمَةَ اللَّه لِهَذِهِ الأمَّة**»(٣).

نزولُ عيسى بنِ مريم، وقتلُه الدجَّال
ومدَّةُ مكثه في الأرض، وصفةُ حكمه وزمانه إلى نهاية العالم

أولًا: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**واللَّه! لينزلنَّ ابن مريم حَكَمًا عادلًا، فَلَيَكْسِرَنَّ الصَّليب، وليقتُلنَّ الخِنزير، ولَيَضَعنَّ الجزية، ولتُتْرَكَنَّ القِلاصُ(٤)، فلا يُسعى عليها، ولَتَذْهَبَنَّ الشحناءُ والتباغضُ والتحاسدُ، ولَيُدْعَونَّ إلى المال فلا يَقْبَلُهُ أحد**»(٥).

ثانيًا: وعنه رضي الله عنه مرفوعًا: «**طوبى لعيش بعد المسيح، طوبى لعيش بعد المسيح، يُؤْذَنُ للسماء في القطر، وَيُؤْذَنُ للأرض في النَّبات، فلو بَذَرْتَ حبَّك على الصفا لنبتَ، ولا تَشَاحَّ، ولا تحاسد، ولا تباغض، حتى يَمُرَّ الرجل على الأسد**

---

(١) «شرح النَّووي على صحيح مسلم» (٩/ ٢٤٦-٢٤٧).

(٢) صحيح، ذكره المتقي الهندي في «كنز العمال» (٣٨٦٧٣)، وصحَّحه الإمام الألباني في «الصحيحة» (٢٢٩٣).

(٣) حسن، رواه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» كما في «المنار المنيف» لابن القيِّم (ص١٤٧-١٤٨)، وجوَّد إسناده الإمام الألباني في «الصحيحة» (٢٢٣٦).

(٤) القِلاص: جمع قلوص، وهي من الإبل كالفتاة من النساء، وهي عند العرب أشرف الأموال، أي: لا يرغب في اقتنائها لكثرة الأموال يومئذ.

(٥) أخرجه البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥).

ولا يضره، ويطأ على الحيَّة فلا تضره، ولا تَشَاحَّ ولا تحاسد، ولا تباغض»[١].

ثالثًا: وعنه رضي الله عنه أنَّ النَّبي ﷺ قال: «ليس بيني وبينه نبيٌّ -يعني عيسى بن مريم-، وإنَّه نازلٌ، فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجلٌ مربوعٌ[٢] إلى الحُمرة والبياض، بين مُمَصَّرتين[٣]، كأنَّ رأسه يقطُر وإن لم يُصِبْهُ بَلَلٌ، فيقاتلُ النَّاس على الإسلام، فَيَدُقُّ الصَّليب، ويقتلُ الخنزير، ويضعُ الجزية، ويُهلكُ اللَّه في زمانه الملل كلَّها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجَّال، فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يُتَوَفَّى فيصلي عليه المسلمون»[٤].

وعن عبداللَّه بن عمرو رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «يخرج الدجَّال في أمتي فيمكث أربعين لا أدري: أربعين يومًا، أو أربعين شهرًا، أو أربعين عامًا، فيبعث اللَّه عيسى بن مريم كَأَنَّه عُروة بن مسعود، فيطلبه فيُهلكه، ثمَّ يمكث النَّاس سبع سنين، ليس بين اثنين عداوة، ثمَّ يرسل اللَّه ريحًا باردة من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحدٌ في قلبه مثقال ذرةٍ من خير أو إيمان إلا قَبَضَتْهُ، حتى لو أنَّ أحدكم دخل في كبد جبلٍ لَدَخَلَتْهُ عليه، حتى تَقْبِضَه»، قال: سمعتها من رسول اللَّه ﷺ قال: «فيبقى شرارُ النَّاس في خِفَّة الطير، وأحلام السباع، لا يعرفون معروفًا، ولا ينكرون منكرًا، فيتمثَّل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دَارٌّ رزقُهُم، حسنٌ عيشهم، ثمَّ يُنفخ في الصُّور، فلا يسمعه أحد إلا أصغى لِيتًا ورفع لِيتًا[٥]»، قال: وأول من يَسْمَعُهُ رجل يَلوطُ حوض إبله، قال: فَيَصْعَقُ ويَصْعَقُ النَّاس، ثمَّ يرسل اللَّه -أو قال: يُنزل اللَّه- مطرًا كأنه

---

(١) صحيح، أخرجه النقَّاش في «فوائد العراقيين» (٢٨)، وذكره المتقي الهندي في «كنز العمال» (٣٨٨٤٤)، وصحَّحه الإمام الألباني في «الصحيحة» (١٩٢٦).

(٢) المربوع: المعتدل القامة.

(٣) مُمَصَّرتين أي: فيهما صُفْرَة، وهو ما يُسمَّى عندنا باللَّوْن «البيج».

(٤) صحيح، أخرجه أبو داود (٤٣٢٤)، وأحمد (٩٢٧٠)، وصحَّحه الإمام الألباني في «الصحيحة» (٢١٨٢).

(٥) أصغى: أمال، والليت: صفحة العنق وهي جانبه.

الطَّلُّ، أو الظِّلُّ -نُعْمَانُ الشَّاكُّ- فَتَنْبُتُ منه أجساد النَّاس، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر:٦٨]، **ثمَّ يُقال: يا أيها النَّاس! هَلُمُّوا إلى رَبِّكُم، ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾** [الصافات:٢٤]، **[قال]: ثمَّ يُقال: من كل ألفٍ تسعمائةٍ وتسعة وتسعين، قال: فذلك يوم ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾** [المزمل:١٧]، **وذلك ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾** [القلم:٤٢]»[1].

وأمَّا عن مدَّة بقاء عيسى بن مريم عليه السلام في الأرض حكَمًا عدْلًا بعد نزولهِ من السماء، فقد ورد في ذلك روايتان كما مَرَّ آنفًا، فرواية مسلم فيها: «**ثم يمكث النَّاس سبع سنين، ليس بين اثنين عداوةٌ، ثم يرسل اللَّه ريحًا باردةً من قبل الشام، فلا يبقى على وجه الأرض أحدٌ في قلبه مثقال ذرَّة من خيْر، أو إيمانٍ إلا قَبَضَتْهُ**».

ورواية أبي داود وأحمد فيها: «**فيمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يُتوفَّى، فيُصلي عليه المسلمون**».

وكلا الروايتين صحيحة، فهذا مُشكل؛ لذلك اختلف أهل العلم في توجيه هذه المسألة، فمنهم من حَمَلَ رواية السَّبع سنين على المدَّة التي يُقيمُها عيسى بن مريم بعد نزوله من السماء، مضيفًا ذلك إلى المدَّة التي أقامها قبل رفعه إلى السماء، وهي ثلاثٌ وثلاثون سنةً كما هو مشهور، فكانت أربعين سنة كاملة[2].

ومنهم من حَمَلَ رواية السَّبْعِ سِنينَ على مُكْثِ النَّاس بعد الدجال، ليس بين اثنين عداوة، وليس على مكث عيسى بن مريم عليه السلام في الأرض وهو الأقرب.

ذكر الشيخ الألباني في كتابه: «قصة المسيح الدجال ونُزُولُ عيسى -عليه الصلاة والسلام- وقتلُه إيَّاهُ» (ص١٤٥) الفقرة (٤١): «ثمَّ يلبث النَّاس (بعده) سنين سبعًا ليس بين اثنين عداوة»، ثمَّ علَّق الشيخ الألباني في الحاشية على كلمة (بعده) فقال:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٤٠).

(٢) انظر «النهاية/ الفتن والملاحم» (١/ ١٣٦)، و«أشراط الساعة» (ص٣٦٣-٣٦٤) ليوسف الوابل.

«أي: بعد هلاك الدَّجال، فلا ينافيه أنَّ عيسى ﷺ يمكث في الأرض أربعين سنة (فقرة: ٤٥)؛ كما هو ظاهر، وأمَّا قول الحافظ ابن كثير (١/ ١٧٧) بعد أن ذكر الفقرة المشار إليها: «وثبت في «صحيح مسلم» عن عبداللَّه بن عمر (!) أنَّه يمكث في الأرض سبع سنين، فهذا مع هذا مشكل . . .».

ونحوه قول الحافظ في «الفتح» (٦/ ٣٨٤):

«وروى مسلم من حديث ابن عمر في مدَّة إقامة عيسى بالأرض -بعد نزوله- أنَّها سبع سنين».

أقول: فكلٌّ هذا لا أصل له في «مسلم»، وإنَّما فيه من حديث (ابن عمرو) وليس (ابن عمر) ما ذكرناه في الأعلى: **«ثمَّ يلبث النَّاس بعده سنين سبعًا»**.

فالذي يلبث هم النَّاس؛ وليس عيسى ﷺ؛ فلا إشكال، والحمد للَّه». اهـ

* * *

دَعْوَتُنَا (١)

مُحاضَرَةٌ للشَّيْخِ الإِمَامِ العَلَّامةِ المُحَدِّثِ
مُحَمَّد ناصِر الدِّينِ الأَلْبَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ

يُبَيِّن فيها

أُصُول وَقَواعِد المنهجِ السَّلفيِّ
وحُجِّيَّته وأَمْثِلَةً واقِعِيَّةً تَطبِيقيَّةً عليه
والتَّحْذِيرِ مِنْ بَعْضِ الفِرَقِ المُخالِفَةِ لَهُ

(١) ألقى الشيخ الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ هذه المحاضرة في (حي شويكة) في مدينة المفرق شرقيَّ الأردن من بلاد الشام، وتقع في ثلاثة أشرطة برقم (٦٤٠ ، ٦٤١ ، ٦٤٢) من «سلسلة أشرطة الهدى والنور»، تسجيل أبي ليلى الأثري.

كلمة ترحيب بالشيخ الألباني

«بسم اللَّه الرحمن الرحيم، الحمد للَّه، والصلاة والسلام على رسول اللَّه صلى اللَّه -تعالى- عليه وعلى آله وأصحابه وبعد؛ فإنَّ اللَّه -تعالى- قد منَّ علينا بنعمة الإيمان، ومنَّ على الأمَّة بعلماء، هم الذين أكرمهم اللَّه -تعالى- بما أعطاهم من علم؛ ليُنيروا للناس السبيل إلى اللَّه، وإلى عبادة اللَّه ﷻ، وهم ورثة الأنبياء بلا ريب، ومَجيئُنا كان دافِعُهُ، وسيبقى -إن شاء اللَّه- مرضاة اللَّه ﷻ أولًا، وطلب العلم الذي يوصل إلى ذلك -إن شاء اللَّه-، فَوَاللَّه إنها لساعة طيبة أن نلتقي بشيخنا وبِعالمنا، وبأستاذنا الكبير، الشيخ محمد ناصر الدين الألباني.

باسم أهالي الحي -أولًا- حي شويكة- نرحب أجمل ترحيب بشيخنا الفاضل، وباسم أهالي المفرق، وعلى وجه الخصوص طلبة العلم فيها، يرحبون -أيضًا- جميعًا، وهم على شوق كانوا في أن يلتقوا اليوم مع أستاذنا الكريم -ولا ضَيْر- فكلُّنا شوقٌ إلى سماع ما عنده من دُرر العلم ومن الحكمة -إن شاء اللَّه-، فلنستمع إليه فيما مَنَّ اللَّهُ -تعالى- عليه من علمه، ثمَّ بعد أن نكتفي -أو أن يكتفيَ شيخنا-، فإنَّ بابَ السؤال سيُفتح، على أن يكون السؤالُ مكتوبًا، والوُرَيْقات متوفرةٌ -إن شاء اللَّه-.

ساعة طيبة -أكرر-، وأهلًا بشيخنا الكريم».

قال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«أهلًا بكم.

إنَّ الحمد للَّه، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ باللَّه من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَنْ يهده اللَّه؛ فلا مضلَّ له، ومن يُضلل؛ فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله، أمَّا بعد:

فإنَّ خير الكلام كلام اللَّه، وخير الهدي هدي محمد -صلى اللَّه عليه وآله

وسلَّم-، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثةٍ بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار.

أشكر الأخ الأستاذ إبراهيم على كلمته، وعلى ثنائه، وليس لي ما أقوله لقاءَ ذلك إلا الاقتداء بالخليفة الأول أبي بكر الصديق رضي الله عنه، الذي كان الخليفة الحق والأول لرسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وآله وسلم-، ومع ذلك فكان إذا سمع شخصًا يثني عليه خيرًا، وأعتقدُ أنَّ ذلك الثناء مهما كان صاحبه قد غلا فيه، فما دام أنه خليفة رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وآله وسلَّم-، فهو بحق، ومع ذلك . . .[1] اللَّه المستعان، ومع ذلك كان يقول: «اللَّهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيرًا مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون»[2]، هذا يقوله الصِّدِّيقُ الأكبر، فماذا نقول نحن من بعده؟!

فأقول اقتداءً به: «اللَّهم لا تؤاخذني بما يقولون، واجعلني خيرًا مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون».

الحقُّ والحقَّ أقول؛ لستُ بذاك الموصوف الذي سمعتموه آنفًا من أخينا الفاضل إبراهيم، وإنما أنا طالب علم لا شيء آخر[3]، وعلى كل طالبٍ أن يكون عند قول النبي -صلى اللَّه عليه وآله وسلَّم-: «**بلِّغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمدًا؛ فليتبوأ مقعده من النار**»[4].

---

(١) أخذ الشيخ يبكي، وانقطع عن الكلام مدة يسيرة بسبب غلبة البكاء عليه، وهذا يدلُّ على رِقَّةِ قلبه وصدقه وإخلاصه، نحسبه كذلك ولا نزكيه على اللَّه، واللَّه حسيبه، فرحمه اللَّه رحمة واسعة، وأدخله فسيح جناته.

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٦١)، وصحَّحه الشيخ الإمام الألباني رحمه الله.

(٣) وهذا من تواضعه رحمه الله، وإلا فهو المحدث الفقيه العلامة المجدد الكبير ناصر السنَّة، وقامع البدعة، صاحب التصانيف، والمؤلفات والتحقيقات البديعة، قال عنه أخوه الشيخ العلامة ابن باز رحمه الله: «لا أعلم تحت قُبَّةِ الفلك في هذا العصر أعلم من الشيخ ناصر في علم الحديث»، انظر هذا القول، وأقوال وشهادات أهل العلم له بالعلم والفضل في مقدمة كتاب «الذب الأحمد عن مسند الإمام أحمد» (ص١٨-٢٠) لمحمد ناصر الدين الألباني رحمه الله.

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٧٤) من حديث عبداللَّه بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

على هذا، وتجاوبًا مع هذا النص النبوي الكريم، والنصوص الأخرى المتواردة والمتتابعة في كتاب اللَّه، وفي حديث رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وآله وسلَّم- نقومُ بجهدٍ من تبليغ النَّاس ما قد لا يعلمونه، ولكن هذا لا يعني أننا أصبحنا عند حسن ظن إخواننا بنا، ليس الأمرُ كذلك، الحقيقة التي أشعر بها من قرارة نفسي، أنني حينما أسمع مثل هذا الكلام، أَتَذَكَّرُ المثل القديم المعروف عند الأدباء، ألا وهو: «إنَّ البُغاثَ بأرضِنَا يَسْتَنْسِرُ»، قد يخفى على بعض النَّاس المقصود من هذا الكلام، أو من هذا المثل، البُغاث: هو طير صغير لا قيمة له، فيصبح هذا الطير الصغير نسرًا عند النَّاس لجهلهم بقوة النسر وضخامته، فصدق هذا المثل على كثير ممن يَدْعُونَ بحق وبصواب، أو بخطأ وباطل إلى الإسلام، لكن اللَّه يعلم أنه خلت الأرض -الأرض الإسلامية- كُلُّها، إلا من أفراد قليلين جدًّا جدًّا، ممن يصحُّ أن يقال فيهم: فلانٌ عالم، كما جاء في الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه»، من حديث عبداللَّه بن عمرو بن العاص -رضي اللَّه تعالى عنه- قال: قال رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وآله وسلَّم-: **«إنَّ اللَّه لا ينزعُ العلم انتزاعًا من صدور العلماء، ولكنه يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبْقِ عالمًا»**؛ هذا هو الشاهد، **«حتى إذا لم يُبْقِ عالمًا؛ اتَّخذ النَّاس رؤوسًا جهالًا فسُئلوا، فأفْتَوْا بغير علم؛ فضلوا وأضلوا»**[1].

إذا أراد اللَّه أن يقبض العلم؛ لا ينتزعه انتزاعًا من صدور العلماء، بحيث أنه يصبح العالم كما لو كان لم يتعلَّم بالمرة، لا؛ ليست هذه من سنَّة اللَّه ﷻ في عباده، وبخاصَّة عباده الصالحين، أن يذهَبَ من صدورهم بالعلم الذي اكتسبوه إرضاءً لوجه اللَّه ﷻ كما سمعتم آنفًا كلمة ولو وجيزة من الأخ إبراهيم -بارك اللَّه فيه-، أنَّ هذا الاجتماع إنما كان لطلب العلم، فاللَّه ﷻ حَكَمٌ عدلٌ، لا ينتزع العلم من صدور العلماء حقًّا؛ ولكنه جَرَتْ سُنَّةُ اللَّه ﷻ في خلقه أن يقبض العلم

(١) أخرجه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

بقبض العلماء إليه؛ كما فعل بسيد العلماء والأنبياء والرسل محمد ﷺ، حتى إذا لم يُبْقِ عالمًا اتَّخذ النَّاس رؤوسًا جهالًا؛ فَسُئِلُوا، فأفتوا بغير علم، فضلُّوا وأضلُّوا.

ليس معنى هذا أنَّ اللَّه ﷻ يُخْلي الأرض من عالمٍ تقوم به حجَّة اللَّه على عباده، ولكن معنى هذا أنه كُلَّما تَأَخَّر الزمنُ قلَّ العلمُ، وكلَّما تَأَخَّرَ ازداد قلةً ونقصانًا، حتى لا يبقى على وجه الأرض من يقول: اللَّهُ، اللَّهُ، هذا الحديث تسمعونه مرارًا، وهو حديث صحيح.

«**لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول: اللَّهُ، اللَّهُ**»[1]، وكثير من أمثال هؤلاء المشار إليهم في آخر الحديث المذكور، قبض اللَّه العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبقِ عالمًا اتخذ النَّاس رؤوسًا جهالًا -مِنْ هؤلاء الرؤوس- مَنْ يُفسر القرآن والسنَّة بتفاسير مخالفة لما كان عليه العلماء-، لا أقول: سلفًا فقط، بل وخلفًا -أيضًا-؛ فإنهم يحتجُّون بهذا الحديث (اللَّهُ، اللَّهُ . . .) على جواز، بل على استحباب ذكر اللَّه ﷻ باللفظ المفرد، (اللَّهْ، اللَّهْ)، إلخ، لكي لا يَغْتَرَّ مُغْتَرٌّ ما، أو يَجْهَل جاهلٌ ما، حينما يسمع هذا الحديث بمثل ذلك التأويل، بدا لي ولو عَرَضًا أن أُذَكِّرَ إخواننا الحاضرين بأن هذا التفسير باطلٌ، أولًا: من حيث أنه جاء بيانه في رواية أخرى عن رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وآله وسلَّم-.

وثانيًا: لأن هذا التفسير، لو كان صحيحًا لجرى عليه عمل سلفنا الصالح ﵃ فإذ لم يفعلوا؛ دَلَّ إعراضهم عن الفعل بهذا التفسير على بطلان هذا التفسير، فكيف بكم إذا انضم إلى هذا الرواية الأخرى -وهذا بيت القصيد -كما يقال-، أنَّ الإمام أحمد ﵀ روى هذا الحديث في «مسنده» بالسند الصحيح بلفظ «**لا تقوم الساعة وعلى وجه الأرض من يقول: لا إله إلا اللَّه**»[2]؛ إذن هذا هو المقصود بلفظة الجلالة المكررة في الرواية الأولى.

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٨) من حديث أنس ﵁.

(٢) أخرجه أحمد (١٣٨٣٣)، من حديث أنس ﵁.

الشاهد: أن الأرض اليوم -مع الأسف الشديد-، خلت من العلماء الذين كانوا يملؤون الأرض الرحبة الواسعة بعلمهم، وينشرونه بين صفوف أمتهم، فأصبحوا اليوم كما قيل:

وقد كانوا إذا عُدُّوا قليلًا فقد صاروا أقلَّ من القليلِ

فنحن نرجو من اللَّه ﷻ أن يجعلنا من طلاب العلم الذين يَنْحَوْنَ منحى العلماء حقًّا، ويسلكون سبيلهم صدقًا، هذا ما نرجوه من اللَّه ﷻ أن يجعلنا من هؤلاء الطلاب السالكين ذلك المسلك الذي قال عنه الرسول -صلى اللَّه عليه وآله وسلَّم-: «**من سَلَكَ طريقًا يلتَمِسُ به علمًا؛ سلك اللَّه به طريقًا إلى الجنة**»[1].

وهذا يفتح لي باب الكلام على هذا العلم الذي يُذْكر في القرآن كثيرًا وكثيرًا جدًّا، كمثل قوله -تعالى-: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

وقوله ﷻ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

ما هو هذا العلم الذي أثنى اللَّه ﷻ على أهله، والمتَلَبِّسينَ به، وعلى من سلك سبيلهم؟

الجواب: كما قال الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

العلمُ قال اللَّهُ قالَ رسولُهُ قالَ الصحابةُ ليسَ بالتمويهِ
ما العلمُ نَصْبَكَ للخلافِ سفاهةً بينَ الرسولِ وبينَ رَأْيِ فقيهِ
كلَّا ولا جَحْدَ الصفاتِ ونفيَها حذرًا من التمثيلِ والتشبيهِ

فالعلم -إذن-؛ نأخذ من هذه الكلمة، ومن هذا الشعر الذي نادرًا ما نسمعه في كلام الشعراء؛ لأن شعر العلماء هو غير شعر الشعراء، فهذا رجل عالم، ويُحْسِنُ الشعر أيضًا فهو يقول:

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

العلم قال اللَّه في المرتبة الأولى، قال رسول اللَّه في المرتبة الثانية، قال الصحابة في المرتبة الثالثة، هنا سأجعل كلمتي في هذه الأمسية الطيبة المباركة -إن شاء اللَّه-.

كلمة ابن القيم هذه، تُذَكِّرُنَا بحقيقة مُهِمَّةٍ جدًّا جدًّا، طالما غفل عنها جمهور الدعاة المنتشرين اليوم في الإسلام باسم الدعوة للإسلام، هذه الحقيقة ما هي؟

المعروف لدى هؤلاء الدعاة جميعًا أن الإسلام إنما هو كتاب اللَّه وسنة رسول اللَّه ﷺ، وهذا حق لا رَيْبَ فيه ولكنه ناقص، هذا النقص هو الذي أشار إليه ابن القيم في شعره السابق، فذكر بعد الكتاب والسنة: الصحابة . . . العلم قال اللَّه قال رسوله قال الصحابة . . . إلخ.

الآن نادرًا ما نسمع أحدًا يذكر مع (الكتاب والسنة)، الصحابةَ، وهم كما نعلم جميعًا، رأسُ السلف الصالح الذين تواتر الحديث عن النبي -صلى اللَّه عليه وآله وسلَّم- بقوله: **«خير النَّاس قرني»**(١).

ولا تقولوا كما يقول جماهيرُ من الدعاة «خَيْر القرون»، [لفظ] «خير القرون» ليس له أصل في السنَّة -السنة الصحيحة- في «الصحيحين» وغيرهما من مراجع الحديث، والسُّنَّة مُطْبِقَةٌ على رواية الحديث بلفظ: **«خير النَّاس قرني، ثمَّ الذين يلونهم، ثمَّ الذين يلونهم»**(٢).

هؤلاء الصحابة الذين هم على رأس القرون الثلاثة المشهود لها بالخيريَّة، ضمَّهم الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة إلى الكتاب والسُّنَّة، فهل كان هذا الضَّم منه رأيًا واجتهادًا، واستنباطًا يمكن أن يتعرَّض للخطأ؟ لأنَّ لكلِّ جوادٍ كبوة؛ إن لم نقل: بل كبوات.

الجواب: لا؛ هذا ليس من الاستنباط، ولا هو من الاجتهاد الذي يقبل

---

(١) سبق تخريجه (ص٥٥).

(٢) سبق تخريجه (ص: ٤٤).

احتمال أن يكون خطأ؛ وإنَّما هو اعتماد على كتاب اللَّه، وعلى حديث رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وآله وسلَّم-:

أمَّا الكتاب فقول ربنا ﷻ في القرآن الكريم: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النساء: ١١٥]، ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ لم يقتصر ربنا ﷻ في الآية -ولو فعل لكان حقًّا-، لم يقل: ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبيَّن له الهدى نولِّه ما تولَّى، وإنَّما قال لحكمةٍ بالغة، وهي التي نحن الآن في صدد بيانها وشرحها، قال: ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥].

هذه الآية أرجو أن تكون ثابتة في أَلْبَابِكُم، وفي قلوبكم، ولا تذهب عنكم؛ لأنَّها الحق مثلما أنَّكم تنطقون، وبذلك تَنْجُونَ عن أن تنحرفوا يمينًا أو يسارًا، وعن أن تكونوا ولو في جزئيَّة واحدة، أو في مسألة واحدة من فرقة من الفرق غير الناجية، إن لم نَقُلْ: من الفرق الضالَّة؛ لأنَّ النبي ﷺ قال في الحديث المعروف، وأقتصر منه الآن من الشاهد منه: «**وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلُّها في النار إلا واحدة**»، قالوا: من هي يا رسول اللَّه؟ قال: «**هي الجماعة**»[1].

الجماعة: هي سبيل المؤمنين، الحديث إن لم يكن وحيًا مباشرًا من اللَّه على قلب نبيه ﷺ، وإلا فهو اقتباس من الآية السابقة ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾، إذا كان مَنْ يشاقق الرسول وَيَتَّبِعُ غير سبيل المؤمنين قد أُوعِدَ بالنار، والعكس بالعكس، من اتبع سبيل المؤمنين فهو موعود بالجنَّة -ولا شكَّ ولا ريب-.

إذن؛ رسول اللَّه لَمَّا أجاب عن سؤال: ما هي الفرقة الناجية، من هي؟ قال: «**الجماعة**»، إذن الجماعة هم طائفة المسلمين، ثمَّ جاءت رواية أخرى تؤكد هذا

(١) سبق تخريجه (ص: ٤٤).

المعنى، بل وتزيده إيضاحًا وبيانًا، حيث قال ﷺ: **«هي ما أنا عليه وأصحابي»**[١]، أصحابي إذن هي سبيل المؤمنين، فحينما قال ابن القيم رحمه الله في كلامه السابق ذِكْرُهُ، والصحابة وأصحابه ﷺ، فإنما اقتبس ذلك من الآية السابقة، ومن هذا الحديث، كذلك الحديث المعروف، حديث العرباض بن سارية -رضي الله تعالى عنه- أيضًا، أقتصر منه الآن حتى نفسح المجال لبعض الأسئلة، على موضع الشاهد منه، حيث قال ﷺ: **«فعليكم بسنتي، وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي»**[٢].

إذن؛ هنا كالحديث الذي قبله، وكالآية السابقة، لم يقل الرسول ﷺ: **«فعليكم بسنتي»** فقط، وإنَّما أضاف -أيضًا- إلى سنَّته سنَّة الخلفاء الراشدين.

من هنا نحن نقول -وبخاصَّة- في هذا الزمان، زمان تضاربت فيه الآراء، والأفكار، والمذاهب، وتكاثرت الأحزاب، والجماعات، حتى أصبح كثير من الشباب المسلم يعيش حيران، لا يدري إلى أيٍّ جماعة ينتسب، فهنا يأتي الجواب في الآية وفي الحديثين المذكورين.

اتبعوا سبيل المؤمنين، سبيل المؤمنين في العصر الحاضر؟

الجواب: لا، وإنما في العصر الغابر، العصر الأول، عصر الصحابة، السَّلف الصالح هؤلاء ينبغي أن يكونوا قدوتنا، وأن يكونوا متبوعَنا، وليس سواهم على وجه الأرض مطلقًا.

إذن دعوتنا، هنا الشاهد، وهنا بيت القصيد، تقوم على ثلاثة أركان:

على الكتاب، والسنة، واتِّباع السَّلف الصَّالح، فمن زعم بأنَّه يتَّبع الكتاب والسنَّة، ولا يتَّبع السَّلف الصَّالح، ويقول بلسان حاله، وقد يقول بلسان قاله وكلامه: هم رجال ونحن رجال، فإنَّه يكون في زيغ وفي ضلال، لماذا؟ لأنَّه ما

(١) سبق تخريجه (ص: ٣٢).

أخذ بهذه النصوص التي أسمعناكم إيَّاها آنفًا، لقد اتَّبع سبيل المؤمنين؟ لا، لقد اتَّبع أصحاب الرسول الكريم؟ لا، ما اتَّبع؟ اتَّبع إن لم أقل: هواه، فقد اتَّبع عقله، والعقل معصوم؟

الجواب: لا، إذن فقد ضلَّ ضلالًا مبينًا، أنا أعتقد أنَّ سبب الخلاف الكثير المتوارث في فرقٍ معروفة قديمًا، والخلاف الناشئ اليوم حديثًا هو عدم الرجوع إلى هذا المصدر الثالث، وهو السَّلف الصَّالح، فكلٌّ يدَّعي الانتماء إلى الكتاب والسنَّة، وطالما سمعنا مثل هذا الكلام من الشباب الحيران، حيث يقول: يا أخي! هؤلاء يقولون: كتاب وسنَّة، وهؤلاء يقولون: كتاب وسنَّة، فما هو الحَكَمُ الفصل؟

الكتاب والسنَّة، ومنهج السَّلف الصَّالح، فمن اعتمد على الكتاب والسنَّة دون أن يعتمد على السَّلف الصَّالح؛ ما اعتمد على الكتاب والسنَّة، وإنما اعتمد على عقله، إن لم أقل: على هواه.

من عادتي أن أضرب بعض الأمثلة لتوضيح هذه المسألة، بل هذا الأصل الهام، وهو على منهج السَّلف الصَّالح، هناك كلمة تروى عن الفاروق عمر بن الخطاب -رضي اللَّه تعالى عنه-، يقول: «إذا جادلكم أهل الأهواء والبدع بالقرآن؛ فجادلوهم بالسنَّة، فإنَّ القرآن حمَّالُ وجوه»[1].

لماذا قال عمر هذه الكلمة؟ أقول: من أجل ذلك، قال اللَّه ﷻ مخاطبًا نبيه ﷺ في القرآن بقوله: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

تُرى؛ هل يستطيع مُسلم عربي، هو كما يقال -سيبويه زمانه- في المعرفة

(١) أخرجه الدارمي (١٢١)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنَّة والجماعة» (٢٠٢)، والآجري في «الشريعة» (١٠١-١٠٢) بلفظ: «إنَّه سيأتي ناس يُجادلونكم بشبهاتِ القرآن، فخذوهم بالسنن، فإنَّ أصحاب السنن أعلم بكتاب اللَّه ﷻ»، وهي (شبهات) من حيث انحرافُهم في الاستدلال بها، لا مِن حيث هي في نفسها . . .

باللغة العربيَّة وأَدَبِها، وأسلوبها-، هل يستطيع أن يفهم القرآن من غير طريق رسولنا -صلى اللَّه عليه وآله وسلَّم-؟

الجواب: لا، وإلا كان قوله -تعالى-: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾، عبثًا، وحاشى كلام اللَّه أن يكون فيه أيُّ عبث، إذن من أراد أن يفهم القرآن من غير طريق الرسول ﷺ؛ فقد ضلَّ ضلالًا بعيدًا، ثمَّ هل بإمكان ذلك الرجل أن يفهم القرآن والسنَّة من غير طريق الرسول[1] -عليه الصلاة والسلام-؟

الجواب: أيضًا لا، ذلك لأنَّهم هم الذين نقلوا إلينا:

أولًا: لفظ القرآن الذي أنزله اللَّه على قلب محمد ﷺ.

وثانيًا: نقلوا لنا بيانه ﷺ الذي ذُكِرَ في الآية السابقة، وتطبيقهُ -عليه الصلاة والسلام- لهذا القرآن الكريم.

هنا لا بدَّ لي من وَقْفَة أرجو أن تكون قصيرة، بيانه ﷺ يكون على ثلاثة أنواع: لفظًا، وفعلًا، وتقريرًا.

لفظًا: مَن الذي ينقله؟ أصحابه.

فعله: مَن الذي ينقله؟ أصحابه.

تقريره: مَن الذي ينقله؟ أصحابه.

من أجل ذلك لا يمكننا أن نَسْتَقِلَّ في فهم الكتاب والسنَّة على مداركنا اللُّغَويَّة فقط، بل لابدَّ أن نستعين على ذلك، لا يعني هذا أن اللغة نستطيع أن نستغني عنها، لا؛ ولذلك نحن نعتقد جازمين أنَّ الأعاجم الذين لم يُتْقِنُوا اللغة العربيَّة؛ وقعوا في أخطاء كثيرة، وكثيرة جدًّا، وبخاصَّة إذا وقعوا في هذا الخطأ الأُصولي، وهو عدم رجوعهم إلى السَّلف الصَّالح في فهم الكتاب والسنَّة، لا أعني مِنْ كلامي السابق عدم الاعتماد على اللغة، كيف؟ وإذا أردنا أن نفهم كلام الصحابة؛ فلابدَّ من أن

(١) أراد رحمه الله أن يقول: من غير طريق الصحابة، كما هو السياق.

نفهم اللغة العربيَّة، كما أنَّه لابدَّ لفهم القرآن والسنَّة من معرفة اللغة العربيَّة، لكننا نقول: إنَّ بيان الرسول -صلى اللَّه عليه وآله وسلَّم- المذكور في الآية السابقة، هو على ثلاثة أقسام: قول، وفعل، وتقرير.

لنضرب مثلًا، أو أكثر إذا اضطررنا إليه؛ لنستوعب أنَّ هذا التقسيم هو الأمر الواقع ما له من دافع.

قوله -تبارك وتعالى-: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة:٣٨].

السارق: انظروا الآن كيف لا يمكننا أن نعتمد في تفسير القرآن على اللغة فقط.

السارق لغة: هو كل من سرق مالًا من مكان حريز، مهما كان هذا المال ليس ذا قيمة، سرق بيضة -مثلًا-، سرق فلسًا، قرشًا، هذا لغةً سارق، قال -تعالى-: ﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة:٣٨]، هل كل من سرق تقطع يده؟ الجواب: لا، لِمَ؟ لأنَّ المبيِّن الذي تولى بيان المبيَّن.

المبيِّن: رسول اللَّه، والمبيَّن: كلام اللَّه، قد بيَّن لنا رسول اللَّه مَن الذي تقطع يده من السارقين، فقال: «**لا قطع إلا في رُبع دينار فصاعدًا**»(١)، فمن سرق أقل من ربع دينار، وإن كان يُسمَّى لغةً سارقًا؛ ولكنه لا يُسمَّى شرعًا سارقًا.

إذن؛ من هنا نتوصَّل إلى حقيقة علميَّة، كثير من طلاب العلم هم غافلون عنها، هناك لغة عربيَّة متوارثة، ولغة شرعيَّة اللَّه اصطلح عليها، لم يكن العرب الذين يتكلَّمون بلغة القرآن التي نزل بها القرآن، ما كانوا يعرفون من قبل مثل هذا الاصطلاح، فإذا أُطلق السارق لغة شمل كل سارق، أمَّا إذا ذكر السارق شرعًا؛ فلا يشمل كل سارق، وإنَّما من سرقَ ربع دينار فصاعدًا، إذن هذا مثال واقعي أننا لا نستطيع أن نستقل في فهم الكتاب والسنَّة على معرفتنا باللغة العربيَّة، وهذا ما

(١) صحيح، صححه الإمام الألباني في «التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان» (٤٤٤٨)، وهو من حديث عائشة رضي الله عنها.

يقع فيه كثير من الكتَّاب المعاصرين اليوم، يُسلطون معرفتهم باللغة العربيَّة على الآيات الكريمة والأحاديث النبويَّة، فيفسِّرُونها، فيأتوننا بتفسير بِدْعي لا يعرفهُ المسلمون من قبل، لذلك نقول: يجب أن نفهم أنَّ دعوة الإسلام الحق، هي قائمة على ثلاثة أصول، وعلى ثلاث قواعد: **الكتاب، والسنَّة، وما كان عليه سلفنا الصالح**.

﴿وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ﴾؛ إذن لا تُفَسَّر هذه الآية على مقتضى اللغة [فقط]، وإنَّما على مقتضى اللغة الشرعيَّة، التي قالت: «**لا قَطْعَ إلا في رُبْع دينار فصاعدًا**»[1]، ثمَّ قال في تمام الآية: ﴿فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا﴾، ما هي اليد في اللغة؟ هذه كلها يد، من الأنامل إلى الإبط، كلها يد، فهل تُقطع من هنا؟ أم من هنا؟ أم من هنا؟ أم من هنا؟

بيَّن ذلك الرسول بفعله، ليس عندنا هناك حديث صحيح [قَوْلي] كما جاء في تحديد السرقة التي يستحق السارق أن تقطع يده من أجلها، ليس عندنا حديث يُحدد لنا مكان القطع من بيانه القولي، وإنَّما عندنا بيان فعلي، تطبيقي، عملي، من أين نعرف هذا التطبيق؟ من سلفنا الصَّالح، أصحاب النبي -صلى اللَّه عليه وآله وسلَّم-، هذا هو القسم الثاني، وهو البيان الفعلي.

القسم الثالث: إقرار الرسول ﷺ للشيء لا ينكره، ولا ينهى عنه، هذا الإقرار ليس قولًا منه، ولا فعلًا صدر منه، إنَّما هذا الفعل صدر من غيره، كل ما صدر منه أنه رَأَى وَأَقَرَّ، فإذا رأى أمرًا، وسكت عنه، وأقرَّه، صار أمرًا مقرَّرًا، جائزًا، وإذا رأى أمرًا فأنكره، ولو كان ذلك الأمر واقعًا في بعض الصحابة، ولكن ثبت أنه نهى عنه حينئذٍ، هذا الذي نهى عنه يختلف كل الاختلاف عن ذاكَ الذي أقره، وهاكُم المثال للأمرين الاثنين، وهذا من غرائب الأحاديث، يقول عبد اللَّه ابن عمر بن الخطاب- رضي اللَّه تعالى عنهما-: «**كنا نشرب ونحن قيام، ونأكل**

(١) سبق تخريجه (ص٣٦١).

ونحن نمشي في عهد الرسول -عليه الصلاة والسلام-»[١].

تحدَّث عبداللَّه في هذا الحديث عن أمرين اثنين: عن الشرب من قيام، وعن الأكل ماشيًا، وأنَّ هذا كان أمرًا واقعًا في عهد الرسول ﷺ، فما هو الحكم الشرعي بالنسبة لهذين الأمرين، الشرب قائمًا والأكل ماشيًا؟ إذا طبَّقنا كلامنا السابق نستطيع أن نأخذ الحكم بضميمة لا بدَّ منها، وهي مَن كان على علم بما كان عليه رسول اللَّه ﷺ قولًا وفعلًا وتقريرًا، فإذا رجعنا إلى السنَّة الصحيحة فيما يتعلَّق بالأمر الأول الذي ابتُلِيَ كثيرٌ من المسلمين، إن لم أقل: ابتُلِيَ به أكثر المسلمين، بمخالفة قول الرسول الكريم، ألا وهو الشرب قائمًا.

كانوا يشربون قيامًا، كانوا يلبسون الذهب، كانوا يلبسون الحرير، هذه حقائق لا يمكن إنكارها، لكن هل أقرَّ الرسول ذلك؟

الجواب: أنكر شيئًا، وأقرَّ شيئًا، فما أنكره صار في حدود المنكر، وما أقرَّه صار في حدود المعروف، فأنكر الشرب قائمًا في أحاديث كثيرة، ولا أريد الإفاضة -أيضًا- فيها حتى ما نخرج أولًا عمَّا خططنا لأنفسنا من أن نختصر الكلام في هذا الموضوع؛ إفساحًا لمجال الأسئلة.

وثانيًا: إنَّ هذه المسألة لوحدها تحتاج إلى جلسة خاصَّة، لكن حسبي أن أرويَ لكم حديثًا صحيحًا أخرجه الإمام مسلم في «صحيحه» من حديث أنس بن مالك -رضي اللَّه تعالى عنه- قال: **«نهى رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وآله وسلَّم- عن الشرب قائمًا»**[٢]، وفي لفظ: **«زجر رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وآله وسلَّم- عن الشرب قائمًا»**[٣].

---

(١) صحيح، أخرجه الترمذي (١٨٨٠)، بلفظ: **«كنا نأكل على عهد رسول اللَّه ﷺ ونحن نمشي، ونشرب ونحن قيام»**، وصحَّحه الإمام الألباني في «المشكاة» (٤٢٧٥).

(٢) برقم (٢٠٢٤) بلفظ: عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ: **«أنه نهى أن يشرب الرجل قائمًا»**.

(٣) أخرجه مسلم -أيضًا- برقم (٢٠٢٥) بلفظ: عن أبي سعيد الخدري ﷺ: **«أنَّ النبي ﷺ زجر عن الشرب قائمًا»**.

إذن؛ هذا الذي كان يُفعل بشهادة حديث ابن عمر في عهد الرسول ﷺ قد نهى هو عنه؛ فصار ما كانوا يفعلونه أمرًا مَلْغيًّا بِنَهي الرسول عنه، لكن الشطر الثاني من الحديث، وهو أنهم كانوا يأكلون وهم يمشون، ما جاءنا نهي عن رسول اللَّه ﷺ، فاستفدنا من هذا الإقرار حكمًا شرعيًّا.

إلى هنا أكتفي الآن لبيان ضرورة الاعتماد على فهم الكتاب والسنَّة على ما كان عليه السَّلف الصَّالح، وليس أن يَستَقِلَّ الإنسان بفهم الكتاب والسنَّة، كيفما بدا، لعلمه إن لم نقل: لجهله، لكن لا بدَّ بعد أن تبيَّنت أهميَّة هذا القيد على منهج السَّلف الصَّالح، أن أُقرِّب لكم بعض الأمثلة.

قديمًا: تفرَّق المسلمون إلى فرق كثيرة، تسمعون بالمعتزلة، تسمعون بالمرجئة، تسمعون بالخوارج، تسمعون بالزيديَّة، فضلًا عن الشيعة، والرافضة، وهكذا، ما في هؤلاء طائفة مهما كانت عريقة في الضلال، لا يشتركون مع سائر المسلمين في قولهم: نحن على الكتاب والسنَّة، ما أحد منهم يقول: نحن لا نتبنَّى الكتاب والسنَّة، وإلا لو قال أحد منهم هذا خرج من الإسلام بالكليَّة، إذن؛ لماذا هذا التفرُّق مادام أنهم جميعًا يعتمدون على الكتاب والسنَّة، وأنا أشهد أنهم يعتمدون على الكتاب والسنَّة، ولكن كيف كان هذا الاعتماد؟ دون الاعتماد على الأصل الثالث، على ما كان عليه السَّلف الصَّالح، مع ضميمة أخرى لا بدَّ -أيضًا- من التنبيه عليها، وهي أنَّ السنَّة تختلف كل الاختلاف عن القرآن الكريم، من حيث أنَّ القرآن الكريم محفوظ بين دفتي المصحف، كما هو معلوم لدى الجميع، أمَّا السنَّة فهي أولًا موزَّعة في مئات الكتب، إن لم أقل: ألوف الكتب، منها قسم كبير جدًّا لا يزال في عالم الغيب، في عالم المخطوطات، ثمَّ حتى هذه الكتب المطبوعة منها اليوم، فيها الصحيح، وفيها الضعيف، فالذين يعتمدون على السنَّة سواء كانوا ممن ينتمون إلى أهل السنَّة والجماعة، وعلى منهج السَّلف الصَّالح، أو كانوا من الفرق الأخرى.

كثير من هؤلاء مَن لا يميِّزون السنَّة الصحيحة من الضعيفة، فيقعون في مخالفة الكتاب والسنَّة بسبب اعتمادهم على أحاديث ضعيفة، أو موضوعة.

الشاهد: هناك بعض الفرق التي أشرنا إليها تُنكِرُ بعض الحقائق القرآنيَّة، والأحاديث النبويَّة، قديمًا و-أيضًا- حديثًا.

القرآن الكريم يُثبت، ويُبشر المؤمنين بنعمة عظيمة جدًّا يحظَوْن بها يوم يَلْقون اللَّه -عزوَّ وجل- في جنَّة النعيم، حيث يتجلَّى ربُّ العالمين عليهم؛ فيَروْنه كما قال ذلك العالم السَّلفي:

يراه المؤمنون بغير كَيْفٍ وتشبيه وضربٍ من مثال[1]

هذا عليه نصوص من القرآن، وعشرات النصوص من أحاديث الرسول ﷺ كيف أَنْكَرَ هذه النعمة بعضُ الفرق القديمة والحديثة؟!

أمَّا القديمة: المعتزلة، اليوم لا يوجد فيما عَلِمْتُ على وجه الأرض من يقول: نحن معتزلة، نحن على مذهب المعتزلة، لكنني رأيتُ رجلًا أحمق[2]، يعلن إنه معتزلي وينكر حقائق شرعية جدًّا؛ لأنه رَكِبَ رأسه، فأولئك المعتزلة أنكروا هذه النعمة، وقالوا بعقولهم الضعيفة: مستحيل أن يُرى اللَّه -عزوجل-فماذا فعلوا؟ هل أنكروا القرآن؟ اللَّه يقول في القرآن الكريم: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

هل أنكروا هذه الآية؟ لا، لو أنكروها لكفروا وارتدوا، لكن إلى اليوم أهل السنَّة حقًّا، يحكمون على المعتزلة بالضلال؛ لكن لا يخرجونهم من دائرة الإسلام؛ لأنهم ما أنكروا هذه الآية، وإنما أنكروا معناها الحق الذي جاء بيانه في السنَّة، كما سَنُذَكِّر.

---

(١) من منظومة «بدء الأمالي» لأبي الحسن الأوشي وعليها شرح للعلامة علي القاري اسمه «ضوء المعالي على بدء الأمالي» البيت رقم (٢٠).

(٢) هو نايف ذياب أبو ياسر المعتزلي، وهو -الآن- بين يَدَيْ ربِّه، وهو أعلم به -سبحانه-.

فاللَّه ﷻ حين قال في حق المؤمنين أهل الجنَّة ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، تَأَوَّلُوها (وَدُوبَلُوا)(١) عليها، آمنوا بها لفظًا، وكفروا بها معنًى، والألفاظ كما يقول العلماء: هي قوالب المعاني، فإذا آمنا باللفظ وكفرنا بالمعنى، فهذا الإيمان لا يُسْمِنُ ولا يُغني من جوع، لكن لماذا هؤلاء أنكروا هذه الرؤية؟ ضاقت عقولهم أن يتصوروا، وأن يتخيَّلوا أنَّ هذا العبد المخلوق العاجز بإمكانه أن يَرى اللَّه ﷻ جَهرةً، كما طلب اليهود من موسى؛ فأعجزهم اللَّه ﷻ بالقصَّة المعروفة، ﴿انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ضاقت عقولهم، فاضطروا أن يتلاعبوا بالنص القرآني، وأن يُؤَوِّلوه، لماذا؟ لأنَّ إيمانهم بالغيب ضعيف، وإيمانهم بعقولهم أقوى من إيمانهم بالغيب الذي أمروا به في مطلع سورة البقرة ﴿الم ۝ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١-٢]، مَن هم؟ ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]، فاللَّه غيب الغيوب، فمهما ربنا تحدَّث عن نفسه؛ فعلينا أن نصدق، وأن نؤمن به؛ لأنَّ مداركنا قاصرة جدًّا، ما اعترف المعتزلة بهذه الحقيقة، ولذلك جحدوا كثيرًا من الحقائق الشرعيَّة، منها قوله -تبارك وتعالى-: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣].

كذلك الآية الأخرى، وهي قد تكون أخفى بالنسبة لأولئك النَّاس من الآية الأولى، وهي قوله ﷻ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾ [يونس: ٢٦]، ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾ أي: الجنَّة ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ أي: رؤية اللَّه في الآخرة.

هكذا جاء الحديث في «صحيح مسلم» بسنده الصحيح: قال رسول اللَّه ﷺ: «﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾، قال ﷺ: «**الجنَّة، ﴿وَزِيَادَةٌ﴾، رؤية اللَّه**»(٢).

---

(١) دوبَلُوا -بلهجة أهل دمشق- بمعنى: حرفوا وغيروا.

(٢) برقم (١٨١) عن صهيب ﵁، عن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهلُ الجنَّةِ الجنَّةَ، قال: يقول اللَّه -تبارك وتعالى-: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تُبيِّض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنَّة وتُنَجِّنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أُعطوا شيئًا أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم [ﷻ]**» عن حمَّاد بن سَلَمَة بهذا الإسناد، وزاد: ثم تلا هذه الآية: =

أنكر المعتزلة وكذلك الشيعة، وهم معتزلة في العقيدة، الشيعة معتزلة في العقيدة، أنكروا رؤية اللَّه المصرَّح في الآية الأولى، والمبيَّن من رسول اللَّه في الآية الأخرى، مع تواتر الأحاديث عن النبي ﷺ، فأوقعهم تأويلهم للقرآن في إنكار الأحاديث الصحيحة عن الرسول ﷺ، فخرجوا عن أن يكونوا من الفرقة النَّاجية.

«**ما أنا عليه وأصحابي**» الرسول كان على الإيمان بأنَّ المؤمنين يَرَوْن ربهم؛ لأنَّه جاء في «الصحيحين» من أحاديث جماعة من أصحاب الرسول ﷺ منهم أبو سعيد الخدري، منهم أنس بن مالك، خارج «الصحيحين» أبو بكر الصديق، وهكذا.

قال ﷺ: «**إنكم سَتَرَوْن ربكم يوم القيامة، كما تَرَوْن القَمَرَ ليلةَ البدرِ، لا تُضامُون في رؤيته**»[1]، روايتان: لا تضامُون بالتخفيف، و: لا تضامُّون بالتشديد، والمقصود لا تشكُّون في رؤيته، كما لا تشكُّون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب، أنكروا هذه الأحاديث بعقولهم، إذن؛ هم ما سلَّموا وما آمنوا؛ فكانوا ضعيفي الإيمان.

هذا مثال مما وقع فيه بعض الفرق قديمًا، وعلى هذا حديثًا اليوم الخوارج، ومنهم الإباضيَّة الذين الآن نشطوا في الدعوة إلى ضلالهم، ولهم مقالاتٌ الآن، ورسائلُ ينشرونها، ويُحْيُون الخروج الذي عُرِفَ به الخوارج من قديم في كثير من انحرافاتهم، منها: إنكار رؤيتهم اللَّه ﷻ في الجنَّة.

الآن نأتيكم من مثال حديث، القاديانيُّون[2]، ربما سمعتم بهم، هؤلاء يقولون

= ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [يونس: ٢٦]، وأخرجه الترمذي (٣١٠٥)، وابن ماجه (١٨٧).

(١) أخرجه البخاري (٥٥٤)، ومسلم (١٨٢) و(١٨٣)، و(٦٣٣).

(٢) انظر لمعرفة هذه الفرقة كتاب «القاديانيَّة دراسة وتحليل» لإحسان إلهي ظهير.

كما نقول نحن: أشهد أنَّ لا إله إلا اللَّه، وأنَّ محمدًا رسول اللَّه، يصلُّون الصلوات الخمس، يقيمون الجمعة، يحجُّون إلى بيت اللَّه الحرام، ويعتمرون، لا فرق بيننا وبينهم، هم كمسلمين، لكنهم يخالفوننا في كثيرٍ من العقائد، منها -وهنا الشاهد- قولهم: بأنَّ النبوة لم تُغْلَق بابها، يقولون: بأنَّه سيأتي أنبياء بعد محمد ﷺ، ويزعمون بأنه جاء أحدٌ منهم في قاديان - بلدة في الهند-، فمن لا يؤمن بهذا النبي عندهم فهو كافر، كيف قالوا هذا مع الآية الصريحة، ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، كيف قالوا هذا مع الأحاديث المتواترة، بأنَّه لا نبيَّ بعدي؟! فأوَّلوا القرآن والسنَّة، وما فَسَّروا القرآن والسنَّة كما فسَّرها السَّلف الصَّالح، وتتابع -أيضًا- المسلمون على ذلك، دون خلافٍ بينهم؛ حتى جاء هذا الزائغ الضال المسمَّى بـ(ميرزا غلام أحمد القادياني)، فزعم بأنَّه نبيٌّ، وله قصَّة طويلة لسنا الآن في صددها؛ فاغترَّ به كثير مِمَّن لا علم عندهم بهذه الحقائق التي هي صيانة للمسلم من أن ينحرف يمينًا ويسارًا، كما انحرف القاديانيون هؤلاء مع دجَّالهم هذا الذي ادَّعى النبوَّة، ماذا فعل بالآية ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ [الأحزاب: ٤٠]؟! قالوا: خاتم النبيِّين ليس معناها: لا نبي بعده، معناها: زينة النبيين، كما أنَّ الخاتم هو زينة الأصبع، كذلك محمد زينة الأنبياء، إذن؛ هم ما كفروا بالآية، ما قالوا: هذا ما أنزلها اللَّه على قلب محمد، لكن كفروا بمعناها الحقيقي، إذن؛ ماذا يفيد الإيمان بالألفاظ دون الإيمان بحقائق المعاني؟ إذا كانت هذه حقيقة لا شك فيها، ما هو الطريق للوصول إلى معرفة حقائق المعاني للكتاب والسنَّة؟

قد عرفتم الطريق، ليس هو أن نعتمد نحن على علمنا باللغة وآدابها، ونفسر القرآن والسنَّة بأهوائنا، أو عاداتنا، أو تقاليدنا، أو مذاهبنا، أو طُرقنا، وإنما كما قيل، وأُنهي الكلام بهذا القول:

وكلُّ خير في اتباع مَنْ سَلَف   وكلُّ شرٍّ في ابتداع من خَلَف

لعلَّ في هذا ذكرى لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد» انتهى.

الأسئلة[1]

السائل: **ماذا يقصد الرسول ﷺ بكلمة الخلفاء الراشدين من بعده بقوله: «وسنَّة الخلفاء الراشدين من بعدي» عِلْمًا أنَّ (الخلفاء الراشدين) لم يكونوا موجودين في عهده ﷺ؟**

الجواب: هذا السؤال غافل.

على كلٍّ السؤال خطأ؛ لأنَّه يختمه بأنهم لم يكونوا في عهده.

السائل يقول موضحًا: **بأنَّ فكرة (الخلفاء) غير موجودة في عهده، وهو أخبر بذلك.**

الشيخ الألباني يقول: أليس يقول اللَّه ﷻ ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، لماذا يُقال: لم تكن معروفة، ثم هَب أنها لم تكن معروفة، فآنفًا ذكرنا أنَّ هناك لغتين: لغة عُرفيَّة، ولغة شرعيَّة، فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، من يفهم الصلاة بهذه الأركان وبهذه الشروط؟! إذًا هو أوجدها، فأي غرابة فيما لو أوجد الخلافة؟ هو اصطلح على ذلك مع أنها كانت معروفة من قبل، لكن الشبه التي جاءت في خاتم السؤال، وهو قوله: ما كانوا موجودين.

السائل موضحًا: **علمًا أنَّ فكرة (الخلفاء) غير موجودة في عهده.**

وسائل آخر موضحًا: **الخلفاء ليسوا موجودين في عهد الرسول ﷺ، كأشخاص موجودين، لكن لا يعرف الرسول ﷺ من هم (الخلفاء) سيكونون من بعده.**

الشيخ الألباني يقول: طيِّب يا أخي بارك اللَّه فيك، لذلك أعود لأقول: هذا سؤال غريب جدًّا، وما دام أنتَ والحمد للَّه عندك هذه الجرأة الأدبيَّة فاسمع الجواب الصريح، هذه غفلة، أليس اللَّه يعلم؟

---

(١) جاءت الأسئلة عقب المحاضرة كثيرة، وقد انتقيتُ منها الأسئلة المنهجيَّة فقط.

السائل يقول: **اللَّه يعلم**.

الشيخ الألباني يقول: طيِّب؛ انتهى الأمر يا أخي، رسول اللَّه قال له ربنا: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢]، فاللَّه أعلَمَهُ، والرسول -بارك اللَّه فيك- يجب أن تتذكَّر؛ حينما يتكلَّم بكلمة لا يتكلمها كما تتكلم أنت وأنا، يعني برأيٍ واجتهادٍ قد نُخطِئُ، قد نصيب، هو كما جاء أولًا في القرآن، ثمَّ في حديث الرسول -عليه الصلاة والسلام-.

القرآن يقول: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ١-٤]، أمَّا السنَّة؛ فقد كان عبداللَّه بن عمرو بن العاص في مجلس فيه مشركون، وكان من حرص عبداللَّه هذا -رضي اللَّه عنه وعن أبيه- على حفظه للسنَّة، كان يكتب، بخلاف جماهير الصحابة الذين كانوا أُميِّين لا يكتبون، فكان هو من حرصه على حفظ السنَّة يكتب، عَتَبَ عليه المشركون، ولا غرابة فهم ضُلال، قالوا: تكتب عن محمد ما يقوله في ساعة الرضا والغضب، كأنه صار عنده شُبهة، فجاء إلى النبي ﷺ وحكى له ما قاله المشركون، فقال له: «**اكتُبْ؛ فوالذي نفس محمد بيده، ما يَخرُجُ منه إلا حقٌّ**»[1]، فإذا كنت مستحضرًا معي هذه الحقيقة الشرعيَّة، أنَّ رسول اللَّه -صلى اللَّه عليه وآله وسلَّم- ما يتكلَّم من عنده، يتكلَّم من عند ربه، قد يتكلَّم بالشيء وهو لا يعرف تأويله، تدري هذا الكلام؟ طيِّب إذن أيُّ إشكال في هذا والرسول يقول في «صحيح مسلم»: «**كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، فإذا مات نبي خلفه نبي، ألا ولا نبيَّ بعدي**»، إذن الخلفاء أخي معروفون، لكن أشخاص الخلفاء ليسوا معروفين، ليس ضروريًّا.

السائل يقول موضحًا: **هُوَ السؤال باختصار: ما المقصود بالخلفاء الراشدين من بعد الرسول ﷺ**.

---

(١) صحيح، أخرجه أبو داود (٣٦٤٦)، وصححه الإمام الألباني في الصحيحة (١٥٣٢).

الشيخ الألباني يقول: هذا سؤال آخر يا أخي.

السائل يقول: **هذا المقصود بالسؤال.**

الشيخ الألباني يقول: لا بأس، لكن الذي قُلْتَهُ غير هذا، المقصود من الخلفاء الراشدين بإجماع علماء المسلمين: أبو بكر الصديق، وعمر الفاروق، وعثمان ذو النورين، وعلي بن أبي طالب -رضي اللَّه عنهم أجمعين-.

هؤلاء الأربعة باتفاقهم، ثمَّ أهل الحديث يضمُّون إلى هؤلاء الأربعة عمر بن عبدالعزيز، وهو له صلة بعمر بن الخطاب من جهة ابنته، هؤلاء هم الخلفاء الراشدون، ثمَّ من سار على دربهم، وسلك طريقهم، وعلى نهجهم، من الحكام، وما أدري إذا وُجِدَ هؤلاء حتى هذا الزمان، لعله يأتي فيما بعد المُبَشَّر به، وهما اثنان: عيسى ابن مريم -عليه الصلاة والسلام-، حينما ينزل من السماء على جناحَيْ ملكين، وفي عاصمة الشام ولا أقول: سورية، وهي دمشق، هذا هو المبشَّر به أولًا.

وثانيًا: محمد بن عبداللَّه المهدي، هؤلاء يمكن أن يُلْحَقوا بهم فيما بعد؛ لأنهم يحكمون بما أنزل اللَّه، أمَّا سواهم فقد، وقد، هذا هو الجواب، ولعلي أجبتك إن شاء اللَّه.

السائل: **ما رأيكم في كثرة الأحزاب الدينيَّة، وهل هذه الظاهرة صحية، أم لِتَفْرِقَةِ المسلمين؟**

الشيخ الألباني يقول: هذه ظاهرة مَرَضِيَّة، وليست صحيَّة.

السائل: **ويُرْدفُ سؤالًا آخر: ما رأيكم في الصوفيَّة؟ وهذا سؤال كبير.**

سائل آخر يقول: **نريد المزيد عن السؤال الأول.**

الجواب: السؤال الأول.

السائل: **ظاهرة صحيَّة أم مَرَضِيَّة، لتفرقة المسلمين؟**

الشيخ الألباني يقول: كما يفعل المرض في الجسد، ويفتك به فتكًا، كذلك تفعل الحزبيَّة في الأمَّة، وهذا صريح جدًّا في القرآن الكريم ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١-٣٢]، هذه الشِّيع هي الفرق الضالَّة، ليس الشيعة، هي الفرق الضالَّة كلها، التي جاء ذكرها في حديث الرسول ﷺ، وأنا في أثناء الدرس اقتصرت على آخر الحديث، فاسمعوا الآن الحديث من أوله: «**تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلّها في النار إلا واحدة**»، قالوا: من هي يا رسول اللَّه؟ قال: «**هي ما أنا عليه وأصحابي**»[1]، فهذا الحديث شرح للآية ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١-٣٢]، ورَبْطٌ لهذا الجواب عن السؤال الأول بالسؤال الأخير عن الصوفيَّة.

أشدُّ ما فرَّق المسلمين هو ما يُسمَّى بالتصوُّف، حيث جعلوا طريق الوصول إلى اللَّه ﷻ بطرق لا حصر لها، هذا كما يدلُّ الواقع، فالطريقة النقشبنديَّة، والخلوتيَّة، والقادريَّة، والبدويَّة و. . . و. . . أسماء ما أنزل اللَّه بها من سلطان، آخرها التيجانيَّة التي كانت من أقوى أسباب إدخال فرنسا إلى الجزائر واستعمارها، والآن نحن نقتطف الآثار السيئة من الذين ربَّاهم الاستعمار، وهم مسلمون اسمًا.

الشاهد؛ هؤلاء الصوفيَّة يُصرِّحون بما هو الكفر بعينه ويُسَمُّونه توحيدًا، فهو أشد ما يكون من الانحراف عن الكتاب والسنَّة، بينما الشيعة والأحزاب الأخرى فيهم وفيهم، حتى قالوا: «الطرق الموصلة إلى اللَّه بعدد أنفاس الخلائق» أيْش كفر أكثر من هذا؟ لا شيء؛ فالرسول ﷺ بهذا الحديث يفسِّر قوله -تعالى-: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ كم شيعة؟ ليس الشيعة الرافضة فقط، كل هذه

---

(١) سبق تخريجه (ص: ٤٤).

الجماعات قديمًا، والجماعات حديثًا، التي لا تنهج منهج السَّلف الصَّالح الذي بينَّا لكم ضرورته آنفًا، كل هؤلاء من الفرق الضالَّة، لكن هذا ليس معناه أنهم كفَّار، وأنَّهم مخلَّدون في النار، حسبهم أنَّهم ليسوا من الفرقة النَّاجية، فإذن؛ التصوُّف أضلُّ الفرق الإسلاميَّة، ثمَّ بعد ذلك الأحزاب القديمة والحديثة كلها، التي لا تنحو منحى الكتاب والسنَّة، وعلى منهج السَّلف الصَّالح، فهي أقلُّ ما يقال فيها: ليست من الفرقة النَّاجية». اهـ

الخاتمة

هذا ما وَفَّق المولى -سبحانه-؛ مِن تمام هذا الكتاب؛ بما تَضمَّنه مِن أحاديثَ نبويَّةٍ صحيحةٍ، وما عليها من شُروحٍ وإيضاحات للأئمَّة الماضين، والعُلَماءِ المُعاصرين.

فاللَّهُ -وحدَه- المسؤولُ أن ينفعَ بهذا الكتابِ قارئه، وناشرَه، وكاتبَه.

إنَّه -تعالى- سميعٌ مجيبٌ.

وكتبه

سعيد «محمد موسى» حسين إدريس

السَّلفي الأَثريُّ

عمان - الأردن(١)

* * *

(١) بدأ العملُ بهذا الكتاب بتاريخ (١٢/ صفر/ ١٤٢٤هـ الموافق ١٥/ نيسان/ ٢٠٠٣م)، وانتهى بتاريخ (١/ رمضان/ ١٤٢٨هـ الموافق ١٣/ أيلول/ ٢٠٠٧م) فكانت المدةُ أربعَ سنواتٍ وخمسة أشهرٍ تامةً، والحمد للَّه الذي بنعمته تتم الصالحات.

فهرس الفهارس العلمية

* فهرس المصادر والمراجع .
* فهرس الآيات القرآنية .
* فهرس الأربعون حديثًا النبويَّة في منهاج الدعوة السلفيَّة .
* فهرس الأحاديث النبوية .
* فهرس الآثار السلفيَّة .
* فهرس الموضوعات والمحتويات والفوائد .

* * *

فهرس المصادر والمراجع

١- «**أبو طاهر السِّلفي**»؛ لحسن عبد الحميد الصالح.
٢- «**أحكام القرآن**»؛ لأبي بكر الجصاص.
٣- «**أحكام القرآن**»؛ لأبي بكر بن العربي.
٤- «**إحياء علوم الدين**»؛ للغزالي.
٥- «**أخبار القضاة**»؛ لوكيع محمد بن خلف حيان.
٦- «**أخبار عمر بن عبيد**»؛ للدارقطني.
٧- «**إرشاد البرية إلى شرعيَّة الانتساب إلى السَّلفيَّة**»؛ لأبي عبدالسلام حسن بن قاسم الحسني الريمي السَّلفي.
٨- «**إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**»؛ للقسطلاني.
٩- «**إرشاد الفحول**»؛ للشوكاني.
١٠- «**إرواء الغليل**»؛ للألباني.
١١- «**إسعاد الأخصَّا بذكر فضائل الشام والمسجد الأقصى**»؛ لهشام العارف.
١٢- «**أشراط الساعة**»؛ ليوسف الوابل.
١٣- «**أصول البدع والسنن**»؛ لمحمد أحمد العدوي.
١٤- «**أصول البدع**»؛ لعلي الحلبي.
١٥- «**أصول السنة**»؛ لابن زمنين.
١٦- «**أصول في السنن والبدع**»؛ لمحمد أحمد العدوي.
١٧- «**أضواء البيان**»؛ للشنقيطي.
١٨- «**أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة**»؛ لحافظ بن أحمد الحكمي.
١٩- «**إعلام الموقعين**»؛ لابن قيم الجوزية.

٢٠- «**اقتضاء الصراط المستقيم**»؛ لابن تيمية.

٢١- «**الإبانة الصغرى**»؛ لابن بطة.

٢٢- «**الإبانة**»؛ لابن بطة.

٢٣- «**الأجوبة النافعة**»؛ للألباني.

٢٤- «**الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان**»؛ لابن حبان.

٢٥- «**الإحكام في أصول الأحكام**»؛ لابن حزم.

٢٦- «**الآداب الشرعية**»؛ لابن مفلح.

٢٧- «**الأدب المفرد**»؛ للبخاري.

٢٨- «**الأدلة الشرعية في بيان حق الراعي والرعية**»؛ لمحمد السبيل.

٢٩- «**الأذكار**»؛ للنووي.

٣٠- «**الأربعون النووية**»؛ للنووي.

٣١- «**الاستغاثة في الرد على البكري**»؛ لابن تيمية.

٣٢- «**الأسماء والصفات**»؛ للبيهقي.

٣٣- «**الإشراف على مذاهب أهل العلم**»؛ لابن المنذر.

٣٤- «**الإصابة في تمييز الصحابة**»؛ لابن حجر العسقلاني.

٣٥- «**الأصمعيات**»؛ للأصمعي.

٣٦- «**الاعتصام**»؛ للشاطبي.

٣٧- «**الأمالي الشيخونية**»؛ لمحمد المرتضى الحسيني.

٣٨- «**الأمر بالاتباع**»؛ للسيوطي.

٣٩- «**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**»؛ لابن تيمية.

٤٠- «**الانتصار لحزب الله الموحدين**»؛ عبدالله بابطين.

٤١- «**الأوسط**»؛ للطبراني.

٤٢- «**الإيمان**»؛ لابن منده.

٤٣- «**الإيمان**»؛ لأبي عبيد القاسم بن سلام.

٤٤- «**الباعث على إنكار البدع والحوادث**»؛ لأبي شامة.
٤٥- «**البداية والنهاية**»؛ لابن كثير.
٤٦- «**البدع والنهي عنها**»؛ لابن وضاح القرطبي.
٤٧- «**التاريخ الكبير**»؛ للبخاري.
٤٨- «**التحذير من الشيطان وبيان مكايده والتحصُّن منه**»؛ لحسين العوايشة.
٤٩- «**الترغيب والترهيب**»؛ للمنذري.
٥٠- «**التسهيل**»؛ للغرناطي.
٥١- «**التصفية والتربية**»؛ لعلي الحلبي.
٥٢- «**التفسير**»؛ للنسائي.
٥٣- «**التنبئة فيما يبعثه اللَّه على رأس كل مائة**»؛ للسيوطي.
٥٤- «**التوحيد أولًا يا دعاة الإسلام**»؛ للألباني.
٥٥- «**الثقات**»؛ لابن حبان.
٥٦- «**الجامع الفريد**»؛ لمحمد بن سليمان التميمي.
٥٧- «**الحجة على تارك المحجة**»؛ أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي.
٥٨- «**الحجة في بيان المحجة**»؛ التيمي الأصبهاني.
٥٩- «**الحسام الماحق لكل مشرك ومنافق**»؛ محمد تقي الدين الهلالي.
٦٠- «**الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية**»؛ لعبد الغني النابلسي.
٦١- «**الحِطَّة في ذكر الصحاح الستة**»؛ لصديق حسن خان.
٦٢- «**الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين**»؛ للسعدي.
٦٣- «**الحوادث والبدع**»؛ للطرطوشي.
٦٤- «**الدعوة إلى اللَّه بين التجمع الحزبي والتعاون الشرعي**»؛ لعلي الحلبي.
٦٥- «**الدين الخالص**»؛ لصديق حسن خان.
٦٦- «**الذب الأحمد عن مسند الإمام أحمد**»؛ للألباني.
٦٧- «**الرد على الجهمية**»؛ لأحمد بن حنبل.

٦٨- «**الرد على المخالف من أصول الإسلام**»؛ لبكر أبي زيد.

٦٩- «**الرسالة**»؛ للشافعي.

٧٠- «**الزهد**»؛ لابن المبارك.

٧١- «**السبيل إلى العز والتمكين**»؛ لعبد المالك الجزائري.

٧٢- «**السراج الوهاج في كشف مطالب صحيح مسلم بن الحجاج**»؛ لصديق حسن خان.

٧٣- «**السلفيون وقضية فلسطين**»؛ لمشهور حسن.

٧٤- «**السنَّة**»؛ لابن أبي عاصم.

٧٥- «**السنَّة**»؛ لابن نصر.

٧٦- «**السنة**»؛ لعبد اللَّه بن أحمد.

٧٧- «**السنة**»؛ للخلال.

٧٨- «**السنن الكبرى**»؛ للبيهقي.

٧٩- «**السياسة التي يريدها السلفيون، ومعه السياسة في القرآن**»؛ لمشهور حسن.

٨٠- «**الشريعة**»؛ للآجري.

٨١- «**الصارم المسلول على شاتم الرسول**»؛ لابن تيمية.

٨٢- «**الصحيح المسند من دلائل النبوة**»؛ لمقبل بن هادي الوادعي.

٨٣- «**الصفات الإلهيَّة في الكتاب والسنَّة**»؛ لمحمد أمان الجامي.

٨٤- «**الصفحات الغرر في الدفاع عن إمارة كُنَر**»؛ لمحمد منسي.

٨٥- «**الطبقات الكبرى**»؛ لابن سعد.

٨٦- «**الطرق الحكيمة**»؛ لابن قيم الجوزية.

٨٧- «**العبودية**»؛ لابن تيمية.

٨٨- «**العراق في أحاديث وآثار الفتن**»؛ لمشهور حسن.

٨٩- «**العقيدة الحموية**»؛ لابن تيمية.

٩٠- «**العقيدة الواسطية مع شرح الشيخ خليل هراس**»؛ لابن تيمية.

٩١- «**العلم**»؛ لأبي خيثمة.

٩٢- «**العواصم من القواصم**»؛ تحقيق محب الدين الخطيب.

٩٣- «**الغلوُّ في الدين**»؛ للصادق الغرياني.

٩٤- «**الفتاوى الفقهية الكبرى**»؛ لابن حجر الهيتمي.

٩٥- «**الفتن والملاحم**»؛ لابن كثير.

٩٦- «**الفتن**»؛ لأبي عمر الداني.

٩٧- «**الفتوحات المكية**»؛ لابن عربي.

٩٨- «**الفتوى الحموية**»؛ لابن تيمية.

٩٩- «**الفوائد**»؛ لابن قيم الجوزيَّة.

١٠٠- «**ألفية بن مالك**»؛ لابن مالك.

١٠١- «**القاديانية دراسة وتحليل**»؛ لإحسان إلهي ظهير.

١٠٢- «**القاموس المحيط**»؛ للفيروزآبادي.

١٠٣- «**القراءات أحكامها ومَصدرُها**»؛ لشعبان محمد اسماعيل.

١٠٤- «**القرآن الكريم**».

١٠٥- «**القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ**»؛ لحمود التويجري.

١٠٦- «**القول المفيد**»؛ للشوكاني.

١٠٧- «**الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية**»؛ لابن قيم الجوزية.

١٠٨- «**الكامل**»؛ لابن عدي.

١٠٩- «**الكواكب الدرية**»؛ للمناوي.

١١٠- «**اللباب في تهذيب الأنساب**»؛ لابن الأثير الجزري.

١١١- «**المجالسة**»؛ للدينوري.

١١٢- «**المجموع الثمين**»؛ لابن عثيمين.

١١٣- «**المحدث الفاضل**»؛ للرامهرمزي.

١١٤- «**المدخل إلى السنن الكبرى**»؛ للبيهقي.

١١٥- «**المدخل**»؛ لابن الحاج.
١١٦- «**المستدرك**»؛ للحاكم.
١١٧- «**المشكاة**»؛ للتبريزي.
١١٨- «**المصنف في الأحاديث والآثار**»؛ لابن أبي شيبة.
١١٩- «**المصنف**»؛ لعبد الرزاق.
١٢٠- «**المصنف**»؛ لعبد الرزاق.
١٢١- «**المعجم الكبير**»؛ للطبراني.
١٢٢- «**المعجم الكبير**»؛ للطبراني.
١٢٣- «**المعيار المعرب**»؛ للونشريسي.
١٢٤- «**المغني**»؛ لابن قدامة.
١٢٥- «**المنار المنيف**»؛ لابن القيم.
١٢٦- «**المنتقى النفيس من تلبيس إبليس**»؛ لعلي الحلبي.
١٢٧- «**المهدي المنتظر في ضوء الأحاديث والآثار الصحيحة**»؛ لعبد العليم البستوي.
١٢٨- «**الموافقات**»؛ للشاطبي.
١٢٩- «**الموسوعة في أحاديث المهدي الضعيفة والموضوعة**»؛ لعبد العليم البستوي.
١٣٠- «**الموطأ**»؛ للإمام مالك.
١٣١- «**الميزان**»؛ للشعراني.
١٣٢- «**النبوات**»؛ لابن تيمية.
١٣٣- «**النهاية في الفتن والملاحم**»؛ لابن كثير.
١٣٤- «**النهاية**»؛ لابن الأثير.
١٣٥- «**أهل الحديث هم الطائفة المنصورة الناجية**»؛ لربيع المدخلي.
١٣٦- «**إيقاظ همم أولي الأبصار**»؛ لصالح الفلّاني.

١٣٧- «**بدء الأمالي**»؛ لأبي الحسن الأُوشي.
١٣٨- «**برنامج إجازة أمالي الحنفي**»؛ لمحمد المرتضى الحسيني.
١٣٩- «**بصائر ذوي التمييز**»؛ للفيروز آبادي.
١٤٠- «**بهجة قلوب الأبرار**»؛ للسعدي.
١٤١- «**بيان تلبيس الجهميَّة**»؛ لابن تيمية.
١٤٢- «**تاريخ ابن شبَّة**»؛ لابن شبَّة.
١٤٣- «**تاريخ بغداد**»؛ للخطيب البغدادي.
١٤٤- «**تاريخ دمشق**»؛ لابن عساكر.
١٤٥- «**تأويل مختلف الحديث**»؛ لابن قتيبة.
١٤٦- «**تأويل مشكل القرآن**»؛ لابن قتيبة.
١٤٧- «**تبصرة الحكام**»؛ لابن فرحون مطبوع بحاشية «**فتح العلي المالك**».
١٤٨- «**تبصير الخلف بشرعية الانتساب لمذهب السلف**»؛ لملفي الصَّاعدي.
١٤٩- «**تبيين العجب**»؛ لابن حجر.
١٥٠- «**تجديد علوم الدين**»؛ لوحيد خان.
١٥١- «**تحرير المقالة في شرح الرسالة**»؛ للقلشانِّي.
١٥٢- «**تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي**»؛ للمباركفوري.
١٥٣- «**تحفة المجيب على أسئلة الحاضر والغريب**»؛ لمقبل الوادعي.
١٥٤- «**تخريج أحاديث خير الأنام**»؛ لمحمد المرتضى الحسيني.
١٥٥- «**تخريج أحاديث فضائل الشام ودمشق، ومعه مناقب الشام وأهله**»؛ للألباني.
١٥٦- «**تفسير الطبري**»؛ لابن جرير الطبري.
١٥٧- «**تفسير القرآن العظيم**»؛ لابن كثير.
١٥٨- «**تفسير القرآن العظيم**»؛ لابن كثير.
١٥٩- «**تلبيس إبليس**»؛ لابن الجوزي.
١٦٠- «**تنبيه النبيل إلى أن الترك دليل**»؛ لمحمد الإسكندري.

١٦١- **«تنبيه أولي الأبصار إلى كمال الدين وما في البدع من الأخطار»**؛ لصالح السحيمي.

١٦٢- **«توضيح الكافية الشافية»**؛ للسعدي.

١٦٣- **«تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد»**؛ لسليمان بن عبد اللَّه بن محمد ابن عبدالوهاب.

١٦٤- **«تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»**؛ للسعدي.

١٦٥- **«تيسير انتفاع الخلان بثقات ابن حبان»**؛ لابن حبان.

١٦٦- **«جامع العلوم والحكم»**؛ لابن رجب.

١٦٧- **«جامع بيان العلم وفضله»**؛ لابن عبد البر.

١٦٨- **«جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية»**؛ لعبد اللَّه بن محمد بن عبدالوهاب.

١٦٩- **«حاشية السندي على سنن ابن ماجه»**؛ للسندي.

١٧٠- **«حجة القراءات»**؛ لابن زنجلة.

١٧١- **«حجة النبي ﷺ»**؛ للألباني.

١٧٢- **«حق المسلم»**؛ محاضرة مسجلة لابن باز.

١٧٣- **«حقبة من التاريخ»**؛ لعثمان خميس.

١٧٤- **«حقوق الراعي والرعية»**؛ لابن عثيمين.

١٧٥- **«حكم الانتماء»**؛ لبكر أبي زيد.

١٧٦- **«حكم تارك الصلاة»**؛ للألباني.

١٧٧- **«حلية الأولياء»**؛ لأبي نعيم الأصبهاني.

١٧٨- **«حياة الألباني»**؛ لمحمد الشيباني.

١٧٩- **«خصائص أهل السنَّة»**؛ لأحمد فريد.

١٨٠- **«خلق أفعال العباد»**؛ للبخاري مطبوع ضمن **«عقائد السلف»**؛ للنشار.

١٨١- **«درء التعارض»**؛ لابن تيمية.

١٨٢- «**دلائل النبوة**»؛ للبيهقي.
١٨٣- «**ذم الكلام**»؛ للَّهروي.
١٨٤- «**رياض الجنة في الرد على أعداء السنة**»؛ لمقبل الوادعي.
١٨٥- «**زاد الدعاة**»؛ لعبد المهيمن طحَّان.
١٨٦- «**زاد المعاد**»؛ لابن قيم الجوزية.
١٨٧- «**زوائد البزار**»؛ للبزار.
١٨٨- «**سلسلة الآثار الصحيحة**»؛ لأبي عبد اللَّه الداني.
١٨٩- «**سلسلة الأحاديث الصحيحة**»؛ للألباني.
١٩٠- «**سلسلة الأحاديث الضعيفة**»؛ للألباني.
١٩١- «**سنن ابن ماجه**»؛ لأبي عبد اللَّه القزويني.
١٩٢- «**سنن أبي داود**»؛ لأبي داود السجستاني.
١٩٣- «**سنن الترمذي**»؛ لأبي عيسى الترمذي.
١٩٤- «**سنن الدارمي**»؛ للدارمي.
١٩٥- «**سنن النسائي**»؛ لأبي عبد الرحمن النسائي.
١٩٦- «**سير أعلام النبلاء**»؛ للذهبي.
١٩٧- «**شبهات حول الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**»؛ لفضل إلهي.
١٩٨- «**شرح أصول الاعتقاد**»؛ للالكائي.
١٩٩- «**شرح الأربعين النووية**»؛ لابن دقيق العيد (ضمن الرِّياض النَّدِيَّة في شرح الأربعين النووية) للنووي.
٢٠٠- «**شرح السنَّة**»؛ للبربهاري.
٢٠١- «**شرح السنة**»؛ للبغوي.
٢٠٢- «**شرح العقيدة الطحاوية**»؛ لابن أبي العز الحنفي.
٢٠٣- «**شرح العقيدة الواسطية - شرح مجموعة من العلماء -**»؛ لأحمد النجمي.
٢٠٤- «**شرح العقيدة الواسطية**»؛ للعثيمين.

٢٠٥- «**شرح رياض الصالحين**»؛ لابن عثيمين.
٢٠٦- «**شرح صحيح مسلم**»؛ للنووي.
٢٠٧- «**شرف أصحاب الحديث**»؛ للخطيب البغدادي.
٢٠٨- «**صحيح ابن حبان**»؛ لابن حبان.
٢٠٩- «**صحيح البخاري**»؛ لمحمد بن إسماعيل البخاري.
٢١٠- «**صحيح الترغيب والترهيب**»؛ للمنذري.
٢١١- «**صحيح الجامع**»؛ للألباني.
٢١٢- «**صحيح سنن ابن ماجه**»؛ للألباني.
٢١٣- «**صحيح سنن أبي داود**»؛ للألباني.
٢١٤- «**صحيح سنن النسائي**»؛ للألباني.
٢١٥- «**صحيح مسلم**»؛ لمسلم بن الحجاج النيسابوري.
٢١٦- «**صفة الغرباء من المؤمنين**»؛ للآجري.
٢١٧- «**صيحة نذير**»؛ لعلي الحلبي.
٢١٨- «**ضوء المعالي على بدء الأمالي**»؛ لعلي القاري.
٢١٩- «**طبقات الحنابلة**»؛ لابن أبي يعلى.
٢٢٠- «**ظلال الجنة**»؛ للألباني.
٢٢١- «**عداء الماتردية للعقيدة السلفية**»؛ الشمس السلفي الأفغاني.
٢٢٢- «**عقيدة السلف أصحاب الحديث**»؛ لأبي عثمان الصابوني.
٢٢٣- «**عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفيَّة**»؛ لصالح العبود.
٢٢٤- «**عمدة القاري شرح صحيح البحاري**»؛ للعيني.
٢٢٥- «**عون المعبود شرح سنن أبي داود**»؛ لشمس الحق العظيم آبادي.
٢٢٦- «**عيون الأخبار**»؛ لابن قتيبة.
٢٢٧- «**غاية الأماني**»؛ لمحمود شكري الألوسي.
٢٢٨- «**غرائب القرآن ورغائب الفرقان**»؛ لنظام الدين القمي.

٢٢٩- «**فتاوى العلماء الأكابر فيما أهدر من دماء في الجزائر**»؛ لعبد المالك الجزائري.
٢٣٠- «**فتاوى النووي**»؛ للنووي.
٢٣١- «**فتاوى مركز الإمام الألباني**»؛ لجنة الفتوى في مركز الإمام الألباني.
٢٣٢- «**فتح الباري**»؛ لابن حجر العسقلاني.
٢٣٣- «**فتح القدير**»؛ للشوكاني.
٢٣٤- «**فتح المجيد**»؛ لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ.
٢٣٥- «**فتح المنان**»؛ لأبي عاصم الغمري.
٢٣٦- «**فتح الودود في شرح سنن أبي داود**»؛ للسبكي.
٢٣٧- «**فضل علم السلف**»؛ لابن رجب.
٢٣٨- «**فقد جاء أشراطها**»؛ لمحمود عطية.
٢٣٩- «**فقه السنة**»؛ لسيد سابق.
٢٤٠- «**فوائد العراقيين**»؛ للنقاش.
٢٤١- «**فوائد الفوائد**»؛ لابن قيم الجوزية.
٢٤٢- «**فوائد في الكلام عن حديث العمامة والغزالة والصنب وغيره**»؛ لابن قيم الجوزية.
٢٤٣- «**فيض القدير**»؛ للمناوي.
٢٤٤- «**قصة المسيح الدجال ونزول عيسى** عليه السلام وقتلُه إياهُ»؛ للألباني.
٢٤٥- «**قواعد الأحكام**»؛ للعز بن عبد السلام.
٢٤٦- «**قواعد التحديث**»؛ للقاسمي.
٢٤٧- «**قوت القلوب**»؛ لأبي طالب المكي.
٢٤٨- «**قيام رمضان**»؛ للألباني.
٢٤٩- «**كشف الأستار**»؛ للبزار.
٢٥٠- «**كشف الكربة في وصف حال أهل الغربة**»؛ لابن رجب.

٢٥١- «**كنز العمال**»؛ المتقي الهندي.
٢٥٢- «**لسان العرب**»؛ لابن منظور.
٢٥٣- «**لوامع الأنوار البهية شرح الدرة المضية**»؛ للسفاريني.
٢٥٤- «**مجلة الأصالة**»؛ مركز الإمام الألباني.
٢٥٥- «**مجمع الزوائد**»؛ للَّهيثمي.
٢٥٦- «**مجمل مسائل الإيمان والكفر العملية في أصول العقيدة السلفية**»؛ إعداد مركز الإمام الألباني.
٢٥٧- «**مجموع الفتاوى**»؛ لابن تيمية.
٢٥٨- «**مجموع رسائل التوجيهات الإسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع**»؛ لمحمد جميل زينو.
٢٥٩- «**مجموع فتاوى ابن باز**»؛ لابن باز.
٢٦٠- «**مجموع فتاوى العثيمين**»؛ لابن عثيمين.
٢٦١- «**مجموع فتاوى محمد بن إبراهيم**»؛ لمحمد بن إبراهيم.
٢٦٢- «**مجموعة الرسائل والمسائل النجدية**»؛ لمجموعة من العلماء.
٢٦٣- «**محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب**»؛ لابن المبرد.
٢٦٤- «**مختار الصحاح**»؛ للرازي.
٢٦٥- «**مدارج السالكين**»؛ لابن القيم.
٢٦٦- «**مدارك النظر في السياسة**»؛ لعبد المالك الجزائري.
٢٦٧- «**مرقاة المفاتيح**»؛ للقارِّي.
٢٦٨- «**مسائل الإمام أحمد برواية ابنه عبد اللَّه**»؛ لعبد اللَّه بن أحمد بن حنبل.
٢٦٩- «**مسائل علميَّة في الدعوة والسياسة الشرعيَّة**»؛ لعلي الحلبي.
٢٧٠- «**مسند أبي داود الطيالسي**»؛ للطيالسي.
٢٧١- «**مسند أبي عوانة**»؛ لأبي عوانة.
٢٧٢- «**مسند أبي يعلى الموصلي**»؛ لأبي يعلى الموصلي.

٢٧٣- **«مسند أحمد»**؛ لأحمد بن حنبل.
٢٧٤- **«مسند الإمام أحمد»**؛ لأحمد بن حنبل.
٢٧٥- **«مسند البزار»**؛ للبزار.
٢٧٦- **«مسند الحارث بن أسامة»**؛ للحارث بن أسامة.
٢٧٧- **«مسند الرُّوياني»**؛ للرُّوياني.
٢٧٨- **«مسند الشاميين»**؛ للطبراني.
٢٧٩- **«مسند علي بن الجعد»**؛ لعلي بن الجعد.
٢٨٠- **«مشكل الآثار»**؛ للطحاوي.
٢٨١- **«معالم التنزيل»**؛ للبغوي.
٢٨٢- **«معجم الأدباء»**؛ لياقوت الحموي.
٢٨٣- **«معجم البلدان»**؛ لياقوت الحموي.
٢٨٤- **«معجم الشُّيوخ»**؛ لمحمد الصيداوي.
٢٨٥- **«معجم المناهي اللفظية»**؛ لبكر أبي زيد.
٢٨٦- **«معجم مقاييس اللغة»**؛ لابن فارس.
٢٨٧- **«معرفة السنن والآثار»**؛ للبيهقي.
٢٨٨- **«معرفة علوم الحديث»**؛ للحاكم.
٢٨٩- **«معيد النعم»**؛ للسبكي.
٢٩٠- **«مفتاح دار السعادة»**؛ لابن قيم الجوزيَّة.
٢٩١- **«مكانة أهل الحديث ومآثرهم الحميدة في الدين»**؛ لربيع المدخلي.
٢٩٢- **«مناقب الإمام أحمد»**؛ لابن الجوزي.
٢٩٣- **«مناقب الشافعي»**؛ لأبي الحسن محمد بن الحسين الآبري السجزيُّ.
٢٩٤- **«منتهى الآمال»**؛ للسيوطي.
٢٩٥- **«منهاج السنَّة»**؛ لابن تيمية.
٢٩٦- **«منهج الأنبياء»**؛ لربيع المدخلي.

٢٩٧- **«موقف ابن تيمية من الأشاعرة»**؛ لعبد الرحمن بن صالح المحمود.
٢٩٨- **«موقف أهل السنَّة والجماعة من أهل الأهواء والبدع»**؛ لإبراهيم بن عامر الرحيلي.
٢٩٩- **«ميزان الاعتدال»**؛ للذهبي.
٣٠٠- **«نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب»**؛ للمَقَّري.
٣٠١- **«هداية الرواة»**؛ للألباني.

* * *

فهرس الآيات القرآنية

الآية — الصفحة

البقرة

آل عمران

النساء

المائدة

الأنعام

الأعراف

الأنفال

التوبة

يونس

يوسف

الرعد

الحجر

النحل

الإسراء

مريم

طه

الأنبياء

الحج

النور

القصص

العنكبوت

الروم

السجدة

الأحزاب

سبأ

فاطر

الصافات

ص

الزمر

غافر

الشورى

الزخرف

الأحقاف

محمد

الفتح

الحجرات

الذاريات

النجم

الحديد

المجادلة

الحشر

المنافقون

الملك

القلم

المزمل

القيامة

التين

البينة

قريش

الماعون

النصر

فهرس الأربعون حديثًا النبويَّة في منهاج الدعوة السلفيَّة

* * *

فهرس الأحاديث النبوية

الحديث .... الصفحة

* * *

فهرس الآثار السلفيَّة

* * *

فهرس الموضوعات والمحتويات والفوائد

الفهارس العلمية:

* * *